

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

العنوان

**فبحاث محاسن ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال
1985-1899**

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوصفصاف

إعداد الطالب:

عزالدين معزة

تاريخ المناقشة: 16 فيفري 2005

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الرتبة | الصفة | الجامعة الأطية |
|----------------------|-------------------|--------------|-------------------------|
| 1 عبد الرحيم سقالي | أ. التعليم العالي | رئيسا | جامعة منتوري |
| 2 عبد الكريم بوصفصاف | أ. التعليم العالي | مشرفا ومقررا | جامعة منتوري |
| 3 أحمد حاري | أ. التعليم العالي | عضوا مناقشا | جامعة الأمير عبد القادر |
| 4 جمعي الخصري | أ. محاضر | عضوا مناقشا | جامعة منتوري |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة البحث

تعالج هذه الدراسة موضوعا هاما من موضوعات التراجم، وأعمال الشخصيات الفاعلة في حياة المجتمع السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ألا وهي شخصية فرحات عباس، ودوره في الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، ومرحلة الاستقلال، وهي دراسة ستلقي الضوء على جوانب مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر.

إلى جانب دراسة وتحليل أعمال هذه الشخصية البارزة في مسيرة الجزائر الحديثة، وهو نموذج متميز من المثقفين بثقافة فرنسية في الجزائر، والذي ينحدر من عائلة ريفية فلاحية متواضعة بمنطقة جبلية منعزلة وفقيرة بجبال جيجل الساحلية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتبع مسيرة الفكر السياسي لفرحات عباس، والوقوف على أهم العوامل أو الأسباب الموجهة لهذا الفكر، الذي يمثل التيار الليبرالي بأوسع معانيه في الجزائر.

وقد وقف موقفا متميزا بين التيارات السياسية والإصلاحية الجزائرية، فلم يكن متطرفا في الوطنية مثل نجم شمال إفريقيا، وحزب الشعب الجزائري، ولا متوقفا عند رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- ألا وهو المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا-

لقد فتح مترجمنا عينيه على معاناة الشعب الجزائري الذي كان يئن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، والذي يعد من أقوى وأبشع الاحتلالات الاستيطانية في العالم.

لم يكن لفرحات عباس في بداية نشاطه السياسي أية قوة يجابه بها ظلمات الاحتلال، سوى قوة واحدة وهي ثقافته التي استمدتها من الثقافة الفرنسية ذاتها وهي ثقافة الأنوار الليبرالية والديمقراطية. لقد تأثر كثيرا بمبادئ الثورة الفرنسية 1789 الحاملة لمبادئ الحرية والمساواة والإخاء، ولطالما حلم بتطبيقها في الجزائر، ولكن ذلك ظل مجرد سراب باقعة، فبدأ لمعاصريه كأنه رجل مثالي يحلم بمجتمع طوباوي.

ولكنه أدرك بعد أحداث عالمية ووطنية أن الأفكار التي حاول تطبيقها لم تعد صالحة لزمانه، أو تساير الحركة التاريخية، فلا المختلون حاولوا تطبيقها، ولا الشعب الجزائري المسلم حقق مبتغاه منها، لذلك كان لزاما عليه أن يتطور مع الأحداث أو يصبح على هامش العصر، وتماشيا مع مسيرة التاريخ، والأوضاع الداخلية والخارجية، دعا إلى رفض سياسة الاندماج بصفة مطلقة ونهائية، لأن الزمن تجاوز تلك المطالب، وأصبح الشعب الجزائري في الأربعينات أكثر وعيا مما كان عليه خلال الثلاثينات من القرن العشرين، بفعل المؤثرات الجديدة التي فرضت نفسها نتيجة للتطورات

العالمية بفعل الحرب الكونية الثانية، فلجأ فرحات عباس إلى مطلب إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا،

وعمل بكل ما يملك من قوة على تحقيق هذا المطلب، داعيا إلى تأسيس جزائر جديدة يتعايش فيها الجزائريون المسلمون، والأوروبيون، واليهود بكل احترام، ومساواة، وتكافؤ الفرص للجميع بدون تمييز عرقي أو ديني أو لغوي، أي جزائر تتسع لجميع سكانها، ولن يكون هذا في نظره إلا بعد إلغاء مفهوم الاحتلال نهائيا، إلا أن مشروعه هذا اصطدم بصخرة الواقع الصلبة، أمام محتلين أعماهم تفوقهم المادي على شعب مسلم استضعفوه، ورفضوا تحقيق أدنى مطالب الحركة الوطنية، فلم ينصتوا لا لصوت العقل، ولا استطاعوا مسايرة التطورات الجديدة. ويمكن القول أن فكر المحتلين في الجزائر بقي جامدا منذ 1830، وبالعكس من ذلك نرى تطور الفكر السياسي الوطني الجزائري.

وباندلاع الثورة التحريرية الجزائرية المعبرة تعبيرا حقيقيا عن رغبة الشعب الجزائري في تخليص الجزائر من ربة الاحتلال الفرنسي، آمن فرحات عباس الرجل السياسي الداعي إلى رفض العنف وحل المشاكل سلميا، بعدالة الثورة، متهما خصومه المحتلين بعدم قدرتهم على تحليل الأوضاع التي سادت الجزائر بعد الحرب الكونية الثانية تحليلا منطقيًا، فتهورهم وتجبرهم وقساوتهم تجاه الشعب الجزائري المسلم كل ذلك أدى إلى اندلاع الثورة، فاحتلوا في نظره يعيشون من غير عقل، وهم عبارة عن أجهزة هضم فقط لالتهام كل ثروات الجزائر بنهم.

و أمام هذه المرحلة من تاريخ الجزائر، وجد فرحات عباس نفسه في موقف حرج، فإما أن ينخرط في الحركة التحريرية الثورية التي لجأت إليها جبهة التحرير الوطني، وإما أن يصبح على هامش التاريخ، كداعي لأفكار طوباوية، تأبي أرض الواقع قبولها وإحصائها، ولكن هذا الرجل المسالم عرف كيف يلامس بفكره النير روح الشعب الجزائري، والإنصات إلى نبض الجماهير بضمير يقظ، وفكر واع متفتح على الواقع، وما يفرضه من تحولات، فهو لم يكن من ذوي طالبي العظمة و الزعامة والسلطان على حساب أبناء شعبه من المقهورين والمنبوذين، وإنما أراد طوال حياته أن يكون واحدا منهم ينطق بلسان حالهم، ويطمح لتحقيق آمالهم، ويندمج معهم اندماجا كليًا في الحركة التحريرية الثورية، عاملا بكل ما في وسعه من أجل إزالة ليل الاحتلال و الظلم والقهر.

وفي جزائر الاستقلال ورئاسته لأول مجلس وطني تأسيسي (البرلمان) رفض الوقوف إلى جانب المغامرين الباحثين عن الزعامة والأجماد الشخصية على حساب آلام الشعب الجزائري، لينتار الوقوف إلى جانب الجزائر وليس إلى جانب الأشخاص، مضحيا بمصالحه الشخصية، و بالإمتيازات الواسعة التي منحت له كشخص مسؤول سامي في الدولة الجزائرية، فجعل مصالحه الشخصية جزءا لا يتجزأ من مصالح الشعب الجزائري، وفي خدمة الجزائر كلها، وما كان جزاؤه من تقدم استقالته، و انتقاده لنظام ابن بلة، إلا فصله من جبهة التحرير الوطني، وتعرضه لعقوبة شديدة بالرغم من كبر سنه، وما قدمه للجزائر، فالمغامرون لا يقدرّون جهد الأشخاص في سبيل الوطن، وإنما الوطن هو ما يتعلق بمصلحتهم الشخصية فقط، ولم يعد يذكر فرحات عباس في جزائر الاستقلال إلا بمثالبه في الثلاثينات، و إهمال مناقبه خلال الثورة التحريرية، بل أصبح من المغضوب عليهم، وأدخل ظلما في ثقافة النسيان.

عاش مرحلة الاستقلال بعد تقديم استقالته من رئاسة المجلس الوطني التأسيسي منعزلا عن السياسة، ولم يؤخذ
لا برأيه ولا بتجاربه، وحينما سمح له بإعطاء رأيه حول الميثاق الوطني سنة 1976، أغضب رأيه السلطة الحاكمة في
ذلك الوقت، فوضع تحت الإقامة الجبرية في منزله بالقبة القديمة بـ (الجزائر العاصمة).

كان فرحات عباس دائما يعتبر حرية الرأي جزءا لا يتجزأ من كرامة الإنسان، فقد بقي متمسكا بفكرة
الديمقراطية والثقافة الليبرالية التي تلغي الولاء للأشخاص، فالولاء في نظره لا يكون إلا للوطن.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع من أهمها:

الدافع الأول: إن قرأتي لفرحات عباس ومعرفتي الشخصية به، واتصلاقي المتكررة به في منزله، أثناء أدائي
الخدمة الوطنية في الجزائر العاصمة سنتي 1980 و 1981، وما لمست فيه من أخلاق نبيلة، وتواضع كبير، ما كنت
أعتقد أبدا أن أجد شخصا مثل فرحات عباس بذلك التواضع، والأدب الرفيع وحسن الإصغاء، وقبول الرأي الآخر،
وتسامح كبير، مما شدي للمزيد أكثر من معرفته عن قرب، وتصحيح ما علق في ذهني وأسماعي من أفكار، وأكاذيب،
وزور ما كانت لتناقش أو تجادل في تلك الفترة حول شخصية عمومية كفرحات عباس.

أما الدافع الثاني: فيتمثل في البحث عن الحقيقة، والحياد الموضوعي، لمعرفة هذه الشخصية، وإعطائها ما
تستحقه بما لها وما عليها، بالكشف عن نضالها خلال الحركة الوطنية، والثورة التحريرية الكبرى.

و الدافع الثالث: هو الرغبة في الإطلاع على أساليب النضال التي استعملها فرحات عباس للوقوف في وجه
المحتلين، ووضع حد للظلم والقهر، وتحقيق التحرر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للجزائريين المسلمين خلال بداية
نضاله السياسي.

أما الدافع الرابع: فهو الرغبة في دراسة الأساليب التي اقترحتها لإمكانية تكوين مجتمعين متعايشين (مجتمع
أصيل، ومجتمع غازي) من خلال بيان 10 فيفري 1943 وملحقه، بعد إلغاء الاحتلال فئائيا، وبعث جزائر جديدة
بمختلف عناصرها السكانية من حيث الأصل، والدين، واللغة.

و الدافع الخامس: معرفة الأسباب الحقيقية التي جعلته ينضم إلى الثورة التحريرية الكبرى مؤيدا في ذلك
الأسلوب الثوري للوصول إلى تحرير الجزائر من الاحتلال.

أما الدافع السادس: فهو معرفة أسباب تقديم استقالته من رئاسة المجلس التأسيسي الوطني الجزائري، وانتقاده
للسلطة الحاكمة آنذاك، معرضا بذلك مصالحه الشخصية وعائلته للخطر.

فلهذه الأسباب الموضوعية في نظري قررت اختيار هذا الموضوع آملاً أن أساهم في إضافة لبنة جديدة إلى الأعمال التي أنجزت حول تاريخ هذه الشخصية، ودورها في مسيرة الجزائر الجديدة.

وقد وجدت في شخصية أستاذي الفاضل أطال الله عمره الأستاذ الكريم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي شرفني بإشرافه على هذه الرسالة كل التشجيع والتوجيه باعثاً فيّ روح الأمل، ومحبياً لي طريق البحث الأكاديمي، وكنت كلما أحس بالقلق والتوتر أُلجأ إليه لأجد عنده كل التشجيع لي، والحقيقة أن الفضل الكبير في إنجاز هذه الرسالة يرجع إلى كرمه وعطفه، ونصائحه التي لم ييخل يوماً بها علي، بالرغم من كثرة انشغالاته العلمية.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الرسالة في البحث عن معرفة التيار الوسطي - الاعتدالي - للحركة الوطنية الجزائرية المتأثر بفلسفة الأنوار التي حولت فرنسا الرجعية الدكتاتورية إلى فرنسا الليبرالية الديمقراطية، وهذا التحول الهام اعتمد بالدرجة الأولى والأساسية على الفكر وتنوير العقول وإيقاظها من سباتها وجعلها متفاعلة في مجتمعاتها.

هذا الفكر حملته فرحات عباس بعمق، وأراد تطبيقه على أرض الجزائر فلا المحتلون قبلوه، ولا الشعب الجزائري الخاضع للاحتلال والفقر والجهل فهم كنهه، وسار وراء فرحات عباس من أجل تحقيق مشروعه السياسي الهادف إلى تحرير الإنسان الجزائري المسلم، ما عدا مجموعة من المثقفين الجزائريين المسلمين سايروه في آرائه، وبعض البرجوازيين.

فالفكر الاعتدالي يتطلب وجود فئة مثقفة واعية تربط بين الحكام وعامة الشعب، أو هو كالتطبيق المتوسطة في النظام الليبرالي، فوجودها ضروري لسير المجتمع نحو الأفضل، والتقليل من ضغط الحكام على الفئات الشعبية الضعيفة، فالفكر المتطرف الذي رفضه فرحات عباس يؤدي إلى إقصاء الأخر، مما يتولد عنه التطرف.

فالتيار الاعتدالي الوسطي (الليبرالي) الذي تزعمه فرحات عباس كان ضروريا في تلك الفترة للربط بين حزب الشعب الجزائري المتحذر في مطالبه بدعوته للاستقلال مباشرة، وبين علماء يدعون إلى الإصلاح عن طريق الدعوة إلى التعليم، والمحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية.

فالتحذر في المطالب أدى إلى قيام الثورة التحريرية الكبرى، ورضي به فرحات عباس وسار مع هذا التيار الثوري، بعد أن استنفذ مشروع الثورة بالقانون.

أما أن يستمر ذلك التطرف إلى ما بعد الاستقلال وإقصاء الفكر الحر المعتدل فتلك أمور كانت نتائجها خطيرة على الأمة الجزائرية، وهذا ما وقعت فيه جبهة التحرير الوطني بعد الاستقلال، والنظام التنفيذي، وكان من نتيجة ذلك قيام انتفاضة 5 أكتوبر 1988، وكان بالإمكان تجنب كل هذه الأحداث والخطوب التي ألمت بالمجتمع الجزائري في العقدين الأخيرين، لو سمح للأحر بإبداء رأيه بكل حرية في بناء جزائر تتسع لجميع أبنائها برغم اختلافاتهم

الفكرية، والسير على النهج الديمقراطي الليبرالي، الذي دعا إليه فرحات عباس.

فاختلاف الرأي عنده جزء لا يتجزأ من الحرية، وبالتالي كرامة الإنسان، فالحرية عنده هو أن تكون حرا في اختيارك، وآرائك المنطقية والبناءة التي لا تهدف إلى إقصاء الآخر، وتسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، التي تؤدي بدورها إلى تكوين أمة متطورة وقوية بفعل تضافر جهود الجميع.

وسأحاول من خلال هذه الرسالة أن أجيب عن جملة من التساؤلات ما يزال بعضها غامضا وأهمها:

أولاً: إلى أي مدى يمكن اعتبار فكر فرحات عباس فكرا سياسيا وطنيا قادرا على إحداث التغيير والتطوير، وتكوين أمة جزائرية ديمقراطية اجتماعية، ولتجنب ظهور التيار المتطرف، وحتى إن ظهر فيكون تأثيره ضعيفا جدا.

ثانياً: هل يمكن اعتبار فرحات عباس من المفكرين الجزائريين العالميين أمثال الشيخ ابن باديس، ومالك بن نبي، أم أنه مجرد رجل سياسي ميداني، تحركه الأحداث، ويسكته الهدوء؟

ثالثاً: كيف يمكن التمييز بين شخصية فرحات عباس الإصلاحية والثورية؟

المناهج المتبعة في البحث:

قد اعتمدت منهجين أساسيين في هذه الدراسة :

فالمنهج الأول: وهو المنهج التاريخي الوصفي، وقد طبقته في رصد الأحداث، وترتيبها ترتيباً كرونولوجياً، ووصفها حسب كل مرحلة من المراحل الواردة في خطة الرسالة.

أما المنهج الثاني: فهو المنهج التحليلي النقدي، وقد سلكته في دراسة وتحليل ونقد النصوص المعتمدة في البحث من مصادرها الأساسية، أو من المراجع التي كتبت عن حياة السيد فرحات عباس، بهدف استنتاج الحقائق العلمية بكل صدق، أملاً في المساهمة في بناء منظومة تاريخية وطنية بعيدة عن التحريف والتزييف، وتهدف إلى الاستفادة من الجوانب الإيجابية في تاريخنا الوطني وتفعيلها، وتجنب السلبيات منها بعد دراستها، وتحليلها، ونقدها، وتبيان خطورتها على أمتنا الجزائرية، وبذلك نكون على الأقل قد ساهمنا ولو بشيء متواضع في رسم مستقبلنا.

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث موضوعي جاد ونزيه وهادف من الصعوبات، فهي عديدة منها نقص الوثائق، والتي تعد أهم مصدر لكتابة بحث أكاديمي، فمعظم وثائقنا موجودة في أرشيف فرنسا، وخاصة وثائق الثورة التحريرية التي حملتها

معها فرنسا بعد استقلال الجزائر، أما أرشيف جبهة التحرير الوطني خلال الثورة فإن معظمه ما زال لم يتحرر بعد، ولذلك يجد الباحث في هذا الموضوع نفسه مضطرا في معظم الأحيان إلى الرجوع إلى الكتب بدل الوثائق مما يجعله غير مقتنع تمام الإقتناع بما وصل إليه من حقائق.

ولقد طلبت من أستاذي الكريم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف أن يعفيني من مرحلة الثورة، ولكنه أصر على ذلك مقديا إلي بكل إخلاص وصدق كل التشجيع، قائلا لي: " إن النضال السياسي لفرحات عباس لم ينته في سنة 1954، وإنما تواصل وبحضور قوي حتى استرجاع الاستقلال الوطني."

أما الصعوبة الأخرى التي واجهتني خلال إعدادي هذا البحث تتمثل في أن أغلبية المصادر والوثائق التي لجأت إليها محررة باللغة الأجنبية فكان لزاما علي أن أقوم بقرائنها وترجمتها إلى اللغة العربية، وقد استغرق ذلك وقتا طويلا نوعا ما من أجل إنجاز هذا العمل.

وقد وجدت كذلك صعوبة أخرى، تمثلت في مشكل اختصار مسيرة فرحات عباس التي دامت أكثر من ستين سنة من النضال السياسي، فالاختصار أحيانا لا يوضح بشكل جيد بعض الأفكار.

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

المصادر الأساسية التي اعتمدها في بحثي هذا تتمثل في ما كتبه فرحات عباس سواء كتبه أو مقالاته في الجرائد أو رسائله وهي:

أ) الجرائد والرسائل:

جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي (L' entente franco- musulmane) وهي الجريدة التي كان يكتب فيها فرحات عباس مقالات له مدافعا عن سياسة الاندماج، وبيان 10 فيفري 1943 وملحقه، والذي يعتبر نقطة تحول هامة في الفكر السياسي لفرحات عباس، وتحليله نهائيا عن سياسة الاندماج ومطالبته بإقامة جمهورية جزائرية، ووصيته السياسية التي نشرها شارل روبر أجيرون في المجلة الفرنسية التاريخية لما وراء البحر، ونجد فيها العمق الفكري السياسي لفرحات عباس، وموقفه من قضايا الاحتلال، ووضعية الجزائريين المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومدخلاته في بعض المجالس النيابية سواء في ولاية قسنطينة أو الجزائر العاصمة أو باريس، وبعض الرسائل التي أرسلها إلى أصدقائه خلال فترة الأربعينات.

ح

ب) الكتب:

- الشباب الجزائري (Le jeune Algérien): وهو كتاب جمع فيه فرحات عباس المقالات التي كتبها في العشرينات، وهي ضرورية لمعرفة بداية نضاله السياسي.

- ليل الاستعمار (La nuit coloniale): هذا الكتاب عبارة عن مذكرات كتبها بعد خلعه من رئاسة الحكومة المؤقتة وانتقاله إلى المغرب، وفيه عاد إلى ماضيه، حيث كتب عن أهم المراحل التي مر بها نضاله، ومحاولا إعطاء تفسير لتاريخ الجزائر، ومركزا بعض الشيء على فترة الاحتلال والثورة التحريرية

- تشریح حرب (L' Autopsie d' une guerre): هذا الكتاب نشره في سنة 1980 ويتعرض فيه إلى الثورة الجزائرية والأحداث الهامة التي مرت بها بلادنا من توضيحات جسام قدمها شعبنا من أجل استقلاله، وبعض الأخطاء التي ارتكبتها الثورة في رأيه.

- الاستقلال المصادرة (L' indépendance confisquée): هذا الكتاب نشره قبل وفاته بسنة واحدة فقط، وهو كتاب خصصه لنقد سياسة الرئيسين أحمد بن بلة، و هواري بومدين، وأثر سياستهما على الجزائر المستقلة.

إلى جانب هذه المصادر الأساسية، اعتمدت كذلك في كتابة رسالتي هذه على مصادر ثانوية تناولت مرحلة من البحث تتمثل في:

- كتاب الحركة الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة: لأحمد مهساس، هذا الكتاب تعرض فيه صاحبه إلى الحركة الوطنية وتطورها وصولا إلى بداية الثورة التحريرية، وقد استفدت منه خاصة فيما يخص علاقة حزب الشعب بالحركات الوطنية الأخرى.

- كتاب مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري: وهو كتاب هام لمعرفة بداية الصراع بين القادة منذ مؤتمر طرابلس، حيث كان علي كافي من أحد الوجوه الحاضرة في هذا المؤتمر.
- مذكرات اللواء خالد نزار: استفدت منه في إطلاعي على صراع صائفة 1962، حيث كان خالد نزار أحد أطراف الصراع.

- كتاب الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، L' Algérie à Evian, histoire des 1956-1962: المؤلفه رضا مالك، وهو كتاب هام حيث كان صاحبه شاهدا ومفاوضا في اتفاقيات إيفيان، يتعرض فيه إلى بداية المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة، وقد استفدت منه في معرفة موقف فرحات عباس من المفاوضات.

- وكتاب أصول أول نوفمبر 1954 (Les origines de 1^{er} novembre 1954): المؤلفه بن يوسف بن خدة، واطلعت فيه على بعض الأحداث الهامة التي مرت بها ثورتنا، حيث تعرض إليها ابن يوسف بن خدة، وكان شاهدا على بعض أحداثها.

خ

guerre mondiale أما أهم مراجع البحث التي اعتمدت عليها فهي:

- كتاب فرحات عباس جزائر أخرى (*Ferhat Abbas une autre Algérie*): لمؤلفه بنيامين سطورا و زكية داود هذا الكتاب تتبع فيه المؤلفان حياة فرحات عباس ونضاله السياسي عبر كل المراحل، وقد استفدت منه في الإطلاع على بعض الجوانب من نضال فرحات عباس.

والمجلة التاريخية المغربية الصادرة بتونس لرئيسها عبد الجليل التميمي، عدد 4 لشهر جويلية 1975، ومقال شارل روبر أجيرون فيها بعنوان " فرحات عباس، والتطور السياسي للجزائر المسلمة خلال الحرب الكونية الثانية"، (*Ferhat Abbas et l'évolution politique de l'Algérie musulmane pendant la deuxième*) ، وهذا المقال مهم في التعرف على التطور السياسي لفرحات عباس خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اعتمدت عليه لمعرفة الأسباب التي جعلت فرحات عباس يتحول من مطالب بالاندماج إلى مطالب بإقامة جمهورية جزائرية.

وكتاب (*Les Algériens musulmans et la France : 1871-1919*) " الجزائريون المسلمون وفرنسا: 1871-1919" لمؤلفه: شارل روبر أجيرون ودرس فيه السياسة العامة للاحتلال الفرنسي للجزائر من 1871 إلى 1919، وأثرها على الجزائريين المسلمين من جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد استفدت منه في معرفة انعكاسات سياسة الاحتلال الفرنسي على الجزائريين في مطلع القرن العشرين.

- وكتاب الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945: لمؤلفه أبو القاسم سعد الله هذا الكتاب استفدت منه في معرفة اتجاهات الحركة الوطنية، وخاصة المؤتمر الإسلامي الأول وأحداث 8 ماي 1945، وموقف فرحات عباس من تلك الأحداث.

- كتاب فرحات عباس رجل الجمهورية: لمؤلفه حميد عبد القادر، وهذا الكتاب تتبع فيه مؤلفه حياة فرحات عباس ونضاله السياسي، واستفدت منه في الإطلاع على نضال فرحات عباس.

تنبيهات ومصطلحات الرسالة:

بالفرنسية والعربية، وهي:

1. بالعربية

- إ. د. ب. ج: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.
- ح. إ. ح. د: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.
- ح. ش. ج: الحزب الشيوعي الجزائري.
- ج. ت. و: جبهة التحرير الوطني.
- ح. م. ج. ح: الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

A.W.C : Archives de la Wilaya de Constantine.
F.E.M : Fédération des Elus musulmans.
R.H.M : Revue d'histoire Maghrébine.
U.P.A : union de peuple Algérien.
U.D.M.A : Union Démocratique du Manifeste Algérien.

خطة الرسالة:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة، وسبعة فصول، وتحتوي على 33 مبحثا، وخاتمة، وملاحق، و بيليوغرافيا، وفهارس متنوعة.

الفصل الأول: بيئة فرحات عباس، وقسمته إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: البيئة السياسية، ويتناول الأوضاع السياسية التي سادت في الجزائر في مطلع القرن العشرين، وظهور النخبة الجزائرية، وتأثيرها على الفكر السياسي للجزائريين المسلمين.

أما المبحث الثاني: البيئة الاقتصادية، فيدرس الأوضاع الاقتصادية في الجزائر في مطلع القرن العشرين، وتأثير السياسة الاقتصادية للاحتلال على الجزائريين المسلمين.

و المبحث الثالث: البيئة الاجتماعية، يتعرض للفئات الاجتماعية التي كانت موجودة في الجزائر في مطلع القرن العشرين مع التركيز على الجزائريين المسلمين من حيث تركيباتهم الاجتماعية والمهنية و العمرية وأثر الاحتلال على ذلك.

و المبحث الرابع: البيئة الثقافية، فقد خصصته للأوضاع الثقافية الناتجة عن الاحتلال الفرنسي وتأثير ذلك على الفكر الديني، والعلمي أو بمعنى أدق على الشخصية الوطنية الجزائرية.

الفصل الثاني: الحياة والآثار، وقسمته إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: المولد والنشأة، تعرضت فيه لمولد ونشأة فرحات عباس، وأصل عائلته ومنطقته.

و المبحث الثاني: تكوينه الاجتماعي، درست فيه الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها فرحات عباس، ومدى تأثير ذلك على تكوينه الفكري.

أما المبحث الثالث: تكوينه الثقافي، تناولت فيه العوامل الثقافية التي ساهمت في تكوين شخصية فرحات عباس من خلال إطلاعه على فلسفة الأنوار التي ظهرت في فرنسا خلال 18 الميلادي، وأدت إلى قيام الثورة الفرنسية 1789.

أما **المبحث الرابع: تكوينه السياسي**، تتبعت في هذا المبحث العناصر الأساسية التي ساهمت في تكوين فكره السياسي وتأثره بالأمير خالد، حيث قام بحمل رايته مناديا في بداية نضاله السياسي بالاندماج والمساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين، وحينما فشلت سياسته هذه انتقل إلى المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا ولكنه بقي دائما مرتبطا بالشعب الجزائري فحينما اقتنع بالعمل الثوري التحرري من أجل تحرير الجزائر، انضم إلى الثورة.

و **المبحث الخامس: أعماله الفكرية**، تعرضت فيه لمؤلفات فرحات عباس الفكرية ومقالاته السياسية في

الجرائد والبيانات وغيرها، وهذا المبحث يعطينا فكرة واضحة عن العمق الفكري الثقافي والسياسي لفرحات عباس.

الفصل الثالث: آراؤه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين، وقسمته إلى ثلاثة مباحث

هي:

المبحث الأول: عودته من الخدمة العسكرية، تناولت فيه مسيرته في الخدمة العسكرية، ورأيه فيها.

المبحث الثاني: رأيه في التجنس، درست فيه موقفه من التجنس الفردي الذي منحتة إدارة الاحتلال لمجموعة من الجزائريين وفق شروط نستطيع أن نقول عنها أنها تعجيزية.

المبحث الثالث: موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر، تناولت في هذا المبحث احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، وموقف فرحات عباس الرفض لها، حيث اعتبرها إهانة للشعب الجزائري، ورفض إلقاء كلمة بهذه المناسبة عندما طلبت منه إدارة الاحتلال ذلك.

الفصل الرابع: مواقفه السياسية خلال الثلاثينات، وقسمته إلى سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول: آراؤه السياسية خلال الثلاثينات، تعرضت فيه إلى المواقف السياسية لفرحات عباس خلال فترة الثلاثينات، حيث كان زعيم دعاة الاندماجين.

والمبحث الثاني: الوظائف السياسية، تتبعت فيه المناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس خلال فترة الاحتلال وأثناء الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال.

أما المبحث الثالث: دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول، وموقفه من جمع شمل الجزائريين في هذا المؤتمر، ومشاركته في الوفد الذي سافر إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي.

المبحث الرابع: موقفه من رفض مشروع بلوم - فيوليت، تعرضت في هذا المبحث لمشروع بلوم - فيوليت، والأهداف التي كان ينتظرها الاحتلال منه، وموقف فرحات عباس من رفض ذلك المشروع.

المبحث الخامس: موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري، تناولت فيه موقف فرحات عباس من العلماء ومطالبهم، واقتراجه منهم في الدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية وابتعاده عنهم في مطالبته بسياسة الاندماج التي

رفضها العلماء، واختلافه مع مطالب حزب الشعب الجزائري ومبرراته في ذلك.

المبحث السادس: يدرس هذا المبحث تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري "، ونشاطه عبر التراب الوطني من أجل تنصيب هياكل حزبه، و الإيديولوجيا التي كان يحملها.

أما المبحث السابع: فرحات عباس والحرب الكونية الثانية، يتناول هذا المبحث موقفه من الحرب الكونية الثانية، وتطوعه إلى جانب فرنسا مدافعا في نظره عن الديمقراطية والحرية، لأن سقوط فرنسا معناه انتصار الديكتاتورية النازية وسيادة الاحتلال.

الفصل الخامس: مواقفه خلال الأربعينيات، وقسمته إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: عودته من الحرب الكونية الثانية، تتبعته فيه عودته من الحرب الكونية الثانية ونشاطه السياسي، ورسائله للماريشال بيثان التي يقول عنها بأنها آخر مطلب له للمساواة.

و المبحث الثاني: بيان الشعب الجزائري، يتناول هذا المبحث العوامل التي أدت إلى إحداث تغيير هام في الفكر السياسي لفرحات عباس مع دراسة مطالب البيان ومقارنتها بالمطالب السابقة لفرحات عباس والأوضاع التي سادت في تلك الفترة سواء في داخل الجزائر أو خارجها من خلال مبادئ ميثاق الأطلسي.

والمبحث الثالث: إنشاء حركة أحباب البيان والحرية، تتبعته في هذا المبحث دوافع تأسيسه لهذه الحركة ومطالبها التي ربطها بمطالب بيان الشعب الجزائري، ودورها في نشر الوعي السياسي بين أوساط الجماهير الجزائرية.

المبحث الرابع: فرحات عباس وحوادث 8 ماي 1945، نحدد فيه موقفه من هذه الحوادث التي اعتبرها مجزرة دبرها مغامرون ضد الشعب الجزائري، متهما في ذلك حزب الشعب الجزائري، والمحتلين، وتحريره لوصيته السياسية داخل الزنزانة.

المبحث الخامس: تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "، يتناول هذا المبحث تأسيسه لحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعد خروجه من السجن، ومبادئ وأهداف هذا الحزب، ونشاطه السياسي في إطار حزبه هذا.

الفصل السادس: مواقفه خلال الخمسينيات، وقسمته إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: دخوله في جبهة الدفاع عن الحرية، وهنا نسجل وقوفه ضد سياسة الاحتلال من تزوير الانتخابات، وتعطيل الإصلاحات، وملاحقة الوطنيين، ورفضه لسياسة القمع.

أما المبحث الثاني: موقفه من اندلاع ثورة التحرير 1954، درست في هذا المبحث موقفه من اندلاع الثورة التحريرية.

و المبحث الثالث: انضمامه إلى الثورة، تتبعت فيه كيفية التحاقه بالثورة، ونشاطه الدبلوماسي فيها، وراثته لأول حكومة مؤقتة جزائرية.

أما المبحث الرابع: موقفه من اتفاقية إيفيان، تعرضت فيه لبداية المفاوضات أثناء رئاسة فرحات عباس للحكومة المؤقتة الثانية، وملاحظاته حول اتفاقية إيفيان التي وقع عليها بنفسه.

الفصل السابع: فرحات عباس في ظل الاستقلال الوطني، قسمت هذا الفصل إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: موقفه من صراع صائفة 1962، تتبعت في هذا المبحث الصراع الذي ظهر في الجزائر منذ بداية مؤتمر طرابلس، و الخلاف الذي قام بين الأشقاء من أجل السلطة، وموقف فرحات عباس من ذلك.

أما المبحث الثاني: فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي، عاجلت في هذا المبحث طريقة إقامة المجلس الوطني التأسيسي، وموقف السلطة التنفيذية منه برئاسة أحمد بن بلة الذي جعله غرفة لتسجيل القوانين، حيث جرده من صلاحياته، وهذا ما رفضه فرحات عباس.

و المبحث الثالث: موقفه من النظام الاشتراكي، تناولت فيه مواقفه من النظام الاشتراكي في عهد الرئيسين أحمد بن بلة، و هواري بومدين.

المبحث الرابع: موقفه من الميثاق الوطني 1976، هذا المبحث يتناول مرحلة هامة من المراحل التي عرفتها الجزائر، وهي بداية تأسيس مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة، وإفساح المجال لمناقشة الميثاق الوطني، حيث عبر فرحات عباس عن موقفه بشكل صريح من ذلك الميثاق، وأصدر بيانا إلى الشعب الجزائري مع بعض الشخصيات الوطنية.

والمبحث الخامس: وفاته، تعرضت في هذا المبحث لظروف وفاة فرحات عباس وطريقة تشييع جنازته.

وقد أنهيت الموضوع بخاتمة، استعرضت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وقد أشفعت الرسالة بملاحق تتصل اتصالا وثيقا بالموضوع، وهي نماذج من بعض الوثائق كشواهد وأدلة على صحة ما ورد في رسالتنا.

وقد حاولت بقدر الإمكان الكشف عن الجوانب الإيجابية والسلبية خلال مسيرته الطويلة في النضال السياسي، سواء في فترة الاحتلال أو في جزائر الاستقلال، والهدف من ذلك الكشف عن بعض الجوانب من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

ويبدو أن آراء فرحات عباس حول النظام السياسي والاقتصادي في الجزائر في مرحلة الاستقلال، كانت على جانب كبير من السداد، لأن المرحلة الأخيرة أثبتت صحة آرائه، وبعده نظره في بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

الفصل الأول:

بيئة فراحات محباس.

المبحث الأول: البيئة السياسية.

المبحث الثاني: البيئة الاقتصادية.

المبحث الثالث: البيئة الاجتماعية.

المبحث الرابع: البيئة الثقافية.

الفصل الأول

بيئة فرحات عباس

يعالج هذا الفصل البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها فرحات عباس، واستلهم منها تجاربه الثقافية والسياسية، التي شكلت الأرضية الإيديولوجية والفكرية، التي كان يتحرك من خلالها لمقاومة الجهل والفقر ومعاناة الاحتلال من ظلم وقوانين استثنائية...

تأثر فرحات عباس كثيرا بالبيئة الجزائرية الجديدة التي بدأت ملامحها الأساسية تتغير منذ 1830 من جراء سياسة الاحتلال التعسفية ضد الشعب الجزائري، والقوانين الاستثنائية التي فرضها على الجزائريين ظلما وقهرا من أجل إخضاعهم وإذلالهم، وسلب أراضيهم ومنعهم من ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية، لأن المحتل كان يدرك جيدا بأن الشعب الجزائري لم يرض به يوما على أرض الجزائر، وأن فشل المقاومات الشعبية المنظمة بقيادة الأمير عبد القادر وأحمد باي والمقاومات الأخرى بقيادة زعماء دينيين وشيوخ القبائل، لا يعني ذلك أن الشعب الجزائري أصبح أداة طيعة للمحتلين، فما أن يستعيد الشعب الجزائري أنفاسه حتى يعلن الجهاد ضد الاحتلال، وأوسع ثورة انتشرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي ثورة 1871م فقد شملت منطقة القبائل وجزءا كبيرا من الشرق الجزائري، واستطاعت أن تززع استقرار المحتل في الجزائر، وتبث الرعب في الإدارة الفرنسية، لذلك كان تأثير هذه الثورة كبيرا على سياسة فرنسا في الجزائر وفي فرنسا، فراحوا يسنون القوانين الزجرية بهدف منع الشعب الجزائري حتى من التفكير بالتمرد ضد الاحتلال، وساد نوع من الهدوء الظاهري لدى الجزائريين، والحيلة والحذر لدى المحتلين الذين أدهشتهم روح المقاومة، والرغبة في التخلص منه متى سنحت الظروف، تلت هذه الثورة ثورة بوعمامة (1881-1904) والتي استطاعت هي الأخرى زعزعة نظام الاحتلال في الجزائر، ومع مطلع القرن العشرين ظهرت أساليب جديدة في الجزائر، تمثلت في لجوء الجزائريين إلى المطالبة بحقوقهم السياسية والمدنية عن طريق المطالب السياسية.

المبحث الأول

البيئة السياسية

لم يكن الجزائريون في مطالع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية، بل فقد تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق، والفكر السياسي الاشتراكي في أوروبا، وتنافس الدول الأوروبية الغربية فيما بينها على الاحتلال. (1)

ففي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي برزت ألمانيا كدولة أوروبية كبرى دخلت مجال الصراع من أجل البحث عن المجال الحيوي، ويعتقد معظم المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن هذه الفترة أن انتقال هذه التأثيرات الخارجية إلى الجزائر يعود إلى مطالع القرن العشرين، وأن الجزائريين كانوا صامتين ومنعزلين عن الأحداث العالمية وذلك منذ انهزامهم في ثورة 1871 ضد الاحتلال الفرنسي.

فاليقظة السياسية في الجزائر بدأت في التشكل منذ مطالع القرن العشرين، بسبب الثقافة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في المدارس الفرنسية اللائكية. (2)

وكان الفرنسيون يعتقدون قبل ذلك بأن الأفكار السياسية المعادية لفرنسا تأتي من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية. (3)

ونستنتج من ذلك أن هدف الاحتلال من فتح مدارسه أمام بعض الأطفال الجزائريين لتغريبهم عن مجتمعهم، ولم يكن يسعى لنشر الحضارة في أوساط الشعب الجزائري، وإنما كانت مدارسه التي أنشأها لخدمة أغراض المحتلين، وتخرجت من مدارسه نخبة جزائرية جعلت معارفها في خدمة الجزائريين، أما النخبة الجزائرية التي نالت قسطا من التعليم باللغة العربية، فكانوا متأثرين بالعاطفة الإسلامية، أو لنقل بمبادئ الدين الإسلامي، وكذلك بأفكار الجامعة الإسلامية التي تبني أفكارها ومبادئها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فقد وجدت صدى واسعا لها في الجزائر (4) فلم يكن الجزائريون راضين عن الاحتلال الفرنسي، وانتظروا وصول القرن العشرين للتعبير عن رفضهم للاحتلال، فقبيل مطالع القرن العشرين قامت ثورة بوعمامة (1881_1904)، والتي استطاعت أن تزعزع الاستقرار الفرنسي في الجزائر إلى درجة الرعب. (5) فلم يكن بوعمامة رجل حرب فقط، وإنما كان سياسيا وعسكريا ومثقفا متشعبا

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص: 100
(2) Ageron Charles Robert, les Algériens musulmans et la France : 1871 – 1919, t 2, p.u.f. Paris, 1968, p : 1025
(3) ibid.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 78، 79
(5) نفس المرجع، ص: 80

بالمبادئ الإسلامية حتم عليه واجبه الديني إعلان الجهاد، كقائد عسكري، قام بحملة سياسية داخل الجزائر وخارجها، تجاهلها مؤرخو فرنسا الذين أرخوا لهذه الفترة، وصوروا بأن المقاومة السياسية كانت نتيجة تكوينهم للشباب الجزائري في المدارس الفرنسية، بينما المحافظون التقليديون بعيدون عن التنظيم السياسي الذي يحتاج إلى فكر وثقافة واسعة داركة وواعية. محيطها الداخلي والخارجي، والحقيقة عكس نظرهم تجاه المحافظين فقبيل إعلان بوعمامة عن بداية ثورته، قام بحملة سياسية واسعة داخل الجزائر، وفي المغرب بواسطة أتباعه الذين كلفهم بحمل رسائل إلى القبائل الجزائرية والمغربية يحثهم فيها على القيام بواجبهم الديني، وإعلاء كلمة الحق بإعلان الجهاد ضد الكفرة الذين دنسوا أرض الإسلام، وقد وجد نداءه صدى في داخل الجزائر والمغرب مما دفع الفقهاء وبعض شيوخ الزوايا إلى القيام بحملة توعية وسط أتباعهم، فقد طلب أحد فقهاء المغرب اسمه " ابن عزوز " المغاربة لتحضير الجيش المغربي ضد الاحتلال النصراني، الذي احتل أرض الإسلام، ومنعه من التوسع. (6)

وفي تقرير أرسله الجنرال " لارشي " إلى الحكومة الفرنسية سنة 1899 مما جاء فيه: " إن المؤامرات، و الاضطرابات التي جرت في الجزائر قد جعلت العرب يتشاورون فيما بينهم أكثر، من أي وقت مضى، للقيام بنشاط سياسي إنهم الآن مستعدون للتآمر. " (7)

فلاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية الجزائرية، إنما كانت موجودة قبله، فالجزائريون ليسوا بحاجة إلى وجود عدو أجنبي فوق أرضهم ليعلمهم معنى الوطنية، فهي موجودة في نفوس الجزائريين وفي خلفيتهم التاريخية، فلم تكن الثقافة الفرنسية مصدرا لإحياء الوطنية الجزائرية وترقية ثقافتها بل بالعكس لقد تسبب ذلك في اضطهادها. (8) ففي مطلع القرن العشرين تبلورت نخبتان جزائريتان، الأولى ذات ثقافة إسلامية (محافظية)، والثانية ذات ثقافة فرنسية (تقدمية)

النخبة المحافظة: هذه النخبة استمدت ثقافتها التقليدية من الإسلام، وتضم عناصرها أعيان الحضرة والريف، وكان امتدادهم في كامل القطر الجزائري، لكن أنشط عناصرها كانت تتركز في المدن القديمة كقسنطينة، وتلمسان، والجزائر العاصمة، كانوا يطالبون بالمحافظة على الشخصية الإسلامية ويقفون ضد الذوبان في العادات والتقاليد الفرنسية، ومرتبون ارتباطا وثيقا بالإسلام، ففي سنة 1895 قدموا عريضة شديدة اللهجة إلى البرلمانين الفرنسيين والتي وقعتها 1700 شخصية محافظة من قسنطينة مما جاء فيها: " إن أعز رغبة عندنا نفضلها على جميع مطالبنا، هي المحافظة على الشريعة الإسلامية. " (9) ويعلق " أجيرون " (Ageron) على هؤلاء المحافظين بقوله: " هذه الفئة محافظة،

(6) زكي مبارك، مجلة الثقافة، عدد 14 سبتمبر، أكتوبر 1984، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص: 415

(7) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 101

(8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر 1978، ص: 56

(9) Ageron C. R : op.cit, p : 1025

على الأصول، ومرتبطة بالتقاليد، وترفض كل تجديد. " (10) لكن الحقيقة غير ذلك فهم ليسوا جامدين، أو رافضين للتجديد الذي يصلح لمجتمعهم، ويتمشى مع الدين الإسلامي، وعادات وتقاليد الجزائريين التي تستمد أصولها من الدين.

فقد حرموا على المسلمين المشاركة في الجيش الفرنسي أو التطوع فيه، وحرموا كذلك تجنس الجزائريين. (11) وكان هدفهم من ذلك منع المسلمين الجزائريين من الذوبان في المجتمع الفرنسي، والمحافظة على الشخصية الوطنية الإسلامية، لأنها هي العروة الوثقى التي تقوي وتجمع الجزائريين المسلمين بعضهم ببعض، وكانوا يدركون خطورة محو الشخصية الوطنية، وفيما بعد أصبحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدافعا عنيدا عن الشخصية الوطنية.

في مطلع القرن العشرين قام المحافظون في المدن بنشر دعاية في الأوساط الشعبية تقول أن إدارة الاحتلال ستلجأ إلى غلق المساجد، وإلغاء الوظائف التابعة لها؛ لأن المسلمين الجزائريين طالبوا بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة كما تم فصل المسيحية، فانتشر اليأس والإحباط خاصة في أوساط العائلات المحافظة، و بدأوا يتحدثون عن تحضير أنفسهم للهجرة إلى بلاد الإسلام لممارسة شعائرهم الدينية. (12) هذه الدعاية التي نشرها المحافظون في أوساط أعيان الحضرة والريف وجدت صداها الشعبي، فكانت بمثابة جس نبض المسلمين الجزائريين في حالة ما إذا لجأت إدارة الاحتلال إلى غلق المساجد، ومن جهة أخرى تهدف إلى رفع الغشاوة على قلوب المسلمين الجزائريين بفعل سياسية التجهيل التي كان يفرضها عليهم الاحتلال.

في أول هجوم فرنسي على المغرب، شعر المسلمون الجزائريون بالخطر الذي يهدد أبناءهم خوفا من إشراكهم في حرب ضد إخوانهم المسلمين في المغرب، فقد كتب والي وهران رسالة إلى الحكومة الفرنسية مما جاء فيها: " إن المسلمين لا يخفون رغبة هجرتهم حتى لا يكونوا جنودا في صفوف الجيش الفرنسي. " (13) و ازداد الخوف أكثر عندما فرضت فرنسا قانون التجنيد الإجباري الذي أقره قرار 03 فيفري 1912، لدى الجزائريين وخاصة المحافظين منهم الذين شجعوا الهجرة إلى الخارج بدل المشاركة في الجيش الفرنسي.

فهذه الفئة المحافظة والمتقفة ثقافة إسلامية، لم تكن تعيش منعزلة عن فئات الشعب الجزائري الذي انتشر في أوساطهم الجهل، فكانت تتبع الأحداث وتعلق عليها، وتتخذ مواقف منها، حسب ثقافتها الإسلامية وعاداتها وتقاليدها.

(10) ibid. p : 1026

(11) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص: 152

(12) Ageron C. R, op.cit, p : 1026

(13) ibid. p : 1026

فبعض المؤرخين أحيانا كان حكمه قاسيا عليهم ومنهم أبو القاسم سعد الله الذي يصفهم بقوله: " من الوجهة السياسية كانت تعني الإذعان إلى إرادة الله، حتى تحدث معجزة تخلص الجزائري من الرومي. " (14)

إن هجرة التلمسانيين إلى الخارج من أجل دينهم ورفضهم لقانون التجنيد الإجمالي (15) لا يعني بأنهم كانوا سلبيين أمام التطورات، فقد قاوموا واستشهدوا، وهاجروا حينما أصبحوا عاجزين عن فعل أي شيء أمام الاحتلال، الذي لا يرحم أية معارضة ضده، وكانت مخبراته تراقب كل تحركات هاته الفئة في تفكيرها، وكتاباتها، وممارسة شعائرها الدينية.

ففي سنة 1903 قدم المحافظون عريضة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية " لوبرير " (Lobert) طالبوا: " توفير الوسائل الناجعة للأهالي للحفاظ على ممتلكاتهم، ووضع حد لزع الملكية من المسلمين، وإلغاء قانون الغابات، وقانون المسؤولية الجماعية عند حرق الغابات. " (16) فلم تكن هذه الفئة راضية بالقوانين الجائرة، واستعملت اللوائح والعرائض وقدمتها إلى المسؤولين الفرنسيين معبرة فيها عن حالة الشعب الجزائري. ففئة المحافظين كانت محاصرة من طرف إدارة الاحتلال، ومنع عليها جرائد المشرق الإسلامي. (17) وذلك لمنع إطلاعها على ما يحدث في المشرق العربي، وعزلها عن الأحداث العالمية، بعكس الفئة المثقفة باللغة الفرنسية التي كانت على إطلاع على الجرائد والمجلات والكتب الفرنسية التي كانت توجه للمحتلين في الجزائر، والقليل من المحافظين من كان يتقن اللغة الفرنسية، فهؤلاء نجدهم أكثر إدراكا لواقعهم بسبب الثقافة المزدوجة، ومنهم مفتي قسنطينة الشيخ " المولود بن الموهوب " الذي كانت محاضراته في نادي صالح باي بقسنطينة تجلب إليها مجموعة كبيرة من سكان هذه المدينة، فكان يدعو إلى الأخلاق الإسلامية، وتعليم اللغة العربية، ومحاربة التعصب والجهل والإجحاف. (18) فنخبة المحافظين لم تكن جامدة أو تعطي للدين الإسلامي تفسيراً خرافياً، لا ننكر عدم وجود هذه العناصر داخل هذه المجموعة، والتي كان لها تأثير في الأوساط الشعبية الفقيرة سواء في المدن أو الأرياف الجزائرية، لأنهم كانوا أكثر التصاقاً بالفئات الشعبية، فاستغلوا تعليمهم الديني المتواضع في الشعوذة وما شابه ذلك من تائم وخرافات، وكانوا يتدخلون حتى في الجانب السياسي، محاولين الظهور كشخصيات هامة. وقد كان المثقفون من هذه الكتلة يحاربون الجهل والكسل والخرافات ويلقون اللوم على فرنسا التي أهملت الشعب الجزائري وتسببت في انحطاطه، (19) وقد نظم المفتي " ابن الموهوب "

(14) نفس المرجع، والصفحة

(15) Claude callot – Jean Robert Henry, le mouvement national Algérien textes 1912-1954, ed, l' harmattan, Paris, 1978, p : 23

(16) Ageron C. R, op.cit, p : 1028

(17) ibid. p : 1028

(18) نفس المرجع، ص ص: 157-158

(19) نفس المرجع، ص ص: 158-159

الشعر لأنه كان يعلم تأثيره على النفوس وذلك سنة 1911 وطلب من طلابه حفظه وإنشاده في المناسبات. فقد كتب قصيدة يقدس فيها العلم وينبذ الكسل ويحث طلبته على الطموح إلى المجد مع ربطهم بأصلهم المجيد.⁽²⁰⁾

وتطورت أفكار المحافظين إلى تنظيم أنفسهم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ألحت على فهم الإسلام فهما صحيحا و تعليم اللغة العربية، والتشبث بالوطن الجزائري، وذلك يعني بكل وضوح رفض الاحتلال الفرنسي وثقافته.⁽²¹⁾

جماعة النخبة: إلى جانب فئة المحافظين كانت هناك في مطلع القرن العشرين فئة منافسة للمحافظين، لهم برنامجهم ونظرياتهم في السياسة الخاصة بالجزائر ويصفهم أحد أعضائها الشريف بن حبيلس: " ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين، بأعمالهم، أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين. " ⁽²²⁾ أما فرحات عباس فيصفهم بقوله: " هؤلاء الشبان الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، فعلمهم لم يزد لهم إلا تكبرا، فهم ليسوا أطفالا لعائلاتهم، ولكنهم أبناء الشعب الجزائري، جعلوا علمهم في خدمته. " ⁽²³⁾

ولنعد إلى المصدر الذي استمد منه هؤلاء المتخرجون من الجامعات الفرنسية اسم " الشبان الجزائريين "، فيرجع " أجيرون " (Ageron) مصدرها إلى أنها " استعملت كلمة الشبان الجزائريين للدلالة على اليهود المتطورين والمثقفين ثقافة فرنسية، وعارضوا اليهود المتخلفين الذين يرتدون اللباس التقليدي، ويتكلمون بالعربية. " ⁽²⁴⁾ وهذا يوضح تأثير اليهود الجزائريين المثقفين على النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية. أما " علي مراد " فيقول عنهم دون أن يتعرض لاسمهم: " إنهم جماعة يحسنون اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية. " ⁽²⁵⁾ فالمدرسة كان لها دور هام في تطور فكر هؤلاء الشبان الجزائريين، وهي مفتاح أفكارهم الليبرالية، لذلك نجدهم يختلفون اختلافا كبيرا ومميزا عن المجتمع الجزائري، وقد استعملوا خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين مصطلح المساواة مع الأوروبيين في جميع الحقوق والواجبات، وكان هذا المسعى بدون شك وسيلة للوصول إلى تكوين فكر سياسي سمح لهم فيما بعد بممارسة السياسة. ⁽²⁶⁾ فقد قاد هؤلاء تطور شعبهم سواء

(20) نفس المرجع، ص: 162

(21) عبد القادر جفلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسولوجية، ط 3، دار الحداثة وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1980، ص: 10

(22) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 167

(23) Amar Naron :Ferhat Abbas, où les chemins de la souveraineté ed, Donoel, France, 1961, p : 40

(24) Ageron C. R, op.cit, p : 1030

(25) Ali merad, les Réformistes musulmans en Algérie de 1925 à 1940, ed, mouton et co la haye, Paris 1967, p : 47

(26) وليم ب. كواندت، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981، ص: 40

في الإطار الصحيح أو الخاطئ، ولعبوا دورا هاما في سياسة بلدهم، ومع اندفاع الحركة الوطنية الجزائرية أجبروا على اعتزال وظيفتهم أو الخضوع لهذه الحركة. (27) بدأ نشاطهم في مطلع القرن العشرين وقدموا اللوائح والعرائض إلى البرلمان والحكومة الفرنسية طالبين تحسين أوضاع الشعب الجزائري. ففي سنة 1912 قدم هؤلاء ((بيان الشباب الجزائري)) إلى الحكومة الفرنسية طالبوا فيه بإلغاء قانون الأهالي، وإلغاء الضرائب العربية ونشر التعليم، وسياسيا طالبوا بالتمثيل الكافي والحقيقي في المجالس الجزائرية و البرلمان الفرنسي أو في مجلس منتخب مساو له وهذه المطالب حملها الطبيب " ابن التامي " مع اثنين من قسنطينة " مختار حاج السعيد " و الدكتور " موسى بن شنوف " إلى جانب " محمد بن رحال " المثقف المزدوج اللغتين، وفي باريس انضمت إليهم بعثة وهران و النقيب الأمير خالد الذي دعم هذه المطالب سنة 1913. (28) وحلفيتهم السياسية ترجع إلى سنة 1892 حينما قدموا عريضة إلى " جول فيري " (

Jules Ferry) الذي قاد لجنة الشيوخ، طالبوا فيها بحل مشاكل التجنس، وتمثيل إخوانهم المسلمين في المجالس النيابية واحتجوا على قانون الأهالي وطالبوا بتشجيع التعليم العربي. (29)

كانوا يختلفون في تكوينهم الثقافي عن مجتمعهم، ومعظمهم ينتمون إلى الطبقة البرجوازية المتوسطة وغالبية آبائهم كانوا في خدمة إدارة الاحتلال، ولكن رغم ذلك فإنهم جعلوا ثقافتهم في خدمة إخوانهم والدفاع عنهم. (30) وكانوا يعتقدون بأن مبادئ الثورة الفرنسية 1789 ((حرية - مساواة - أخوة)) التي درسوها في المدرسة الفرنسية، يجب أن تطبق على أرض الجزائر، وعلى كل سكانها دون استثناء، مع حرية احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية.

الجزائريون والحرب الكونية الأولى: 1914-1918.

مباشرة بعد إعلان الحرب الكونية الأولى وضعت الجزائر تحت حالة الحصار (état de siège) وأعدت ذكريات ثورة المقراني 1871، وهذا الأسلوب لجأت إليه فرنسا خوفا من قيام انتفاضة في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي. وقامت سفيتتان ألمانيتان في 4 أوت 1914 بغارة على مدينتي سكيكدة، و عنابة، وحدثت اضطرابات في نفوس الجزائريين، ولكن صدها كان ضعيفا.

وجه الحاكم العام الفرنسي في الجزائر " لوتو " (Lutaud) نداء إلى المسلمين الجزائريين حذرهم وأكد لهم بأن الله لا يحب الخائنين، وطلب منهم المساعدة مؤكدا بأن الحكومة الفرنسية قادرة على ضبط الأمن داخل الجزائر. (31) فالجانب الكوني الأولى فتحت أمام الحركة الوطنية آفاقا جديدة حيث كانت تأمل أن تستطيع ألمانيا و

(27) Guy Pervillé, les étudiants algériens de l'université française 1880 -1962, ed, casbah, Alger, 1997 p :80

(28) ibid. p p: 80-81

(29) Ageron C. R, op.cit, pp : 1030-1031

(30) Guy Pervillé, op.cit, p : 71

(31) Ageron C .R, op.cit, p : 1140

تركيا هزيمة فرنسا و هذا يسمح بإعطاء أمل للجزائريين. (32) ويصبح بإمكانهم المطالبة بحقوقهم أمام حكومة فرنسية منهزمة ضعيفة لا تستطيع رفع العصا العليظة في وجه الجزائريين. ولكن فرنسا لم تترك الجزائريين على حالهم بل قامت بتجنيدهم ودفعتهم إلى الخطوط الأمامية رغما عنهم من أجل دفع ضريبة الدم. (33)

ولم يكن تأثير الدعاية الألمانية والتركية ذا تأثير فعال في نفوس الجزائريين، ويؤكد " أجيرون " بأن المسلمين الجزائريين حافظوا على الهدوء، وقدموا مساعدة للمحتلين الذين ساروا إلى الحرب ووعدهم بحراسة أملاكهم. (34) وقد وصل عدد الجنود الجزائريين في الحرب الكونية الأولى 173019 مجندا. (35) وأول انتفاضة بدأت من بريكة من طرف متمردين عن التجنيد وذلك في ليلة 11 نوفمبر 1916 حيث هاجموا مقر بلدية عين توتة، وفي الغد قتلوا رئيس دائرة باتنة الذي حاول التدخل لتهدئة الأوضاع، فأرسلت فرنسا تعزيزات عسكرية ضخمة لمحاصرة المتمردين، ولكن لم تتوقف أعمال التمرد طيلة سنتي 1917-1918، مع زيادة الاعتداءات على الأملاك والأشخاص بسبب القهر والجوع، فالجدول رقم 1 يوضح جيدا ارتفاعا كبيرا لتلك الأعمال.

جدول رقم 1 - إحصائيات الاعتداء في منطقة الأوراس خلال سنتي 1917 - 1918 (36)

| السنوات | اعتداءات ضد الأملاك (الخاصة) | اعتداءات ضد الأشخاص | اعتداءات ضد الأملاك العمومية | عدد التوقيفات |
|---------|------------------------------|---------------------|------------------------------|---------------|
| 1917 | 10326 | 5381 | 5855 | 4216 |
| 1918 | 8733 | 5006 | 5030 | 3328 |

إلى جانب القمع العسكري الذي مارسه الجيش الفرنسي ضد المتمردين في منطقة الأوراس لجأ الحاكم العام، لوتو، إلى الإعلان عن إصلاحات هامة في منطقة الأوراس؛ لأن ذلك الإقليم كان مهملا، ولم تهتم به فرنسا في نظره. (37) وهذه الإصلاحات لم تكن سوى وعود كاذبة من الحاكم العام لتهدئة الأوضاع في منطقة الأوراس. فالحرب الكونية الأولى زعزعت الجزائر في العمق، فبنهاية الحرب مباشرة ظهرت غطرسة الجنود المسلمين المسرحين من الحرب والعمال المغتربين العائدين من فرنسا إلى الجزائر. (38) فقد أدى الشباب الجزائري واجبه كاملا تجاه فرنسا، ولكن رغم ذلك فقد بقي المحتل ينظر إليه نظرة دونية رافضا منحه أية حقوق، مما أدى إلى خلق نوع من الإحباط في نفسية هؤلاء الشباب.

(32) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 252

(33) Ferhat Abbas, autopsy d' une guerre l' aurore, ed, Garnier, France.1980, p : 35

(34) Ageron C. R , op.cit, p : 1140

(35) ibid. p: 1165

(36) ibid.

(37) نفس المرجع، ص: 265-266

(38) Ageron C. R, op.cit, p : 1189

إصلاحات ما بعد الحرب الكونية الأولى 1919:

بعد الحرب الكونية الأولى اعتقدت فرنسا أنها تستطيع حل المشكلة الجزائرية، فأصدرت قانون 4 فيفري 1919 الذي يسمح لفئة معينة من الجزائريين بالحصول على بعض الحقوق السياسية. (39)

وجاء بإصلاحات بسيطة، لم ترض أغلبية الشبان الجزائريين، واختلفوا حولها فمن مؤيد لها، والقبول بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية ويمثلهم شريف بن حبيلس، ورفضها لها وقائد هذه المجموعة الأمير خالد. (40) وكان تأثير الأمير كبيرا على الشبان الجزائريين، الذي كان ينشر أفكاره بواسطة صحيفته «الإقدام» وقد تأثر فرحات عباس كثيرا بأفكاره. (41)

أما قرار 6 فيفري 1919، وضح في بنده العاشر شروط الحصول على الحقوق السياسية للارتقاء إلى الجنسية الفرنسية منها:

1. أداء الخدمة العسكرية.

2. أن يكون مالكا للأرض أو تاجرا مستقرا ودافعا للضرائب.

3. أن يكون موظفا عند الدولة في الولاية أو البلدية أو متقاعدا.

4. أن يكون عضوا في غرفة التجارة أو الفلاحة.

5. أن يكون حاملا للشهادة الابتدائية أو دبلوما جامعيًا.

6. أن يكون قد تحصل على وسام.

7. أن يكون قد تحصل على جائزة في مسابقة للمعرض الفلاحي. (42)

فالذين رفضوا هذا القانون من النخبة، طالبوا بحق تقرير المصير باسم مبادئ "ولسن". ووقعوا على عريضة ووجهوها إلى الرئيس الأمريكي ولسن في مؤتمر الصلح، نادوا فيها بالحكم الذاتي للجزائر، وطرد الفرنسيين. (43)

إن الاحتلال الفرنسي في مطلع القرن العشرين طاب له المقام في الجزائر، واعتقد بأنه بواسطة إصلاحات سياسية، واقتصادية هزيلة يمكنه أن يزيد في تخذير العامة، وإغواء النخبة بضمها إلى صفه وجعلها معولا مساعدا له في هدم مقومات الشعب الجزائري.

(39) Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, T 1, 2^{ème} édition, sned, Alger, 1981, p :42

(40) ويلم ب. كواندت، المرجع السابق ص:43

(41) نفس المرجع، ص: 44

(42) Ageron C.R , op.cit p : 1218

(43) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 302

المبحث الثاني

البيئة الاقتصادية

نظام الاحتلال غير عادل قائم على الظلم والنهب والسلب، وتجويع الجزائريين المسلمين وإذلالهم، واستبعاد الفلاحين إلى أقصى الحدود، حيث يسعى فقط للحفاظ على أرواحهم في أجسادهم للبقاء على قيد الحياة من أجل الاستمرار في خدمة الاحتلال، فالجزائريون المسلمون بقوا يزودون ميزانية الاحتلال بما يقدمونه من الضرائب العربية بشكل تعسفي وجائر، وقد سن الاحتلال قوانين لصالحه تحمي الممتلكات التي سلبها من السكان الأصليين، فأصدر قانون "مجلس الشيوخ" سنة 1863، وقانون "فاري" 1873.⁽⁴⁴⁾ و دعمهما بقانون الأهالي الذي كان أسوأ القوانين التي وضعها الاحتلال الفرنسي في الجزائر.⁽⁴⁵⁾

وقد أدت الحرب الكونية الأولى (1914-1918) إلى زيادة الأوضاع سوءا لدى الجزائريين بسبب مشاركة الشباب في الحرب، تسببت في مقتل حوالي 25000.⁽⁴⁶⁾

معظم هؤلاء الشباب الذين قتلوا في الحرب ريفيين كانوا يشتغلون في الفلاحة، ويعيلون أسرهم، يضاف إلى هذه الكارثة الأليمة، حدوث كارثة أخرى زراعية خلال الموسم الزراعي لسنة 1917، إذ انخفض إنتاج الحبوب إلى 8039325 قنطارا بعد أن كان 12132620 قنطارا سنة 1914.⁽⁴⁷⁾ كان ذلك خاصة بسبب الجفاف الذي ساد منطقة القبائل و عمالة قسنطينة وأدى إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية.⁽⁴⁸⁾ هذه الأزمة الفلاحية كان لها تأثير خطير في ما بعد على الجزائريين، وظهرت المجاعة في سنة 1920 في عدد كبير من الدواوير صاحبها فقر شديد.⁽⁴⁹⁾ وقد أشار النائب الفرنسي " فينييه دوكتور " (Vigné Docton) بقوله: " ها هي المجاعة في شمال إفريقيا، بعد عودتي منها بيضعة أشهر قد أشرت إليها لأنني توقعتها، رعبها تجاوز ما أعلنت عنه، اللأمن ساد الآن، الأهلي لا يجد ماذا يأكل لنتنظر أحداثا كثيرة. " ⁽⁵⁰⁾

⁽⁴⁴⁾ Pierre Bourdieu, sociologie de l Algérie ed, p. u. f. Paris, 1980, p :106

⁽⁴⁵⁾ نفس المرجع، ص: 125

⁽⁴⁶⁾ أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطيمولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 414

⁽⁴⁷⁾ Ageron C, R, op.cit, p : 1160

⁽⁴⁸⁾ ibid.

⁽⁴⁹⁾ Mahfoud Kaddache : op.cit, p: 23

⁽⁵⁰⁾ ibid. p : 24

وقد أشارت جريدة صدى الجزائر الصادرة يوم 2 ماي 1920 إلى حالة اللاأمن، والأحداث التي جرت في عدة جهات من الوطن، أحد الأعيان من المتجنسين اسمه " كيروي " كتب إلى النائب الفرنسي " لوفبير " (Lefebvre): " في الأغواط العرب يأكلون الحشائش وحثث الحيوانات الفاسدة. " (51)

وفي يوم 17 جويلية 1920 قامت مظاهرة بمدينة سطيف شارك فيها أكثر من 3000 أهلي، وحاصروا محلات اليهود انتقاما لموت أحد المسلمين في المستشفى العسكري تسبب في جرحه يهودي. (52) هذه المدينة التي بدأت تنهيا سياسيا للتعبير عن غضبها بواسطة المظاهرات هي التي ستستقبل فرحات عباس في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث وجد الجو السياسي مناسباً.

وقد استمرت هذه المجاعة وأحداث النهب والسلب إلى سنة 1923. (53)

كما كشفت الحرب الكونية الأولى سلبات الاقتصاد الجزائري، الذي كان تأثيره كبيراً على الجزائريين فثروات الجزائر كانت مرتبطة بفرنسا، فلم يكن عدد العمال مرتفعاً، ولم يتجاوز 5% من عدد الأوروبيين والأجانب واليهود، وكان هؤلاء الأهالي يمارسون أعمالاً يدوية بسيطة وغير مختصين، لأن فرنسا و المحتلون لا يرغبون في تكوين عمال من الأهالي ذوي تأهيل عالي، لأنهم يريدون أن تكون الغالبية العظمى من الأهالي تشتغل في الميدان الفلاحي الذي يرتبط بالميدان الصناعي (الزراعة التجارية). (54)

ويلاحظ كذلك انخفاض في الثروة الحيوانية لدى الأهالي والتي كانت تعد مصدراً اقتصادياً هاماً لهم.

(51) ibid. p : 25

(52) ibid.

(53) ibid. p : 26

(54) نفس المرجع ، ص ص: 419، 420

جدول رقم: 1

إنتاج القمح والشعير عند المسلمين الجزائريين (55)
(المردود في الهكتار الواحد)
الوحدة: قنطار

| السنة الزراعية | القمح الصلب | t المردود في أهـ | الشعير | t المردود في أهـ | القمح اللين | المردود في أهـ |
|----------------|-------------|---------------------|-----------|---------------------|-------------|----------------|
| 1900-1901 | 5.716.695 | 6,1 | 9.149.902 | 7,2 | 457.802 | 6,3 |
| 1901-1902 | 6.095.656 | 6,8 | 9.056.363 | 6,9 | 513.140 | 6,9 |
| 1902-1903 | 5.920.731 | 5,8 | 7.218.456 | 5,6 | 407.432 | 5 |
| 1903-1904 | 4.241.644 | 4,6 | 6.809.696 | 5,9 | 432.670 | 5 |
| 1904-1905 | 4.352.749 | 4,6 | 5.074.498 | 4,3 | 320.135 | 3,6 |
| 1905-1906 | 5.584.104 | 6,2 | 8.874.528 | 7,5 | 519.756 | 6,4 |
| 1906-1907 | 4.521.419 | 5,3 | 7.731.421 | 6,7 | 623.944 | 7 |
| 1907-1908 | 4.235.496 | 4,7 | 6.860.727 | 5,4 | 565.561 | 4,7 |
| 1908-1909 | 4.542.418 | 5,3 | 8.225.245 | 6,7 | 697.153 | 7,5 |
| 1909-1910 | 5.491.170 | 6 | 8.698.566 | 7,3 | 550.513 | 5,8 |
| 1910-1911 | 5.540.485 | 6,5 | 8.425.245 | 6,8 | 697.153 | 7,4 |
| 1911-1912 | 3.712.035 | 4,2 | 5.909.145 | 4,8 | 379.132 | 3,9 |
| 1912-1913 | 4.895.693 | 5,8 | 9.188.082 | 7,7 | 586.363 | 6,4 |
| 1913-1914 | 4.312.594 | 4,9 | 6.823.924 | 5,8 | 588.790 | 6 |
| 1914-1915 | 4.193.006 | 5,4 | 6.583.017 | 6,2 | 548.632 | 5,2 |
| 1915-1916 | 4.121.058 | 4,6 | 6.187.617 | 5,7 | 559.721 | 5,5 |
| 1916-1917 | 2.829.317 | 4,0 | 4.340.831 | 4,0 | 374.705 | 4,1 |
| 1917-1918 | 4.699.993 | 6,0 | 7.505.225 | 7,0 | 599.864 | 5,9 |
| 1918-1919 | 3.046.764 | 4,1 | 4.529.981 | 4,7 | 373.193 | 4,7 |

إن إنتاج القمح بنوعيه، والشعير قد انخفض بشكل خطير من سنة 1900 إلى سنة 1919، وكان لهذا الانخفاض أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين. وكان من نتيجة هذا الانخفاض في الإنتاج الزراعي ظهور مجاعة في الجزائر في سنوات 1920، 1922، 1924 (56)

وكذلك يلاحظ انخفاض في رؤوس الحيوانات بالمقارنة مع الزيادة السكانية، ما بين سنوات 1885 إلى 1889 كان لكل 100 ساكن جزائري، 285 رأسا من الغنم لينخفض من سنة 1910 إلى 1914 إلى 165 رأسا من الغنم لكل 100 ساكن جزائري. (57)

(55) Ageron C. R, op.cit, p : 801

(56) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, ed, p. u. f. Paris, 1972, p : 241

(57) Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, p : 807

أما عدد رؤوس الأبقار فقد انخفض هو الآخر كذلك، فما بين سنة 1885 إلى 1889 كان لكل 6 مسلمين جزائريين 2 رأس من البقر، ومن 1895 – 1899 كان لكل 9 مسلمين جزائريين 2 رأس من البقر، ومن 1910 إلى 1914 كان لكل 10 مسلمين 2 رأس من البقر. (58)

وعرفت أسعار المواد الغذائية ارتفاعا في نهاية الحرب الكونية الأولى فقد كان سعر 1 كغ من الخبز 0.45 فرنكا سنة 1914 ليصل إلى 0.75 فرنك في نهاية الحرب وسعر 1 كغ من السميد 0.42 فرنكا في سنة 1914 ليصل إلى 1.00 فرنك في نهاية الحرب، و سعر زيت الزيتون كان في سنة 1914 لـ 1 لـ 1.30 فرنكا ليصل إلى 3.40 فرنكا في نهاية الحرب. (59)

جدول رقم 2: إنتاج الفرد الواحد (1) (60)

| الضأن | الأبقار | الحبوب الأخرى | القمح الصلب | القمح اللين | |
|-----------|-----------|---------------|-------------|-------------|------------|
| 0.60 رأسا | 117 رأسا | 196 كغ | 72.53 كغ | 5.43 كغ | المسلمون |
| 0.09 رأسا | 0.70 رأسا | 956 كغ | 281 كغ | 26 كغ | الأوروبيون |

وأسباب انخفاض إنتاج الفرد المسلم يعود إلى طبيعة الأرض التي كانت بيد المسلمين حيث تنقصها الخصوبة والري بالإضافة إلى نقص الوسائل الفلاحية الأخرى.

فقد كان الأوروبيون يحتلون 2726000 هكتارا، تنقسم إلى 22037 وحدة زراعية منها:

13017 وحدة زراعية مساحتها أقل من 50 هكتارا أي 59%.

2635 وحدة زراعية تتراوح ما بين 50 هكتارا إلى 100 هكتارا

2588 وحدة زراعية تتراوح ما بين 100 هكتار إلى 200 هكتار

3797 وحدة زراعية أكثر من 200 هكتارا أي 17%

أما المسلمون فكانوا يملكون 7349160 هكتارا تنقسم إلى 630732 وحدة زراعية منها:

438483 وحدة زراعية أقل من عشر هكتارات أي 69%

167170 وحدة زراعية ما بين 10 هكتارا و 50 هكتارا

16580 وحدة زراعية ما بين 50 هكتارا و 100 هكتارا

8499 وحدة زراعية أكثر من 100 هكتارا أي 1.3% (61)

(58) ibid., p: 808

(59) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 21

(60) ibid., p : 20

(61) Pierre Bourdieu, op.cit, p p : 106-107

نظام الاحتلال وضع قوانين لتفكيك المجتمع المسلم، وجرده من سلاحه، ونهب أملاكه من أجل أن يجعله أداة طيعة في خدمة المحتلين. (62)

الاحتلال إيديولوجية ونظام يهدف إلى الاستيلاء على أراضي المغزو وأملاكه من أجل استغلالها لصالحه مع ما يترتب عن ذلك من نتائج خطيرة (63) على الشعب المنهزم في جميع الميادين.

كان فرحات عباس يعتقد دائما بأن الاحتلال قوة بلا فكر، وجسم بلا روح، جاء بالسيف والخنجر والمدفع ولكنه نسي المسلمين. (64) فهو لم يأت لاحتلال الجزائر إلا من أجل السلب والنهب والقهر.

لقد عرف الجزائريون في مطالع القرن العشرين كل أنواع القهر والاضطهاد واليأس، وكانت هذه السنوات بالنسبة للمحتلين سنوات الأمن والاستقرار وانعدام المقاومات الشعبية.

ولجأ الجزائريون إلى أسلوب الإضرابات التي كان الأوروبيون ينظمونها داخل المصانع التي يعملون فيها مع الجزائريين وانتقل هذا الأسلوب للتعبير عن الوضعية المأساوية في المؤسسات التي يعمل فيها الجزائريون دون الأوربيين، أما في الريف الجزائري فقد حاول سكانه بالانتقال إلى الفعل لمواجهة الفقر، ففي سنة 1924 أشار الحاكم العام أن الأهالي في دوار وادي أغريون (Oued Agrioun) في بلدية الطاهير المختلطة مجموعة منهم مسلحة عارضت أشغال بناء مؤسسة لمديرية الأملاك بالعنصر على قطعة أرض متنازع عليها. (65)

إن سياسية التفجير التي اتبعتها نظام الاحتلال في الجزائر، بالاستيلاء على أراضي الجزائريين الخصبة، وطردها ملاكها إلى المناطق الفقيرة، واستعمال القوة العمومية، ضد كل جزائري يطالب بحقه، ومحامته في محكمة عسكرية على ذلك، وهدوء المقاومات الشعبية، أعطت فكرة خاطئة للاحتلال وذلك في مطالع القرن العشرين حيث اعتقد بأنه انتصر عسكريا، وفكريا، واقتصاديا، و سياسيا على الشعب الجزائري، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالهدوء النسبي للشعب الجزائري في مطالع القرن العشرين ما هو إلا استراحة محارب غير إستراتيجيته تماشيا مع التطورات الجديدة.

(62) Farhat Abbas, op.cit, p: 10

(63) عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص: 286

(64) Benjamin Stora, Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, ed, Casbah, Alger, 1995, p :43

(65) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 28

المبحث الثالث

البيئة الاجتماعية

تعتبر البيئة الاجتماعية وسطا هاما لتكوين الأفراد وتوفير الشروط اللازمة للتغيير نحو الأحسن، إذا كانوا واعين لماضيهم، و أبعاد حاضرهم، وواعيين بالمتغيرات، أما إذا كانوا يعيشون على تأثير حوادث الماضي، ويعملون على إحيائه و التهرب من الواقع فإن هذه الأمة وأفرادها محكوم عليهم بالتحجر أو بمعنى آخر (أمة مخنطة فكريا)، هل كانت البيئة الاجتماعية في الجزائر في مطالع القرن العشرين تحمل بذور الوعي، وتواكب الأحداث الداخلية، والخارجية؟ يرى وليم ب. كواندت: " كان المجتمع الجزائري التقليدي للقرن العشرين يمثله إقطاعيون كبارا وإخوة متدينون أضعف من أن يوفر الوسط الاجتماعي المناسب لقيام حركة مقاومة وطنية ضد الفرنسيين... لذلك لم يكن مدهشا أن تكون مطالبهم السياسية الأولى هي حقوق المساواة مع الفرنسيين. " (66)

لقد قام نظام الاحتلال بدم البنية الاجتماعية من خلال القوانين التي أصدرها خاصة قانون سيناتوس- كونسولت 1863 ومعاقبة القبائل التي شاركت في انتفاضة 1871-1872 حيث نقلت عائلات وعشائر من المناطق التي كانت تقطنها إلى أماكن أخرى. يذكر فرحات عباس أنه في سنة 1852 تعرض دواره (في قبيلة بني عمران) للحرق ومصادرة أملاكه من حبوب وحيوانات في مجتمع زارعي ولم يترك الاحتلال لهم سوى الدموع. ومشاركتهم في انتفاضة المقراني ففي هذه المرة صودرت أراضيهم ومنحت للمحتلين، و هُجرت القبيلة إلى منطقة فقيرة في بلدية فج أم زالة. (67) هذه القبائل التي صودرت أراضيها وتركت للجهل والمرض والفقر، بطبيعة الحال يكون فكرها بعيدا عن الواقع ومسايرة الأحداث فتجعل غايتها البحث عن لقمة العيش، أي أن الفرد فيها ينكمش على نفسه داخل مجتمعه الريفي، وانتظار اليوم المناسب للانتقام بدون الاستعداد له ماديا أو تنظيميا، وأن الفكر المتنور يأتي من الطبقة المثقفة (النخبة) والتي غالبا ما تكون ساكنة في المدن و تنتج الأفكار، أما المجتمع الريفي فهو جامد و ساكت، ومحتاط من أي فكر دخيل حيث يرفضه ويقاومه، وله القابلية القوية للانتقام من أعدائه الذين سلبوا أرضه، التي يعتبرها جزءا من شرفه.

في مطالع القرن العشرين كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى فئتين:

الحضر: كان عددهم قليلا ولا يمثلون سوى 6.62% من مجموع الجزائريين تزيد قليلا وتقل في بعض المدن. (68)

(66) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 38

(67) Ferhat Abbas, op.cit, p p: 160-161

(68) Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, p : 816

وهذه النسبة قليلة لسكان يقتربون من 5 ملايين نسمة، والنسبة الكبيرة تتمثل في سكان الريف، الذين ينقسمون بدورهم إلى قسمين هما:

المستقرون: كانوا في الأصل رحل ثم استقروا واحتفظوا بنشاطهم الفلاحي المرتبط بزراعة الحبوب و تربية الحيوانات. (69)

بدو رحل وأنصاف رحل: العوامل الطبيعية هي التي تتحكم في حياة هاته الفئة خاصة عامل التساقط، ويعتمد نشاطهم الفلاحي على تربية الأغنام والماعز والجمال. (70)

برغم التداخل والاختلاف بين سكان المدن والريف، و تركيباتهم الاجتماعية إلا أنهم يشتركون كلهم في احترام التقاليد والأجداد، ويجدون كمالهم في ماضيهم ((اتبع طريق والدك، وطريق جدك)). (71)

فمن الصعوبة أن يتقبل مجتمع كهذا أفكار النخبة المتنورة التي قضت سنوات في الدراسة والبحث والتنقيب، وقد وجدوا صعوبة في نشر أفكارهم داخل هذا المجتمع الرفض لأي فكر لا يتماشى مع فكر أجداده.

فالأبناء يأخذون التقاليد مبكرا عن آبائهم وهي غير قابلة للنقاش، والعامل الإيجابي الذي جعل الإنسان الجزائري يثور ضد الاحتلال هي تعلقه بأرضه فيبينهما علاقة كبيرة. (72)

يقول فرحات عباس: " جذور شعبنا مغروسة بعمق على أرض الجزائر، إنها أرضنا ووطننا. " (73)

النمو الديموغرافي للجزائريين:

جدول رقم: 1 (74)

| السنة | العدد (نسمة) |
|-------|--------------|
| 1901 | 4072089 |
| 1911 | 4740625 |
| 1921 | 4923186 |

نلاحظ بأن الزيادة السكانية كانت من 1901 إلى 1911 -668536 نسمة

أما من سنة 1911 إلى 1921 فكانت 182561 نسمة (75)

(69) Pierre Bourdieu , op.cit, p : 54

(70) ibid. p :58

(71) ibid. P P : 80-81

(72) ibid. p :82

(73) Ferhat Abbas, op.cit, p :163

(74) Ageron C. R, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p :815

(75) Mahfoud Kaddache, op.cit p: 11

نلاحظ انخفاضاً في نمو السكان خلال 10 سنوات بـ: 485975 نسمة وهذا يعود إلى تجنيد الشباب في الحرب الكونية الأولى، وتعرض الجزائريين إلى أزمة اقتصادية حادة بسبب فساد الموسم الزراعي نتجت عنها المجاعة. التركيب العمري للجزائريين المسلمين في مطلع القرن العشرين: جدول رقم 2 (76)

| العمر | النسبة المئوية |
|-----------------------|----------------|
| من الولادة إلى 19 سنة | 48.9 |
| من 20 إلى 59 سنة | 45.7 |
| أكثر من 60 سنة | 5.4 |

نلاحظ أن سكان الجزائر المسلمين في مطلع القرن العشرين كان يغلب عليهم فئة الشباب، الذين ولدوا بعد انتفاضة المقراني 1871-1872 أي أن أغليبيتهم ولدوا في حالة السلم والفقر والجهل باستثناء منطقة بوعمامة، فهذه الفئة الشبانية أكثرها ريفية عاشت وضعياً الجمود الفكري وانعدام تجربتها في المقاومات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي. أما الفئة الثانية من 20 إلى 59 سنة فالذين تجاوزوا 40 سنة أمهكتهم سنوات القهر والفقر والمرض، والذين تجاوزوا 60 سنة كان عددهم قليلاً بسبب الموت المبكر نتيجة الفقر والمرض.

التركيب المهني للجزائريين المسلمين في مطلع القرن العشرين :

للمهن دور كبير في تكوين الفكر السياسي للعمال، بسبب تجمعهم في مكان واحد واشتراكهم في المهوم والآمال، وطريقة تعبيرهم المختلفة، لذلك من الضروري معرفة التركيب المهني للعمال الجزائريين في مطلع القرن العشرين، فمن خلال الجدول رقم 3 نرى أن العدد الكبير من الجزائريين المسلمين كان يشتغل في القطاع الفلاحي، وهذا القطاع يتميز عماله أحياناً بالتفكير الأحادي (الانفرادية)، وقلة الشعور بالانتماء لمجموعة العمال، يضاف إلى ذلك ضعف المستوى التعليمي، وضعف المدخول اليومي، وعدم مقدرة الفلاح على تحليل الأوضاع الداخلية أو الخارجية، بسبب إهمال هذه الفئة التي كانت تعيش حياة قاسية في الأرياف في أوضاع مزرية أكواخ، انعدام الشروط الصحية أمراض سيطرة أصحاب الطريقة على عقول الفلاحين، نستطيع أن نقول عن هذه الفئة أنها مغلقة وفكرها جامد تسيطر عليه الخرافات والأساطير، والخضوع المطلق للقضاء والقدر بمفهومه السلي الخرافي الهدام. (مع احترامي للدين الإسلامي) لذلك من الصعوبة جداً أن يجد المثقف بصيصاً من النور لإيقاظ الأغلبية العظمى من الشعب الجزائري التي تفوقعت على نفسها في مجتمع ريفي متخلف، فالمثقف المترجم بقضية شعبه كان يجد أمامه عدوان الاحتلال والجهل.

(76) Ageron C.R, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p : 816

أما الجدول رقم 4 و 5 فيوضحان العمال الجزائريين المسلمين في القطاع الصناعي و التجاري والإداري، نلاحظ من خلال القراءة الأولية لهذين الجدولين الانخفاض الشديد للعمال الجزائريين فيهما، وهذه السياسة كانت مقصودة ومدروسة من طرف نظام الاحتلال (منع قيام طبقة عمالية واعية، وتوجيه الجزائريين المسلمين للعمل في الفلاحة)

جدول رقم: 3

توزيع الجزائريين المسلمين على القطاع الفلاحي (77)

| السنة | فئة الملاكين | % | أصحاب المزارع | % | الخماسون | % | فلاحون أجراء | % | مجموع الجزائريين العاملين في الفلاحة |
|-------|--------------|-------|---------------|------|----------|-------|--------------|-------|--------------------------------------|
| 1901 | 1768085 | 54.7 | 107499 | 3.3 | 998935 | 30.9 | 356128 | 11.02 | 3230647 |
| 1902 | 1750226 | 53.5 | | | | | 371406 | | 3268079 |
| 1903 | 1724657 | 52.18 | 181297 | 5.48 | 1012521 | 30.63 | 368133 | 11.11 | 3304608 |
| 1904 | 1726612 | 52.11 | 180863 | 5.45 | 1016494 | 30.68 | 389.210 | 11.7 | 3.313197 |
| 1905 | 1734306 | 52.3 | 174856 | 5.2 | 995914 | 30.3 | 403.705 | 12.2 | 3308781 |
| 1906 | 1721046 | 51.6 | 173638 | 5.2 | 993804 | 29.81 | 444941 | 13.3 | 3333339 |
| 1907 | 1661042 | 49.4 | 148225 | 4.4 | 1090983 | 32.4 | 458807 | 13.6 | 3.359057 |
| 1908 | 1689296 | 49.3 | 141473 | 4.1 | 1107051 | 32.3 | 483851 | 14.3 | 3421971 |
| 1909 | 1674753 | | 137792 | | 1053613 | | 456362 | | 3322520 |
| 1910 | 1783021 | | 150081 | 4.2 | 1084746 | 30.7 | 507940 | 14.4 | 3525768 |
| 1911 | 1797803 | 49.1 | 134066 | 3.6 | 1157108 | 31.6 | 569088 | 15.5 | 3658065 |
| 1912 | 1795191 | 48.7 | 120971 | 3.3 | 1189034 | 32.6 | 584102 | 15.8 | 3689298 |
| 1913 | 1813513 | 48.6 | 144175 | 3.8 | 1168788 | 31.3 | 599663 | 16.09 | 3726139 |
| 1914 | 1775603 | 48.6 | 128637 | 3.5 | 1147476 | 31.4 | 598743 | 16.4 | 3605459 |

(77) ibid. p : 826

جدول رقم: 4

السكان الجزائريون المسلمون في القطاع الصناعي (78)

| 1905 | 1904 | 1903 | 1902 | |
|-------|-------|-------|-------|----------------------------|
| 36 | 43 | 84 | 97 | رئيس العمال |
| 45 | 56 | 96 | 49 | مراقب |
| 17254 | 17517 | 19554 | 12587 | رجال عمال بسطاء |
| 5908 | 5722 | 5137 | 4559 | سائقوا العربات وعمال بسطاء |
| 6480 | 3444 | 4515 | 1276 | نساء عاملات بسيطات |
| 2740 | 2043 | 1410 | 1683 | أطفال عمال أقل من 15 سنة |
| 1093 | 1159 | 1213 | 244 | شابات عاملات أقل من 15 |
| 33556 | 29984 | 33009 | 20535 | المجموع |

جدول رقم: 5

المسلمون الموظفون والعمال في القطاع الصناعي والتجاري. (79)

| إحصائية 1911 | | | |
|--------------|-------|-------|--|
| المجموع | نساء | رجال | |
| 9209 | 710 | 8499 | موظفون وعمال في الصناعة والتجارة (المواد الغذائية) |
| 24733 | 18903 | 5830 | عمال في الصناعة وتجارة الملابس |
| 4010 | 66 | 3944 | عمال في البناء |
| 26231 | 605 | 25626 | عمال آخرون |
| 64183 | 20284 | 43899 | المجموع |
| 15757 | 1113 | 14644 | موظف تجاري وإداري |
| 79940 | 21397 | 58453 | المجموع |

ويلاحظ على السكان الجزائريين المسلمين أثناء الحرب الكونية الأولى وبعدها نزوحهم نحو المدن الصناعية لغياب اليد العاملة الأوروبية، وأكثرهم كانوا يشتغلون في المقاهي والنقل الحديدي، وأعوان إداريين، ومراقبين داخلين في الثانويات، وأئمة، وبوابون، وقد أصاب الأوروبيين نوع من القلق لأن بعض المسلمين الجزائريين دخلوا المجتمع الرياضي وأصبحوا يستعملون الهاتف، أما في الريف فقد شهد تدفق أنصاف البدو للعمل في مزارع المحتلين واستقرارهم. (80)

(78) ibid. p : 850

(79) ibid.

(80) ibid. p : 1167

وتجلت ظاهرة اجتماعية تمثلت في انتشار الأكواخ حول المدن وعلى أطراف مزارع المختلين.⁽⁸¹⁾ بالرغم من قساوة المعيشة داخل هذه الأكواخ لانعدام الظروف الصحية من تهوئة و رمي الفضلات إلا أنه كان لها أثر إيجابي بداية شعور هذه الجماعة بالاشتراك في وضعية واحدة و مصير واحد، وبالتالي تصبح لهم القابلية للاستماع إلى جماعة النخبة. وكذلك الشيء نفسه يقال عن الشباب الجزائري المسرح من الحرب الكونية الأولى فقد فتحت مجال فكره وكسرت جموده الفكري والشعور بالنقص أمام الفرنسي، فبدون شك شاهد هؤلاء الشباب الجزائري المخند خوف بعض الجنود الفرنسيين من الموت، ونقص الشجاعة لديهم فهذه الأسباب وغيرها جعلت الشبان المسرحين يشعرون بالاعتزاز بأنفسهم ومقدرتهم على مواجهة الصعاب وحمل السلاح، فيقول " أجيرون " عنهم: " بعد نهاية الحرب الكونية الأولى ظهرت غطرسة الجنود المسرحين والعمال المغتربين. " (82)

فهذا الريفي المسرح من الجيش الفرنسي كان يشعر بمركب النقص أمام المختلين، وحتى من دخول المدينة للتسوق، فكان منكمشا على نفسه مع فلاحته وحيواناته، وفكره بيد شيوخ الزوايا والمشعوذين والرقاة و الخرافات، والرضا بوضعه كأنه قضاء وقدر، فانتشرت في الأوساط الشعبية الريفية مقولة: " فرنسا جاءت من البحر وسوف تذهب من البحر ولن تبقى في الجزائر. " فالحرب الكونية الأولى جعلته يشعر بأنه بشر لا يختلف عن الآخرين وأن الاحتلال فرض عليهم بالقوة، وأن مركب النقص الذي كان يشعر به هذا الجندي المسرح ما هو إلا نتيجة سياسة التجهيل التي كانت مفروضة عليه من قبل الاحتلال، وأن الفقر المدقع ما هو سوى نتيجة لنهب ثرواته وطرده إلى المناطق الفقيرة، فالاحتلال الفرنسي عمل على غرس الإحساس بالضعف والتخلف، والشعور بالدونية في المجتمع الجزائري، وجعله يشكو من الجوع و التخلف وربطه بمجتمع العصور الوسطى الذي سادت فيه الأطماع البدائية، أصبح الفرد الجزائري خاصة في المجتمع الريفي يهتم فقط بتلبية حاجاته، والمحافظة على قيد الحياة والاستسلام للمكتوب. (83)

لقد عمل الاحتلال الفرنسي على تفكيك المجتمع الجزائري عن طريق مصادرة الأراضي بواسطة قوانينه فقد نقل عشائر وقبائل إلى المناطق الفقيرة بعد أن سلبها أرضها، التي كانت تمثل العنصر المادي والأساسي للروابط الاجتماعية للمقاومات الشعبية ضد الاحتلال أدت بدورها إلى زعزعة بنية المجتمع الجزائري كم حدث في انتفاضة 1871-1872 هذا الهدم للمجتمع الجزائري كان هدفه بالدرجة الأولى خدمة مصالح فرنسا والمختلين، فتجنيد الجزائريين خلال الحرب الكونية الأولى للدفاع عن فرنسا إلى جانب الجنود الفرنسيين وإخراج الجزائريين من قراهم وأريافهم وانكماشهم سمح لهم هذا التجنيد بالالتقاء بغيرهم من شعوب العالم وخاصة من مناطق الاحتلال الفرنسي،

(81) ibid.

(82) ibid. p : 1189

(83) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 406

وإنشاء علاقات جديدة و إطلاعهم على أمور عديدة ما كان له أن يدركها لا بواسطة النخبة التي كان يقتصر نشاطها الضيق داخل المدن القديمة كالجزائر و قسنطينة وغيرهما فالاحتكاك بالشعوب الأخرى وتعليم فنون القتال كان مدرسة للشبان الجزائريين لتجاوز تخلفهم، فهذه الحرب الكونية الأولى أعطت حركية فكرية إيجابية للمجتمع الجزائري، حيث بدأ الجزائريون يتحدثون عن مبادئ " ولسن " الأربعة عشر، والمطالبة بتقرير المصير. (84)

(84) مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط 2، دار الفكر، دمشق 1984، ص: 39

المبحث الرابع

البيئة الثقافية

مع مطلع القرن العشرين بدأت تبلور ملامح الحركة الوطنية الجزائرية، نتيجة تفاعل الإنسان الجزائري مع بيئته الثقافية، و إطلاعه على الثقافة الإنسانية التي كانت سائدة في تلك الفترة، بعد اضمحلال فصول المقاومة الشعبية، التي لا يمكن أن ننقص من عظمتها لما قدمته من تضحيات في سبيل الدفاع عن الجزائر، فالأحداث السياسية والعسكرية هي أحداث ظرفية، أما الإنتاج الثقافي من إبداع و مساهمة في الفكر الإنساني يبقى خالدا لأنه نتاج الفكر وعصارة العقل، وستعرف في هذا المبحث على البيئة الثقافية التي سادت في الجزائر في مطلع القرن العشرين.

فالنخبة المثقفة المتنورة الواعية هي أعظم من القائد العسكري و السياسي، فهي الوجه الحقيقي المعبر عن ضمير أمة، فالأهم تقاس عظمتها بعلمائها و مخترعيها ومثقفيها.

تنوعت المصادر الثقافية لدى النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين من مثقفين باللغة العربية، ومثقفين باللغة الفرنسية، ولكن اللغة والمصادر الثقافية المتنوعة لم تكن آنذاك تشكل عائقا أمام توحيد الرؤى الثقافية، والجهود للوقوف أمام سياسية الاحتلال. (85)

فالإسلام هو القاسم المشترك بينهما، وهو الغالب على الثقافة الجزائرية من جميع جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. (86)

فلاحتلال الفرنسي أساء كثيرا للثقافة الجزائرية " فالمواسم الوطنية، والتاريخ، واللغة إما اختفت وإما اضطهدت. وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس، أو مستشفيات، أو متاحف. كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم. أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل. وقد كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي فإن التربية عموما قد أنضرت. " (87) فاللغة العربية والثقافة القومية حاصرها الاحتلال الفرنسي ومنعها من حرية التعبير ومسيرة التطور العلمي، ولو في أبسط صورته، ونجم عن ذلك أضرار فادحة في الميدان الثقافي كنتيجة لسياسة التجهيل، وإبعاد اللغة العربية عن منافسة اللغة الفرنسية، وتركها تدرّس كثقافة تراثية مقتصرة على المبادئ الأساسية وتعليمها في الكتاتيب و الزوايا. (88)

(85) عمار هلال، المرجع السابق ص: 461

(86) Pierre Bourdieu, op.cit, p : 96

(87) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 61

(88) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 418

فإلى جانب الوظيفة الدينية التي كانت تقوم بها الزوايا في مطالع القرن العشرين وقبله، كانت لها وظيفة ثقافية فالمدرسة تعمل على نشر المعرفة، و تمنح شباب القرية أو الريف تكوينا دينيا أساسيا له تأثيره المباشر على الحياة الاجتماعية الثقافية للمجتمع الجزائري، و ذلك من خلال تعليم الفقه المالكي ومختصر سيدي خليل الذي يعتبر كقانون أساسي يطبقه الجزائريون المسلمون في حياتهم الشخصية والعائلية والاجتماعية.

فالزوايا عملت على تكوين المثقفين باللغة العربية وحافظت عليها من الزوال، ولكنها لم تستطع أن تنماشى مع عصرها بواسطة تعليمها التقليدي. (89)

أما في المدن الجزائرية فإن تأثير الزوايا بدأ في الاضمحلال، لأن الاحتلال الفرنسي أصبح يشرف على المساجد ويعين أئمتها، وعمالها، ويراقبهم. (90) لأن الاحتلال كان يعرف مدى تأثير الدين الإسلامي على نفسية الجزائريين، فعمل على توجيهه توجيهها خاطئا بتعيينه للأئمة والمفتين، وإعطائهم رواتب شهرية حتى يكونوا في خدمته. في نظر الاحتلال يجب أن يبقى المسلم الجزائري متخلفا وغير واع ليكون أداة طيعة في خدمته. (91)

أهمل الاحتلال الفرنسي التعليم العربي، واكتفى باستخدامه كوسيلة للترجمة، وحتى أن مدرسيها وموادها كانت خاضعة لمراقبة سلطات الاحتلال. (92)

اضطهد الاحتلال الفرنسي اللغة العربية في الجزائر، ولم يعوضها باللغة الفرنسية، فالجزائري في نظره لم يكن سوى أداة وعلى هذا الأساس يجب أن يعامل. (93) فقد عارض المحتلون تعليم الجزائريين المسلمين، و يتضح ذلك من خلال المؤتمر الأول للفلاحين المنعقد في ديسمبر 1897 بالجزائر طالب المحتلون أن يبقى تعليم الجزائريين المسلمين مقتصر على التعليم الابتدائي، وتختصر فيه المواد النظرية مع التركيز الشديد على التعليم المهني و بالأخص الفلاحي. (94) كان هدفهم تكوين الجزائري المسلم من أجل خدمتهم في القطاع الفلاحي، وحتى يسهل على المحتلين مخاطبته بسرعة، لأنهم كانوا يجدون صعوبة في اللغة للتعامل مع هذا العامل في الفلاحة، أو في غيرها من المهن الأخرى.

ووافقهم في ذلك الحاكم العام " ليبين " (Lépine) وأصبح شعار المدرسة الفرنسية الأهلية: " تعليم من أجل التطبيق - المعلم لا يعلم التلاميذ لاكتساب المعرفة، ولكن يعلمهم ليعملوا. " (95)

(89) Ali Merad, op.cit, p : 68

(90) ibid. p : 80

(91) Ferhat Abbas, op.cit, p: 38

(92) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 63

(93) نفس المرجع، ص: 64

(94) Ageron, les Algériens musulmans et la France, op.cit, p : 923

(95) ibid. p : 924

في 1902 عارض المندوبون الأوروبيون تعليم المسلمين واعتبروهم خطرا عليهم وعلى الميزانية. (96)

وكان المحتلون يلحون على تكوين المسلمين في المدارس كرعايا وليس كمواطنين. (97)

و هذا الجدول (98) رقم 1 يبين بوضوح العدد الضئيل من التلاميذ المسلمين الذين واصلوا تعليمهم في المدارس

والجامعات الفرنسية.

عدد الأطفال الجزائريين في المدارس الإبتدائية الإستعمارية

| السنة | عدد التلاميذ | النسبة المئوية لعدد الأطفال الذين وصلوا سن التمدرس |
|-------|--------------|--|
| 1880 | 1150 | |
| 1884 | 2150 | 01,9 % |
| 1908 | 33400 | 04,3 % |
| 1914 | 47200 | 05 % |
| 1930 | 68000 | 08,8 % |
| 1944 | 11000 | 14,6 % |
| 1953 | 302000 | 15,4 % |
| 1954 | 307000 | 15,4 % |

عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى الجامعات و المدارس العليا في فرنسا، و في المعاهد الفرنسية

| السنة | عدد الطلبة | ملاحظة |
|-----------|------------|---|
| 1884 | 06 | |
| 1908 | 50 | |
| 1910 | 25 | |
| 1916 | 61 | |
| 1932 | 100 | |
| 1941 | 142 | |
| 1950 | 360 | |
| 1951 | 386 | |
| 1952 | 442 | بما في ذلك الأقسام التي تهيئ إلى الدخول إلى المدارس العليا . |
| 1953 | 572 | 480 - في المدارس العليا 750 - في الجامعات موزعين على الإختصاصات التالية: |
| 1954 | 513 | 1-الأدب: 95 |
| 1955 | 584 | 2-المفروق : 100 3-العلوم : 190 |
| 1960-1959 | 1230 | 4-الطب-الصيدلة : 750 |

(96) ibid. p: 929

(97) ibid. p: 940

(98) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996

ومنذ 1919 وقبله كان هدف المدرسة الفرنسية نزع ضمير الجزائريين، فقد كانت مدرسة لائكية شوهت التاريخ الجزائري عمداً، ولكن التلاميذ القدامى لهذه المدرسة الفرنسية فهموا أغراضها جيداً، وكانت بالنسبة إليهم كمسجد للعصر الجديد.⁽⁹⁹⁾ اطلعوا من خلالها على المعارف العالمية، ومبادئ الثورة الفرنسية 1789 (حرية- مساواة- إخاء) وأصبح لهم دور هام في توجيه الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر، فقد تعلموا في المدرسة شيئاً من البيانات السياسية، وأصبحوا يدركون عملية استعمال النفوذ السياسي، فقد كانت المدرسة مكاناً يتعلم فيه التلميذ قيمة ((تكافؤ الفرص)) فقد تأثروا جداً بمفهوم المساواة والتي كانت مطلبهم في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين.⁽¹⁰⁰⁾

أما الزوايا فإن تأثيرها على المجتمع الريفي بعد الحرب الكونية الأولى قد بدأ يضمحل من الناحية الاجتماعية والثقافية، وحكم عليها بالعزلة وذلك نتيجة للتطورات العصرية، وتكوين المعلمين وموظفي الدولة من قبل إدارة الاحتلال، وانتشار الجرائد والمجلات، وظهور الجمعيات الثقافية، والراديو (ابتداء من 1930)⁽¹⁰¹⁾، وظهور المدارس التي أنشأها العلماء في جهات عديدة من الوطن، وتأثر الشباب الجزائري المحافظ بالجامعات الإسلامية التونسية والمصرية (جامعة الزيتونة بتونس، وجامعة الأزهر بمصر)⁽¹⁰²⁾، فالمتقنون الذين عادوا إلى الجزائر من هذه الجامعات تلقوا تكويناً دينياً وثقافياً في هذه الجامعات، ففي سنة 1925 كونوا النواة الأولى للعلماء المصلحين بقسنطينة (حركة المصلحين الجزائريين) بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أسس جريدة المنتقد لنشر الأفكار الإصلاحية، أدت فيما بعد هذه النواة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931.⁽¹⁰³⁾ ودعم فرحات عباس العلماء في حركته الإصلاحية وبناء المدارس الحرة لأنها تقف في وجه الطرقية والشعوذة والخرافات التي كان ينشرها الاحتلال بواسطة الزوايا وغيرها.⁽¹⁰⁴⁾

⁽⁹⁹⁾ ibid. p : 955

⁽¹⁰⁰⁾ وليم ب كواندت، المرجع السابق، ص: 40

⁽¹⁰¹⁾ Ali Merad, op.cit, p: 74

⁽¹⁰²⁾ ibid. p: 75

⁽¹⁰³⁾ ibid. p: 79

⁽¹⁰⁴⁾ رايح لونيبي، فرحات عباس المعترف بالحق، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ، ص: 18

فالثقافة لم يتركها الاحتلال حرة، لأنه يعلم قيمتها، وقدرتها على توجيه الفكر الإنساني الذي يميل فطريا إلى التحرر ورفض الذل، والقهر، فلذلك أراد أن يوجهها توجيهها بما يخدم أغراضه ومصالحه الدنيئة.

الاحتلال الفرنسي، قام بهدم المفاهيم السياسية، والنظم الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي كانت سائدة في الجزائر قبل احتلالها، ولم يعمل على تحسينها، أو استبدالها بالنظم الفرنسية، وإنما ترك الجزائريين يعيشون خارج الأحداث، وعاملا على جعلهم أكثر تخلفا وفقرا وجهلا مما كانوا عليه قبل الاحتلال، وكل ذلك كان بهدف فرض سيطرته و هيمنته على الأرض والعباد.

الفصل الثاني:

الحياة و الآثار.

المبحث الأول: المولد والنشأة.

المبحث الثاني: تكوينه الاجتماعي.

المبحث الثالث: تكوينه الثقافي.

المبحث الرابع: تكوينه السياسي.

المبحث الخامس: أعماله الفكرية.

الفصل الثاني

الحياة والآثار

درسنا في الفصل السابق البيئة العامة التي نشأ فيها فرحات عباس، سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، ورأينا بأنه قد تأثر بهذه البيئة أيما تأثر، مما جعله يعيش أربعة عقود من الزمن حائرا باحثا عن وطن آمن خال من الظلم والقهر والعبودية، أو بمعنى آخر البحث عن جزائر بدون احتلال يتعايش فيها كل سكانها بدون تمييز.

يتناول هذا الفصل الثاني من البحث مولد، ونشأة، ودراسة فرحات عباس، لأن ذلك له تأثيره كبير في تكوين شخصيته الاجتماعية والثقافية والسياسية، فالمنطقة التي ولد فيها وترعرع (منطقة الطاهير بولاية جيجل) كانت في مطلع القرن العشرين، وحتى إلى قيام الثورة التحريرية تتميز بفقرها الثقافي، وعدم وجود مدارس أو جامعات كبرى بها، أو نوادي ثقافية تنير الدرب للشباب المسلم، ولم تظهر بهذه المنطقة في مطلع القرن العشرين سوى جريدة هي الراشدي* (1911-1914)⁽¹⁰⁵⁾ فهذه المنطقة كان يغلب عليها الطابع الفلاحي، وسياسية المحتلين فيها كانت تهدف إلى جعل سكان هذه المنطقة فلاحين في مزارعهم بأحور زهيدة، فسياستهم الاستغلالية، وطبيعة المنطقة التي يغلب عليها الطابع الجبلي، وهي شبه منعزلة عن بقية مناطق القطر الجزائري، فالطرق التجارية التي تربط الشرق الجزائري بوسطه أو غربه أو جنوب الجزائر بشمالها لا تمر بمنطقة جيجل، فطبيعتها الطبوغرافية شبه مغلقة، أدارت بظهرها لبقية المناطق الجزائرية، ومفتوحة أمام البحر، فالناظر لمنطقة جيجل، والطاهير، والأمير عبد القادر، والشقفة من الطائرة يرى كأنها قوس مغلق ومفتوح أمام البحر في غربه تقع مدينة جيجل ثم يمتد سهلها على مسافة تتراوح إلى 25 كلم شرقا وفي هذه المنطقة الشرقية تقع الطاهير والشقفة هذا القوس الجبلي حمى سهل جيجل من هجوم القبائل الداخلية،⁽¹⁰⁶⁾ وهذا السهل الساحلي ضيق لم تسمح له الجبال بالتوسع فالتقت الطبيعة والاحتلال على القساوة ضد سكان جيجل، إن ظهور فرحات عباس في هذه المنطقة يعتبر تحد وربما نستطيع إن جاز لنا ذلك أن نقول معجزة لأن تحدي المنطقة كان قويا على سكان جيجل الذين أصبح همهم في كيفية الحصول على قوتهم اليومي ومواجهة الأجنبي

⁽¹⁰⁵⁾ Abderrahim Sekfali, in revue d'histoire Maghrébine, Tunis, N° 95-96, Mai 1999, p : 346

* العدد الأول من هذه الجريدة ظهر يوم الجمعة 06 جانفي 1911 وكانت تنشر مواضيعها باللغة الفرنسية وتهتم بالأمر الثقافي والسياسية والاجتماعية، وكانت تطالب بمساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات.

⁽¹⁰⁶⁾ Jean Lacouture, cinq hommes et la France, ed, Seuil, Paris, 1961, p : 267

الدخيل أو التعايش معه إلى حين، فأكثر الوافدين إلى جيجل عبر التاريخ (باستثناء المسلمين الفاتحين، وأسطول خير الدين و عروج) كان هدفهم استغلال السكان وسلب الثروات، لذلك تميز سكان جيجل بالحذر والحيطه من كل أجنبي دخيل (استمرت إلى ما بعد الاستقلال) فلجوء خير الدين و عروج وقبلهم الشيعيون، ثم المتمردين الأحرش ضد النظام العثماني لم يكن عشوائيا وإنما معرفتهم لطبيعة سكان جيجل وميلهم إلى الحرية وكرههم للظالم والوقوف إلى جانب المظلوم.

المبحث الأول

المولد والنشأة

ولد الطفل فرحات المكي عباس* يوم الخميس 24 أوت 1899 بدوار الشحنة، ابن السعيد وأمه معزة عاشورة بنت علي** بقبيلة بني عافر الجبلية التابعة لبلدية الطاهير المختلطة.⁽¹⁰⁷⁾ وينحدر فرحات عباس من أسرة فلاحية صغيرة.

كان والده السعيد عباس قايد ((caïd)) في دوار بني عافر ثم ترقى إلى منصب آغا شرفيا لبلدية الطاهير المختلطة عاش فرحات عباس في أسرة متكونة من سبع بنات، وخمسة ذكور، أخوه الأكبر عمار خلف والده في منصب قايد، أما أحمد فكان كاتباً مساعداً ببلدية الطاهير المختلطة وأخوه الثالث حميد كان طالبا بجامعة باريس فرع الحقوق توفي في سن الخامسة والعشرين بسبب مرض خطير.⁽¹⁰⁸⁾ وأخوه الرابع محمد الصالح تلقى تكويناً مهنيًا في الفلاحة.

ولد فرحات عباس في منطقة جبلية معزولة وفقيرة تقع على حواف سلسلة جبال الباور المقابلة لسهل جيجل الشرقي تسمى ((أحجار الميس - أو بوعفرون، حاليا تابعة لبلدية أوجانة)) قليلة السكان ومنزله يقع في وسط عائلة بوكفوس، وبوعامللي، ويسعد... إلخ، تقع جنوب بلدية الطاهير المختلطة وتبعد عنها بحوالي 13 كلم، وتقع شرق مدينة جيجل وتبعد عنها بحوالي 32 كلم.

هذه المنطقة مغطاة بغابات مناخ البحر المتوسط المتمثلة في أشجار الصنوبر من نوع خاص يطلق عليه سكان المنطقة أشجار الميس، وهو مشابه لأشجار الصنوبر (pindapo) الموجود في جبال سيرا نيفادا بأسبانيا، توجد بها

* انظر شهادة ميلاده في ملحق الوثائق رقم : 01

** انظر شهادة ميلاد أمه في ملحق الوثائق رقم : 02

(107) ibid.

(108) Jacques Bouveresse, Les délégations financières Algériennes 1898 -1945, t 2, ed, université de Nancy II. France, 1979, p : 897

كذلك أشجار البلوط والصنوبر الجبلي، وسكانها ينتمون لقبيلة بني عافر، والجزء الشمالي منها ينتمي سكانه لقبيلة بني سيار، وهي قليلة الكثافة السكانية كبقية المناطق الجرداء بجيجل، ويمارس سكانها النشاط الفلاحي المعاشي ذو مردود ضعيف يتمثل خاصة في زراعة أشجار الزيتون، والتين، والشعير، والبصل، والثوم، وتربية الماعز، والدجاج والقليل من الأبقار. (109) هذه الفلاحة مازالت مستمرة إلى الآن في هذه المنطقة).

نشأ فرحات عباس في بيت مبني من الحجارة والطين * (انظر الصورة رقم: 01) يتكون من أربعة غرف أرضية صغيرة كان يضم إخوته الإثني عشر، منهم خمسة ذكور أكبرهم عمار خلف أباه في منصبه وترقى مثل والده إلى منصب آغا، (110) ووالديه وجدته الذي ارتبط به كثيرا يقول عن جده أنه ولد في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، وعرف بداية الغزو والحرب، وفي سنة 1852 شارك جده في الحرب مع قبيلة بني عمران التي ينتمي إليها فرحات عباس ضد " سانت ارنو "، الذي أحرق كل المداشير والدواوير واستولى على أملاك الفلاحين ولم يترك لهم سوى الدموع. (111) وهذه السياسة العسكرية التي كان قائدها " سانت ارنو " كان هدفها الحرق والقتل وتخطيم ممتلكات الجزائريين المسلمين. (112)

((وكان " سانت ارنو " يفتخر بكل وقاحة و وحشية في مذكراته بأنه محام من الوجود عدة قرى، وأقام في طريقه جبالا من جثث الموتى.)) (113) وفي سنة 1871 شاركت قبيلة بني عمران في انتفاضة المقراني والشيخ الحداد، وحمل جده السلاح، انهزم السكان المسلمون المقاومون وصادر الاحتلال الفرنسي أراضيهم ومنحها للمحتلين الذين جاؤوا من الألزاس و اللورين بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا، واستيلاء هذه الأخيرة على منطقتي الألزاس و اللورين، وهجرت فرنسا قبيلة بني عمران إلى منطقة فج أم زالة، ووجد سكان الساحل من قبيلة بني عمران صعوبة في التأقلم مع مناخ الهضاب العليا، ورجع بعضهم * وقاموا بكراء أراضيهم من المحتلين، وأن والده السعيد كان يشتغل في أراضي الكولون مدة 15 ساعة في اليوم مقابل أجر زهيد لا يتعدى 1.5 فرنكا يوميا. (114) كان العمل الفلاحي قاسيا في أراضي المحتلين، حيث كان العامل المسلم في أرضهم يعمل يوميا من الفجر إلى صلاة العشاء بدون انقطاع أو

(109) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 18 - 19

* لم يبق من هذا البيت الذي ولد فيه فرحات عباس إلا أساسه الذي مازال إلى الآن وسط جيرانه الذين عاش بينهم وترى معهم، فمعظمهم مازالوا ماكنين بهذه المنطقة، وجيل الاستقلال وما قبله من أبناء هذه المنطقة فخورون ومعتزون جدا بمولد فرحات عباس بينهم.

(110) Amar Naron, op.cit, p : 27

(111) Ferhat Abbas, op.cit, p : 160

(112) مصطفى الأشرف، المرجع السابق ص: 58 - 59

(113) أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص: 333

* نذكر من هذه العائلات: معزة، بومعزة، بوعكاز، الشين، ابن الضاوي (عباس) ، بياض، مسعدي... إلخ، وهذه العائلات مرتبطة مع بعضها عن طريق النسب والمصاهرة.

(114) Ferhat Abbas, op.cit, p : 161

الصورة رقم : 01



الصورة تمثل: بقايا آثار المتزل الذي ولد فيه فرحات عباس بمنطقة بوعفرون (أحجار الميس) حاليا هذه المنطقة تابعة لبلدية أوجانة دائرة الطاهير ولاية جيجل. (لم يبق من متزله إلا هذا الحائط الذي يظهر في الصورة)

أخذت هذه الصورة يوم: 5 أفريل 2004

تصوير: صاحب البحث

ملاحظة: بنى القايد عباس السعيد متزله هذا فوق أرض ملك لعائلة يسعد التي منحت له هذه القطعة من الأرض، والآن عادت ملكيتها إلى أصحابها الشرعيين.

عطلة أسبوعية أو سنوية، و المختلون الذين جاؤوا إلى منطقة بني عمران كانوا فقراء ومارسوا العمل الفلاحي إلى جانب الفلاحين المسلمين. كان لوالد فرحات عباس ستة إخوة (خمسة ذكور وأخت واحدة)، كان يعمل والده من أجلهم جميعا قبل أن يتزوج في نهاية القرن التاسع عشر من امرأة من قبيلته تسمى معزة عاشورة بنت علي.⁽¹¹⁵⁾ كانت عائلتها تمارس العمل الفلاحي كذلك، ومن المعروف عن هذه العائلة أنها كانت محافظة، قام رجالها بدور المصلحين في منطقتهم.

كان والده يخالط المصلحين ويناقش في الدين ويمارس شعائر الإسلام، في سنة 1880 تعرف والده على رجل سياسي فرنسي كان مستشارا عاما في بلدية جيغل ومالكا لمزرعة في دوار فرحات عباس اسمه "دانيار دي فيجي" (Dasnière de Figie) تمكن والده من إقامة صداقة معه، و اشتركا معا في تجارة الأبقار، تمكن من جمع أموال واشترى بها أراضي زراعية، وهذه العلاقة مكنته من وظيفة قايد في بلدية ستراسبورغ⁽¹¹⁶⁾ أولا (حاليا بلدية الأمير عبد القادر) الكاملة السلطات وهي مسقط رأس والده وأمه. هذه البلدة التي أسسها المختلون أخذت اسم عاصمة الألزاس* ستراسبورغ، وذلك بقرار من الحاكم العام بالجزائر رقم 10/17/4/1872 وأصبحت بلدية كاملة السلطات في سنة 1873 مساحتها 3555 هكتارا قسمت إلى 65 وحدة زراعية ومنحت لـ 36 عائلة جاؤوا من فرنسا من بينهم 15 عائلة من الألزاس و اللورين و 44 عائلة جزائرية وصل سكانها سنة 1901 إلى 1710 ساكنا بينهم 145 فرنسيا و 16 من إيطاليا و أسبانيا وغيرهم، وهي بلدية زراعية بالدرجة الأولى تختص في زراعة الحبوب والكروم وتربية الأبقار والأغنام والماعز و الأحصنة والبغال.⁽¹¹⁷⁾ لكن القانون يمنع وجود القياد في البلديات ذات السلطات الكاملة، فنقل والده إلى دوار بني سيار في بلدية الطاهير المختلطة، ولكن بسبب وقوع خلاف بينهم وبين قايد آخر في تلك المنطقة، نقل والده مرة أخرى إلى دوار الشحنة، و بالضبط إلى منطقة أحجار الميس (بوعفرون) التابعة دائما لبلدية الطاهير المختلطة، وذلك في سنة 1889 وبقي فيها إلى أن ترقى إلى منصب آغا شرفيا ثم أحيل على التقاعد سنة 1928 وخلفه ابنه عمار في منصبه.⁽¹¹⁸⁾

ووالده كان محبا للفلاحة وممارستها فلم ينس أصله، فحينما أحيل على التقاعد كان يذهب إلى وادي سقان ناحية فج أم زالة للعمل الفلاحي في أرض استأجرها من محتل.⁽¹¹⁹⁾

(115) ibid.

(116) ibid.

(117) www.pieds-noirs.org

* انظر ملحق الوثائق رقم: 03 يوضح هجرة الألزاسيين واللورين إلى الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.⁽¹¹⁸⁾

Ferhat Abbas, op.cit, p: 161

(119) ibid.

كان الطفل فرحات عباس مرتبطا جدا بأمه وبحكاياتها في سهراتهم الليلة فكان ينصت إليها كثيرا، ومتعلقا بها فكانت تحكي له عن دخول الفرنسيين إلى منطقتها والمعارك التي خاضتها قبيلة بني عمران، و تربط ذلك بعقاب من الله للمسلمين لأنهم أهملوا دينهم ولم يطبقوه مثل النصارى واليهود. (120)

وأمه كانت شجاعة ومحافظة مطبقة لشعائر الإسلام متواضعة تحب أولادها أكثر من نفسها ومستعدة لأن تضحي بحياتها من أجلهم، (121) توفيت سنة 1948 أي ثلاث سنوات بعد موت زوجها.

فرحات عباس رسخت في ذهنه أن إهمال الدين الإسلامي جريمة، يعاقب عليها الله فلذلك لم يتخل يوما عن احترامه وتقديره و دفاعه عن الدين الإسلامي. وأن حب أمه له و تواضعها و إيمانها بالله أثر في نفسيته كثيرا، فتعلم منها التواضع وحب الفقراء، و تقديم حياته من أجل سعادتهم.

كان الطفل فرحات عباس في صغره يخالط أترابه من الأطفال، يلعب معهم ويتسابقون مع بعضهم، ويتعلمون المصارعة، لأنه يشعر بأنه جزء منهم تربى معهم في منطقة جبلية معزولة من كل مرافق الحياة، ما عدا الغابات، فلم يكن لديه عقدة استعلاء لكونه ابن قايد من طبقة تختلف عن جيرانه فطبيعة المنطقة القاسية حتمت عليه التواضع و مخالطة أترابه، وهذه العوامل بقيت مغروسة في ذهنه طوال حياته، فكان يشعر بالسعادة عند زيارته لهذه المنطقة، أو زيارة أحد الفلاحين الذين عاشوا معه في الصغر إلى منزله بالقبة القديمة بالعاصمة بعد الاستقلال، كان يحب أخواله الذين مكثوا في دوار بومحمدون بقبيلة بني عمران ويزورهم وهو صغير ويقضي معهم أياما طويلة، كان طفلا محبوبا متواضعا وذكيا ومحبا للآخرين يُؤثر الخير للجميع، ويكره الظلم والتكبر والتجبر، صادقا في أقواله وأفعاله واثقا من نفسه، فهذه الصفات الحميدة ورثها عن أبيه وأمه وأحواله وهو يعتر بذلك كثيرا بانتمائه إلى طبقة فلاحية شريفة.

تأثر الطفل فرحات عباس في صغره كذلك بحكايات جده الذي كان يعيش معه فيقول عنه بأن ذاكرته كانت جيدة تشبه مكتبة، وهذا الجد هو الذي اختار لقب العائلة «عباس» لتسجيله في الحالة المدنية ليكون لقباً للعائلة بدل اللقب الذي عرفت به من قبل وهو ((ابن الضاوي))* و أسباب اختيار جده لهذا اللقب فهو يعود إلى اسم الجد الثاني لفرحات عباس، الذي كان يمتاز بالشجاعة والعدل والصدق، وقتل في إحدى المعارك دفاعا عن شرف قبيلته قبل

(120) ibid. p :162

(121) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 19 - 20

* بقي هذا الاسم هو المشهور في المنطقة لحد الآن، وعندما تذكر اسم عباس فإنه يعني فرحات عباس وحده دون الآخرين من عائلته.

دخول الفرنسيين. و أعمام فرحات عباس عاشوا في قبيلة بني عمران وأحفادهم مازالوا إلى الآن يعيشون هنالك، فكان يزورهم كلما جاء إلى الطاهير وكان يستقبل استقبالاً رائعاً من الفلاحين البسطاء الأيمن* كان يستعيد ذكريات آباءه وطفولته وجذوره⁽¹²²⁾ يسعد كثيراً ببقاء أناس بسطاء لم تفسد السياسة عقولهم، فبساطتهم مستمدة من طبيعتهم البسيطة، وحياتهم المتواضعة، وطموحهم المحدود الذي لا يتجاوز طلب الحصول على الغذاء وكوخ يحميهم من حر الصيف وبرد الشتاء.

لم يستطع فرحات عباس التخلص من تأثير نشأته وسط فلاحين فقراء عاش بينهم طفولته، وتربي في وسطهم. فكان لهذه النشأة تأثير كبير على شخصيته، ونضاله السياسي، فهو في كتاباته أو خطبه يتعرض دائماً إلى أوضاع هؤلاء البؤساء، داعياً إلى الاهتمام بهم وتحسين وضعيتهم، لأن إهمالهم في نظره خيانة، وعمل غير مقبول، فالأمة لا يمكنها أن تتطور نحو الأحسن إلا بالنهوض هؤلاء الفلاحين الفقراء وتحررهم من كل أنواع الاضطهاد والقهر وفتح المجال أمام أبنائهم للتعلم والتكوين.

* كنا ونحن صغار نشاركهم في استقباله، ولازلت أتذكر كيف كان يحتضن الفلاحين، ويسأل عن أحوالهم، وينصت إلى همومهم بكل اهتمام، ويفرح بنا كثيراً (أتذكر ذلك جيداً بعد إطلاق سراحه من السجن سنة 1965) (صاحب البحث)

⁽¹²²⁾ ibid. p p : 162-163

المبحث الثاني

تكوينه الاجتماعي

في هذا المبحث سوف نتعرض إلى البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها فرحات عباس، وأثر ذلك على شخصيته، فقد ولد في مجتمع حطمه الاحتلال الفرنسي من جميع الجوانب. (123) وينحدر من أسرة فلاحية بسيطة ومتواضعة، سلب منها الاحتلال جميع ممتلكاتها ورحّل قبيلته بني عمران إلى منطقة فج أم زالة ومنح أراضيهم للمحتلين الذين جاؤوا من الألزاس و اللورين بعد هزيمة فرنسا في حربها مع بروسيا سنة 1870. (124)

ويصف فرحات عباس ففته الاجتماعية التي ينتمي إليها بقوله: "أنا من العامة الذين سلبت حقوقهم، وظهورهم مقوسة إلى الأرض تبحث عن الخبز المفقود مغطاة بالجراح والثياب الرثة... أنا منبوذ وسط المنبوذين." (125) ويتكلم عن طبقته الاجتماعية والتي لم يستطع أن يتخلى عنها أبداً، وكان والده معدوماً فقيراً، فانتفاضة 1871 حولت القبائل إلى غبار وسحقت المجتمع الجزائري وأفقرته، فسياسة الاحتلال غيرت المجتمع الجزائري. (126) فهو ينتمي إلى عائلة بسيطة. كان والده يشتغل كأجير في أرض الكولون لمدة 15 ساعة في اليوم بأجر زهيد، في سنة 1880 اشترك والده مع محتل يسمى "دانيار دي فيجي" في تجارة الأبقار، حيث كان يشتري الأبقار، ويقوم ببيعها مع اقتسام الفائدة مع هذا الشخص الذي كان يشغل منصب المستشار العام ببلدية جيجل، واستطاع أن يوفر بعض المال، اشترى به قطعة أرضية بمنطقة دواره تبلغ 40 هكتاراً زرعها زيتوناً، وحبوباً (القمح والشعير) فاكسب أموالاً، فاشترى أرضاً أخرى مساحتها 20 هكتاراً تقع في بلدية الطاهير المختلطة بالقرب من وادي جن جن الذي يفصل بلدية الأمير عبد القادر (سابقاً ستراسبورغ) ذات الصلاحيات الكاملة. (127) فوالده ينتمي إلى الفئة الجديدة التي ظهرت في المجتمع الجزائري في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكان عدد الملاك الجزائريين المالكين لهذه المساحة من الأرض الفلاحية في تلك الفترة حوالي 5000 مالكا، (128) الذي استطاع أن يحقق به ارتقاء اجتماعياً ليصل إلى منصب قايد، وهي الوظيفة التي لا يتكلم عنها فرحات عباس بفخر وحماس، بل وصل به الأمر إلى أن يصف والده بذلك الإقطاعي الذي لا يرحم الفقراء ويعاقبهم بصرامة. (129)

(123) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص، ص: 37-38

(124) Ferhat Abbas, op.cit. p : 161

(125) Ferhat Abbas , éditorial de L ' entente Franco - Musulmane, N° 32, du 15 Mai 1937

(126) Guy Pervillé, op.cit, p : 31

(127) Ferhat Abbas, op.cit, p: 161

(128) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 21

(129) حميد عبد القادر، فرحات عباس، رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر 2001، ص: 22

ويقول عن والده: " إنه لم يكن من طراز هؤلاء الرجال العظماء الداعين إلى تحسين وضعية الفلاحين، بل كان مجرد مالك أراضي يرتدي برنوسا أحمر يفتخر به كثيرا، ولا تهمه إطلاقا وضعية فلاحيه. " (130) كان الطفل فرحات عباس يتعاطف كثيرا مع الفلاحين الفقراء الذين يعجزون عن تسديد الضرائب، فكان يأخذ المال من أمه خفية عن أبيه القايذ ويمنحه للفلاحين الذين لا يستطيعون تسديد الضرائب، وكان أخوه حميد * أكثر جرأة من فرحات، فكثيرا ما عارض والده ونهاه عن خدمة الاحتلال بإخلاص.

يتساءل بنيامين ستورا: " هل معركة فرحات عباس ضد نظام الاحتلال بدأت عن طريق التمرد على الوالد؟ هذا الوالد يحترم الدين والنظام ولا تهمه إلا مصلحته. " (131)

هناك اختلاف جوهري بين فكر فرحات عباس ووالده، قايذ مغرور بمنصبه و برنوسه الأحمر يشعر بالسعادة حينما يقدم خدمة للإدارة الفرنسية، رغم أنه عاش وسط فلاحين فقراء معدومين، كان يقدر فقط جيرانه المحيطين به من عائلة بوكفوس فخدمهم وخدموه، واحتمى بهم من المتمردين من بني عافر هذه القبيلة الجبلية المتمردة على القياد وإدارة الاحتلال، ولكن ولديه فرحات و حميد جلبا له نوعا من الاحترام و التقدير بسبب وقوفهما إلى جانب الفلاحين الضعفاء ودفاعهما عنهما ضد أيهما الذي يجسد التبعية المطلقة لنظام إدارة الاحتلال بعد ترحيله من قبيلته (بني عمران) أي تحول الولاء من القبيلة إلى إدارة الاحتلال التي عملت على خلق فئة جديدة موالية لها كل الولاء بعد أن قضت على الإقطاعية التقليدية في المجتمع الجزائري، و بنتَ فئة اجتماعية من الأهالي ومنحتها بعض الإمتيازات والمناصب الإدارية لتكون أداة سياسية طيبة لخدمة الاحتلال، وطبقة وسيطة بينها وبين الفقراء المعدومين، وهذه السياسة تلجأ إليها أنظمة الاحتلال والأنظمة العسكرية الديكتاتورية، حيث تقضي على نخبة المجتمع سواء كانت ثقافية أو مالكة لوسائل الإنتاج، وتخلق طبقة من المعدومين موالية لها كل الولاء بعد منحهم جزءا من الإمتيازات، فهذه الفئة تريد أن تظهر بمظهر سيدها، تسعد بخدمته، أي تبعية مطلقة، ففي هذه البيئة الاجتماعية الجديدة نشأ فرحات عباس، تحدى أولا والده وثانيا الاحتلال حيث تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية (حرية-مساواة-إخاء).

فهو رجل مثقف، ومن عائلة محافظة تقليدية، ومتعاونة مع إدارة الاحتلال لكنه رفض أن يتخلى عن شعبه

(130) نفس المرجع ص ص : 22-23

* توفي في الخامسة والعشرين من عمره حينما كان يدرس بجامعة السوربون بباريس فرع الحقوق

(131) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 22

ويتركه يعاني الفقر والجوع والتخلف، رجل مخلص، وعصري، رجل مجروح، تحمل مسؤولية الدفاع عن شرفه وشرف شعبه. (132)

نقلت الأسر المتعاونة مع الاحتلال صورا حسنة لأبنائها عن فرنسا. (133) وكان تأثير الأسرة الاجتماعي هاما في أفكار النخبة المثقفة و المتخرجة من المعاهد والجامعات الفرنسية، لأنها لم تكن تنظر لفرنسا نظرة حقد وكرهية، أن والده كان يرى في فرنسا بأنها صاحبة الفضل في كل ما وصل إليه من ثروة وجاه ومنصب اجتماعي هام، فأجداده حرموا من أراضيهم وأملاكهم وهجروا منها، لأنهم قاوموا الاحتلال ورفضوه بكل ما يملكون من الوسائل، فمعاودة والده لفرنسا معناه العودة للفقر والعوز، تأثر فرحات عباس بأمة عاشورة فكانت امرأة عطوفة ومتسامحة تشفق على الضعفاء و تتألم لآلامهم، وكثيرا ما كانت تقدم لهم الأكل واللباس والمال، فأحبها الفقراء المحيطين بها كثيرا، وكانوا ينادونها بـ " لالا عاشورة "، بعكس والده المتغطرس والمعجب ببرنوسه الأحمر بين فقراء يرتدون ثياب رثة، ولا يجدون ما يأكلون.

أكبر همّ حمله فرحات عباس في العشرينيات من القرن العشرين هو التحرر الاجتماعي و الاقتصادي للفلاحين، فهي في نظره أكثر أهمية من الحقوق السياسية، وهي المقدمة الضرورية لبعث الوعي في نفوس الجزائريين للانتقال فيما بعد إلى المطالب السياسية. (134) فالمجتمع الجزائري هو بحاجة إلى المدرسة، و إلى الخبز كذلك، فقبل أن ننقل المجتمع إلى الثورة العامة يجب أن نحرره اجتماعيا أولا بتوفير المدرسة. (135) كان يركز كثيرا على بناء المدارس لتعليم الشعب الجزائري واكتساب المعرفة لأنها أساس أي تطور اجتماعي، فليس عن طريق الجهل و الفقر يتحقق التحرر الاجتماعي، فعباس فرحات كان يريد العلم، والاحتلال يريد الجهل لاستعباد الجزائريين.

أما عن الحركات الاجتماعية التي انتشرت في أوروبا في مطلع القرن العشرين فيقول عنها: " الأفكار الكبرى التي ملكت مشاعر الإنسانية مثل الديكتاتورية العمالية، الديكتاتورية الفاشية، الديمقراطية، النقابة، بالنسبة إلي إنها أمور غامضة ولا أفهمها. " (136)

(132) ibid. p : 38

(133) وليم ب. كواندت، نفس المرجع، ص: 39

(134) نفس المرجع، ص: 40

(135) Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, N° 32, du 15 mai 1937

(136) ibid.

الاحتلال الفرنسي خلق طبقة اجتماعية غير معروفة في العالم الإسلامي، البروليتاري، العامل، اليوم هم الأكثرية نزحوا من قبائل محاربة وغنية. (137)

وأصبحت وضعيتهم الاجتماعية مأساوية فلا أحد اليوم يستطيع أن يخفي أو ينكر مأساة الفلاح الجزائري، الجزائر العسكرية الرسمية لم تصمد أمام الغزو الفرنسي لبلادنا سوى عشرين يوما، أما جزائر الفلاحين فقد صمدت نصف قرن، الفلاح دافع عن أرضه، عن حرته، عن شرفه، بكل الوسائل التي يملكها ولم يهدأ إلا عندما سحقه سلاح الاحتلال، الكثير من الجزائريين الآن يجهل هذه الحقيقة، هذه الأمور تعلمتها وأنا صغير على ركبتي جدتي. (138)

تأثر فرحات عباس بالوضع الاجتماعية لشعبه كان له تأثير كبير على حياته السياسية. (139)

كان للمدرسة دور كبير في تكوين الفكر الاجتماعي، فقد سمحت لبعض الجزائريين من اكتساب معارف لم تكن معروفة من قبل لدى الجزائريين، كما سمحت لهم بالإطلاع على الفكر الحر سواء في فرنسا أو في مناطق أخرى من العالم، وعلى الأفكار القومية التي انتشرت في أوروبا، ومبادئ الثورة الفرنسية، فكانت هذه المدارس التي أنشأها الاحتلال لخلق طبقة نخبوية موالية له، و إبعادها عن أصولها العربية الأمازيغية، أصبح طلابها و متخرجوها يتناقشون حول الوضعية المأساوية التي يعيشها شعبهم، ويقارنونه بوضعية المحتلين. (140) إن تعليم الجزائريين هو ضرورة بالنسبة لحكم الاحتلال لأنه يمثل إتمام غزو الأرض بغزو الأدمغة. (141) وهذه الفئات المتخرجة سوف تكون في نظر الاحتلال في خدمته لفرض سيطرته على المجتمع الجزائري.

إن احتلال الجزائر تم بواسطة السلاح وانتهى عام 1871 بنزع السلاح من القبائل النائرة، أما الاحتلال الحقيقي فيتمثل في غزو العقول عن طريق المدرسة ونشر اللغة الفرنسية. (142)

" اشتغل فرحات عباس وجيله مباشرة بالسياسية في الثلاثينات، وقد منعهم تراثهم العائلي وشعورهم الديني خاصة من إتباع الفئة الصغيرة للمسلمين المرتدين الذين أصبحوا مواطنين فرنسيين متطبعين في العشرينات. ومنذ أيام

(137) Ferhat Abbas, Le jeune algérien, ed, Garnier, paris, 1981, p p : 29 - 31

(138) ibid. p p : 97-98

(139) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 37

(140) صالح عباد، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1999، ص: 175

(141) عبد القادر جفلول، المرجع السابق، ص: 77

(142) نفس المرجع.

دراستهم فقط اهتموا بالمساواة والإصلاح، وقد جرى تعزيز هذه الاهتمامات وتضمينها محتوى أكبر عندما أصبح يدرك الشباب الفئات السياسية الأخرى مثل الشباب الجزائري وصحفهم. وخلال هذه الناحية من التأثير الاجتماعي يبدو أنهم كونوا ثقتهم الكبيرة بالتجديد والعصرية." (143)

فمن الناحية الاجتماعية تأثر كثيرا بالاشتراكية الإنسانية وأصبحت كما يقول " شارل أندري جوليان "، مذهبه في الحياة، كان حساسا جدا للظلم الاجتماعي، ويرفضه رفضا مطلقا حيث يقول: " كنت أتذكر جيدا وأنا طفل في المدرسة القرآنية جباة الضرائب عندما يأتون في منتصف سبتمبر من البلدية المختلطة (الطاهير) لجمع الضرائب كانوا يمكثون في بيتنا حوالي عشرة أيام إنه فرق واضح بيننا وبين الفرنسيين، هناك مشهد، ولكنه مشهد مأساوي رأيته بعيني، الفلاحون الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون دفع ضرائبهم، يتعرضون للعقاب حيث تعرى رؤوسهم، وتربط أيديهم إلى الخلف، أسأل أعيان الدوار: لماذا هذا العقاب؟ فيجبوني بقولهم: إن والدك ليس قاسيا، القايد م * ... كان يقيدهم، ويسفك اللبن فوق رؤوسهم ليتجمع الذباب لإزعاجهم، وقد توصلت إلى سرقة الأموال من أمي لأدفعها لهؤلاء الفلاحين لتحريرهم، حيث ينقصهم فرنكان أو ثلاثة فقط، هذا شيء مؤلم لي كثيرا." (144) والده لم يكن قاسيا في معاملته مع الفلاحين كبقية القياد الآخرين، كان يرحم الفلاحين، ويتعاطف معهم أحيانا. (145) لعله يريد من ذلك السلوك دفع شر هؤلاء الجياع عنه.

الشيء الملاحظ على فرحات عباس أنه كان يميل أكثر إلى فئة المحرومين من الفلاحين البؤساء، أكثر من ميله إلى فئته الاجتماعية التي ينتمي إليها والده، فكان يكره تلك الفئة، ولا يرتاح لها، لأنه يعلم أساليبها التي استعملتها للوصول إلى المال والجاه، وعدم مقدرتها على مواجهة جلاديتها، فكان يرتاح كثيرا مع الضعفاء الذين لم تفسدهم لا السلطة، ولا المال، وهذه العاطفة أكسبته حب الفقراء كثيرا له في منطقتة.

(143) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 46

* أشار فرحات عباس إلى ذلك القايد بحرف " الميم " ولم يذكر اسمه كاملا حتى لا يثير الخصام بين العائلتين، أما هذا القايد فهو " مقراني " كان قايدا على منطقة بني سيار، ويذكر معاصروه بأن العلاقة بين هذا القايد ووالد فرحات عباس لم تكن جيدة (صاحب البحث)

(144) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 26-27

(145) Amar naron, op.cit, p : 27

المبحث الثالث

تكوينه الثقافي

هذا المبحث يتعرض إلى موضوعين أساسيين، الموضوع الأول مرحلة الدراسة لفرحات عباس، منذ دخوله إلى المدرسة حتى تخرجه من الجامعة كصيدلي، والموضوع الثاني يتناول المؤثرات الثقافية (أو بالأحرى الأفكار الفلسفية) التي ساهمت في تكوين الفكر الثقافي لفرحات عباس خلال مسيرته الدراسية.

أدخله والده بعد سن الثامنة إلى المدرسة القرآنية (الكتاب) القريبة من منزله بأحجار الميس _ بوعفر _ ليتعلم القرآن الكريم على يد معلم جار لهم يسمى: محمد بوكفوس، وكان والد فرحات عباس وسكان الدوار كلهم ينادونه سيدي محمد، كانت معلوماته محدودة كبقية معلمي الكتاتيب في تلك الفترة (مطالع القرن العشرين)، لكن هذا المعلم كان محترماً من طرف تلاميذه عطوفاً عليهم غير قاس، روحه مرحة والابتسامة لا تفارقه يساعد الجميع يأخذ بيد الضعفاء، يعلم القرآن لوجه الله مقابل مساعدات ضعيفة يقدمها له سكان تلك المنطقة تتمثل في كميات قليلة من الحبوب أو زيت الزيتون لتعليم أولادهم، تعلم فرحات عباس من شيخه الأول التواضع واحترام الناس والأخذ بيد الضعيف والصبر وتحمل المشاق، كان الطفل فرحات محبوباً هو الآخر من زملائه فلم يكن متميزاً عنهم في لباسه المتمثل في قشابة وقميص وأرجل حافية.⁽¹⁴⁶⁾ كبقية أترابة في تلك المنطقة الجبلية الفقيرة التي أضافت قساوتها إلى جانب قساوة نظام الاحتلال، فتعاونت الطبيعة والاحتلال على تجويع و تفجير أهالي المنطقة.

المدرسة القرآنية (انظر الصورة رقم: 02) تقع فوق ربوة (يجد قاصدها مشقة في الوصول إليها) متكونة من غرفة واحدة مبنية من الطين والحجارة ومغطاة بالديس*، تعلم الطفل فرحات عباس مبادئ اللغة العربية، وحفظ بعض آيات القرآن الكريم، كان سريع الحفظ حينما يذهب إلى الدار يعرض على أمه ما حفظه، فتفرح به كثيراً، أما والده فكان يركز اهتمامه على إرسال أطفاله الذكور إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية التي دخلها الطفل فرحات عباس سنة 1909 وعمره 10 سنوات.⁽¹⁴⁷⁾

* الديس: نبات ينمو في جبال الأطلس التلي المواجه للبحر المتوسط يستعمله الفقراء في تغطية سقوف منازلهم المبنية من الطين والحجارة، أو الخشب.

⁽¹⁴⁶⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 27

⁽¹⁴⁷⁾ ibid. p: 23

الصورة رقم: 02



هذه الصورة تمثل المدرسة القرآنية، التي بدأ فيها فرحات عباس تعليمه لأول مرة، لم يبق منها حالياً إلا هذه الآثار.

أخذت هذه الصورة يوم: 05 أفريل 2004

تصوير: صاحب البحث

أما والده فهو أمّي لا يعرف القراءة والكتابة، ولكنه متحمس للتعليم أرسل جميع أبنائه الذكور والإناث إلى المدرسة القرآنية المجاورة له، أما الذكور فقد أرسلهم فيما بعد إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية الأهلية بالطاهير اثنان منهم دخلا الجامعة فرحات وأخيه حميد، كان يقول لهم والدهم إن أحسن إرث أتركه لكم هو العلم، ولا أحد يستطيع أن ينزعه منكم، فالكتاب أحسن صديق للإنسان. (148) أعجب الطفل فرحات عباس كثيرا بالمدرسة الفرنسية الأهلية، وكان شغوفًا لتعلم اللغة الفرنسية بعد عامين من الدراسة في هذه المدرسة نقله والده إلى المدرسة الابتدائية الفرنسية بمدينة جيجل وفي هذه المدينة الساحلية الصغيرة المملوءة بالأحداث التاريخية التي مرت عليها من فينقيين ورومان ووندال وبيزنطيين وفتوحات إسلامية، وغارات القراصنة الجنويين (مملكة إيطالية) واتخذها الإخوة عروج وخير الدين عاصمة لهم في مطلع القرن السادس عشر الميلادي (1514) وغارات الدوق "دي بوفور" (Duc de Boufort) في جويلية 1664 مكث فيها حوالي ثلاثة أشهر فقط، حيث هاجمته قبائل منطقة جيجل من بني قايد وبني عمران وبني أحمد وبني خطاب وبني عافر وغيرهم ففر هاربا منها بعد أن خسر 2000 عسكري، وترك مدافعه بما هذه الذكريات تعلمها فرحات عباس في هذه المدينة التي لم ينس سكانها ما حدث لهم فهم يتذكرونها بكل أسى ومرارة. (149) كيف حاول الأجانب الغزاة احتلال هذه المدينة، فجيغل مدينة سكانها حذرون جدا لكل أجنبي فالجبال المحيطة بها كانت عائقا صعبا أمام سكان الجزائر للوصول إلى هذه المدينة، والبحر جلب الغزو والأعداء والنهب، وفيها استطاع أن يثبت نبوغه الدراسي.

والتحدي الثاني الذي واجهه فهو من زملائه الأوروبيين في المدرسة الذين كانوا يسخرون من العرب ويعتوتهم بنعوت ساخرة مثل "الجبين الأحمر" لأنهم كانوا يضعون على رؤوسهم شاشيات حمراء أو الحجارة المحلوقة. (150) وفي الدليل المدرسي الذي كانت تمنحه لهم المدرسة "دليل لا فيس" مكتوب فيه: "فرنسا تريد من أطفال العرب أن يكونوا أكثر علما من أطفال الفرنسيين." (151) فالمدرسة الفرنسية كانت تمنع على أطفال العرب التحدث بلغتهم داخل القسم وفي ساحتها، هكذا واجه التلميذ فرحات عباس واقعه في مدينة جيجل، ورغم ذلك فإنه استطاع أن يثبت قدرته على التحدي ويقول بافتخار: "في أكثر الأحيان كنت أحصل على الرتبة الأولى في الاختبار في الفرنسية." (152)

(148) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p :162

(149) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 24

(150) ibid. p: 25

(151) ibid. p p: 24-25

(152) ibid. p: 25

في مدينة جيجل اكتشف الطفل فرحات عباس الثقافة وثقل التاريخ.⁽¹⁵³⁾ ومن جيجل انتقل للدراسة إلى متوسطة بسكيكدة (التعليم المتوسط)، حيث استفاد من النظام الداخلي مع 20 تلميذا داخليا جزائريا، وحوالي 50 أو 60 تلميذا داخليا أوروبيا،⁽¹⁵⁴⁾ وهو في السادسة عشر من عمره، وجد أطفال القياد مثله وكانوا يلمون بعد تخرجهم من الدراسة بوظائف إدارية تحقق لهم أحلامهم ورقبهم الاجتماعي.⁽¹⁵⁵⁾

وفي سن الثامنة عشر انتقل إلى ثانوية قسنطينة وكان تأثير هذه المدينة التاريخي والثقافي كبيرا ومؤثرا في ثقافة فرحات عباس، هذه المدينة الزاخرة بالأحداث التاريخية، وفيها بدأت تتكون شخصية فرحات عباس الوطنية، تأثر بمقاومة الملوك النوميديين، أي بداية استقراره للتاريخ عن وعي عميق بأبعاده، أمثال مسينيسا ويوغرطة اللذين قاوما الاحتلال الروماني لمدة طويلة قبل أن تسقط هذه المدينة، وهي مركز تجاري وطريق عبور بين الشرق والغرب، وكذلك واجهت الاحتلال الفرنسي لها بكل قوة ولم تسقط إلا في أكتوبر سنة 1837، تلقى فيها العلم وتاريخ أجداده ومقاومتهم. كانت في هذا الوقت تعرف نشاطا إصلاحيا كبيرا من خلال مساجدها الكثيرة.

في سنة 1921 تحصل على شهادة البكالوريا، وتوقف عن الدراسة لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية بمدينة عنابة وبقي ثلاث سنوات في الجيش، كلف بمهمة كاتب مسير في مستشفى قسنطينة ثم مستشفى جيجل، ثم كمحضر للدواء وكان برتبة رقيب، ليطلق سراحه سنة 1923⁽¹⁵⁶⁾، بعد قضائه ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية الإلزامية، والرتبة العسكرية التي منحت له كأهلي، لم تكن هي نفس الرتبة التي تمنح للفرنسيين الذين يتساوون مع الأهالي في نفس المستوى الثقافي.⁽¹⁵⁷⁾ لقد تألم فرحات عباس للتمييز المفضوح والعنصري الموجود بين الجزائري والفرنسي المحتل، رغم تساويهما في المستوى الثقافي والعملية، لكن الاحتلال غير عادل قائم على التمييز العنصري والظلم والتعسف.

ولذلك يقول بإلحاح: "تجنيد طلبة الطب والصيدلة في الهيئة الصحية بالجيش، يجب أن تكون ربتهم العسكرية مساوية لكفاءتهم مثل الفرنسيين." ⁽¹⁵⁸⁾ في سنة 1923 التحق بجامعة الجزائر فرع الصيدلة ولم يكن مسجلا في هذا الفرع سوى ثمانية طلاب مسلمين جزائريين.⁽¹⁵⁹⁾ و لم يكن في الجامعة سوى 50 طالبا مسلما و 2000 طالب أوروبي.⁽¹⁶⁰⁾

⁽¹⁵³⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 25

⁽¹⁵⁴⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p, 25

⁽¹⁵⁵⁾ نفس المرجع، ص: 26

⁽¹⁵⁶⁾ ibid. pp: 27, 28

⁽¹⁵⁷⁾ ibid. p:28

⁽¹⁵⁸⁾ ibid

⁽¹⁵⁹⁾ ibid

⁽¹⁶⁰⁾ ibid. p: 41

أما عن أسباب اختياره لهذا الفرع لكي يسمح له بعد تخرجه من ممارسة الأعمال الحرة، وألا يكون مرتبطاً بإدارة الاحتلال التي لا تمنح مناصب المسؤولية للجزائريين المسلمين.⁽¹⁶¹⁾ فتحت له الجزائر العاصمة آفاقاً واسعة لرجل مثله حيوي وفي صحة جيدة، كان يجمع بين إتجاهين طالب موهوب ومنعزل لدروسه، ومن جهة أخرى مناضل نشط يرتاد المقاهي، يشرب الشاي كثيراً ويتحدث بحماس مع أصدقائه الطلبة من المسلمين والأوروبيين كان يهيمه العلم أكثر من المال يريد أن يعرف العالم، أمام التمييز العنصري للاحتلال أحيانا كان فرحات لا يجاهر بأسراره، وأحيانا يهاجمه، سلاحه في ذلك المعرفة.⁽¹⁶²⁾

أثناء مزاولة دراسته الثانوية أو الجامعية لم يلاحظ أية عنصرية من طرف أساتذته، كان هدفهم يتمثل في نجاح طلبتهم. لكنه لم ينس التمييز العنصري بين المسلمين والأوروبيين أثناء أدائه الخدمة العسكرية الإلزامية من 1921 إلى 1923 فميدان العمل ليس كميدان الدراسة، وقد أورد حادثة واحدة فقط أثناء تعرضه للسخرية من طرف مجموعة قليلة من بعض الطلبة الأوروبيين، حيث سخر منه طالب أوروبي قائلاً له: " لو لا فرنسا يا فرحات عباس لكنت راعياً للماعز في دوارك." فرد عليه فرحات عباس بقوله: " قبل غزو الفرنسيين لوطني كان جدي يملك أرضاً وقطيعاً من الحيوانات. وأنت هل تستطيع أن تقول لي ماذا كان يملك آباؤك في مالطا؟ أليس الفقر هو الذي جاء بك إلى الجزائر؟ " (163)

في سنة 1931، تخرج من الجامعة بعد أن تحصل على دبلوم صيدلي من الدرجة الأولى.⁽¹⁶⁴⁾

لم يكن فرحات عباس يشعر بالدونية أمام زملائه الطلبة من الأوروبيين، حيث كان واثقاً ومتأكدًا جيدًا بأن الشعب المهزوم لا يعني مطلقاً بأنه شعب ضائع.⁽¹⁶⁵⁾ بإمكانك أن تهزمني، ولكن ليس بمقدورك أن تخضعني، ويقول: " لسنا نحن الذين هزمنا أمام الغزو الفرنسي ولكن أسلحتنا هي التي انهزمت. " (166) أما المؤثرات الثقافية التي استمد منها ثقافته تتمثل أولاً في الدين الإسلامي حيث يقول: " أن الإسلام سيبقى الغداء والمحرك الأساسي للمقاومة الجزائرية. " (167) هذا الدين الإسلامي الذي رضعه من حليب أمه واستمده من بيئته، وتاريخ أجداده.

(161) Amar Naron, op.cit, p : 28

(162) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 29

(163) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit , p : 15

(164) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 29

(165) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit, p : 15

(166) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 30

(167) Ferhat Abbas, le jeune algérien, op.cit, p : 19

والمؤثر الثاني هو التعمق في الثقافة الفرنسية وفهم أسرارها وعناصر قوتها، فكان إلى جانب دراسته الصيدلة، كان يحضر محاضرات الأستاذ " غوتيه " (Gautier) في كلية الآداب ليطلع على تاريخ وطنه من دخول القرطاجيين إلى الوقت الحالي ولاحظ تكرار نفس الأخطاء ونفس المصائب ونفس المقاومات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الغزاة.⁽¹⁶⁸⁾ ويورد مقالا للأستاذ " غوتيه " حيث يقول: " بعد اثني عشر قرنا من الغزو العربي للمغرب تعرب بنسبة كبيرة واعتنق الإسلام بقوة، وهذا ما يقلقنا. "⁽¹⁶⁹⁾ الإسلام يقلق الغزاة الأوروبيين لأنه المحرك الأساسي للمقاومات ورفض الذل والإهانة. ثم يتعرض إلى المبرر الذي جاء به " غوتيه " حيث يقول: " حكومة الخلفاء هي حكومة نظامية، أرسلت جيشا منظما بقيادة جنرالات وموظفين عسكريين، متبوعا بإداريين، تخيلوا ماذا يعني ذلك؟ وليس كما يقول ابن خلدون، غزو وتمركز الجيش العربي وإنشاء مكاتب عربية في المدن، لكن الغزو العربي كان جنوده عزابا، تزوجوا بالمغربيات فاختلطت الدماء، فالغزو لم يكن ماديا فقط، ولكن أخلاقيا له عقل فكان ذلك انتصارا كاملا للإسلام. " ⁽¹⁷⁰⁾ ينتقد فرحات عباس ابن خلدون في طريقة نشر الإسلام في المغرب العربي، فلولا اختلاط الدماء، وترسيخ العدالة الاجتماعية بين سكانه لما انتشر الإسلام في المغرب العربي، وذلك عكس الاحتلال الفرنسي تماما.

بالعكس فإن " مارسييه " (G.Marçais) يخالف رأي " غوتيه " إن دخول الإسلام إلى البربر كان بواسطة جيش نخبوي متكون من صحابة الرسول (ﷺ) واليوم توجد بمنطقة القبائل عائلات من المرابطين مبدلة ومحترمة بين السكان وهي التي أدخلت الإسلام إلى البربر، فالإسلام اليوم للمغرب عنصر أساسي للروابط الاجتماعية.⁽¹⁷¹⁾ فالاحتلال الفرنسي للجزائر نسي عنصر الإسلام، " فالأستاذ الجامعي غوتيه مثله مثل المؤرخين الغربيين الذين يعظمون الاحتلال الروماني لتبرير وجودهم في الجزائر، أعرفه جيدا وشرفني بصداقته، فقد كتب بكل نزاهة: التاريخ ليس له صفة العلوم أو الرياضيات أو الفيزياء التي لها حدود... إننا نكتب التاريخ لخدمة المواطن المحب لوطنه، أو بالأحرى لخدمة قارئ مرتبط بوطن محدد، ومن المستحيل فعل شيء آخر، هذا العلم الصغير الحدسي يقترب من الإنسان كثيرا لينزع منه نهائيا العواطف الإنسانية. " ⁽¹⁷²⁾ فتاريخنا موضوع خام لم يكتب بعد، المؤرخون لهم مسؤولية في كتابة تاريخنا لإعطاء صورة حقيقية عن ماضيها.⁽¹⁷³⁾ عمل فرحات عباس على وضع الحجر الأساسي لتخليص التاريخ من النظرة والتحليل الخاطئ المتعمد من طرف مؤرخي المحتل.

(168) Amar Naron, op.cit, p : 29

(169) Ferhat Abbas, autopsy d'une guerre, op.cit, p : 32

(170) ibid.

(171) ibid. p p : 32 - 33

(172) ibid. p : 30

(173) ibid. p : 31

فالمؤرخون أمثال " مارسويه " و " غوتيه " شوّهوا تاريخ الجزائر، واعتبروا الوجود العربي الإسلامي في الجزائر احتلالاً، ووصفوا العرب بأوصاف لا تليق بهم مثل عصابات إسلامية. (174) ويثني على مؤرخين اثنين فقط هما " شارل أندري جوليان "، و " شارل روبر أجيرون " اللذان كتبوا بموضوعية عن تاريخ شمال إفريقيا. (175)

إلى جانب المؤثرات الدينية والتاريخية التي ساهمت في تكوين فكره الثقافي، نجد مؤثرات أخرى كان لها دور هام في ثقافته، وهو إطلاعها ودراسته لأدباء فرنسيين كبار من عصر التنوير، كان يقرأ مؤلفاتهم ويعيد ما قرأ ليتعمق في فهم الثقافة الفرنسية. (176) وعناصر قوتها، فالمعرفة عنده سلاح، لا يهمله المال ولا الرياضة، لم يخلق للعمل اليدوي. (177) قرأ مؤلفات " شاتو بريان " (Chateaubriand) (178) وهي محاولة حول الثورة، وعبقري المسيحية، والشهداء، و الطريق من باريس إلى القدس، والمغامرات الأخيرة لابن سراج، هذه الرواية الأخيرة لهذا الأديب تُصور خروج آخر ملوك المسلمين من غرناطة سنة 1492 (179) وحاول هذا الكاتب أن يجعل من المسيحية ديانة عصرية ذات قيمة للحياة العصرية والإنسان العصري (180) وقرأ كذلك لـ " ديدرو " (Diderot) (181) الذي تدور كتاباته الفلسفية حول المؤسسات الدينية المسيحية وسيطرتها على الفرد والأسرة و ينتقدها انتقاداً فلسفياً، (182) وقرأ لـ " فولتير " (Voltaire) (183) ومؤلفاته خاصة رسائل فلسفية التي ينتقد فيها الملك لويس الخامس عشر، ويدافع عن الحرية ضد الهيمنة وسياسية القهر، فكانت رسائله بداية لبيان عصر التنوير. (184)

(174) ibid. p: 31

(175) ibid.

(176) Amar Naron, op.cit, p: 29

(177) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 25

(178) Amar Naron, op.cit, p: 29

(179) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Chateaubriand "

(180) ibid.

(181) Amar Naron, op.cit, p: 29

(182) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Diderot "

(183) Ammar Narron, op.cit, p : 29

(184) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Voltaire "

وقرأ كذلك لـ "بلزاك" (Balzac)⁽¹⁸⁵⁾ مثل: رسائل بلزاك، وهي ملهاة إنسانية، تتعرض للحياة الاجتماعية الباريسية، وابتقتها ويضع الحلول لإصلاحها يقترح البداية بإصلاح الأسرة و المجتمع.⁽¹⁸⁶⁾ واطلع كذلك على مؤلفات " فرانس اناتول " (France Anatole).⁽¹⁸⁷⁾ مثل الألهة عطشى، والتاريخ المعاصر، والذي يتعرض فيه بالأخص إلى قضية الحرية في فرنسا، وقضية درايفوس.⁽¹⁸⁸⁾ وقرأ قصص " فيكتور هيجو "، البؤساء، منزل الراعي، على الصخرة البيضاء⁽¹⁸⁹⁾

يقول عنه بنيامين ستورا: " رجل ذو ثقافة مزدوجة، واحدة داخلية خاصة مسلمة، والأخرى عامة سياسية جمهورية." ⁽¹⁹⁰⁾ قرأ كثيرا لهؤلاء الأدباء الفرنسيين الذين كان لهم دور كبير في حركة التنوير التي عرفتها فرنسا، وكان لهم تأثير كبير على المجتمع الفرنسي، قرأ كذلك لمؤرخين فرنسيين كبار اهتموا بتاريخ الجزائر ليعرف تاريخ بلاده، أراد أن يستمد الأفكار والعوامل الثقافية الأساسية التي تدفع الأمم إلى التطور، وذلك بدراسة السلبيات ونقدها ووضع الحلول بدلها، هكذا أراد فرحات عباس أن يكون ناقدا ومصالحا لمجتمع حطمه الاحتلال والجهل، فأفكاره التي استمدتها من الثقافة الفرنسية، غرسها في بيئة غير مناسبة لها، فاحتلون الذين جاؤوا إلى الجزائر، معظمهم كانوا مثالا للرداءة، و الشعب الجزائري كان يغلب عليه الجهل، و النخبة الجزائرية لم تكن لها الوسائل الضرورية لنشر أفكارها، وإدارة الاحتلال مراوغة وحذرة، وشعب مسلم أمهك الجوع والتعب فلم تعد الأفكار تهمه، فالجائع يفكر ببطنه لا برأسه، المهم أن الشعب الجزائري بقي محافظا على دينه التقليدي، الذي يستمد فلسفته أكثر من عصور الانحطاط والتخلف التي عرفتها الأمة الإسلامية، وشجعها أئمة هم أقرب إلى الجهل منهم إلى العلم، وضعتهم فرنسا أئمة وراقبتهم، وشيوخ الزوايا تأهلوا بين شعب جاهل وفقير. مناخ ثقافي رديء عم الأرياف الجزائرية خاصة، وأكثرية سكان الجزائر المسلمين في هذه الفترة كانوا ريفيين، أما سكان المدن منهم فكانت نسبتهم قليلة و معظمهم تأثروا بالثقافة الفرنسية واندمجوا فيها، وقلدوا المحتلين في لغتهم ولباسهم وأكلهم، وطريقة تفكيرهم، ولكنهم مع ذلك لم يحترمهم المحتلين وظلوا ينظرون إليهم نظرة احتقار وأطلقوا عليهم أسماء حقيرة مثل: " بيكو "، " راثون " و " جذوع التين " .⁽¹⁹¹⁾

⁽¹⁸⁵⁾ Ammar Narron, op.cit, p, 29

⁽¹⁸⁶⁾ Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Balzac "

⁽¹⁸⁷⁾ Ammar Narron, op.cit, p, 29

⁽¹⁸⁸⁾ Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " France Anatole "

⁽¹⁸⁹⁾ Jean Lacouture, op.cit, p :270

⁽¹⁹⁰⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 11

⁽¹⁹¹⁾ ibid. p: 41

فرحات عباس ذو ثقافة عالية، متصلب و عنيد في مطالبه، يكره الكذب والنفاق، صادق في أقواله وأفعاله، ما كان يعبر عنه في بداية نشاطه السياسي كان نابعا من قناعته، فقد دافع عن فئة الفلاحين التي حرمتها الاحتلال من أدنى شروط الحياة، بقي مرتبطا بها، متأثرا بوضعيتها، جعل حياته في خدمتها، منذ بداية نشاطه السياسي إلى وفاته. ثقافته الإسلامية منعتة من التنصل من جذوره العميقة المغروسة في أرض الجزائر، وجعلته إنسانا حرا رافضا للذل و العبودية، وثقافته الفرنسية منحتة القدرة على مواجهة المحتلين بلغتهم، ومحاطبتهم بمبادئهم الديمقراطية التي ضحوا من أجلها خلال الثورة الفرنسية 1789.

فهو إنسان مسلم برهن على قدرة المسلمين على اكتساب العلوم والمعرفة، وحبهم للحرية والديمقراطية كبقية الشعوب الحرة.

اطلع فرحات عباس على تاريخ فرنسا من خلال المدرسة، ولكن هذا لم يكن كافيا له، فقد كان مهتما بمعرفة تاريخ المغرب العربي، ولكن من خلال الكتب التاريخية الفرنسية، ومع ذلك فقد وجه انتقادات لاذعة لمؤرخي الاحتلال المتحيزون للظلم، وتبرير ما لا يبرر خدمة لوطنهم فرنسا.

وانتقد كذلك ابن خلدون في طريقة تحليله لانتشار الإسلام في المغرب العربي.

فهو إلى جانب كونه سياسي بالدرجة الأولى لم يهمل الدراسات التاريخية والإنسانية لأنه أدرك بأنها هي المحرك الأساسي لوعي الشعوب وتحررهم.

المبحث الرابع

تكوينه السياسي

بدأ فرحات عباس يهتم بالسياسة منذ شبابه فقد أرسله والده إلى جامعة الجزائر لدراسة الصيدلة من أجل أن يكون حرا في عمله بعد تخرجه من الجامعة، وغير مرتبط بالوظائف الحكومية، لكن فرحات عباس كانت دراسة الصيدلة بالنسبة إليه أمرا ثانويا، ففي الجامعة بالجزائر كان يهتم كثيرا بمحاضرات أساتذة التاريخ والفلسفة والأدب، وكل ذلك من أجل تعميق معارفه الإنسانية التي منحته فيما بعد معارف واسعة بالفكر الغربي، وجعلت منه إنسانا ذو معارف عميقة، مكنته من خوض الميدان السياسي بكل ثقة وقدرة على المجادلة، وتقبل الرأي الآخر.

فرحات عباس رجل سياسي جزائري.⁽¹⁹²⁾ عارض النظام الكولونيالي الفرنسي في الجزائر، وكافح من أجل الاستقلال الذاتي للجزائر ثم من أجل استقلال وطنه.⁽¹⁹³⁾ حياته كلها مرت بثلاث مراحل: المرحلة الأولى: البحث عن وطن داخل فرنسا.

المرحلة الثانية: البحث عن وطن مع فرنسا.

المرحلة الثالثة: البحث عن وطن خارج فرنسا.⁽¹⁹⁴⁾

بدأ نشاطه السياسي وهو طالب بالجامعة قال فيه أحد أصدقائه من الطلبة الأوروبيين قصيدة شعرية:

صيدلي في هيئته

ولكنه شاب تركي في أعماقه

كقنينة مملوءة يتصرف

مصمم أن يكون محرضا⁽¹⁹⁵⁾

يرى " جون لاكوتير " أن فرحات عباس تأثر كثيرا بثقافة وعادات الفرنسيين تجاوزت " ليو بول سونغور "

أو أحمد بن صالح أو عبد الرحيم بو عبيد فلا أحد منهم استطاع أن يتعمق في الثقافة الفرنسية مثله كل هؤلاء المسؤولين تلقوا الثقافة الفرنسية، ولكن فرحات عباس كان أكثر المتخصصين وأشداهم معارضة لفرنسا.⁽¹⁹⁶⁾ يرى

معظم المؤرخين والكتاب الفرنسيين بأن ثقافة فرحات عباس العميقة هي التي قادته وأنارت له طريق النضال

⁽¹⁹²⁾ Dictionnaire, Langue, Encyclopédie, Noms propre, ed, spadem-adagp, Paris, 1980, p p :1- 2

⁽¹⁹³⁾ Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Ferhat Abbas "

⁽¹⁹⁴⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 266

⁽¹⁹⁵⁾ Amar Naron, op.cit, p : 30

⁽¹⁹⁶⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 266

السياسي، لمواجهة سياسية نظام الاحتلال في الجزائر فهو قريب من الفرنسيين، وبعيد عنهم.⁽¹⁹⁷⁾ صحيح أن دراسته الجامعية فرع الصيدلة كانت بالنسبة إليه فرعا ثانويا حيث بقي فيها ثماني سنوات بدل ست سنوات، لأنه كان يهتم بدراسات أخرى في الكيمياء والبيولوجيا، ويهتم أكثر بالسياسة، والأدب الفرنسي.⁽¹⁹⁸⁾ فرض نفسه كمصلح رافض للعنف لمدة ربع قرن، ولم ينضم إلى الثورة التحريرية إلا بعد انهزامه.⁽¹⁹⁹⁾ في تكوين جزائر تتسع للجميع ويلغى فيها الاحتلال بطرق سلمية.

رفع فرحات عباس بهدوء العَلم الذي سقط من يدي الأمير خالد.⁽²⁰⁰⁾ ويعتبر الأمير خالد من حركة الشباب الجزائري، فقد قدمه نائب نانسي (Nancy) العقيد "دريان" (Driant) أمام المجلس التأسيسي بقوله: "رجل ذو قيمة كبيرة، يتكلم الفرنسية بشكل رائع، يعرف جيدا حاجيات الأهالي، كرس حياته للدفاع عنهم، مع اختيار فرنسا كوطن له."⁽²⁰¹⁾ نجد فرحات عباس سار على نفس الدرب الذي سار عليه الأمير خالد فقد كان يعمل على دمج الجزائر المحتلة بفرنسا إدماجا كليا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية، وكتب موضوعا حول ذلك بعنوان: "من المحتلة إلى المقاطعة"⁽²⁰²⁾ وهنا يشترك مع الأمير خالد في كونهما مثقفين ثقافة فرنسية و مخلصين لعاداتهما وتقاليدهما الإسلامية، ومدافعين عن قضية الأهالي، وذلك في إطار الدولة الفرنسية، ومتأثرين بكمال أتاتورك.

فمطالب الأمير خالد كانت سياسية وطنية، حيث طالب بأن يسمح للجزائريين أن يصبحوا مواطنين فرنسيين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، بينما إصلاحات فيفري 1919 لم تكن تسمح للجزائريين بالارتقاء إلى الجنسية الفرنسية إلا في حالة تخليهم عن حالتهم الشخصية كمسلمين.⁽²⁰³⁾ وعارض الأمير خالد قضية إدماج الجزائريين بالتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وقد كتب مدافعا عن رأيه في جريدة "الإقدام": "أن الجزائريين لا يستطيعون قبول المواطنة الفرنسية داخل أي إطار غير إطارهم الخاص. وقال أنه "حلم" فقط أن نسأل الفرنسيين تغيير شرطهم لأنه أولا شرط "لا تريده الجماهير"، وثانيا أن فرنسا نفسها "لن تصدر أبدا قرارا بالتجنيس الجماعي"، لأنها تخشى أن ترى الكولون تحت سيطرة خمسة ملايين جزائري."⁽²⁰⁴⁾

⁽¹⁹⁷⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 11

⁽¹⁹⁸⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 269

⁽¹⁹⁹⁾ ibid. p : 266

⁽²⁰⁰⁾ Amar Naron, op.cit, p :27

⁽²⁰¹⁾ Ageron C.R, politiques coloniales au Maghreb, p p : 254-255

⁽²⁰²⁾ Jean Lacouture, op.cit, p :270

⁽²⁰³⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، المرجع السابق، ص: 382

⁽²⁰⁴⁾ نفس المرجع: ص، 383

فقانون 4 فيفري 1919 و قرار 6 فيفري 1919 ترتب عنهما انقسام في " لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين " أو بالأحرى ما يسمى بـ " الشباب الجزائري " الذي تكوّن قبل الحرب الكونية الأولى. (205)

فئة منهم أشادت بالتجنس، وفئة أخرى منهم سا

رت وراء الأمير خالد النقيب السابق في الجيش الفرنسي، الذي رفض التجنس وناضل من أجل إصلاحات هامة. (206) وهي مساواة الجزائريين مع الأوروبيين في الحقوق و الواجبات، يزول معها مفهوم الاحتلال، وهذا ما كان يسعى فرحات عباس إلى تحقيقه.

فالسكان المسلمون طالبوا خاصة بإلغاء التفاوت الموجود في الأجر بين اليهود والمسلمين في العمل داخل الورشات 15 فرنكا يوميا لليهود، و 5 فرنكات فقط للمسلمين. (207) أساس الإصلاحات هي التحرر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للسكان المسلمين. (208) وهذه المطالب التي يلح عليها فرحات عباس في الثلاثينيات من القرن العشرين هي استمرارية لمطالب الأمير خالد، الذي أسس في جانفي 1922 (الأخوة الجزائرية)، (209) هدفها " يتجلى في البحث عن الوسائل للدفاع، وتحسين الوضعية المادية، و الأخلاقية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية للمسلمين الجزائريين (تأسست هذه الجمعية في 23 جانفي 1922) ومطالبها هي:

1. التطبيق الكامل لقانون 4 فيفري 1919.

2. التمثيل النيابي للأهالي المسلمين الجزائريين والمساواة التي نص عليها قانون فيفري 1919 يجب أن تطبق كلها. " (210)

بعد زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية " ميليران " (Millerand) إلى الجزائر في شهر ماي 1922 كتبت جريدة الإقدام في افتتاحيتها يوم 4 أوت 1922 والتي ترأسها الأمير خالد منذ 1921، المطالب السريعة التالية:

1. التمثيل النيابي للأهالي غير المتجنسين في البرلمان الفرنسي.

2. رفع تمثيل المسلمين إلى خمسين في المجالس النيابية الجزائرية.

3. الإلغاء الكلي والنهائي لقانون الأهالي.

4. نشر التعليم.

5. تحضير ميزانية القبيلة بواسطة الجماعة دون شروط قهرية.

(205) Claude coollot-Jean Robert Hery, op.cit, p: 30

(206) ibid.

(207) Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, N° 23 du 20 février 1936

(208) Ferhat Abbas, éditorial de L' entente franco - musulmane, N° 24 du 27 février 1936

(209) Claude collot-Jean Robert Henry, op.cit, p: 30

(210) ibid. p p: 30-31

6. مشاركة الأهالي الفعالة في أراضي المحتلين.

7. فتح الطرق البرية والحديدية في المناطق المنسية.

8. اختيار القيادة عن طريق الانتخابات أو المسابقات.

9. احترام الإدارة للبند 14 من قانون 4 فيفري 1919. " (211)

ففرحات عباس حمل هذه المطالب نفسها، مساواة الجزائريين بالمحتلين دون التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية. (212) حيث يقول: "يوجد سبعة ملايين ينتظرون نصيبهم في وطنهم بعد قرن من الحيرة والقهر، ومن أجلهم دخلنا النضال السياسي." (213)

دخل فرحات عباس الميدان السياسي متأثراً بأفكار الأمير خالد، وبالوضعية المأساوية للشعب الجزائري، والظلم الذي فرضه المحتل عليه و كان يحمل راية مزدوجة مثل الأمير خالد راية فرنسا، وراية الإسلام. (214) لقد دافع الأمير خالد عن الجزائر، وسار على دربه فرحات عباس، و غيرهما من النخبة التي تطلعت إلى التحرر السياسي و الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي للجزائريين المسلمين دون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، فقد تقربت النخبة و الشخصيات الإسلامية من الأمير خالد وتعاونت معه في مشاريعه الإصلاحية ومطالبه السياسية. (215)

" إن أحسن مصدر ممكن لدراسة هذه الإيديولوجية الفرنسية الإسلامية هي مجموعة المقالات التي كتبها فرحات عباس ما بين 1922 - 1927 ونشرها سنة 1931 في كتابه الشاب الجزائري. " (216) وفيها يتضح جيدا فكر فرحات عباس في بداية نضاله السياسي منذ دراسته الجامعية، فكان يدافع عن الجزائريين ضد المحتلين الذين استغلوا الجزائريين استغلالا سيئا بدون رقيب عليهم، ووقفوا كحاجز مع النظام العسكري المساعد لهم ضد أي تطور و تحرر للأهالي المسلمين في جميع الميادين، فإصلاحات 1919 بقيت داخل علبه من الورق غطاها الغبار، والديكتاتورية الكولونيالية دفنتها. (217)

(211) ibid. p p : 30-31-32

(212) Guy Pervillé, op.cit, p : 231

(213) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 33, du 12 août 1937

(214) Guy Pervillé, op.cit, p : 224

(215) بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، ط 2، بيروت، 1986، ص : 124

(216) ibid. p : 225

(217) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 35, du 26 août 1937

بدأ كتابته السياسية الأولى وهو طالب في الجامعة، في جريدتي: "الإقدام" (Al-Ikddam) و "همزة الوصل" (le Trait d'Union)* وكان يكتب تحت اسم مستعار - كمال بن السراج - وأسباب اختياره لهذا الاسم الذي يتكون من اسمين مركبين، الأول كمال استمده من حاكم تركيا كمال أتاتورك، الذي كان عدوا لفرنسا. (218) وقاد ثورة لائكية، وقضى على نظام الخلافة الإسلامية سنة 1924 ودفع باليونانيين إلى البحر، وفضل وضع القبعة على رأسه وارتداء البذلة الأوروبية التي لازمته طوال مدة حياته. (219) فأفكاره الثورية التقدمية يمكن أن يكون لها تأثير على المغرب العربي لإيقاظه من سباته، فالمرجعية الثورية لفرحات عباس مستمدة من الثورة الفرنسية 1789، والمقاومة التركية بقيادة كمال أتاتورك. (220) أما اسم ابن السراج فقد استمده من قراءته لرواية "شاتو بريان" (Chateaubriand). (221) وهي: "المغامرات الأخيرة لابن السراج" التي نشرها سنة 1826. (222) وهو آخر ملوك غرناطة الذي طرد من حكمه سنة 1492، فبكى حكمه كثيرا، ولقي إهانة من أمه لأنه لم يدافع عن حكمه مثل الرجال. (223)

اسمه المستعار الذي كان يوقع به مقالاته في الجرائد السابقة يجمع بين شخصيتين مسلمتين متناقضتين، الشخصية الأولى وهي تركية متمثلة في كمال أتاتورك الذي قاوم الاحتلال والخلافة الإسلامية، وانتهج اللائكية كقاعدة إستراتيجية له في مجتمع مسلم، بهدف الوصول بالركب الحضاري الذي تمثله أوروبا الغربية في تلك الفترة. أما الاسم الثاني ابن السراج فيمثل قمة انهيار الحكم العربي الإسلامي في الأندلس، لملك عربي لم يدافع عن حكمه كالرجال ولجأ إلى المغرب فارا من المسيحيين، وكان معظم وقته يقضيه باكيا على حكمه الضائع فشتمته أمه بقولها:

" أبك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال " (224)

فرحات عباس يريد استعادة حق ضاع، ولكن مع إعطاء حركية للتاريخ متماشية حسب رأيه مع التطورات الجديدة، أي فصل الدين عن الدولة، وهذا بسبب تأثره بالثقافة الفرنسية.

* جمع مقالاته التي كتبها في هاتين الجريدتين وغيرهما في كتابه (الشاب الجزائري)

(218) Jean Lacouture, op.cit, p : 269

(219) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 17

(220) Jean Lacouture, op.cit, p : 269

(221) ibid.

(222) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003 " Chateaubriand "

(223) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 17

(224) عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص : 22

أما أسباب اختياره لهذا الاسم المستعار هو خوفه من إدارة الاحتلال إذا كشفت أنه يمارس السياسة سوف تقطع عنه المنحة الدراسية، وتفصله من الدراسة. (225)

وهو يريد استعادة أجداد الضائعة، ففي المقالات التي كان يكتبها ركز " على أهمية الفتوحات الإسلامية، وتفوق الفاتحين المسلمين، مقارنة بالغزو الروماني للبلاد الذي لم يحمل معه سوى الخراب للفلاحين الذين انتزعت منهم أراضيهم، فعاشوا في عبودية إلى أن جاء الفاتحون المسلمون لتخليصهم من عبودية روما وقهرها، واحتقارها لكل من رفض الولاء لسيطرتها ناعته إياه " بالبربري " كما حدث مع سكان أفريقيا الشمالية. " (226) فالاحتلال الفرنسي للجزائر رفض أي تطور للمسلمين الجزائريين، وقضى على المجموعة الوطنية إما بالموت أو التمييز العنصري أو الديني فالجزائر ضحية لنظام الاحتلال الفرنسي ووضعيتها مأساوية. (227) " ويعتقد فرحات عباس أن اندماج البربر في الحضارة الإسلامية حدث بسهولة، لأن الفاتحين أعادوا لهم أراضيهم التي صادرتها روما واحترموا التقاليد المحلية وتسامحوا معها... ويذهب فرحات عباس بعيدا إلى حد الدعوة للإقتداء بالفتوحات الإسلامية حتى تظهر بذور الحضارة والتقدم. " (228) يتهمه "جون لاکوتير" بأن مقالاته كانت بسيطة وتنقصها المعلومات والتحليل، ولكنه كان شجاعا، وناقما على الاحتلال، ومعبرا عن رغبة الشباب المسلم. (229) وهي المساواة في الحقوق والواجبات مع المحتلين، وإلغاء القوانين التعسفية ضد الجزائريين، لم يكن فرحات عباس في هذه الفترة عند بداية نشاطه السياسي يرغب في الانفصال عن فرنسا فقد كتب موضوعا في كتابه " الشاب الجزائري " عنوانه " من المختلة إلى المقاطعة. " (230)

وربط ذلك بتحرر المسلمين الجزائريين، لأنه لا يمكن أن تكون هنالك جزائر فرنسية حقيقية بدون تحرر. (231)

(225) Ferhat Abbas, le Jeune Algérien, op.cit, p :65

(226) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 41

(227) Ferhat Abbas, Rapport du 2^{me} Congrès National de l' UDMA Tlemcen les 16.17. et 18 Septembre 1949, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, ed, libération, Alger (sans date), p : 9.

(228) نفس المرجع والصفحة.

(229) Jean Lacouture, op.cit, p : 269

(230) ibid. p : 270

(231) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 30, du 11Juin 1936

ويعطي أمثلة بألمانيا عند احتلالها للألزاس واللورين المقاطعتين الفرنسيتين، ففي خلال نصف قرن أصبحت الثقافة الألمانية هي السائدة، وأصبح الفرنسيون فيهما ألمانين بدون تمييز عرقي أو ثقافي أو اقتصادي أو اجتماعي. (232)

ولم تكن عملية التجنس فردية، وإنما كانت جماعية لكل سكان مقاطعتي الألزاس واللورين. (233)
كان فرحات عباس يعمل في بداية نشاطه السياسي على إلغاء التفرقة بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين، ويسعى إلى تحقيق مجتمع متجانس خال من العبودية والقهر والإقطاعية، أراد أن ينقل مبادئ الثورة الفرنسية 1789 وشعارها: الحرية - العدالة - الإخاء، إلى الجزائر، وأن تطبق على كل سكانها بدون تمييز عرقي. (234)

" يلاحظ محفوظ قداش أن كل النخب الجزائرية خلال العشرينات كانت تفكر داخل الإطار الفرنسي، بما في ذلك فيدرالية المنتخبين، وجمعية العلماء المسلمين. وقد عرفت هذه النخب بولائها ورغبتها في التطور ضمن القوانين الفرنسية فكانوا يسعون لتمتين العلاقات بالأوروبيين من أجل خير الأمة. لذا لم يكن أحدهم يشك في السلطة الفرنسية وسيادتها على الجزائر، ولا يمكن أن نستثني من هذا الولاء الكامل في التفكير ضمن الإطار الفرنسي هؤلاء المثقفين المقربين من العلماء الذين درسوا في الزيتونة وعادوا إلى الجزائر متأثرين بأفكار النهضة. " (235)

انتخب فرحات عباس في سنة 1926 رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لجامعة الجزائر. (236) ويعود سبب اختيار زملائه الطلبة له كرئيس لهذه الجمعية للمقالات السياسية التي كان يكتبها في جريده الإقدام منذ 1922، فهذه المقالات عبرت حقيقة عن تطلعات ورغبات الشباب الجزائريين في تلك الفترة. (237) وكان في هذه الفترة يسكن في طريق رونالد دي بوسي بالعاصمة، فحول مسكنه إلى نادي سياسي وأصبح كزعيم سياسي للطلبة. (238) عمل على تسييس الجمعية التي كانت تطالب بالمنح الدراسية وبناء دار الجزائر* في جامعة باريس، لقد أعطاها دفعا قويا وأدخل تغييرا جذريا عليها بكل شجاعة غير مبال بتهديدات الإدارة، كان قادرا على المجادلة والإقناع وطور نشاطها بجعلها متصلة بالفئات الشعبية من خلال المناسبات الدينية التي كانت تنظمها هذه الجمعية بهدف ربط الطلبة بالفئات الشعبية من أجل الإطلاع على مشاكلهم، واستخدام ثقافتهم لحلها. (239) فهذه الشعبية التي كان يبحث عنها فرحات عباس

(232) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 33, du 12 août 1937

(233) ibid.

(234) نفس المرجع، ص: 44

(235) نفس المرجع، ص: 45

(236) Jean Lacouture, op.cit, p :269

(237) ibid. p : 35

(238) ibid. p p : 41-42

* حي خاص بالطلبة الجزائريين الذين يدرسون بجامعة باريس

(239) ibid. p : 41

تهدف إلى تحسين الوضعية الاجتماعية للمسلمين الجزائريين، وتحررهم بواسطة إلغاء القوانين الاستثنائية، وفتح المدارس والمستشفيات والطرق... (240) أي جعل الجزائريين المسلمين يستفيدون من التقدم الفرنسي في جميع الميادين.

عين فرحات عباس في 6 أفريل 1930 نائبا لرئيس مجلس الإتحاد الوطني للطلبة الفرانكفونيين، وحضر مؤتمر الثاني عشر للفيدرالية الدولية للطلبة. (241) وفي سنة 1932 ترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا التي عقدت مؤتمرها بالجزائر في نفس السنة، دافع عن الوحدة المغاربية، وإحياء اللغة العربية والتحرر الاجتماعي لدول شمال إفريقيا ليمنع الاحتلال نشاطها فيما بعد (سنة 1935)، لأنها تهدف إلى إحياء العاطفة الوطنية، وهذا خطر على وجود الاحتلال الفرنسي في شمال إفريقيا. (242) وأثناء رئاسته لجمعية الطلبة أسس جريدة التلميذ (Ettelmidh) وهي مجلة طلابية. (243)

مقالاتها تميل للاعتدال وتروج لأفكار الجمهورية الثالثة الفرنسية، فأعطته الجمعية الطلابية وجريدتها الفرصة على نشر أفكاره والاتصال بالجماهير الشعبية. (244) وهكذا بدأ تدريجيا يقود المعركة السياسية يحرص الجماهير الشعبية بواسطة التوعية أولا، لكي تستطيع أن تدرك الوسيلة الناجعة للمطالبة بحقوقها عن طريق المعركة السياسية، وثانيا تعبئتها لكي يتمكن بواسطتها من الضغط على الإدارة الفرنسية من إلغاء نظام الاحتلال الذي يمثل أقصى أنواع الظلم والقهر والاستبداد مستعينا بفرنسا الأنوار ومبادئ ثورتها (1789) حيث يقول: "الجزائري يؤمن بفرنسا، ولكن بفلسفتها المتنورة، فلسفة القرن الثامن عشر، ومبادئ ثورتها (1789)... والمتقفون المسلمون لا يبحثون عن طعن فرنسا من الخلف." (245)

منذ بداية نضاله السياسي في العشرينات من القرن العشرين، حتى إلى نهاية الثلاثينات منه، كان مؤمنا ومدافعا قويا عن إيديولوجية المساواة التي استمدتها من مبادئ الثورة الفرنسية (1789) وتأثر بها كثيرا، لكنه نسي أن تلك المبادئ من صنع الفكر الفرنسي، ولا تطبق إلا على المجتمع الفرنسي، فقد قضى في نضاله السياسي تقريبا عشرين سنة يريد أن يزرع بذرة في تربة ومناخ لا يناسبها، حرب كثيرا تلك الزراعة (السياسية)، ولكنها كانت تموت قبل أن تخرج من الأرض.

(240) Guy Pervillé, op.cit p : 227

(241) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 42

(242) ibid.

(243) ibid. p : 41

(244) Guy Pervillé, op.cit, p : 104

(245) Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p : 142

كان يحلم بجزائر تسودها العدالة والمساواة والأخوة، تزول فيها العنصرية والكرهية، كان يأمل في فرنسا الديمقراطية، فرنسا الثورة الكبرى، أن تفرض ديمقراطيتها وثقافتها على المحتلين الفرنسيين في الجزائر لإعطاء المسلمين حقوقهم والأخذ بأيديهم نحو التطور والرفي، والتحرر، لأن الإسلام في نظره لا يتعارض مع ذلك. (246)

أكبر عدو واجهه في الجزائر المحتلة في نظره هم المحتلون حيث يقول: " منذ نهاية النظام العسكري في الجزائر، أصبحت بلادنا فريسة بين أيدي الإقطاعيين الكبار، الذين أصبحت بيدهم السلطة المدنية، وأصبحنا تحت سلطتهم السياسية، وأعوان الإدارة في خدمتهم قيدونا بسلاسل، وهم سعداء بثقة البرلمانين الجزائريين الذين دعموهم بثقتهم. " (247) من جهة يعرف نفسية المحتل التي لا يمكن أن يكون له وجود في الجزائر إلا عن طريق الظلم، واستعمال كل الوسائل العسكرية والمدنية لقهر الجزائريين، ومن جهة أخرى يريد أن يغير عقليتهم بواسطة اعتماده على توعية الجماهير والاستعانة بفرنسا الديمقراطية.

يصفه صديقه " أكلي زياتي " بأنه ذو شخصية متناقضة. (248) فطبيعة المحتل لا تتغير لأنه ينظر إلى الآخر كأنه غبار، وجوده لا يمكن أن يكون على قيد الحياة، إلا لحالة واحدة فقط، وهي خدمة المحتل، ولا يجب أن تكون المعادلة متكافئة، لأن التكافؤ هنا معناه زوال المحتل، وهذا ما كان يناضل من أجله فرحات عباس.

وهو يدرك هذا جيدا حيث يقول: " إن مأساة بلادي هي التي أدخلتني في وحل السياسية، لو أن فرنسا وجدت حلا معتدلا لمشاكلنا، لكنت من المحتمل أن أقوم بالعمل الفلاحي، ولكن كيف نستطيع أن نعيش واليأس واللاعدل أصبحا مشهدا يوميا في بلدي " (249) فهو يعرف أن الاحتلال الفرنسي للجزائر هو من أسوأ أنواع الاحتلال " لا يوجد احتلال ظالم كالاحتلال الفرنسي للجزائر فهو نظام وحشي وبربري، فكره مبني على تهديم الشعب المغلوب الذي يعتقد بأنه لا يستطيع النيل منه، يظن أنه حاذق بفرض أبوته المنافقة عليه في إطار قانوني غير عادل. " (250)

فالجزائري المسلم عاش كل أنواع الظلم، والقهر، والإهانة، والتفجير، والتجهيل، أراد الاحتلال أن يجعل منه أشباه بشر مجردين من تاريخهم، ودينهم، ووطنهم، وأحلامهم، ولم يترك لهم سوى أيديهم المجردة من السلاح، والتي أعدها لخدمته في الفلاحة، والمناجم، أما النخبة التي كونها في مدارسه فكان يهدف من وراءها غزو الفكر بعد غزو

(246) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 44

(247) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 38, du 16 Septembre 1937

(248) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 46

(249) Ferhat Abbas, guerre et révolution d' Algérie, La nuit coloniale, ed, Julliard, Paris, 1962, p :107

(250) ibid. p : 110

الأرض، وإيجاد فكر جزائري موال له، ومدافع عنه أمام شعب مغلوب على أمره، لا يجد إلى أين يتجه فقرر يحاصره، وجهل يقيده، وإدارة الاحتلال تهيئه، ونخبة جزائرية في معظمها تنصلت من جذورها، وأدارت بظهرها لشعبها، مقدمة خدمة لأسيادها، فئة باعت ضمائرها بأبخس الأثمان.

"عندما يقول جزائري بأنه عربي يردون عليه بأنه فرنسي، وعندما يطالب بحقوقه مثل الفرنسيين يجيبونه بأنه عربي." (251)

فرحات عباس مارس السياسة ليس حبا فيها، أو من أجل التقرب من سلطة الاحتلال وإدارتها، أو الحصول على الجاه والمال أو النسب، مارسها برغم كل ما فيها من أخطار، كل ذلك بهدف إنقاذ الجزائريين المسلمين من سياسة الاحتلال المطبقة عليه بكل وحشية، أراد مرارا أن يتركها ويتخلص لعمله كصيدلي لكن أنين المظلومين من أبناء شعبه لم يتركه ليرتاح أو يعيش سعيدا وبعيدا عنه فالسياسة في نظره هي تربية وسلوك وأخلاق تهدف إلى بناء أمة قوية متحضرة تسودها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، لكن نجد فرحات عباس في بداية نضاله السياسي رأى بأن هذه الأمة لا يمكن أن تكون سوى الأمة الفرنسية، لذلك دعا إلى دمج الشعب الجزائري بفرنسا، فكانت نظراته السياسية هذه طوباوية، لينتقل بعدها إلى مرحلة سياسية أخرى كما مر علينا، الشيء الذي نستطيع أن نحكم به على كل مراحل نضاله السياسي أنه كان صادقا ومقتنعا بما كان ينادي به، فقد أعطى في كتابه ليل الاحتلال مبررات مراحل السياسية، فلم يتنكر لها، وهذا يدل على صدقه ونزاهته، لقد أراد أن يجعل من الشعب الجزائري المسلم شعبا حرا متقدما ولكن في إطار الحضارة الفرنسية، وتحت حماية فرنسا الديمقراطية، فعدوه الأول والأساسي هو الاحتلال والعدو الثاني الذي لا يقل خطورة عن الأول هو الجهل، فالعلاقة بين الاحتلال والجهل علاقة وطيدة، فهما يقبلان العيش مع بعضهما بانسجام.

حارهما بكل طاقته آملا في الانتصار عليهما، ولكن لم يجد لمن يقرأ زبوره.

(251) ibid.

المبحث الخامس

أعماله الفكرية

بعد دراستنا لأهم العوامل المكونة لشخصيته من مؤثرات أسرية واجتماعية وثقافية وسياسية، ننتقل في هذا المبحث إلى دراسة أهم مؤلفاته، التي عبر فيها بصدق عن أفكاره ومشاريعه السياسية، وهي تقدم لنا العمق الفكري لفرحات عباس، وقد حاول من خلالها أن يغوص في عالم الأفكار، والسياسة، وفي تاريخ الجزائر منذ القديم ومحملا لبعض الأحداث الهامة في تاريخنا الوطني، ومركزا بالأخص على الأحداث المعاصرة له، ومقدما اقتراحات وحلولا لمشاكل عصره.

بدأ نشاطه في ميدان الكتابة بنشر مقالات له في الصحف، وبعدها تحول إلى إصدار الجرائد، وهي:

جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي: التي كانت يصدرها مع الدكتور ابن جلول في الثلاثينات من القرن العشرين، وكانت تروج لفكرة سياسة الاندماج، وينتقد فيها سياسة الاحتلال.

جريدة المساواة: أصدرها في سنة 1944، تدافع عن أفكار بيان الشعب الجزائري.

جريدة الجمهورية الجزائرية: أصدرها سنة 1947 تدافع عن فكرة قيام جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

إلى جانب كتاباته في المجالات والجرائد الأخرى الفرنسية والجزائرية، و مراسلاته السياسية مع أصدقائه من النواب المسلمين. كان خطيبا بارعا أمام الجماهير الشعبية أثناء حملاته الانتخابية، فكان ينتقد سياسة الاحتلال بكل شجاعة غير مبال. مما سيتعرض له من مضايقات من غلاة المحتلين الذين نادوا كثيرا بوجوب التخلص منه، لأنه في نظرهم إنسان خطير، يجادلهم بقوانينهم ويفضح مؤامراتهم وجشعهم، ورفضهم لكل الإصلاحات.

ألف فرحات عباس أربعة كتب:

الكتاب الأول: الشباب الجزائري، الذي نشره سنة 1931 وهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي كتبها في جريدة الإقدام للأمر خالد، وجريدة همزة الوصل لـ " فيكتور سييلمان "، وجريدة التقدم للدكتور بلقاسم بن تامي، نشره بالجزائر، بمناسبة احتفالات الذكرى المئوية الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا الكتاب يوضح جيدا فيه سياسة الاندماج، وإلغاء الاحتلال، وربط الجزائريين المسلمين مباشرة بفرنسا، بعد منحهم جماعيا الجنسية الفرنسية، ويرد فيه كذلك على غلاة الاحتلال الذين كانوا يرون بأن الجزائريين المسلمين هم فئة متخلفة غير قابلة للتطور، فيلقي اللوم على الاحتلال الذي أهمل الجزائريين المسلمين، ولم يفتح أمامهم المدارس.

أعاد طبع هذا الكتاب سنة 1981، مرفوقا برسائلته إلى المارشال " بيتان " سنة 1941، وبرر إعادة طبع هذا الكتاب للمرة الثانية أثناء مرحلة الاستقلال، وذلك من أجل إطلاع الشباب الجزائري على فكر فرحات عباس السياسي في بداية نضاله.

الكتاب الثاني: حرب وثورة الجزائر، ليل الاستعمار، نشره سنة 1961 بالمغرب يوضح فيه سياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر، والظلم الذي فرضته إدارة الاحتلال على الشعب الجزائري.

وقد حلل فيه سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر منذ 1830 إلى 1961، والأساليب التي اتبعتها الاحتلال من أجل قهر الشعب الجزائري، مقمدا فيه أدلة وحقائق، توضح جيدا مدى تأثير سياسة الاحتلال على الجزائريين المسلمين، ومستشهدا بنضاله السياسي الذي خاضه من أجل وضع حد لسياسة الاحتلال، وتكوين مجتمع جزائري، يتعايش فيه كل سكان الجزائر بدون استثناء.

الكتاب الثالث: فرحات عباس تشريح حرب - الفجر - وهو كتاب يتعرض فيه لأحداث الثورة نشره سنة 1980 بفرنسا.

هذا الكتاب قسمه إلى 12 فصلا.

وقد تعرض في الفصل الأول إلى تاريخ الجزائر منذ القديم حتى إلى مرحلة الاستقلال، مركزا فيه على أهم المحطات الرئيسية في تاريخ الجزائر.

أما الفصول الأخرى الباقية، فإنه يتعرض فيها إلى الثورة الجزائرية، منذ بدايتها في أول نوفمبر 1954 إلى تاريخ نهايتها، واستقلال الجزائر، منتقدا فيه سياسة فرنسا تجاه الثورة الجزائرية، والأساليب القمعية للإنسانية التي استعملها الجيش الفرنسي ضد الجزائريين، وتعرض فيه إلى شجاعة المجاهدين في حربهم ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وإيمانهم الراسخ بالعمل الثوري، والتحام الشعب الجزائري بثورته.

ويوضح فيه كذلك مبررات التحاقه بالثورة، وكفاحه من أجل استقلال الجزائر.

وقد تعرض كذلك فيه إلى بعض أخطاء الثورة الجزائرية، داعيا إلى الاعتراف بتلك الأخطاء وإعادة الاعتبار للذين ارتكبت في حقهم، مستشهدا بذلك بقضية الأزرقية، داعيا في آخر الكتاب إلى الاهتمام بالإنسان والعلم من أجل بناء جزائر متقدمة وقوية تسودها العدالة الاجتماعية.

الكتاب الرابع: الاستقلال المصادر، نشره سنة 1984 بفرنسا. وهذا الكتاب ينتقد فيه بشدة سياسة الحزب الواحد، والنظام الأحادي برئاسة أحمد بن بلة، و هواري بومدين، و أسلوبهما في الحكم.

كتاب شديد اللهجة، أحيانا قاسي في الحكم، حيث اعتبر بأن الشهداء قد خائنا الرئيسين أحمد بن بلة، و هواري بومدين، في رأيه بلجوئهما إلى تطبيق الاشتراكية السوفياتية، ومنع الديمقراطية وحرية التعبير، والتي هي جزء من كرامة الإنسان التي ضحى من أجلها الشهداء، وكل ذلك في نظره من أجل تحقيق مطامح شخصية على حساب الجزائر كلها.

والكتابان الأخيران منعا من الدخول إلى الجزائر.

فرحات عباس رجل مفكر ومؤلف وخطيب وسياسي، جعل حياته كلها من أجل الدفاع عن تحرر الإنسان الجزائري من الظلم، سواء أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو خلال مرحلة الاستقلال، أكره شيء إليه هو الظلم والكذب على الشعب، ومنع حرية التعبير، آمن إيماناً مطلقاً بأن احترام الإنسان هي من أهم العوامل الأساسية لبناء وطن تسوده العدالة الاجتماعية ويتطلع سكانه جميعاً إلى ما فيه الخير والسعادة للوطن.

تأثر كثيراً بالثقافة الفرنسية (عصر الأنوار) التي استطاعت أن تحرر الإنسان الفرنسي من قهر الملوك وجبروتهم وخلقت إنساناً فرنسياً حراً، معيماً لجوء هذا الإنسان الحر إلى احتلال غيره من الشعوب الضعيفة، داعياً هذا الإنسان الفرنسي إلى تطبيق مبادئ الثورة الفرنسية (حرية - مساواة - إخاء) في كل مكان ينزل فيه، ولكنه نسي بأن الإنسان الغربي كوّن هذه المبادئ له وليس لغيره.

فرحات عباس رجل تأثر كثيراً بنشأته وطفولته بين أبناء الفقراء المحرومين، نسي فنته الاجتماعية التي ينتمي إليها، وارتبط بفئة الفلاحين، جعل ثقافته ونضاله السياسي كله من أجل تحرير هذا الإنسان المظلوم فوق أرض الجزائر سواء في فترة الاحتلال أو أثناء مرحلة الاستقلال، جعل حياته كلها من أجل الجزائر، فهو لم يكن من عبدة الأشخاص، أو من الباحثين عن المال والجاه والتقرب من السلطان، فكلمة الحق كانت سلاحه الوحيد الذي كان لا يتردد في إشهارة سواء أمام غلاة الاحتلال، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو أمام رؤساء الجزائر المستقلة (أحمد بن بلة، و هواري بومدين).

الفصل الثالث:

آراءه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين.

المبحث الأول: عودته من الخدمة العسكرية.

المبحث الثاني: رأيه في التجنيس.

المبحث الثالث: موقفه من الاحتفالات الفرنسية

بمرور مئة عام على احتلال الجزائر.

الفصل الثالث

آراؤه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين

تعتبر هذه الفترة حاسمة في بداية النضال السياسي الذي قاده فرحات عباس، كان شابا يافعا، ذكيا، طموحا، باحثا عن الحقيقة عند كبار الأدباء والفلاسفة الفرنسيين، لم تكن تهمه كثيرا دراسة الصيدلة في الجامعة بالجزائر، بقدر ما كان يهيمه الإطلاع الواسع على العلوم الإنسانية التي حركت المجتمع الفرنسي، ضد النظام الملكي الاستبدادي، القائم على الظلم، وقهر الطبقات الشعبية الفقيرة، والتي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية 1789، تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية والمساواة والإخاء، حمل مشعل " شاتو بريان "، و" اناتول فرانس"، وغيرهم الذين أناروا الطريق للفتات المحرومة من أجل الدفاع عن حقها، والوقوف أمام الطغاة الجبارة، بحث كثيرا عن هذا المشعل في الكتب الفرنسية ومحاضرات أساتذة العلوم الإنسانية في جامعة الجزائر، ووجده، وحمله بكل قوة واعتزاز، وسار به في أوساط الطلبة، وأثر فيهم فانتخبوه رئيسا لجمعيتهم، وظن أن الجماهير الشعبية المسلمة سوف تسير وراءه، فلا المشعل أضاء الليل المظلم، ولا الطريق فتح أمامه، الاحتلال وضع فيه حواجز مزيفة لا تحترم أي قانون ولا عُرْفٍ هدفهم سد الطريق بأية وسيلة أمام المسلمين، وذلك باستعمال جميع الأسلحة لضمان بقائهم كأسياء فوق أرض الجزائر، وشعب مسلم أتعبه الليل الطويل، والبطن الجائع، والمستقبل المجهول، والفكر المشوش، ولم يبق له كما يقول المثل الشعبي سوى " الأرض والسماء " الأرض التي يقف عليها برجليه ويدفن فيها فقط، والسماء لتوجيه دعواته إلى الله سبحانه وتعالى لإنقاذه مما هو فيه، بالإضافة إلى مشعل الثقافة الفرنسية، حمل معه مشعلا آخر لكنه أقل إنارة من الأول هو مشعل كمال أتاتورك، الرجل الذي قاوم الاحتلال، وألغى الخلافة الإسلامية، وأسس دولة لائكية، وبحث مع آخر ملوك غرناطة، عن وطن ضائع، ومُلْكٍ مفقود، ولكن أم فرحات عباس لم تشتم ابنها، كما شتمت عائشة أم ابن السراج (أبو عبد الله) حينما اغرورقت عيناه بالدموع عندما ألقى آخر نظرة نحو قباب الحمراء في غرناطة. (252)

لكن وطن فرحات عباس لم يضع منه، ولم يلق عليه نظرة وداع، فهو في وطن محتل وشعب مسلم مقهور، أراد فقط أن يوقظه من سباته، وأن يضع حدا لسياسة المحتل، وأن يلغي الحواجز المزيفة، ويبنى مجتمعا تسوده المحبة والأخوة والعدالة، ويعمل الكل فيه بدون استثناء من أجل سعادة الجميع.

(252) عمر الدقاق، المرجع السابق، ص : 22

لم يترك مشعل عصر الأنوار الداعي إلى المساواة، وسياسة الاندماج إلا بعد أن أحرق يديه لينتقل إلى حمل مشعل آخر خلقتة ظروف جديدة.

وقد أعطى تفسيراً لبداية نشاطه السياسي في العقد الثالث من القرن العشرين في كتابه ليل الاحتلال: " لنفهم لماذا جيلي، والذي سبقه ركضوا وراء فرنسا الجمهورية الليبرالية، ضد فرنسا المحتلة الظالمة اعتقدنا بأننا نحتاج فقط لإنارة الأولى لتضع حداً للمآسي التي خلقتها فرنسا المحتلة." (253)

أراد من فرنسا الأنوار، والجمهورية أن تضع حداً لهؤلاء المحتلين، فاعتمد عليها، ولكنه نسي بأن المحتلين هم أبناء فرنسا الديمقراطية المدللين. ويضيف: " جيلي رفض مفهوم الجنس الراقي، والجنس الوضيع، فهو خطأ مخزي، وبالمقابل التحمنا بأساتذتنا، واعتقدنا أن مهضمتنا تكون عن طريق تطوير القوانين، وأن المدرسة، والتعليم التقني العصري يخلق جزائر جديدة." (254) الأساتذة الحقيقيون الذين كانوا موجودين في الجزائر أثناء فترة الاحتلال هم المحتلون الكبار، والذين كان لهم دور كبير في تفعيل سياسة الاحتلال، فلم تكن لهم آذان يسمعون بها أنين البؤساء، ولا عقول يفكرون بها، أغوتهم قوتهم وتفوقهم التقني، على شعب فرض عليه التخلف، ويتدارك الوضع فيما بعد بقوله: " الرأسمالية والاحتلال شيء واحد مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، الأول فاعل في باريس، والآخر فاعل في الجزائر، ولا يمكننا أن نكافح ضد ذلك، دون أن مهاجم الآخر." (255)

فالقوة التي كان يعتمد عليها في فرنسا تأكد بأنها ضارة ولا تقف معه، فيضيف قائلاً: " بالعكس ما كانت اعتقده لمدة طويلة أن وجود البروليتاريا الثورية، والليبراليين بفرنسا سوف يدعم مطالبنا، لقد خيبت آمالنا." (256) عندما بدأ يدافع عن الجزائر سياسياً كان الاحتلال قد عم القطر الجزائري، وقضى على كل المقاومات المسلحة، ووضع الجزائريين كان مأساوياً، لم تكن لهم القوة للدفاع عن أنفسهم واسترداد حقوقهم، كانوا يتألمون، ويموتون تحت عبء الاحتلال. (257)

إن الآراء السياسية لفرحات عباس خلال العشرينات من القرن العشرين، نجدها واضحة في كتابه الشاب الجزائري، الذي جمع فيه مقالاته وآرائه منذ بداية كتابته في الجرائد.

(253) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :110

(254) ibid. p p : 110-111

(255) ibid. p : 111

(256) ibid.

(257) ibid.

فهي بصفة عامة تدعو للاندماج في إطار برنامج منسجم، أي إدماج الجزائريين كلهم بدون تمييز، في المجتمع الفرنسي، وبدون شروط لأن الدين الإسلامي في نظره لا يمنع أن يكون الجزائري المسلم فرنسيا، والمطلب الأساسي الذي أُلح عليه كثيرا هو فتح المدرسة لجميع الجزائريين⁽²⁵⁸⁾ دون تمييز، أي إخراج الفرد الجزائري من الجهل والتخلف، وإعطائه الوسائل الضرورية، والفعالة، لاكتساب العلوم الغربية، أي تسليح الفرد الجزائري بالعلم، وهذا ما كان يحشاه المحتلون كثيرا، ووقفوا ضد تعليم الجزائريين، لأنهم يعلمون جيدا أنه من الصعوبة استعباد شعب متعلم، ومثقف، ثم بعد فتح المدرسة وإجبارية التعليم يقترح مرحلة أخرى، وهي إخراج الفلاح المجهول، اليائس، المحروم من كل مظاهر الحياة العصرية، وجعله يعيش واقعه، بشق الطرقات، وبناء المستشفيات، والقضاء على الإقطاعيات الفلاحية الكبرى، وتقديم المساعدة المادية للفلاحين، قروض فلاحية، مساعدات تقنية في الفلاحة...⁽²⁵⁹⁾

إن تحرر الجزائريين المسلمين يساعد على بناء مجتمع مزدوج (المسلمون و الأوروبيون) منسجم، تزول فيه الأحقاد والعنصرية، وتعم فيه العدالة الاجتماعية،⁽²⁶⁰⁾ ويتطلع الجميع نحو التقدم والرفق.

كان فرحات عباس يحاول بكل الوسائل السياسية القضاء على الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخلق مجتمع جزائري واحد يجمع كل سكان الجزائر في إطار قانون واحد، هو قانون الدولة الفرنسية، وأن تجعل فرنسا ثقافتها وتقدمها في خدمة الجزائريين، بدون استثناء أو تمييز في العرق أو الدين، وبذلك تزول الأحقاد ومفهوم الاحتلال والقهر و الظلم، وهذا ما كان يرفضه المحتلون، ويخافون منه لأن وجودهم قائم على الظلم، وزواله معناه في نظرهم زوالهم.

⁽²⁵⁸⁾ الجيلالي صاري محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحية والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حرات، المؤسسة

الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 21

⁽²⁵⁹⁾ نفس المرجع.

⁽²⁶⁰⁾ Ferhat Abbas, autopsy d'une guerre, op.cit, p :12

المبحث الأول

مخوضته من الخدمة العسكرية

استغل الاحتلال الجزائر أرضا وشعبا، ووصلت به الجرأة والوقاحة إلى تجنيد الجزائريين المسلمين للدفاع عن التراب الفرنسي، لكنه لم يعمل على تحررهم من القوانين الاستثنائية والظلم، وفرحات عباس هو من أحد الجزائريين المسلمين الذين طبق عليهم قانون التجنيد الإجمالي.

سنرى في هذا المبحث موقفه من هذا التجنيد، والغاية التي كان ينتظرها منه كجزائري أخذ عنوة للجنديّة تحت العلم الفرنسي.

تحصل فرحات عباس على شهادة البكالوريا في جوان 1921، ودعا والده أعمامه وأحواله وبعض جيرانه لمشاركته في أفراحه بمناسبة نجاح ابنه، في تلك الصائفة من ذلك العام تنتهي فترة التأجيل العسكري القانونية لفرحات عباس، ويوجه له نداء للالتحاق بالخدمة العسكرية الإجمالية بعنابة، اختلط الحزن بالفرح بين أفراد العائلة، ففي خريف 1921. (261) يغادر فرحات عباس منزل والديه ببوعفرون متوجها إلى عنابة، ودعته أمه وإخوته وأحواله بالكاء، أما والده فقد ظهر هادئا، ثابتا، وربما سعيدا لأن ابنه سوف يؤدي الخدمة العسكرية الإجمالية في الجيش الفرنسي، وهذا يزيد والده القايد افتخارا، واعتزازا، أما أمه وأحواله، فنظروا إلى القايد السعيد بمنظر ضعف لأنه لم يستطع أن ينقذ ابنه من أداء الخدمة العسكرية الإجمالية، أو تعويضه.

وكان المحتلون في الجزائر ينظرون إلى الجزائريين المسلمين المجندين كـ " البهائم الجاهلة ". (262) لأنهم في نظرهم يريدون أن يكونوا متساوين مع المحتلين المجندين، ويرى فرحات عباس بأن الأهالي مسلمون وفرنسيون في نفس الوقت، لذلك يدفعون ضريبة الدم. (263) فهو يرى بأن من حق المسلمين الجزائريين الذين دفعوا كل ما يملكون للمحتلين، لذلك يجب أن يكونوا متساوين معهم في الحقوق.

كتب محرر جريدة إفريقيا اللاتينية " إن المسلمين الجزائريين ينظرون إلى الثكنة كأنها قصر، ولأول مرة ينامون على السرير، ويشبعون بطونهم، ويرتدون ثيابا نظيفة، وبالمقابل فإن الخدمة العسكرية لا تمنعهم من أداء حرفتهم بسبب قطع دراستهم. " (264)

وفي الثكنة بعنابة وجه إلى فرع التمريض، وتحصل على رتبة رقيب. (265) بينما المحتلون في نفس مستواه

(261) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 16

(262) Jean Lacouture, op.cit, p : 271

(263) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 16

(264) Jean Lacouture, op.cit, p : 271

(265) ibid. p : 268

الدراسي كانوا يحصلون على رتبة ملازم، وهنا لاحظ فرحات عباس التمييز الحقيقي بين المحتل وبين الجزائري المسلم، فالثكنة ليست كالمدرسة التي كان يحصل فيها على المرتبة الأولى في بعض الأحيان متفوقا على أبناء المحتلين، فأساتذة المدرسة ليسوا ضباطا في الجيش، وكان هدفهم نجاح طلبتهم، ولا يهمهم أصلهم.

في الحقيقة أن قانون التجنيد الإلزامي الذي طبق على فرحات عباس وأمثاله من الشباب الجزائري المسلم، طرح سنة 1908 من طرف " ميسيمي " (Messimy) مقرر ميزانية الحرب على وزير الحربية الفرنسية، حيث أشار له في رسالة وجهها له بضرورة تطبيق التجنيد الإلزامي على الجزائريين مضيفا له: " بأن الجزائر تمنحنا حاليا 17000 جنديا (متطوعا) لكنها بإمكانها أن تمنحنا 100000 جنديا." (266) والأسباب التي دفعتهم إلى طرح هذا المشروع هي الظروف التي كانت تعيشها فرنسا، وارتفاع التهديدات الألمانية لها (الجاراة العدو)، ومن جهة أخرى قلة التكاليف بالنسبة للجنود المدعويين، فالجندي الواحد المدعو يكلف الدولة الفرنسية 480 فرنكا سنويا، بينما الجندي المتطوع في فرقة الرماة يكلف الدولة 1500 فرنكا سنويا، ف: 10000 جنود رماة يساؤون 25000 جنديا مدعوا من حيث التكلفة. (267)

المحتلون (الكولون) اعتبروا ذلك إهانة لفرنسا لتجنيد الشعب المهزوم. (268) فراحت صحفهم تصف ذلك " بالقضية الخطيرة "، (269) لأن التجنيد الإلزامي حسب القانون الفرنسي، لا يطبق إلا على الفرنسيين، بينما الجزائريون فهم رعايا، حسب قانون مجلس الشيوخ عام 1865. (270)

عندما عرض مشروع التجنيد الإلزامي للجزائريين على البرلمان الفرنسي سنة 1909 وجد معارضة داخل البرلمان حيث صرح الجنرال " منجان " (Mangin) بقوله: " الظروف التي أدت إلى خلق مشروع التجنيد الإلزامي للجنود الجزائريين لتعويض الجنود الفرنسيين الذين سينقلون إلى فرنسا، يمكننا تعويضهم بالجنود السينيغاليين الذي برهنوا على إخلاصهم لنا، وهم يضمنون حماية الفرنسيين بالجزائر. " (271) ونفس الموقف بالنسبة للمحتلين المحافظين بالجزائر، وطالبوا بضرورة بقاء الدخول إلى الجيش الفرنسي بالنسبة للجزائريين عن طريق التطوع. (272)

(266) Ageron C. R , Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1061

(267) ibid.

(268) ibid. p : 1069

(269) ibid. p : 1061

(270) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930 المرجع السابق، ص: 186

(271) ibid. p : 1070

(272) ibid.

أما الجنرال " ثورسي " (Torcy) فقد عارض التجنيد الإجباري للجزائريين، معارضة شديدة متهمًا إياهم بخضوعهم لسلطة شيوخ الزوايا. (273) وبالتالي فإن هذا المشروع لا يراعي الدين الإسلامي الذي يعتنقه الجزائريون، فيفرض عليهم حمل السلاح ضد إخوانهم المسلمين. (274)

انتهت المناقشة داخل البرلمان الفرنسي بتصريح وزير الحربية " برون " (Brun) بقبوله تحضير مشروع يتعلق بالتجنيد الإجباري للجزائريين، وكانت الموافقة بالأغلبية. (275)

وجه وزير الحربية لجنة إلى الجزائر بقيادة الرائد " شاردوني " (Chardenet) سنة 1910 وقام بجولة في الجزائر أحصى خلالها 62518 شابا في سن الخدمة العسكرية. (276) في يوم 3 فيفري 1912 يوافق البرلمان الفرنسي على قانون التجنيد الإجباري للجزائريين. (277)

تدوم مدة التجنيد ثلاث سنوات مقابل 250 فرنكا، ويختارون عن طريق القرعة، وهذه المنحة تمنح بعد ثلاث سنوات من الخدمة بعد موافقة الضباط عليها. (278)

تقرير وزير الحربية وجه بطريقة غير مباشرة للحكومة العامة بالجزائر، التي وصلها يوم 24 فيفري 1912 لبداية تطبيقه بسرعة وتجنيد 2400 جزائري مباشرة، الحاكم العام " لوتو " (Lutaud) حضر منشورين للتطبيق، الأول في 2 مارس 1912، والثاني في 20 مارس 1912 وطلب من إدارته أن تسرع باستدعاء أكبر عدد من الشباب من أجل الحصول على العدد المطلوب، ونفذت إدارة الاحتلال مطالبه. (279)

في البداية يذكر " أجيرون " لم تكن هناك معارضة ربما لأن العدد المحدد في نظره كان ضعيفا. (280)

الصحافة الجزائرية كان رد فعلها متأجرا إلى شهر أفريل، طالبت بمنح الحقوق السياسية ومساواة مدة الخدمة العسكرية الإجبارية للجزائريين بالفرنسيين واليهود أي سنتين فقط، وإلغاء المنحة لأنها إهانة للجزائريين. (281)

وبدأت الاضطرابات في الجزائر كلها رافضة قانون التجنيد الإجباري، وعم العنف و الإضطرابات مع الشرطة وهروب بعض الشباب المدعو للخدمة العسكرية الإجبارية، وبداية ظهور تحدي جديد ضد الإدارة الفرنسية. (282)

(273) ibid.

(274) نفس المرجع، ص: 186

(275) ibid. p : 1071

(276) ibid.

(277) نفس المرجع ، ص : 188

(278) ibid. p : 1073

(279) ibid. p : 1074

(280) ibid.

(281) ibid.

(282) نفس المرجع، ص ص: 188-189

رد فعل الجزائريين كان بطرق متنوعة، مظاهرات في أم البواقي، عين توتة، القل، ندرومة، خنشلة... رفض مسؤولو الدوار إعطاء الاستدعاء للشباب، وانتشرت دعاية في الجزائر تقول بأن المجندين سوف ينقلون لمحاربة إخوانهم المغاربة. (283) عم الخوف في أوساط الفرنسيين، وأرسلت فرنسا فرقتين عسكريتين إلى ولاية وهران تحسبا لأي خطر، لأن المظاهرات التي ظهرت في ندرومة كانت قوية. (284) وبعض الشباب ذهب إلى طنجة طالبا الحماية الألمانية، فارا من التجنيد الإجباري، وتوجهت بعثة دبلوماسية إلى باريس بقيادة ابن رحال يوم 8 جوان 1912 طالب بإلغاء قانون التجنيد الإجباري، أو إعطاء الرخصة للجزائريين بالمهجرة إلى دار الإسلام. (285)

وقبله بعث الجزائريون عريضة إلى المجلس الوطني الفرنسي في ماي 1912 تضمنت المطالب التالية:"

- 1- أن الجزائريين، بالمقارنة إلى الفرنسيين، كانوا يعيشون تحت إجراءات تمييزية، مثل قانون الأهالي، وقانون الغابات، والضرائب الخاصة، وقانون الجرائم الجماعية، وفقدان التمثيل النيابي.
 - 2- أن هذه الإجراءات قد تجعلهم يشعرون بأنهم ((ناقصون)) .
 - 3- أنه لا مبرر لاستمرار هذه الإجراءات.
 - 4- أن على الحكومة الفرنسية أن تمنح الجزائريين كامل الحقوق السياسية كمواطنين، ولكن بدون أن تطالبهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية.
 - 5- عندما تتحقق هذه الشروط، يكون الجزائريون مستعدين لدفع ((ضريبة الدم)). " (286)
- وحتى الموالبون لفرنسا أو ما يسمون " بنو وي-وي " في الوفود المالية وقفوا معارضين للتجنيد الإجباري، وطالبوا بإلغائه. (287) أو تعديله إلى سنتين بدل ثلاثة وإعفاء الطلبة، وقد أشار أيت مهدي في تدخله بتأكيد على رفض زملائه لقانون التجنيد الإجباري، وفي حالة تطبيقه يجب أن تلغى المنحة والمساومات. (288)
- لم تستجب فرنسا لمعارضتي قانون التجنيد الإجباري سواء كانوا من الجزائريين المسلمين أو من الفرنسيين داخل البرلمان الفرنسي أو من المحتلين، فلم تؤثر في سياستها لا المظاهرات، ولا هروب الشباب من التجنيد الإجباري ولا العرائض، فبعد ثمانية أشهر من صدور هذا القانون، أصدرت في 19 سبتمبر 1912 قرارا وعدت فيه بمعاملة المجندين معاملة حسنة في المستقبل، وقد نص على:

(283) ibid.

(284) نفس المرجع، ص: 189

(285) ibid. p : 1075

(286) نفس المرجع ص ص: 190-191

(287) نفس المرجع، ص: 191

(288) ibid

أولاً: لن يخضعوا لقانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية.
ثانياً: فإذا ارتكبوا جرائم، فسوف يحاكمون أمام محاكم القانون العام (بدلاً من المحاكم الرادعة).
ثالثاً: بناء على طلبهم، قد يؤذن لهم، بعد التسريح من الخدمة العسكرية، أن يشاركوا في انتخابات المجالس البلدية.
رابعاً: بعد أن ينهوا ثلاث سنوات في الخدمة العسكرية ستكون لهم فرصة الوظيفة. " (289)

أدى فرحات عباس الخدمة العسكرية الإلزامية لمدة ثلاث سنوات كبقية أبناء الطبقة الفقيرة في الجزائر، ويعاني فيها الظلم والتمييز، وينقل من عنابة إلى قسنطينة، ثم إلى جيجل، ليسرح بعدها في خريف 1923. (290)

فوالده لم يعوضه بأحد أبناء الفقراء ليؤدي الخدمة العسكرية الإلزامية بدله، لأن قرار 3 فيفري 1912 سمح بتعويض الأشخاص المدعويين للخدمة العسكرية. (291) وذلك من طرف الشخص المدعو أو أهله، حيث كان أبناء الأغنياء يعوضونهم بأبناء الفقراء مقابل نصيب زهيد من المال، هل كان والد فرحات عباس يفتقر المال لتعويض ابنه؟ أم كان يريد تقديم الولاء للإدارة الفرنسية، أمه كانت رافضة لأداء ابنها للخدمة العسكرية، ووالده كان مصراً على أن يؤديها ابنه.

عاد الشاب فرحات عباس من الخدمة العسكرية بعد أن تلقى درسا تطبيقيا في الميدان، حيث لاحظ التمييز المفوض، وغير المنطقي بين أبناء المحتلين، وأبناء الجزائريين داخل الثكنة. لم يجد داخلها سوى أبناء الفقراء من الجزائريين، لأن الاحتلال قدم خدمة غير مباشرة لأصحاب الأموال من الجزائريين لتعويض أبنائهم بالفقراء، وهذه السياسة غير العادلة بين الجزائريين أنفسهم، هدفها زرع بذور الكراهية بين الفقراء والأغنياء (الحقد الطبقي) من أجل بقاء سيطرته، ومنع أي تمرد أو ثورة ضدهم، معظم الزوايا تابعة وعميلة له، الأغنياء لهم الإمتيازات، والفقراء لهم القهر والاستغلال.

أثناء نقله إلى ثكنة قسنطينة في شهر نوفمبر 1922 يكتب مقالا بعنوان "الخدمة العسكرية للأهالي الجزائريين" نشره في كتابه الشاب الجزائري. (292) يرد فيه على جريدة إفريقيا اللاتينية التي نشرت مقالات حول الخدمة العسكرية للأهالي والتي تدافع عن التمييز بين الأهالي والمحتلين أثناء أداء الخدمة العسكرية كتبها مساعد "لويس برتراند" (Louis Bertrand) متحاملا كذلك على منتخبي الأهالي الذين وقفوا إلى جانب الشعب التركي وانتصاره على الإمبريالية الغربية ومنها الفرنسية، ومطالبتهم بالمساواة مع المحتلين، مستشهدين بما قدموه من

(289) نفس المرجع، ص: 197

(290) Jean Lacouture, op.cit, p : 266

(291) Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op. cit, p : 1073

(292) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 35

2.509 تضحيات لفرنسا من خلال المجندين الذين دافعوا عنها أثناء الحرب الكونية الأولى، فتذكر مجلة إفريقيا اللاتينية إحصائية المجندين لولاية الجزائر سنة 1914 عدد المختلين بها 288772 محتلا وعدد المسلمين الجزائريين 1392770 نسمة قتل من المختلين 7247، ومن الجزائريين المسلمين 9160 قتيلا، فنسبة القتلى من المختلين 2.509% ومن الجزائريين المسلمين 0.657% قتيلا فعدد القتلى من المختلين 4 مرات أكبر من عدد المسلمين الجزائريين. (293)

يقول فرحات عباس: " أن هذه الأرقام من خلال النظرة الأولى لها تظهر أنها صحيحة، ولكن الأرقام لا تدل دائما على الحقيقة، المشكلة ليست في هذه الأرقام ولكن في التاريخ نفسه، تبدأ من سنة 1830 ونهاية آخر مقاومة بالصحراء الجزائرية سنة 1912 إلى هذا التاريخ بقينا العنصر المنهزم الضعيف والذي تعرض إلى وحشية الاحتلال. " (294)

أما " أوكتاف " فيذكر بأن الجزائر منحت لفرنسا أثناء الحرب الكونية الأولى 115000 جنديا من المختلين الفرنسيين و157000 جنديا من الجزائريين المسلمين، فالنسبة من المختلين تقريبا 5/1، ومن الجزائريين المسلمين تمثل تقريبا 30/1 والخسائر كانت متقاربة، 18000 من الفرنسيين المختلين، و 19000 من الجزائريين المسلمين. (295)

ونفس الشيء يركز عليه " أجيرون "، نسبة المجندين من الجزائريين المسلمين 3.6% تقريبا من مجموع السكان الجزائريين المسلمين. (296) ونسبة المجندين الأوروبيين المختلين 30% من مجموعهم. (297) لكن فرحات عباس يذكر أن عدد القتلى من الجزائريين المسلمين الذين دافعوا عن التراب الفرنسي يفوق العدد الذي ذكره المؤرخون الفرنسيون حيث بلغ 80000 قتيلا. (298)

فالمختلون ومؤرخوهم يخفون الحقيقة، لأنها تفضحهم، دائما يحتقرون أعمال الجزائريين المسلمين، ولا تمهم عدد الذين قتلوا في الحرب الكونية الأولى، وينظرون إلى الشعب الجزائري المنهزم في نظرهم، والذي بقي على قيد الحياة، فهذه الحياة هي بفضلهم، ويجب أن تكون في خدمتهم، وبالتالي إذا مات الجزائري المسلم دفاعا عن التراب الفرنسي فإن ذلك واجبه الذي يجب أن يؤديه بكل إخلاص وبدون أن يطالب بأي حق، لأن حقه قد تحصل عليه وهو بقاءه حيا يرزق، يعظمون موتاهم ويستصغرون موتانا، ذلك هو الاحتلال زور وتضليل وظلم. تذكر مجلة إفريقيا اللاتينية تفاصيل موتى الجزائريين البالغ عددهم حسبها 9160 قتيلا جزائريا مسلما منهم:

(293) ibid. p p : 36-37

(294) ibid. p : 37

(295) Octave Depont, L'Algérie du centenaire, ed, Cadoret, France, 1928, p :19

(296) Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1165

(297) ibid. p : 1166

(298) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :38

7423 قتيلا كانوا فلاحين، و 644 قتيلا عمالا بسطاء و 708 قتيلا متطوعون في الجيش الفرنسي، و 21 قتيلا مثقفا. (299) يضيف فرحات عباس قائلاً: "يعيبون علينا أننا المدعوون للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات تتلقى أجرا عليها، 250 فرنكا، نحن نرفض هذه المنحة ونطالب بتخفيض المدة العسكرية إلى 18 أشهر مثل الفرنسيين." (300) يلاحظ التمييز الحقيقي بين المحتل و الجزائري المسلم برغم من أدائهما نفس العمل داخل الثكنة، عاش الحدث بكل حواسه لأنه طبق عليه وسخر منه؛ لأن المدعويين للخدمة العسكرية يطالبون بتخفيضها إلى 18 شهرا مثل الفرنسيين، فاحتلون يطالبون بتنظيف الجنود المسلمين، وتدريبهم فإنهم يحتاجون إلى سبع سنوات وليس ثلاث سنوات، 999 % فهم " وحوش أمية "، (301) لقد دافع الجنود الجزائريون عن العلم الفرنسي وماتوا من أجل فرنسا، ومع ذلك يوصفون بالوحوش، غريب منطق الاحتلال، أحد أقطاب الشباب الجزائري الدكتور بن تامي يعارض تماما هذا المنطق المقلوب معتبرا الجزائري مثل الفرنسي يجب الحرية والعدل والمساواة في الخدمة العسكرية وليس أقل شأنًا من الفرنسي. (302)

أما فرحات عباس فيقول: "إن الجزائريين لا يحتاجون إلى سبع سنوات من الخدمة العسكرية لتهدئتهم، إنما يحتاجون إلى سبع سنوات في المدرسة وذلك هو العدل." (303) فالاحتلال يكشف عن عيوبه بكل وقاحة ويفتخر بها، مدعيا أنه جاء إلى الجزائر لتحضير المتوحشين.

فمن مجموع عدد القتلى من الجزائريين في الحرب الكونية الأولى، لا يعرف القراءة و الكتابة إلا 21 فقط والباقي أميون لا يعرفون إلى أين هم ذاهبون، وعلى من يدافعون، ولماذا يموتون؟ لم يسمعوا لا بفرنسا ولا بألمانيا أخذوا من أكواخهم، وماتوا من أجل فرنسا. (304) ثم يترحم على هؤلاء زملائه من الجنود الذين سقطوا موتى دفاعا عن فرنسا خلال الحرب الكونية الأولى 1914-1918 بقوله: "ناموا أيها الإخوة العظماء في قبوركم المنسية، لا أم تأتي لتبكي عليكم، قلوبكم لم تنبض إلا من أجل سعادة عائلاتكم، وأنتم لا تعلمون لماذا ذهبتم إلى الموت." (305) حتى إصلاحات 4 فيفري 1919 فيما يخص الجزائريين المسلمين كانت استهزاء واستخفافا بالمجهودات والتضحيات التي قدمها الجنود الجزائريون المسلمون لفرنسا، ورفضها الشباب الجزائري، واعتبروا الحرب مستمرة فقد كتب الصادق دندن يوم 19 أفريل 1919 في جريدة الإقدام (l'Ikdam) منتقدا قانون جونار (Jonnart)

(299) ibid. p : 39

(300) ibid. p p : 39-40

(301) ibid. p : 43

(302) Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1212

(303) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 44

(304) ibid. p : 39

(305) ibid.

ما يلي: " ما عدا انتخابات رؤساء البلديات، فهو برنامج ما قبل الحرب للسيد " لوتو " (Lutaud). " (306)

ففي سنة 1922 خفضت مدة الخدمة العسكرية للفرنسيين المحتلين، لكنها لم تخفض للجزائريين المجندين منذ 1912، و يتساءل فرحات عباس بقوله: " لماذا أنا تحت العلم ؟ لماذا أتطوع ؟ هل أنا مرتزق ؟ لا، استدعيت للخدمة العسكرية لأنني فرنسي، لا غير. الأهلي في الروهر فرنسي تابع لفرنسا أحببت أم كرهت جماعة إفريقيا اللاتينية، إننا مسلمون، إننا فرنسيون، إننا أهالي وفرنسيون، يوجد في الجزائر أوروبيون و أهالي، ولكن لا يوجد إلا الفرنسيون في الجزائر، لأن أرض الجزائر فرنسية. " (307) الجزائر لا يوجد فيها إلا الفرنسيون المحتلون، أما الجزائريون المسلمون فلا وجود لهم، و لا اعتبار لتضحياتهم في سبيل فرنسا، سواء ماتوا من أجلها، أو قُتلوا من طرفها، أو سُخروا لخدمتها، الاحتلال مبني على قاعدة أساسية تتمثل في الظلم و القهر، أو بالأحرى لا يبني إلا بتلطيح يديه بالدم، هذا هو الاحتلال في كل زمان ومكان، قاعدته ثابتة لا تتغير سواء تقربت منه، أو خدمته بإخلاص أو أثبتت عليه أو غيرت دينك و جلدك، أو تنكرت لأصلك، فهو لا يغير شيئا من طبائعه.

فرحات عباس يرضى عن إكراه بثلاث سنوات خدمة عسكرية ولكنه يقول: " نعمل ثلاث سنوات من الخدمة العسكرية، للأسف سنتحرر لنكون من الممكن فيما بعد جنودا للسلام. " (308)

بالرغم ما في الخدمة العسكرية الإجبارية من مساوئ وظلم للجزائريين المسلمين، إلا أنها مكنتهم من تدريب عسكري عصري، أثبتوا أثناء مشاركتهم الإجبارية في الحروب التي خاضتها فرنسا، بأنهم لا يقلون شأنًا وقدرة عن بقية الأوروبيين المتحضرين، فتخلف الإنسان الجزائري أثناء فترة الاحتلال كان عملية مقصودة من أجل استغلاله، والسيطرة عليه، وهذا ما كان يرفضه فرحات عباس ووقف ضده منذ بداية نضاله السياسي، حيث طالب بإعطاء الفرص للجزائريين المسلمين مثل ما هي للمحتلين.

(306) Ageron C. R, Les Algériens Musulmans et la France, op.cit, p :1210

(307) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :45

(308) ibid.

المبحث الثاني

رأيه في التجنس

قضية تجنس الجزائريين المسلمين أثارَت ضجة كبرى في أوساط النخبة الجزائرية، والعلماء المسلمين الجزائريين، وحتى في أوساط المحتلين الذين رفضوا بكل قوة تجنس الجزائريين، قبلوا بأرض الجزائر أن تكون فرنسية، ورفضوا أن يكون الإنسان الجزائري المسلم فرنسيا.

أمام هذا التناقض، وقف فرحات عباس إلى جانب إلحاق الإنسان الجزائري بفرنسا مباشرة كما ألحقت أرض الجزائر بها، اختار في بداية نضاله السياسي طريقا رفضه الجزائريون المسلمون في أغليتهم، وكذلك المحتلون، هل كان فرحات عباس يريد من ذلك إثبات سوء نية المحتلين (وهي كذلك) تجاه الجزائريين المسلمين؟ وإلغاء القوانين الاستثنائية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومعها يزول مفهوم الاحتلال؟ هذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المبحث.

أصدرت فرنسا في 22 جويلية 1834 قرارا اعترفت فيه باحتلالها للجزائر رسميا، وأعلنت بأن الجزائر (أرض فرنسية) وقسمتها إلى ثلاث ولايات تخضع مباشرة للحاكم العام، وجاء الدستور الفرنسي لسنة 1848 وأكد بأن الجزائر أرض فرنسية.⁽³⁰⁹⁾ وعملت فرنسا بجميع وسائلها الإجرامية للقضاء على أية مقاومة جزائرية، وشجعت الهجرة من فرنسا والدول الأوروبية الأخرى إلى الجزائر، من أجل إتمام عملية الاستيطان، والقضاء على العنصر الجزائري، متبعة في ذلك نفس الأسلوب الذي اتبعه الأوروبي الأبيض في القارة الأمريكية ضد السكان الأصليين.

وكانت كل الأنظمة السياسية والعسكرية منذ احتلالها للجزائر وسقوط حكومة الداى حسين يوم 5 جويلية 1830 إلى قيام الجمهورية الثالثة 1848-1852، والإمبراطورية الثانية 1852-1870، والجمهورية الثالثة 1871-1940 متفقة كلها في الهدف ومطبعة لما جاء في دستور 1848، مع اختلاف في بعض الأساليب، هدفها فرض الاحتلال بالقوة، وقهر الشعب الجزائري المسلم.⁽³¹⁰⁾ وهذا ما كان متفقا عليه طوال مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر. أراد نابليون الثالث أن يؤسس " الأمة العربية ".⁽³¹¹⁾ وذلك منذ بداية 1860 إلى جويلية 1865، فقد راسل الحاكم العام بالجزائر " ماكهون " (Mac-mahon)⁽³¹²⁾ موضحا له في مراسلته، السياسة التي يريد تطبيقها

⁽³⁰⁹⁾ نفس المرجع، ص: 18-19

⁽³¹⁰⁾ نفس المرجع، ص: 17

⁽³¹¹⁾ Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op. cit, p :68

⁽³¹²⁾ ibid.

في الجزائر وهي: "الجزائر مملكة عربية- مستعمرة أوروبية- معسكر فرنسي" (313) كلام غير واضح وغامض، حيث يوضح "أجيرون"، أن حلم نابليون هو تأسيس "مملكة عربية" (314) في المشرق العربي يكون الأمير عبد القادر ملكا عليها، وذلك بعد حصوله على وسام الصليب الأكبر الذي منحه له فرنسا سنة 1860، فأراد نابليون الثالث أن يؤسس مملكة عربية في المشرق العربي ويربط بها الجزائر، وتكون كلها تحت حكم الأمير عبد القادر. (315)

في رسالة أخرى بعثها نابليون الثالث إلى الحاكم العام بالجزائر "بيليسي" يوم 6 فيفري 1863 طلب منه توقيف مصادرة أراضي الجزائريين المسلمين، وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين، وطلب منه أن يعلم العرب في الجزائر بأن الإمبراطور نابليون الثالث هو ملك العرب كما هو ملك الفرنسيين. (316) الإمبراطور يحلم أن يكون ملكا على الأمة العربية كلها بمساعدة الأمير عبد القادر في المشرق العربي، وهذا بدون شك يهدف إلى تكوين إمبراطورية فرنسية كبيرة، منافسة للإمبراطورية الإنجليزية، وقطع الطريق على بريطانيا في المشرق العربي، فوجد أمه في الأمير عبد القادر عسى أن يساعده في تأسيس المملكة العربية.

ولكي يؤكد الإمبراطور حسن نيته، أصدر قرارا عُرف بسيناتوس-كونسولت عام 1863 منع فيه مصادرة أراضي الجزائريين المسلمين، واعترف لهم بحق ملكيتهم. (317)

لم يكن يثق في التقارير التي يرسلها له مرؤوسيه من الجزائر فأراد أن يعرف الجزائر عن حقيقتها، وهذا يتطلب منه رؤية الأشياء كما هي، لا كما يصفها له الآخرون.

فقرر أن ينتقل شخصيا إلى الجزائر، وقيم فيها لمدة 36 يوما (من 3 ماي إلى 7 جوان 1865) (318) يزورها للمرة الثانية، استقبله المحتلون ببرودة، لأنهم كانوا يعلمون غرضه، وهو مساواتهم بالعرب، وهم لا يريدون إلا أن يكونوا أسيادا في الجزائر، والعرب الجزائريون المسلمون عبيدا لهم، لأن المحتلين كانوا يعتبرون أنفسهم هم الملاك الشرعيون، والسادة الحقيقيون للجزائر. (319) محتلون متكبرون و متجبرون أفقهم ضيق، يفكرون ببطونهم لا بعقولهم، يدعون أنهم يعرفون تاريخ الجزائر جيدا، وبأن أرضها ملك للغالب، والمغلوب فيها عبد لسيده، ونسوا أنفسهم ما هم إلا كالرومانيين والونداليين والبيزنطيين الذين مروا على هذه الأرض، فهم رحلوا، ولم يبق فيها إلا

(313) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre, op.cit, p :35

(314) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit,p :68

(315) ibid.

(316) ibid.

(317) نفس المرجع، ص : 22

(318) ibid. p :69

(319) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :119

أصحابها الشرعيون، لو استقرأوا التاريخ والآثار لغيروا نظريتهم، ولكن أعماهم الطمع، وسخرت منهم أسلحتهم، فنفختهم أكثر من حقيقتهم.

وجه نابليون الثالث في يوم 5 ماي 1865 بعد إقامته يومين في الجزائر نداء إلى العرب يطمئنهم على ملكيتهم، ويشرح لهم حسن نيته تجاههم بقوله: "أيها العرب إنكم تعرفون قصدي، إنني أضمن لكم بقاء أرضكم التي هي ملك لكم بين أيديكم، كرمت مسؤوليتكم، واحترمت دينكم، وأريد الآن أن أحسن وضعيتكم بمشاركتكم في حكم بلدكم." (320)

لاحظ نابليون الثالث الفروق الكبيرة الموجودة بين المحتلين، والجزائريين المسلمين، فتأثر بتلك الوضعية ورفضها، وكتب إلى الحاكم العام "راندون" (Randon) يوم 6 ماي 1856 (أي بعد ثلاثة أيام من إقامته في الجزائر)، "إن دفع الضرائب العينية يجب أن يكون مقابلا لما يساويها من نقود، اليوم الهكتوغرام من القمح يساوي 18 فرنكا، ولكنه يحسب لهم بـ 22 فرنكا، يجب أن تكون الضرائب عادلة." (321)

ولما رجع إلى باريس يوم 7 جوان 1865 حرر رسالة تحتوي على 88 صفحة أرسلها إلى الماريشال "ماكماهون" هذه الرسالة بعنوان: "رسالة حول السياسة الفرنسية في الجزائر، موجهة من الإمبراطور إلى الماريشال ماكماهون" (322) هذه المراسلة تناولت المشاكل التي يتخبط فيها الجزائريون المسلمون، وجزء منها مأخوذ من رسالة كتبها قبله العقيد "لاباسي" (Lapasset)، وإسماعيل عربان، الذي اتصل بنابليون الثالث بباريس عدة مرات، الرسالة لم تنشر للرأي العام، ولكن صحافة المحتلين زرعت الرعب في نفوس الأوروبيين المحتلين من جراء مشاريع نابليون الثالث، وفسرت وجود الأمير عبد القادر، تفسيراً خاطئاً على اعتبار أنه سوف يعين نائب الملك، أو نائب الحاكم العام، الجنرال "ديفو" (Desvaux) عارض مشاريع الإصلاحات ورفض إقامة أرستقراطية أهلية وقدم استقالته. (323) وعارض كثير من المحتلين مشاريع نابليون الثالث لأنهم لا يريدون من الجزائريين إلا أن يكونوا عبيداً لهم، وهم سادتهم.

في 14 جويلية 1865 أي بعد حوالي شهر من عودة نابليون الثالث من الجزائر، يصدر قانون سناتوس-كونسولت (Sénatus-consulte) نص هذا القانون على أن الجزائريين رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية، ويمكن استدعاؤهم للوظائف الإدارية بناء على طلباتهم، ويمكنهم كذلك الحصول على الجنسية الفرنسية، ولكن بشرط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية (وذلك فيما يخص تعدد الزوجات

(320) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p :68

(321) ibid. p p: 68 - 69

(322) ibid. p: 69

(323) ibid

والطلاق والميراث) ويكون هذا بناء على طلبهم، وفي هذه الحالة سوف يتمتعون بكامل الحقوق السياسية التي يتمتع بها الفرنسيون. (324) ويصف فرحات عباس هذا القانون بقوله: "إن سياسة الاندماج التي حددها قانون سناتوس-كونسولت سنة 1865، ولدت ميتة." (325)

وهذا القانون كان خطيرا وأقلق المعنيين بالتجنس، وطلبات التجنس كانت ضعيفة في البداية وجاءت من بعض الجنود القدامى، ومساعدى المكاتب العربية. (326)

جدول رقم 1: يمثل طلبات التجنس من 1865 إلى 01 أكتوبر 1916 (327)

| عدد الطلبات | | | السنوات | عدد الطلبات | | | السنوات |
|--|----------|---------|---------|-------------|----------|---------|---------|
| المرفوضة | المقبولة | المقدمة | | المرفوضة | المقبولة | المقدمة | |
| 05 | 16 | 21 | 1891 | 00 | 00 | 00 | 1865 |
| 06 | 46 | 52 | 1892 | 06 | 14 | 20 | 1866 |
| 06 | 37 | 43 | 1893 | 00 | 36 | 36 | 1867 |
| 03 | 48 | 51 | 1894 | 9 | 30 | 39 | 1868 |
| 03 | 31 | 34 | 1895 | 16 | 26 | 42 | 1869 |
| 09 | 42 | 51 | 1896 | 37 | 20 | 57 | 1870 |
| 04 | 75 | 79 | 1897 | 00 | 00 | 00 | 1871 |
| 08 | 32 | 40 | 1898 | 03 | 35 | 38 | 1872 |
| 10 | 21 | 31 | 1899 | 03 | 52 | 55 | 1873 |
| 31 | 20 | 51 | 1900 | 01 | 36 | 37 | 1874 |
| 20 | 13 | 33 | 1901 | 13 | 124 | 137 | 1875 |
| 17 | 30 | 47 | 1902 | 02 | 17 | 19 | 1876 |
| 23 | 38 | 61 | 1903 | 01 | 17 | 18 | 1877 |
| 18 | 39 | 57 | 1904 | 16 | 23 | 39 | 1878 |
| 18 | 33 | 51 | 1905 | 00 | 30 | 30 | 1879 |
| 22 | 41 | 63 | 1906 | 02 | 18 | 20 | 1880 |
| 26 | 39 | 65 | 1907 | 00 | 30 | 30 | 1881 |
| 08 | 47 | 55 | 1908 | 00 | 26 | 26 | 1882 |
| 20 | 20 | 40 | 1909 | 00 | 33 | 33 | 1883 |
| 21 | 49 | 70 | 1910 | 03 | 47 | 50 | 1884 |
| 27 | 36 | 63 | 1911 | 01 | 55 | 56 | 1885 |
| 13 | 50 | 63 | 1912 | 03 | 23 | 26 | 1886 |
| 23 | 54 | 77 | 1913 | 02 | 13 | 15 | 1887 |
| 15 | 42 | 57 | 1914 | 00 | 27 | 27 | 1888 |
| 02 | 23 | 25 | 1915 | 02 | 25 | 27 | 1889 |
| 00 | 20 | 20 | 1916 | 04 | 26 | 30 | 1890 |
| المجموع : المقدمة: 2207 – المقبولة: 1725 – المرفوضة: 482 | | | | | | | |

(324) ibid. p : 70

(325) Mémoire remis le 31mars1943 à M. Le gouverneur général par M.. Abbas Ferhat, Bendjelloul, Benkhellaf docteur Tamzali, Saiah Abdelkader et Zerrouk Mahieddine, ed, imprimerie officielle Alger, 1946, p :18

(326) الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 232

(327) Mahfoud Kaddache, histoire du nationalisme Algérien T 2, p :887

ومعظم الجزائريين اعتبروا هذا القانون إهانة لهم ولدينهم الإسلامي، وكانت معدلات طلبات التجنس السنوية ضعيفة فلم تتجاوز 30 طلبا مقبولا في السنة من 1865 إلى 1900. (328)

طلبات التجنس ضعيفة ففي سنة 1884 يقترح "جون جوريس" بربط الجزائر نهائيا بفرنسا، ولن يكون ذلك حسب نظره إلا بغزو أخلاقي واندماجي للعرب والقبائل، وذلك بنشر اللغة الفرنسية، وإدماجهم كلهم بفرنسا حتى تبقى الجزائر تابعة للأبد لفرنسا. (329) ويضيف قائلا: "الإمبراطورية ضيقت مقاطعتين، والجمهورية منحتنا مستعمرتين." (330) ويستشهد فرحات عباس بـ "ألمنة" المقاطعتين الفرنسيتين "الألزاس و اللورين" لأن ألمانيا بثقافتها قامت بغزو روح الأزاسيين واللوريين عن طريق المدرسة ولغتها، وذلك إتماما لغزو الأرض، وبالتالي تمكنت من ضم الأرض والإنسان إليها، وأصبحت جزءا من إمبراطوريتها بدون تمييز بين جميع سكانها الذين تعتبرهم كلهم ألمانين لهم نفس الحقوق والواجبات (331)

رفض فرحات عباس التجنس الفردي و الفئوي، وإنما طالب بالتجنس الجماعي بدون شروط، لأنه يعتبر نفسه جزءا من الفلاحين الفقراء الذين نشأ وترى معهم، ولا يستطيع أن يتخلى عنهم ويتركهم في محتهم وعذابهم. (332) بالرغم من حصوله على تعليم جامعي و ابن قايد، حيث يقول: "إنني أتتمي إلى طبقة فلاحية، وأن منصب والدي وإخوتي كان عرضيا، عشت وتربيت في أوساط الفلاحين الجبليين... قضيت طفولتي في وسط هؤلاء البسطاء، أقوياء وكرماء، فمن الصعوبة أن أتخلى عنهم." (333) قضى الخدمة العسكرية الإلزامية مثلهم، كان في طفولته يلعب معهم ويذهب إلى المدرسة القرآنية حافي القدمين، أحب أبناء حيله وأحبوه، لم يغلق باب داره أبدا في وجوههم إلى أن توفي. كان يعمل على وضع حد للمحتلين المسيطرين على كل ثروات البلاد بمساعدة بعض الإقطاعيين المسلمين، (334) الذين باعوا ضمائرهم بأجنس الأثمان، وتركوا شعبهم يئن تحت ضغط الفقر والجوع.

فرحات عباس اهتمته الأحزاب المتطرفة في بداية نضاله السياسي بالاندماجية، لكنه فضل المواطنة في إطار المحافظة على الأحوال الشخصية للمسلمين الجزائريين، ورفض التجنس الفردي، ذلك هو اتجاهه وفلسفته الاجتماعية الراضية للفردانية، التجنس الفردي مرفوض لديه، حيث يقول: "إننا جزائريون ننتمي إلى عائلة، وهي تنتمي إلى

(328) Octave Depont : op.cit, p :173

(329) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, pp : 152-153

(330) ibid. p: 153

(331) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco- musulmane, N° 33, du 12 août 1937

(332) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :107

(333) ibid. p : 108

(334) نفس المرجع، ص: 77

مجتمع، التجنس الفردي مرفوض، يجب أن يطبق القانون على الجميع." (335)

لقد أوضح موقفه جيدا من التجنس في كتابه الشاب الجزائري، بجمع المقالات التي كتبها في أسبوعية الدكتور ابن التامي " التقدم " المتمثل في:

" أولا: الاحترام المطلق للدين الإسلامي، واللغة العربية، والحضارة الإسلامية. فالإسلام عندنا له أربعة عشر قرنا من الوجود فوق أرضنا، وأعطانا حقوقنا، ومحاوله القضاء عليه هي مضيعة للوقت وسوف يبقى أمام كل محاولات تهديمه. ثانيا: التخلي كليا عن أسطورة التفوق الجنسي فأحيانا نجد الذكاء في قديمي " ياوولاد " أحسن مما هو موجود في مخ أوروبي.

ثالثا: سياسة المساواة في الحقوق هي وحدها القادرة على فتح أبواب المستقبل المشترك، بقاء فكرة المنتصر و المنهزم تؤدي إلى الطلاق، وإلى الكارثة.

رابعا: الشباب الجزائري يجب أن يكون الخميرة التي تغير المجتمع المسلم، القدم من جهة، إلى مجتمع متطور مسلح بالتقنيات لمنافسة المجتمع الأوروبي.

خامسا: لنأخذ مثلا بالمجتمع الياباني الذي قبل بالمدرسة الأوروبية، بدون أن يتخلى عن حضارته وعاداته، وهذا ما يجب فعله، قبول الحضارة الغربية الحاضرة مع المحافظة على الماضي. " (336)

إن ترك العادات والتقاليد الإسلامية سوف تفصل الشعب الجزائري المسلم عن ماضيه، الشريعة الإسلامية هي الوطن الحقيقي للجزائر. (337) فقانون التجنس لسنة 1865 أو 1919 كان يفرض على الجزائريين التخلي عن أحوالهم الشخصية، بهدف قلعهم من جذورهم. باستثناء قانون 1947.

إن الذين طلبوا التجنس من الجزائريين كان عددهم قليلا يتمثل في بعض الأساتذة، والمدرسين، والضباط. (338)

هؤلاء الأشخاص الذين ألحوا على التجنس كانت نظرهم ضيقة، واعتبروا أنفسهم فوق أفراد مجتمعهم وطلبهم للتجنس كان لأسباب شخصية محضة، وذلك من أجل ترقيةهم. (339) فلم تكن تهمهم سوى مصلحتهم، فهم أنانيون ونفوسهم ضعيفة.

(335) Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p p :92-93

(336) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :121

(337) Guy Pervillé, op.cit, p : 231

(338) Maurice Viollette, l'Algérie vivra-t-elle, ed, libraire Félix Alcan, Paris, 1931, p :426

(339) ibid.

ويدعو الشريف بن حبيلس الفئة المثقفة إلى أخذ الجنسية الفرنسية بقوله: " هذه البرجوازية المحافظة المتجمدة البالية طبقة " العمام القديمة " كما تسميها النخبة والتي تشكل تناقضا حيا لها، على كل حال ماذا ننتظر من كلمة " النخبة "، إنها زبدة من الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية، وهم فوق العامة، ومكانهم بين المتحضرين. " (340) أي بين الفرنسيين وليس بين أفراد أمتهم.

فرحات عباس لا يحتاج الجنسية الفرنسية كفرد منفصل عن مجتمعه، عن مجتمع الفقراء الفلاحين الذين تربى في وسطهم، فهو يطالب بقوة إدخال 06 ملايين نسمة من الجزائريين المسلمين، كلهم وبدون استثناء، في المواطنة الفرنسية، وإنقاذهم من تصرفات المحتلين الظالمة والسيئة، فالعدالة يجب أن تكون للجميع وهي المطلب الأساسي لفرحات عباس ولسياسة المسلمين، حتى تكون الجزائر كلها بقلبها مع فرنسا. (341) فهو يتفق مع الأمير خالد الذي طالب قبله بإلغاء القوانين الاستثنائية، وتحقيق العدالة للجميع، وتمثيل الجزائريين المسلمين في المجلسين، ومنح صفة المواطنة للجميع، دون اللجوء إلى طلبها، مع احترام قانون الأحوال الشخصية. (342)

فالشريف بن حبيلس يرى عكس ذلك، التجنس لديه خاص بالنخبة، ويجب أن يكون مطلبا أساسيا لها وحدها دون فئة الفلاحين الأميين الفقراء. (343) فهو يحتقرهم ويزدرهم ويترفع عنهم معتبرا نفسه فوقهم، ويطلب بإلحاح من النخبة والتي يسميها الفئة الممتازة أن تكون القدوة والسبقة للتجنس، وأن تبعد عن تأثير " العمام القديمة " التي تعيش تحت تأثير الخرافات، وهي لن تستطيع أن تتخلى عن خرافاتها، فهي العائق الخطير الذي يمنعهم من التطور وفهم الحضارة الأوروبية والاندماج فيها.

ويستشهد بأحد غلاة المحتلين " سيرفي " (Servier) حينما يكتب ساخرا من مجتمع الفلاحين الفقير اليأس الخاضع للظلم والظلم بقوله: " إنهم أشخاص مرتبطون بعمق بالديانة الإسلامية، وهم تحت تأثير الزاوية الدينية وفكرهم نابع أساسا من المهدية. " (344) لكن المجتمع الفرنسي رفض هؤلاء المتجنسين، وكذلك المجتمع الجزائري المسلم رفضهم لأنهم تخلوا عن الشريعة الإسلامية. ويصفهم " موريس فيوليت " (Maurice Viollette) بقوله: " التجنس أصبح هجرة حقيقية، سمح للفرد بالانتقال إلى مجتمع بعد أن منحه الرخصة لذلك، ولكنه رفض استقباله جيدا. " (345)

إن المتجنسين فئة ضائعة تائهة تخلت عن جذورها بإرادتها، فاقتلعتها الرياح وأسقطت شموخها، إلى

(340) Chérif Benhabiles, l'Algérie Française vu par un indigène, édition, imprimerie orientale, Fontana frères Alger, 1914, p :107

(341) Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, op.cit, p : 102

(342) نفس المرجع، ص: 53

(343) Chérif Benhabiles, op.cit,p :112

(344) ibid. p : 125

(345) Maurice Viollette, op.cit, p : 427

الحضيض، فداسها المختلون بأرجلهم وسخروا منها وأهانوها، هو الضياع والتهيه، فمجتعهم الإسلامي رفضهم لأنهم تخلوا عنه، والمختلون سخروا وضحكوا منهم، فلا هم أصبحوا ولاية، ولا حكاما عامين على الجزائر ولا وزراء بفرنسا بالرغم من حصول بعضهم على شهادات جامعية عليا. ونلاحظ من خلال إحصائيات المتجنسين التي مرت علينا* أن عدد المتجنسين من 1865 إلى 1916 هو 1725 متجنسا، وهذا العدد ضعيف جدا، و أن عدد المتجنسين منذ صدور قانون 1865 وقانون فيفري 1919 إلى سنة 1925 وصل عددهم إلى 2482 متجنسا.⁽³⁴⁶⁾

جدول رقم: 2 يمثل عدد المتجنسين منذ صدور قانون سيناتوس - كونسولت 14 جويلية 1865 إلى سنة

1925⁽³⁴⁷⁾ (بما في ذلك قانون 4 فيفري 1919)

جدول رقم: 02

| المرحلة | عدد المتجنسين | المعدل السنوي |
|------------------|---------------|---------------|
| من 1865 إلى 1900 | 1151 | 30 |
| من 1901 إلى 1910 | 340 | 36 |
| من 1911 إلى 1918 | 350 | 44 |
| من 1919 إلى 1925 | 319 | 53 |
| المجموع | 2482 | |

عدد المتجنسين خلال 60 سنة هو 2482 متجنسا، ضعيف جدا، والنسبة هي 0.041% إذا قدرنا عدد سكان الجزائر في سنة 1925 بحوالي 6 ملايين نسمة، أما النسبة السنوية لسنة 1925 فإنها ضعيفة جدا جدا فهي 0.009% من مجموع السكان.

رفض فرحات عباس رفضا مطلقا التجنس الفردي، ولم ينضم إلى هذه الفئة القليلة الضائعة، لأن الـدين والعائلة والمجتمع الإسلامي أثروا فيه، ولم يستطع أن يتخلى عنهم.⁽³⁴⁸⁾ بقي مرتبطا بهم طوال حياته، ففي شهر مارس سنة 1959 بـ " نيودلهي " طرح عليه صحفي سؤالا غير متوقع بقوله: " سيدي الرئيس، ما الذي بإمكانكم أن تحبوا عمله خارج السياسة؟.. فرد عليه دون تردد: " فلاحة الأرض. " ⁽³⁴⁹⁾ لم يكن فرحات عباس فلاحا يوما في حياته، ولكن إجابته يقصد بها ارتباطه الوثيق بالفلاحين. المتجنسون الضائعون بين المختلين وبين

* ارجع إلى جدول رقم 1 في هذا المبحث.

⁽³⁴⁶⁾ Octave Depont, op.cit, p : 173

⁽³⁴⁷⁾ ibid.

⁽³⁴⁸⁾ ولیم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 46

⁽³⁴⁹⁾ Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :107

الجزائريين المسلمين كونوا رابطة لهم باسم: " رابطة المواطنين الفرنسيين من أصل أهلي " (350) وذلك للبحث عن مناخ يلائمهم، بخلق مجتمع مجهري يجمعهم حول أفكار مشتركة لنسيان همومهم.

يورد الشريف بن حبيلس في كتابه الجزائر الفرنسية كما يراها أهلي، معاناة أحد المدرسين من منطقة القبائل الكبرى تجنس بالجنسية الفرنسية، وتزوج بفرنسية فيقول له هذا المدرس: " لم أزر أبدا قريتي منذ تجنست، إنها وضعتني في الجهة السيئة، والذي توفي ولم أستطع رؤيته. " (351) المجتمع القبائلي رفض المتجنسين، واعتبرهم خونة، لذلك لم يستطع هذا المدرس الحضور في تشييع جنازة والده، ويعد ذلك بالنسبة للمجتمع الجزائري المسلم أكبر إهانة للفرد، ويصبح عارا عليه يلاحقه مدى حياته، حيث يصنف من المغضوب عليهم في مجتمعه.

لم يكن الشريف بن حبيلس ممثلا مريحا للشباب الجزائري المسلم، لأنه وضع نفسه فوق مجتمعه وبين أعدائه فهاجمته صحافة المسلمين، و أكبر هجوم كان خاصة من محمد شريف ساحلي الذي قال عنه وعن أمثاله المتجنسين: " رجال بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون متاجرون يهدفون من وراء ذلك خدمة مصالحهم الطبقية، هذه الطبقة البرجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والاندماج، يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكان بجانب معلمهم. " (352)

يريد فرحات عباس من فرنسا أن تطبق مبادئ ثورة 1789 في الجزائر، وأن تلغي التمييز العنصري، الذي يمارسه المحتلون على الجزائريين المسلمين. (353) فهو يكره الاحتلال، وينبذ الظلم، والطغيان، واللامساواة، حيث يقول: " أكره العنف، وأكره الظلم أكثر، وأنبذ الأقلية المسيطرة، في الجزائر الظلم هو السائد، وجذوره عميقة، فمن العيب أن نحمل المسؤولية لهؤلاء المحتلين السيئين، ونبعد الفرنسيين الآخرين، إنهما متكاملان، المحتلون هم نتيجة ثمار نظام سيئ. " (354)

لقد رفض أن يقدم طلبا للحصول على الجنسية الفرنسية، برغم أن الشروط متوفرة فيه بكاملها، أداؤه الخدمة العسكرية، حصوله على دبلوم جامعي، ابن قايد، أراد أن يبقى إلى جانب الفلاحين الفقراء، الذين لم يسمح لهم قانون 1865 وقانون 1919 بالتجنس، كان يطالب ويلح بشدة على الأخوة بين جميع سكان الجزائر،

(350) Guy Pervillé, op.cit p : 217

(351) Chérif Benhabiles, op.cit, p p : 113,114

(352) cité par Guy Pervillé, op.cit, p :213 d'après Mohamed chérif Sahli, l'Algérie accuse le calvaire du peuple Algérien, Alger, 1949, p p :56,58

(353) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :132

(354) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :109

" السلام والإخاء، هما المستقبل الذي يجمع الجزائريين المسلمين، والأوروبيين المحتلين. " (355) لا يتعدى في مطلبه السياسي هذا عن رغبة الأمير عبد القادر، فقد أورد " أجيرون " في المجلة التاريخية الفرنسية لما وراء البحر مقطعا من رسالة بعثها الأمير عبد القادر إلى الفرنسيين في ماي 1855 مما جاء فيها: " لو أن المسلمين والمسيحيين، استجابوا لي، لأوقفت الخصام بينهم، ولأصبحوا إخوة في الداخل والخارج. " (356)

لقد دعا فرحات عباس إلى أخوة بين كل الأجناس والديانات الموجودة في الجزائر⁽³⁵⁷⁾، وخاطب المحتلين بقوله: " ضعوا الثقة فيّ، ومدوا لي أيديكم. " (358)

فهو ينظر إلى قانون 4 فيفري 1919 بأنه ظالم،⁽³⁵⁹⁾ وغير عادل، لأنه منح الجنسية لمجموعة قليلة فقط من الجزائريين المسلمين، ومنعها على الأغلبية العظمى منهم، والتي تكون المجتمع الفلاحي الريفي فهي بحاجة إلى المدرسة، إلى العناية الصحية، إلى الطريق، إلى المساواة في الحقوق والواجبات.

" لكن الاحتلال قوة بلا فكر، وجسم بلا روح، جاء بالسيف في يده، وبالمدفع والخنجر استقر، وأصبحت البلاد له. " (360) واستبعد سكانها الأصليين، فالاحتلال يقوم على مبدأ احتلال الأرض، واغتصاب الحقوق، و اغتيال الإنسان، فهذه الثلاثية الجهنمية هي القاعدة الأساسية للاحتلال، وزوال إحدى عناصرها، يؤدي إلى زواله. فرحات عباس أراد أن يقضي على هذه العناصر الأساسية للاحتلال، وهي رد الحقوق لأهلها الشرعيين، عن طريق إلغاء القوانين الاستثنائية، وتطبيق مبادئ الثورة الفرنسية 1789، واحترام الدين الإسلامي، وينتج عن ذلك حسب نظره خلق مجتمع أخوي، هل كان يدرك جوهر مطلبه عن طريق الدعوة إلى الاندماج، بين مجتمعين متناقضين كل التناقض، في الفكر، في الدين، في الجنس، في اللغة، في التاريخ، في العادات والتقاليد ؟ على كل حال قد اتخذ فرحات عباس قرارا نهائيا برفض التحنس، وأن يبقى رعية من الرعايا الفرنسيين، حيث يقول: " طموحي أن أبقى رعية فرنسية، مناضلا باسم الرعايا الفرنسيين من أجل التحرر السياسي والاقتصادي لوطني، وهذه هي الحدود لطموحي وقوتي، ونظرتي السياسية. " (361) ويطالب بأن يكون قانون 4 فيفري 1919، وقانون سيناتوس - كونسولت 1865، أكثر استجابة لمطامح الجزائريين المسلمين. " قانون 1919، جعلنا أشخاصا

(355) Ferhat Abbas, le jeune Algérien ,op.cit, p :133

(356) Ageron C. R, In Revue Française d'outre mer t L XXXI , 1994 N° 303, p :186

(357) ibid.

(358) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit , p : 133

(359) ibid. p : 134

(360) ibid. p : 80

(361) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco- musulmane, N° 32, du 15 Mai 1937

غير مرغوب فيهم، نقضى وقتنا في التآمر على فرنسا... وقانون 1865 بحاجة إلى دستور جديد وإصلاحات." (362) كانت هذه المطالب في وقتها تحد لإدارة الاحتلال، أخطر من السلاح لأن الاحتلال استطاع أن يقضي على كل المقاومات المسلحة التي خاضها الشعب الجزائري، رافضا الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرضنا الطاهرة، مستعملا كل أنواع الأسلحة، ومخترقا كل قوانين الحروب، قتل جماعي، إبادة تجويع...

أما الفكر، فإن السلاح لا يقضي عليه، وإنما يزره قوة وانتشارا، من الممكن قتل مفكر أو سياسي، ولكن لا يمكن قتل الأفكار بالرصاص، فالفكر كالروح خلق حر، كيف يمكن للاحتلال أن يواجه رجلا مثل فرحات عباس كونه في مدارسه، حاملا لمبادئ الثورة الفرنسية، ومتشعبا بثقافتها، يكره العنف والظلم، أي أنه يحارب الفرنسيين بفكرهم الذي يفتخرون به، يجادلهم ويناقشهم من خلال تاريخهم السياسي، وفلسفتهم الاجتماعية التي كانوا يفتخرون بها في كتبهم، وخطبهم، وجراندهم، فالاحتلال أدعى أنه جاء لتحضير شعب همجي يسكن في الجهة الأخرى من البحر، فقتله أحيانا ضروري في نظره لتخويف الآخرين وإذلالهم، لأن هذا الشعب رفع السلاح ضده. فما العمل إذا مع من يرفع مبادئ فرنسا الليبرالية، وينادي بتطبيقها على كل سكان الجزائر بدون تمييز، لا في الجنس ولا في الدين؟ هل يقال عنه أنه متوحش؟ تلك إشكالية واجهتها إدارة الاحتلال. "هل سياسة تكوين شباب العرب والبربر كانت خطأ؟" (363)

يقول "غي بيرفييه" عن هؤلاء الشباب الجزائري: "إن مدلول التاريخ الجزائري منذ الاستقلال، ترك البعض يشككون في معظم المثقفين الجزائريين، الذين تلقوا تكوينهم في المدارس الفرنسية وجامعاتها، حيث أتهمهم الجزائريون العربون بأهم كانوا خطرين ومنافقين لأنهم قاموا بتغطية حقد فرنسا على الجزائريين، إنه اتهام خادع لجأ إليه هؤلاء الأتقياء الذين يشبهون الجزويت، أصحاب النظرة الضيقة... كان ذلك مستبعدا لدى معظم الطلبة المتخرجين من الجامعات الفرنسية... لم يحمل هؤلاء الشباب الجزائري الإحساس بأهم فرنسيون إلا للضرورة من أجل الدفاع عن الحقوق والمساواة." (364) فرحات عباس هو من أحد هؤلاء الطلبة، الذي طالب من خلال كتاباته في الجرائد مثل التقدم، وهمزة الوصل، وغيرهما بإلحاق الجزائر بفرنسا مباشرة، فما هي إلا سياسة كان يهدف من وراءها تحرير الفلاحين، وإلغاء القوانين الاستثنائية، ووضع حد بواسطة القانون الفرنسي لغلاة المحتلين، الذين تهادوا وافتخروا فيما بينهم بإهانتهم للشعب الجزائري المسلم، فقد تحول هؤلاء المحتلون في بلدنا إلى آلهة تعيش من دم و عرق الفلاحين الجزائريين المسلمين، فالطلب الأول والأساسي الذي بدأ به فرحات عباس نضاله السياسي، هو ربط الجزائر

(362) ibid.

(363) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 81

(364) Guy Pervillé, op.cit,p :205

بفرنسا مباشرة، وثانيا فتح المدرسة لتعليم كل أبناء الجزائر، فهو يعلم أن الشعب المتعلم لا يمكن استعباده، وحينما يتعلم يعرف كيف يناضل ويدافع عن حقوقه أمام هؤلاء الجبابرة، فالعبودية والاحتلال لا تعيش إلا في أوساط الأميين، حيث تجد المناخ المناسب لها، فالجهل هو التربة الجيدة لزراع بذور القهر، والشعوذة والخرافات والفقر تهيأ المجتمع الإنساني لكل أنواع الاستعباد. ولكن سياسة الإلحاق التي نادى بها فرحات عباس، وجماعة النخبة في العشرينات من القرن العشرين، تلقت ضربات مرعبة، من طرف نظام الاحتلال. (365)

لم ينصت الاحتلال لنداء الشباب الجزائري، ابتداء من الأمير خالد، وجماعة المنتخبين المسلمين الجزائريين، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، تجاهل نداءهم، واتهمهم بالتعصب، وسخر من مطالبهم، واحتقر جمعياتهم وجرائدهم.

ففي سنة 1928 يوجه أوكتاف في كتابه: "الجزائر المثوية" نداء إلى الإسراع في تحقيق سياسة الاندماج: "لنسرع لفتح أبواب المساعدة الطبية الواسعة والمنظمة، وفتح المدارس في كل مكان، وخاصة مدارس البنات، وأن لا نفكر في التأخر، لنضع برنامجا من أجل تحقيق اندماج كامل للأهالي، وذلك لبناء جيل المستقبل." (366) والشيء نفسه بالنسبة لـ "موريس فيوليت" حيث أشار في كتابه: "هل ستعيش الجزائر؟" الذي نشره سنة 1931 إذ يقول: "إن فرنسا ارتكبت خطأ غير مسموح، لأنها لم ترد أن تعرف، ولا أن تسمع." (367)

فالتجنس كما مر علينا في هذا البحث، لم يستهو سوى بعض العسكريين القدامى، وبعض المدرسين (خاصة في الوسط القبائلي). (368) فالشباب الجزائري المسلم المتشبع بالثقافة الفرنسية مثل فرحات عباس، والدكتور محمد الصالح بن جلول، وغيرهما، كانوا يبحثون عن "جنسية سياسية" أو "جنسية سياسية فرنسية". (369) تضم جميع الجزائريين المسلمين، وربطهم بفرنسا مباشرة، مع الاحتفاظ بالشخصية الجزائرية، والدين الإسلامي، والثقافة العربية الإسلامية، وهذا المطلب كان متوافقا تماما مع العلماء. (370) فرحات عباس لم ينس أبدا أصوله الفلاحية، ولم يفكر يوما في الابتعاد عن المجتمع الفلاحي الذي نشأ في وسطه، أو يعزل نفسه عنهم، حيث يقول: "كان أبي وإخوتي في المسؤولية عن طريق الصدفة، تربية وسط الفلاحين الجبليين، الذين لم يفسدهم الفقر ولا تنقصهم

(365) Octave Depont, op.cit, p : 43

(366) ibid. p : 49

(367) Maurice Viollette, op.cit, p : 418

(368) Ali Merad, op.cit , p : 406

(369) ibid. p : 397

(370) ibid

الشجاعة والكبرياء... قضيت طفولتي في وسط هؤلاء البسطاء، أقوياء، وكرماء، من المستحيل التخلي عنهم، ارتباطي بهم ليس عاطفيا، ولكنه ارتباط عضوي، كبرت بجانبهم، أحس وأفهم معاناتهم وبؤسهم، وتعبهم يخزني." (371) فهذا هو السبب الرئيسي الذي جعله يرفض الجنسية الفرنسية، فهو في وطنه، وليس غريب عنه، ولم يأت إليه كمغترب باحث عن الخبز، إنما جذوره مغروسة في أرض الجزائر بعمق لا يمكن اقتلاعها، باختصار إنه جزء من أرض الجزائر، مثله في ذلك كمثل أولئك الفلاحين البسطاء الذين عاش بينهم.

حيث يقول: " أنا لست مثل زملائي في المدرسة أبناء المغتربين، فوالدي لم يأتيا من مالطا أو من فرنسا أو من مكان آخر للبحث عن الثروة." (372) برنامجه في هذه الفترة تجاهل القضية الوطنية والطريق الثوري للحصول على الحقوق، مطالباً دخول الجزائريين المسلمين كلهم في المواطنة الفرنسية بدون اللجوء إلى طلب التجنس.

وذلك في نظره هو الحل الأمثل للقضاء على الاحتلال، وتمكين الجزائريين المسلمين من اكتساب العلوم و تقنيات الغرب وتخليصهم من التخلف والجهل والاحتلال، وربطهم بأمة ديمقراطية متحضرة وهي فرنسا، التي انبهر فرحات عباس كثيرا بعلومها وتقنياتها، لذلك جعلها مثله الأعلى الذي يقتدى به، مع حرصه دائما على بقاء الجزائريين المسلمين مرتبطين بدينهم الإسلامي، كان يريد أن يرتقي بالجزائريين إلى مصاف الشعوب المتطورة، ولكنه أخطأ الطريق، الإنسان الشرقي له خصائصه التي تختلف تماما عن الإنسان الغربي، وهذا ما غاب عن فرحات عباس في تلك الفترة.

أراد فرحات عباس أن يجعل للاحتلال عقلا وفكرا ذا نظرة مستقبلية لبناء جزائر تتسع لجميع أبنائها تسودها العدالة الاجتماعية، والديمقراطية، فهو لم يكن ضد الوجود الفرنسي في الجزائر، وإنما كان ضد الاحتلال الذي ناضل طوال حياته من أجل إبعاده، ولكن لا يحتلون استجابوا له، ولا الجزائريون المسلمون قبلوا فكرته، فبقي وحده حاملا لأفكار غير صالحة في ذلك الوقت للبيئة الجزائرية.

(371) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :108

(372) ibid.

المبحث الثالث

موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر

احتفل الاحتلال الفرنسي بجرائمه الإنسانية التي ارتكبها ضد الجزائريين المسلمين، بدون حجل أو تأنيب ضمير، مخصصا أموالا ضخمة ودعاية كبرى لاحتفالات الذكرى المتووية.

وسنرى في هذا المبحث الطريقة التي جرت بها هذه الاحتفالات بالجزائر، وموقف فرحات عباس منها، وهل ساقه تيارها مع جملة بعض الجزائريين المسلمين الذين باعوا أنفسهم للاحتلال بأبخس الأثمان؟

في سنوات 1927، 1928، 1929، بدأ المحتلون يحضرون لاحتفالات الذكرى المتووية للاحتلال الفرنسي للجزائر. " كان هدف الاحتفال هو الفرح بالاحتلال الذي قضى على هذه الدولة (الجزائرية) التي كان وجودها مصدر إحراج لأوروبا خلال ثلاثة قرون، وقد دام الاحتفال أكثر من ستة أشهر فقد بدأ في جانفي وانتهى في 5 جويلية 1930، تاريخ استسلام حكومة الداى".⁽³⁷³⁾ استقال الحاكم العام موريس فيوليت، الذي كان حاكما عاما للجزائر من سنة 1925 إلى سنة 1927، الذي دعا إلى تطبيق سياسية الاندماج لكل الجزائريين، وإلغاء قانون سيناتوس-كونسولت 1865، وقانون فيفري 1919، وإلغاء كذلك القوانين الاستثنائية، وعوض بحاكم عام " بيير بورد" للإشراف على الاحتفالات المتووية، الذي كان متطرفا وحقودا على الجزائريين المسلمين، وفخورا بالأعمال الإجرامية، التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي ضد الجزائريين المسلمين، فأحيا جراح الماضي، وأثار الأحقاد بين المحتلين والجزائريين المسلمين.⁽³⁷⁴⁾ حيث اعتبر المحتلون أنهم عملوا على تحضير شعب بربري متوحش، وذلك بشق الطرقات، وبناء المدارس والمستشفيات، وإنشاء مدن عصرية، فهم في نظرهم ليسوا مثل الأنجلو - ساكسون، الذين دمروا الشعوب التي احتلوها.⁽³⁷⁵⁾

هذه الاحتفالات الكبرى، خصصت لها فرنسا ميزانية ضخمة حوالي 130 مليون فرنكا،⁽³⁷⁶⁾ واشتملت على برنامج ضخما، معارض، استعراضات، محاضرات، ألعاب، أفلاما سينمائية، فقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية هافاس (Havas) 532 بيانا إشهاريبا لهذه الاحتفالات، ونشرت الصحافة الفرنسية أكثر من 14000

(373) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900، 1930، المرجع السابق، ص: 324

(374) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص:

(375) Mahfoud kaddache, op.cit,p :237

(376) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 324

إعلان إشهارى، ووزعت المكتبات الفرنسية والمدارس 1200000 كتيبا إشهاريا لهذه الاحتفالات، وخصصت للدعاية وحدها لهذه الاحتفالات المثوية كذلك مبالغ مالية كبيرة، قدرت بـ 61 مليون فرنكا، وزار الجزائر 80000 فرنسيا منهم 306 برلمانيا. (377) كانت هذه الاحتفالات المثوية هي الأولى والأخيرة للاحتلال.

بدأت الاحتفالات المثوية في مطلع سنة 1930 بسباق للسيارات انطلق من مدينة الجزائر قاطعا الصحراء الجزائرية وصولا إلى مدينة فاو، ثم الرجوع إلى الجزائر، والجيش الفرنسي ارتدى ملابس الجيش الغازي لسنة 1830، لإحياء ذكرى الغزو بداية من سيدي فرج الذي صادف يوم 14 جوان، بينما الجيش الفرنسي (في فرنسا) أحياء تلك الذكرى يوم 14 جويلية 1930.

في ماي 1930 زار رئيس الجمهورية الفرنسية " دو ميرغ " (Doumergue) الجزائر، حيث نزل بقصر الصيف، ثم انتقل إلى مقر المجلس الجزائري حيث ألقى خطابا أمام سلطات الاحتلال ومما جاء فيه: "أيها السادة إنني سعيد في هذا المساء بالدعوة التي وجهتموها إلي من الجزائر، كل الجزائر، وإني حامل إليكم تحية الوطن الأم..." (378) وفي الغد زار قصر المعارض، وحديقة التجارب، وحضر الحفل العسكري بالخروبة، ومنح الأوسمة للمسؤولين المسلمين الجزائريين، وقدم هؤلا له هدية تتمثل في حصان عربي أصيل، للدلالة على خضوعهم واستسلامهم لفرنسا. (379) ثم انتقل إلى مدينة بوفاريك، حيث دشّن هناك تمثال النصر الفرنسي تحت أصوات البارود الذي لم يتوقف منذ نزول رئيس الجمهورية الفرنسية بالجزائر، هذا التمثال الرمز قائم على حائط أبيض طوله 40 مترا، وارتفاعه 15 مترا، في أعلاه يبرز أبطال الاحتلال (المجرمون) وفي أسفله يبرز بوضوح أعمال المحتلين الأوائل. (380) بعد ذلك انتقل رئيس الجمهورية إلى مدينة قسنطينة يوم 6 ماي 1930 متوجها من قصر الصيف إلى المحطة المركزية بواسطة السيارات، وكان موكبه بدون حراسة، حيث انطلق القطار الرئاسي على الساعة 8:15 سا في اتجاه قسنطينة التي وصلها على الساعة 20:59 سا، بعد توقفه في المدن الرئيسية التي مر عليها مثل بويرة، برج بوعريج، سطيف... حيث وجد في كل مدينة يتوقف بها المسؤولون في انتظاره. (381) وفي قسنطينة وجد أمامه تمثالا رمزيا للجنرال " لامورسيير "، الذي استسلم له الأمير عبد القادر، بناه المحتلون سنة 1927 تحضيرا لاحتفالات الذكرى المثوية، وكان هذا التمثال رافعا سيفه ضد الجزائريين (382) بصفة عامة، و لقسنطينة

(377) Mahfoud kaddache, op.cit, p :238

(378) Gustave Mercier, Le centenaire de l'Algérie, t, 2, ed, P et G Soubiron, Alger, 1931, p :403

(379) Mahfoud Kaddache, op.cit :238

(380) ibid.

(381) www.menustory.com , journée du mai 1930, voyage du président en Algérie.

(382) نفس المرجع، ص ص: 323، 324

بصفة خاصة، التي قاومت الاحتلال الفرنسي بكل قوة، ولم يستطع المحتلون الدخول إليها إلا في سنة 1837، ووجد في استقباله السلطات المدنية والعسكرية، منهم "مورينو" (Morinaud) نائب، ورئيس بلدية قسنطينة الذي ألقى خطابا في بلدية قسنطينة أمام رئيس الجمهورية الفرنسية والوفد المرافق له، ومما جاء في كلمته: " ما أشبه اليوم بالبارحة ! أُوكِدُ على ارتباطنا الكامل بالجمهورية، إن عظمة وطننا، وعطفه، ووصايته على الوطنيين المغتربين في الجزائر، وأن السياسة الإنسانية العميقة التي توليها الإدارة تجاه الأهالي استطعنا أن نكسب بها عواطفهم..." (383)

وقد ألقى ابن باديس* كلمة ومما جاء فيها: "باسم السكان المسلمين اعترف بفضل فرنسا على الأهالي فهي رمز الحضارة والحماية." (384)

كان فرحات عباس خلال احتفالات الذكرى المئوية، مازال طالبا بجامعة الجزائر، ورئيسا للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، طلبت منه إدارة الاحتلال إلقاء كلمة بمناسبة الذكرى فرفض أن يشارك في احتفالات، تعتبر إهانة للجزائريين المسلمين، فهذه الاحتفالات المئوية خاصة بمؤلاء المحتلين، الذين يفتخرون بإجرامهم في حق شعب طالب أن يعيش حرا في وطنه، هي بالأحرى احتفالات انتصار أسلحة المحتل، على أسلحة الشعب الجزائري المسلم، أو كما يسميها المحتلون احتفالات المنتصر ضد المنهزم. (385) صحيح أن أسلحة الشعب الجزائري انهزمت أمام الاحتلال، ولكن جذور الأمة الجزائرية بقيت ثابتة في أرضها بالرغم مما أصابها من جفاف.

فرحات عباس كان يتطلع إلى مستقبل أشرف وأفضل للشعب الجزائري المسلم، الذي لم يستطع أن يتخلى عنه، لأن جذور فرحات عباس ثابتة هي الأخرى بعمق في أرض الجزائر، ومرتبطة ارتباطا عضويا بفئات الفلاحين المسلمين البؤساء.

إن ولاء فرحات عباس للجمهورية الفرنسية، ومبادئ ثورتها (1789) ربطه بشرط، هو تحرر الجزائريين المسلمين والاعتراف بقانون الأحوال الشخصية، وإلغاء امتيازات المحتلين الإقطاعيين الكبار، إنه شخصية لا يقدم تنازلات مجانية لفرنسا، ولكنها تنازلات مشروطة. (386)

يريد أن يجعل من الشعب الجزائري المسلم، شعبا لا يشعر بأنه غريب في وطنه. (387) فالمحتلون كانوا يعتقدون، بأنهم في وطنهم، وأن الجزائر أخذوها بالقوة والدم، فهم إذن أسيادها (388) وأحق بها.

فرحات عباس ليس بالرجل المغرور، أو الارتجالي، أو الحالم، أو رجل يجب الاقتراب من زعماء

(383) Gustave Mercier, op.cit, p: 412

* ذكر الكاتب اسم ابن باديس ولم يذكر الاسم الشخصي، ويظهر أنه كان متعمدا حتى يختلط الأمر على الجزائريين المسلمين، بين الشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح، و والده الموظف في الإدارة الاحتلال.

(384) ibid. p: 415

(385) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 49

(386) نفس المرجع والصفحة

(387) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p :109

(388) ibid. p : 119

الاحتلال، وليس هو رجل رومانسي، بل كان يعرف حقيقة ما يفعل، وداركا لجوهر الاحتلال، حيث يقول: " لقد اهتمني الأستاذ شارل أندري جوليان بأني مغرور، ومتعلق بالرومانسية، بالعكس قدمايا ثابتان على الأرض." (389) يعرف ماذا يفعل، ومتى يتدخل، متصلب، متكبر معتر بانتمائه للجزائر، و غير ناكر لانتمائه لعائلة فلاحية، ذو جبهة عريضة واضحة كعرض الجزائر، ووضوح شعبها المسلم، وأنف شامخ، كشموخ جبال الجزائر، التي أبت إلا أن تبقى واقفة، شاهدة على عظمة شعب الجزائر، الراض لأبي غاز.

وفي شهر ماي 1927 أثناء التحضير لاحتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، كتب مقالا في جريدة التقدم، يوضح فيه سياسته، وتطلعه لمستقبل أفضل للشعب الجزائري المسلم: " إننا ننظر إلى يوم قادم، وبفضل سياسة حكيمة، حيث تصبح جبالنا مغطاة بمنازل بيضاء، وطرقنا معبدة، والينابيع تندفق بالماء العذب الشفاف، والكوخ يتحول إلى حطام من الماضي ولن يظهر للأبد في الدواوير النائية وفي أوساط المشاتي الطينية المغطاة بالديس. حجرة توضع، البنيان يرتفع، المنازل تتكاثر، وفي وسطهم المدرسة، ومجلس الجماعة، والمستشفى، ومركز البريد، وثكنة الدرك، والمساعدة الطبية و الصحية، والأمن، والأهلي يسرع إلى التحرر، كمجموعات راسخة، والقرية تنشأ." (390)

وقد رفض المشاركة في احتفالات الذكرى المئوية وإلقاء كلمة باسم الطلبة المسلمين الجزائريين، واصفا تلك الاحتفالات بقوله: " البارحة مأساة، وغدا الشك. " (391) البارحة بالنسبة للجزائريين هي القتل الجماعي، سلب الأراضي، دموع وحزن، فعلى هذا الأساس يبنى المستقبل بين شعب منهزم بسلاحه، راسخ في أرضه، ومحتل منتصر بسلاحه، غريب على أرض الجزائر، فهو يذكر المحتلين أن نظرتهم الفوقية للشعب الجزائري المسلم، وافتخارهم واحتفالهم بها، ما عليهم إلى تحضير أنفسهم لغد مُعتم.

ومقاله " من المحتلة إلى المقاطعة " ما هو إلا سبب لجأ إليه بغرض تحقيق تحرر الإنسان الجزائري المسلم من القهر والظلم والقوانين الاستثنائية. (393)

" في سنة 1981 يعترف بأنه كان واهما في هذه الفترة، لقد أدرك بأن الاحتلال لا يقوم إلا على السيطرة والاستغلال تلك قاعدته وركيزته الأساسية، وأن الطبقة الحاكم في فرنسا كانت متفقة مع سياسة المحتلين في الجزائر. " (394)

(389) ibid. p p : 122-123

(390) ibid p : 122

(391) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 65

(392) ibid.

(393) ibid.

(394) ibid.

في سنة 1931 يؤكد في كتابه الشاب الجزائري، بأن احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر ستكون هي آخر احتفالات هؤلاء المحتلين، وآخر نشوتهم، على أرض الجزائر. (395) كان يدرك جيدا أن الاحتلال الفرنسي للجزائر قائم على الظلم والقهر والاستبداد، هذه المظالم لا تبني أمما ولا دولاً، صمت الشعب المنهزم، لا يعني قبوله الظلم، فهو ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على جلاديه.

لقد علق فرحات عباس، كبقية معظم الشبان الجزائريين في تلك الفترة، آمالا كبيرة على الحاكم العام "موريس فيوليت"، هذا المحامي البارع، والسياسي المحنك. (396) الذي عرف حقيقة وجوهر الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وغاص في أعماق الشعب الجزائري، فوجده رافضا للذل والاستعباد، أراد موريس فيوليت أن تبقى الجزائر تابعة أبديا لفرنسا، ولكن على فرنسا أن تبدأ في هذه الذكرى المئوية بسياسة جديدة أقل ظلما، وأكثر إنسانية تأخذ بيد الإنسان الجزائري وتخرجه من همه وتفتح له آفاقا جديدة تزول فيها الأحقاد، ويبني وطنا قائما على العدل والمساواة يتسع للجميع. (397) هذا ما كان يدعو إليه فرحات عباس، لكن هيهات ما بين أمله، وبين جشع المحتلين، وتكبرهم وتجبرهم، واستمرارهم في القهر والظلم، فكانت احتفالات الذكرى المئوية كمنار اشتعلت في نفوس الجزائريين منبهة إياهم إلى لَمِّ شملهم وانتظار اليوم الموعود، هذه الاحتفالات أيقظت الأحقاد لمئة سنة مرت، وكأن الاحتلال يهدم نفسه بنفسه بتعجرفه، وتجاهله لشعب مسلم مستضعف أهلكته المقاومات المسلحة، والجوع، والمرض، والجهل. ومع كل هذا الوضع الخطير للشعب الجزائري المسلم، راح الاحتلال الفرنسي يكذب على نفسه، ولا يصدق أذنيه، فراحت صحافة الاحتلال تصف فرنسا بأنها بلد الحرية والمساواة والإحياء، وأنها نقلت إلى الجزائر الحضارة والنهضة، فقد كتبت جريدة الاحتلال " جزائري سيدي بلعباس " مقارنة بين الجزائر ما قبل 1830 وبعد سنة 1830:

| <u>جزائر قبل 1830</u> | <u>جزائر بعد 1830</u> |
|-----------------------|-----------------------|
| بربرية | حضارة |
| وباء | شفاء |
| اللامن | طمأنينة |
| جوع | وضعية جيدة " (398) |

هذا هو الاحتلال يناقض نفسه، ويقدم مقارنة لجزائر ما قبل 1830، وما بعد 1830، وكان الأوضاع في

(395) Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, op.cit, p :41

(396) www.menustory.com op.cit

(397) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :123

(398) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 243

الجزائر أصبحت جيدة وممتازة، وأن الجزائر انتقلت من السيئ إلى الأحسن، هذه المقارنة تنطبق كل التطابق على العناصر الأوروبية الجائعة الضائعة في مجتمعتها، والتي تحسنت وضعيتها في أرض الجزائر بفضل سلاحها المتطور، أما الجزائريون المسلمون فإن وضعيتهم قد ساءت، أرضهم سلبت منهم، وأشرفهم قتلوا أو شردوا، وفلاحوها أفقروا، ومساجدها أهينت، ولغتها أصبحت غريبة في دارها، وثرواتها سرقت، هذه هي أوضاع الجزائريين المسلمين بعد مئة سنة من الاحتلال.

" التاريخ وضع لخدمة المحتلين... المؤرخ الكبير لشمال إفريقيا جزيل (Gsell) لا يتردد في تأكيده بقوله: التاريخ يرسم لنا واجبنا، يفرض علينا أن نكون أسيادا دائما في كل مكان نحتله. " (399)

هذا هو منطق الاحتلال التكبير والتجبر، يستعمل كل الوسائل، قمع، قتل، تجويع، تجهيل، من أجل تحقيق أغراضه، فهو لا يرحم، ولا يعرف معنى الشفقة.

ويصف فرحات عباس هذه الاحتفالات بقوله: " إن سنة 1930 هي ملك الأموات مثل سنة 1830 والخمسين سنة التي جاءت بعدها، فهي غزو، وحزن لنا، نحن لا نتاجر بتضحياتنا، ولا نعكر أرواح موتانا بطيف رقصات. هل من الضرورة استحضار الماضي بحفلات باطلة؟ إن القرن الذي مر بالنسبة لنا هو قرن من الدموع والدم، نحن الأهالي الذين بكينا، وسال دمنا... وأخيرا نتمنى من الله أن لا يعيد على الرجال ذلك القرن مع أمل أن يحضرنا إلى أيام أحسن. " (400) فرحات عباس لم ينس آلام شعبه، ورفض أن يتاجر بدم الشهداء، ودموع اليتامى والأرامل، ماذا يقول في احتفالات هي إهانة لكل الجزائريين المسلمين، احتفالات المنتصر على المنهزم، ودعوة هذا المنهزم للمشاركة في جنازته، إنها حقيقة لمأساة وسخرية واستعلاء على شعب مسلم مستضعف. فلم يكن ينتظر منها شيئا سوى التضرع إلى الله لكي لا يعيد ذلك القرن المملوء بالمآسي. فالجزائريون انتظروا كثيرا من هذه الاحتفالات عسى أن تلغي فرنسا القوانين الاستثنائية وتسمح بالاندماج الواسع لكل الجزائريين. (401)

فرحات عباس لم يهرول إلى هذه الاحتفالات بالرغم من توجيه دعوة له كممثل للطلبة. فهو ليس مغفلا أو مندفا أو مشتاقا لإظهار فصاحته، أو الحصول على وسام مثل القياد، و الباشاغوات، وأمثالهم. (402)

الذين يتسابقون ويتفاخرون فيما بينهم على أنهم قدموا خدمة لجلاديهم، وهؤلاء منحوهم أوسمة العار للدلالة على انحطاطهم، وخيانتهم لشعبهم، أناس سلبت منهم إرادتهم بأجنس الأتمان، وهم راضون عن ذلك كل الرضا.

(399) ibid.

(400) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :29

(401) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 857

(402) Amar Naroun, op.cit, p :39

" فرحات عباس كان واعيا بالدور الذي يجب أن يقوم به. " (403) يريد أن ينشأ الإخاء بين المحتلين الأوروبيين، والجزائريين المسلمين (مطلب تعجيزي، كمن يحاول إنشاء صداقة بين ذئب وخراف)، حيث يقول: " كثر الحديث مؤخرا على الإخاء إنها كلمة تستوقفني. الاحتفالات المثوية، ما هي إلا ذكرى طائشة لماضي أليم. " (404) عارض هذه الاحتفالات وانتقدها بشدة كما انتقدها الوطنيون، والشيوعيون أيضا. (405)

لم يقبل أبدا أن يهان شعبه، وهو الذي جعل ثقافته وحياته في خدمته، ورفض أن يكون عبدا مطيعا لجلاديه، حاول كسب ودّهم بشرط أن يكون مبنيا على الاحترام المتبادل من كلا الطرفين، كان يعتقد أن ذلك ممكن، فقد كان صادقا مع نفسه وفي أفعاله، لم يخادع نفسه، أو ينافق غيره، فيقول عن المحتلين: " هؤلاء الأوروبيون رفضوا تقديم يدهم لنا منذ مدة، وبقينا في وضعية مادية مأساوية، تغطينا أسمالا، والجهل متفشي بيننا. من طبيعة الإنسان أن لا يتأخى مع جاره، إلا إذا بادله الاحترام... إن أي عمل خارج الإخاء يبقى رسالة ميتة بدون ثمار. " (406) فالشعارات البراقة التي حملتها الذكرى المثوية لم تبهره، إنما يريد أن يراها مطبقة على أرض الواقع حيث يقول: " أن أرواحنا تتجه نحو الإخاء، والسلم الاجتماعي، وسعادة وطننا، قلوبنا خدعت، إننا لا نصنع إلا أحلاما جميلة، فعمرنا الذي نعيشه لا يسمح لنا إلا بالحلم*." (407)

نستطيع أن نقول عن هذه الاحتفالات أنها كانت احتفالات العار، زادت الكراهية أكثر بين المحتلين والجزائريين المسلمين، و زادت الهوة بينهما اتساعا أكثر وأثبتت بأن التعايش بين مجتمعين متناقضين مستحيل، الأول غاز له كل ثروات الجزائر ظلما وعدوانا، والثاني أصيل محروم من كل خيرات بلده، وقد أدرك فرحات عباس ذلك ورفض المشاركة في هذه الاحتفالات، لأنها في نظره - وتلك هي الحقيقة - إهانة كبرى لكل الجزائريين المسلمين بدون استثناء. كانت هذه المرحلة بالنسبة لفرحات عباس اكتشاف العمق الفكري، والبعد الاستراتيجي للاحتلال، القائم على الظلم والتجبر، فأراد بأفكاره التي استمدتها من الثقافة الفرنسية، والتي تأثر بها كثيرا، أن يلغي مفهوم الاحتلال عن طريق الدعوة إلى إزالة أساليبه، وخلق جزائر جديدة مبنية على أساس مبادئ الثورة الفرنسية 1789. ولكن أفكاره ومشاريعه السياسية اصطدمت بصخرة صلبة، وبقية بدون صدى، أمام احتلال أعمى وأصم لم يحمل من مبادئ الثورة الفرنسية شيئا، وإنما كان حاملا لفكر العصور القديمة المبني على القهر والظلم، واستعمال كل الوسائل الوحشية لاستغلال المنهزم، هذا هو الاحتلال الفرنسي الذي عرفته بلادنا.

(403) ibid.

(404) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p p : 29-30

(405) Mahfoud Kaddache, op.cit,p :254

(406) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :30

(407) ibid. p : 31

* هذا الموضوع نشره في كتابه الشاب الجزائري مؤرخ: في الجزائر، جانفي 1930

الفصل الرابع:

مواقفه السياسية خلال الثلاثينات.

المبحث الأول: آراءه السياسية خلال الثلاثينات.

المبحث الثاني: الوظائف السياسية.

المبحث الثالث: دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول.

المبحث الرابع: موقفه من رفض مشروع بلوم - فيوليت.

المبحث الخامس: موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري.

المبحث السادس: تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري ".

المبحث السابع: فرحات عباس والحرب الكونية الثانية.

الفصل الرابع

مواقفه السياسية خلال الثلاثينات

هذه المرحلة التي سنتناولها في هذا المبحث، هامة في تاريخ الجزائر بصفة عامة، والحركة الوطنية بصورة خاصة، وفيها برز فرحات عباس كشخصية ذي ثقافة فرنسية عالية، وكشباب طموح، حالم، بتكوين مجتمع جزائري مبني على العدالة الاجتماعية، ومتأثرا بعمق معارفه بتاريخ الفرنسيين، والدوافع التي حركتهم للوقوف ضد الملوك المستبدين وإعلانهم ثورة 1789، الهادفة إلى منح الحرية والمساواة والإخاء لكل أفراد الأمة الفرنسية بدون استثناء، فراح يناضل بدون هوادة من أجل خلق مجتمع جزائري مثالي، معتقدا كل الاعتقاد بأن ذلك ممكن، لأنه يخاطب العقل، ولكنه نسي بأن الاحتلال هو نظام و إيديولوجية توجهه الرغبة الملحة في الهيمنة على المستضعف.

هل كان بإمكان فرحات عباس المتأثر بفلسفة الأنوار (الفرنسية) التي حررت المجتمع الفرنسي من النظام الملكي الاستبدادي، أن يقوم بنفس الدور في الجزائر المحتلة لدفع كل الجزائريين للوقوف ضد الاحتلال والقهر، وخلق مجتمع جزائري جديد مبني على أساس مبادئ الثورة الفرنسية، وتابع مباشرة إلى فرنسا الديمقراطية ؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل.

المبحث الأول

آراؤه السياسية خلال الثلاثينات

نعالج في هذا المبحث الآراء السياسية لفرحات عباس في الثلاثينات من القرن العشرين، حينما كان في أوج قوة شبابه، وحماسه، راغبا في إلغاء الاحتلال، وربط مصير الجزائريين المسلمين بالأمة الفرنسية، بعد قرن من الاحتلال والظلم والقهر ضد الشعب الجزائري المسلم، وقد كان المحتلون في هذه الفترة معجبين بسيطرتهم على الجزائر، إن المحتلين من ناحيتهم كانوا ينظرون إلى بداية هذه الفترة على أنها انتقال إلى القرن الثاني من عمر الاحتلال في الجزائر، واعتبروا ذلك نصرا عظيما لهم، عبروا عنه خلال احتفالات الذكرى المئوية لاحتلالهم للجزائر، معتقدين أن بقائهم في الجزائر أصبح لا نقاش فيه، لأنهم في وطنهم⁽⁴⁰⁸⁾ حسب رأيهم.

(408) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج 3، ط 3، م، و، ك الجزائر 1986، ص: 16

فالجيل الثاني والثالث من المختلين ولد على أرض الجزائر، فهم مرتبطون بها من حيث المولد أكثر من ارتباطهم بفرنسا بلدهم الأصلي، أما من حيث حمايتهم من الجزائريين المسلمين فإنهم مرتبطون مباشرة بفرنسا، يعتبرون أنفسهم أسيادا في أرض غيرهم، ويصرحون بأنهم أقوياء لا أحد يستطيع زحزحتهم من أرض الجزائر سواء اليوم (خلال الاحتفالات المثوية) أو غدا، سوف يكونون كذلك أقوياء.⁽⁴⁰⁹⁾ إن وجودهم في الجزائر في نظرهم يعتمد على القوة وحدها فقط، الضامنة لهم إمتيازاتهم وتفوقهم، لذلك واجهوا كل معارض لهم من الجزائريين المسلمين بالقوة، فقد وقفوا بكل وحشية، أمام كل المقاومات التي رفضت وجودهم في الجزائر، فاقت في كثير من

الأحيان وحشية العصور الماضية، " يضربون بيد من حديد على محاولات التنظيم السياسي بين الجزائريين، معتبرين كل محاولة من هذا النوع كفرانا بنعمة فرنسا على الجزائر، واصفين من يقوم بها بالخيانة أو التبعية لدولة أجنبية، أو بالإجرام.... ووسط هذا الفراغ من المعارضة السياسية للنظام الاستعماري، ظل المختلون (الكولون) هم السلطة الحقيقية في البلاد، يؤثرون بعددهم، ونفوذهم على الحاكم العام، والأجهزة الإدارية والمالية في الجزائر. " ⁽⁴¹⁰⁾ المختلون ليس لهم فكر يخللون به الوضعية العامة التي سادت الجزائر، بعد احتفالات الذكرى المثوية، " فكانوا بذلك مخطئين حين لم يبالوا بقوة الحركة الوطنية الجزائرية. " ⁽⁴¹¹⁾ ولا بزيادة كراهية الشعب الجزائري لهم، الذي حرموه من كل ثروات بلاده، وجعلوا منه بقوة سلاحهم، وقوانينهم الجائرة للإنسانية كأداة طيعة في يدهم، يسرونه حسب رغباتهم ومصالحهم، لكن الحقيقة أن عمق الشعب الجزائري ظلوا جاهلين له طوال مدة احتلالهم للجزائر، بالرغم من تخصيصهم أموالا ضخمة للباحثين الجامعيين المختصين، لتمكينهم من السيطرة على أجساد وعقول الجزائريين المسلمين. ويرى فرحات عباس، بأن سياسة الاحتلال تجاه المسلمين الجزائريين خاطئة من أساسها، فإذا كانوا يعتبرون أن الجزائر من صنعهم، فإن الواقع الاجتماعي للمسلمين الجزائريين في تلك الحالة يسير نحو وحدة روحية مشتركة مع المختلين أولا، وثانيا مع فرنسا، ويجب على المختلين العمل لخلق مجتمع متناسق يجمع الأوروبيين والجزائريين المسلمين معا، ولن يكون ذلك حسب رأيه إلا عن طريق مراحل، المرحلة الأولى والسريعة هي المدرسة. ⁽⁴¹²⁾

في نظره العلم هو أساس التكامل والترابط وإزالة الأحقاد، فهو يفتح العقول المغلقة، ويزيل الفكر العنصري الخاطيء، المبني على حسابات آنية. حيث يقول: " يرى بعضنا ضرورة بناء الملاعب الرياضية وتوفير

(409) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit p: 80

(410) نفس المرجع.

(411) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، (1900-1930)، ص: 325

(412) ibid. p: 156

السيارات، والملاهي، و زجاجات الخمر، هذا انحراف شاذ لبعض الرجال، يجب أن لا ننسى حقيقة هامة في الجزائر اليوم يوجد 800000 طفلا أهليا في سن الدراسة، لا يزاول منهم الدراسة سوى 36000 طفلا أهليا دروسهم النظامية." (413)

ففرحات عباس في هذه المرحلة كان معارضا عنيفا لسياسية المحتلين في الجزائر، وأفكارهم الخاطئة حول الشعب الجزائري المسلم، فهو لم يكن مثل أولئك الشباب الجزائري المتخرج من الجامعات الفرنسية، والباحث عن قشور الحضارة الفرنسية. " هؤلاء عادة ما يكونون من الطبقة التي تربت وتغذت بلبان ثقافته (الاحتلال) فانبهرت به واسترخت إليه وسقطت في أحضانه ونامت نوما عميقا فويل للذي يفيقها من سباتها العميق...!" (414)

ثم بعد توفير الدراسة لجميع التلاميذ الجزائريين والمستشفى والطريق... الانتقال إلى مرحلة أخرى ضرورية في نظره، وهي تطبيق العدل داخل الجزائر بين كل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني، حيث يقول: " العدل هو القضية الأساسية للمسلمين، إذا أرادت فرنسا أن لا تنفصل عنها الجزائر وتبقى مرتبطة بها، فالإسلام وطننا الروحي، وفرنسا وطننا الثقافي." (415)

فهو يريد من الجزائر أن تبقى مرتبطة بفرنسا وجزءا منها، ولكن بشروط تزول معها القوانين التعسفية، والتمييز العنصري، وتوزيع الثروة بين الجزائريين كلهم بعدل " مثل العهد الإسلامي " (416) وإزالة مقولة أن الفرنسيين: " اشترى الجزائر بدماء جنودهم." (417)

وفي هذه الحالة يمكن بناء جزائر جديدة تتسع للجميع، فهو أراد أن يحارب الأفكار الخاطئة الموجودة في أذهان المحتلين تجاه الشعب الجزائري المسلم، ومعارضاً في كثير من الأحيان هذه الأفكار في كتاباته الأولى، أحيانا يسخر منها، وأحيانا أخرى ينتقدها ويوضح خطورتها على مستقبل الجزائر. مثل مقولة: " آه، إننا لم ننته مع هؤلاء السكارى، اللصوص، يا لهم من حثالة ! كان من حقنا قتلهم جميعا مثل الهنود الحمر." (418)

لقد حمل فرحات عباس زبدة الفكر الفلسفي لعصر الأنوار في فرنسا، وخاطب به المحتلين الذين لا يوجد لهم عقل ولا فكر، وإنما بطون لا تشبع، وأيدي ملوثة بدماء الجزائريين الأحرار، معتقدين أن الشعب الجزائري المسلم مثل الهنود الحمر، يا لها من مقارنة غريبة ! لا تصدر إلا من أناس أغوتهم قوتهم المادية، وإجرامهم في حق شعب مسلم أصيل.

(413) ibid.

(414) عمار هلال، المرجع السابق، ص: 286

(415) ibid. p: 155

(416) ibid. p : 156

(417) ibid. p : 80

(418) ibid. p : 138

" لكن نظرة الفرنسيين كانت قصيرة، وقد برهنت التقارير والكتابات اللاحقة أن الفرنسيين كانوا يتحركون نصف قرن متأخرين " (419) في الجزائر.

فهم لم يكونوا يدركون مطالب النخبة في الثلاثينيات من القرن العشرين، والتي كانت هي الأساس المستقبلي لتحضير الشعب الجزائري للثورة، وقد تنبه إلى خطورتها الحاكم العام الفرنسي في الجزائر "موريس فيوليت" إذ لخصها في كتابه السابق الذكر (هل ستعيش الجزائر؟).

كما يُذكرُ فرحات عباس المحتلين بقوله: " من السهولة القضاء على أناس، عندما تواجه بنادق رشاشة بنادق خشبية، أما عندما تساوى السلاح لم يكن الجزائريون أقل كفاءة من الأوروبيين، لقد أثبتوا جدارتهم، نحن عرفنا كيف نموت، أثبتنا ذلك تحت أسوار فيردان (Verdun)." (420)

فالجزائري المسلم لا تنقصه الشجاعة عندما يكون السلاح متكافئا مع سلاح العدو، فالمحتلون ومؤرخيهم يجهلون تاريخ الجزائريين في دفاعهم عن بلدهم قبل دخول فرنسا، خمسون سنة من المقاومة الشعبية ضد الاحتلال، فلم يهدأوا إلا حين انهزمت أسلحتهم المادية، ولكن مقوماتهم الأساسية لم تنهزم أبدا، طوال مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر، لكن فرنسا لم تستطع تغيير سياستها ونظرتها المتعالية على الشعب الجزائري طوال الثلاثينات من القرن العشرين، وعلى العكس من ذلك فإن الحركة الوطنية لم تبق جامدة، فقد تفاعلت مع المستجدات الداخلية والخارجية التي أثرت على المجتمع الجزائري المسلم. (421)

لقد عبر أحمد توفيق المدني في مقال نشره في مجلة الشهاب بعنوان: " نحن بين الموت والحياة " (422) رافعا الراية الحمراء، ومنذرا بالخطر المحدق بالجزائريين، بسبب السياسة التي تتبعها إدارة الاحتلال في الجزائر ضد المسلمين الجزائريين، من محاولة لطمس الشخصية الوطنية من جميع جوانبها الدينية، واللغوية، والتاريخية، والوطنية، بعد أن هيأت المجتمع الجزائري لدس سمومها.

إن عدد المتجنسين من الجزائريين لسنة 1930، كان مرتفعا جدا لتلك السنة وقد وصل إلى 152 جزائريا متجنسا وهذا العدد السنوي لم يصل في أية سنة منذ 1865 إلى 1930. ويظهر من ذلك أن تأثير احتفالات الذكرى المثوية للاحتلال، كان له تأثير على بعض النفوس الضعيفة من الجزائريين، فلقد أبهرتهم قوة ودعاية فرنسا، وبقيت الزيادة مرتفعة طوال مدة الثلاثينات من القرن الماضي، ففي سنة 1932 وصل عدد المتجنسين إلى 127 متجنسا، وفي 1934 وصل إلى 155 متجنسا، وفي 1936 وصل إلى 142 متجنسا، وفي 1938 وصل إلى 190 متجنسا. (423)

(419) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ص: 17

(420) ibid.

(421) نفس المرجع والصفحة.

(422) مجلة الشهاب، أبريل 1930، ص ص: 153-160

(423) Ali Merad, op.cit, p :406

ويعود ربما ارتفاع هذا العدد من المتجنسين إلى تأثير سياسة المحتلين، ودعايتهم داخل الجزائر، مستعملين في ذلك أحيانا الترغيب، وأحيانا التهيب. (424)

فالمجنسون يستطيعون الوصول إلى أكل فُتات بقايا أكل أسيادهم، أما الباقي من الشعب الجزائري المسلم له الجوع والقهر، ويذكر فرحات عباس حادثة اغتيال أحد العمال الجزائريين المسلمين على يد فحّامٍ أوروبي من أصل أسباني، قتله مقابل 25 فرنكا فقط، ومحكمة الاحتلال برأته، معتبرة عمله الإجرامي دفاع شرعي عن النفس! (425) هذه هي الوضعية التي وضع فيها الاحتلال الفرنسي المسلمين الجزائريين، تتجنس تعامل كإنسان منحط، ترفض التجنس قيمتك 25 فرنكا فقط أي أقل بكثير من سعر قنطار من القمح، الذي وصل سعره إلى 160 فرنكا سنة 1930. (426)

وإلى فرنسا يتوجه فرحات عباس بندائه قائلا: " ساعدنا على استرداد كرامتنا، بفتح مدارسك لنا، ولا فائدة من المدرسة إذا لم تلازمها الحرية." (427) المدرسة في نظره هي أساس حرية الفرد، حيث يستطيع المتعلم أن يدافع عن حقوقه، وأن يقف الند للند أمام المحتلين المتعجرفين.

أما من الناحية الاقتصادية فإن هذه المرحلة قد تميزت بتحسّن كمي في إنتاج الحبوب، صاحبه انخفاض في الأسعار فأدى ذلك إلى حدوث أزمة اقتصادية واجتماعية داخل المجتمع الجزائري، نتج عنها ارتفاع نسبة البطالة بشكل فضيع. (428)

ويحاول فرحات عباس إيجاد حل لإنقاذ شعبه مما يعانيه من ظلم وقهر وفقير حيث يقول: " آه! لو أستطيع أن أكون مثل الرسول الكريم (p)، لَقَبَّلتُ جراح شعبي، و لصنعت معجزة تضع حدا لمشاكله، لا نستطيع أن نتنصّل من وسطنا، ولا من جنسنا، ولا من ديننا، ولا من فقر إخواننا، فماسح الأحذية ذلك الطفل الصغير إنه أخي، وله حقوق علي، وعلى ثقافتي، وعلى وظيفتي، وعلى سعادي، فالسعادة لا يمكن تصورها خارج هؤلاء الفقراء." (429) هذا الذي يقال عنه ابن قايد نسي أصله، وباع ضميره للمحتلين، ما هي إلا أحكام جائرة في حقه إما عن جهل، وإما عن سوء نية، فهو لم يشعر أبدا بالسعادة خارج مجتمعه، ويتمنى لو كانت بيده معجزة لاستعملها لإنقاذ الفقراء، وليس للوصول إلى مركز عال عند المحتلين.

(424) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، ص : 17

(425) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 138

(426) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p :241

(427) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 144

(428) Ageron C. R , politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p : 247

(429) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 146

فنضاله السياسي كله كان من أجل الدفاع عن الجزائريين المسلمين المحرومين من كل الحقوق، حيث يذكر بأن آلام شعبه هي التي دفعته لممارسة السياسة.⁽⁴³⁰⁾ لكن سياسة المحتلين الفرنسيين، استعملت وسائل تقليدية تجاه الجزائريين المسلمين، ولهذا لم تستطع أن تحقق النجاح.⁽⁴³¹⁾

لقد فرحات عباس أراد أن يصلح اعوجاج الاحتلال، وأن يلغي وجوده وفلسفته، ولكن لا حياة لمن تنادي، فالاحتلال صم، بكم، عمي، لا يقبل أي فكر خارج سياسته، ولو كان لصالحه مستقبلا، وبناء جزائر جديدة تسودها العدالة والإخاء بين جميع سكانها.

إن فرحات عباس رجل صريح ومعتز بأصله، مدافع عن شعبه، يصرح بأفكاره بكل قوة وشجاعة لأن في أعماقه فكر حر.⁽⁴³²⁾ لا يقبل الاستعباد، وليست له القابلية للاحتلال، وهذا وليد الثقافة الواسعة التي تلقاها خلال دراسته، وارتباط جذوره بالفئات الفلاحية الجزائرية المعروفة عبر تاريخها الطويل بالدفاع عن حريتها ورفضها للعبودية و الذل، والتي لم يستطع أن يتنكر لها أبدا لأنه جزء لا يتجزأ منها فهو ريفي أصيل من أعماق المجتمع الجزائري، جذوره ضاربة في أعماق الأرض الجزائرية.

⁽⁴³⁰⁾ Ferhat Abbas. La nuit coloniale, op.cit, p : 107

⁽⁴³¹⁾ Ageron C, R, Les Algériens musulmans et la France, op.cit, p :963

⁽⁴³²⁾ Guy Pervillé, op.cit, p :227

المبحث الثاني

الوظائف السياسية

الاحتلال يبحث عن أناس من بين المهزمين ليمنحهم مناصب تكون في خدمته، وهي إهانة للشخص الذي يتقبلها ومجتمعه الذي ينتمي إليه، فلا هو يحترم من طرف جلاديه الذين ينظرون إليه نظرة الدونية، ولا من مجتمعه الذي ينظر إليه كخائن لأتمته.

في هذا المبحث سنتعرض للمناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس، ومبرراته في ذلك، وسنعرف هل كان إنسانا باحثا عن المال والجاه؟ أو صاحب مشروع سياسي حملة ودافع عنه من أجل مصلحة أتمته. بدأ فرحات عباس ممارسة النشاط السياسي في فترة العشرينات من القرن الماضي من خلال كتاباته التي يفصح فيها سياسية المحتلين في الجزائر، ومتأثرا بوضعية الفلاحين البؤساء، ومطالبها بتحسينها.

وفي سنة 1927 ينتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، والتي ترأسها من 1927 إلى 1930، وفي 6 أبريل 1930 يعين كنائب لرئيس الإتحاد الوطني لطلبة فرنسا، ويتوجه إلى بروكسيل للمشاركة في المؤتمر الثاني عشر للفيدرالية العالمية للطلبة.⁽⁴³³⁾ وبرجوعه من بلجيكا يزور فرنسا، حيث التقى بممثلي جمعيات الطلبة هناك، استطاع من خلال مناقشاته معهم أن يؤثر في أفكارهم حول سياسة الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وبالنسبة إليه مشكل الجزائر يجب أن يطرح في كامل التراب الفرنسي، وليس في باريس وحدها.⁽⁴³⁴⁾ كان يريد أن يستعين بالفرنسيين الأحرار للضغط على حكومتهم من أجل إيجاد حل لمشكل الجزائريين المسلمين الخاضعين للاحتلال الفرنسي، يجب كثيرا مناقشة الفئة المثقفة، لأنه يدرك مدى قوة تأثيرها على المجتمع الفرنسي وبالتالي على البرلمان والحكومة الفرنسية.

في سنة 1932 ينتقل إلى مدينة سطيف لممارسة نشاطه المهني كصيدلي، فتح صيدليته بمدينة سطيف، 22 طريق سيليق (Sillégue) وعلى بابها توجد لافتة كتب عليها: "كرات الأكسجين، وآلام الوضع." ⁽⁴³⁵⁾ والكل في سطيف سواء العرب المسلمون أو الأوروبيون ينادونه "السيد عباس" ⁽⁴³⁶⁾ أما عن أسباب اختياره لمدينة سطيف بدل مدينة جيجل لفتح صيدليته، فهناك أسباب، السبب الأول أن جماعة من أعيان مدينة سطيف اتصلوا بوالده بالطاهير، وطلبوا منه أن يسمح لابنه بالانتقال إلى مدينة سطيف نظرا لإعجابهم بذكائه وصداقته لهم أثناء مرحلة الدراسة الجامعية ومنهم الدكتور صديقه معيزة الذي ألح عليه بالانتقال إلى مدينة سطيف، والسبب

⁽⁴³³⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 403

⁽⁴³⁴⁾ Amar Naron, op.cit, p : 39

⁽⁴³⁵⁾ Jean Lacouture, op.cit, p :273

⁽⁴³⁶⁾ ibid.

لثاني قرب مدينة سطيف من أصل عائلته.⁽⁴³⁷⁾ التي انتقلت إلى مدينة فج أم زالة حيث بقي بعض أفراد عائلته هناك، مثل عائلة معزة وابن الضاوي و بومعزة وغيرهم... وبالتالي فهو ليس بعيدا في مدينة سطيف عن أهله، أما السبب الثالث وربما الأساسي، هو النشاط السياسي الوطني الذي كان فاعلا في هذه المدينة، حيث سمح له بممارسة نشاطه السياسي والمهني في آن واحد، فتحول محله في وقت قصير من فتحه إلى نادي سياسي، تدور فيه مناقشات حية فيلتقي فيه النخبة من السطايفية، ومحله ليس بعيدا عن الثانوية، الأمر الذي جعل تداول هذه الأفكار وانتشارها في الوسط الطلابي. (438)

لقد كون صداقات واسعة مع المسلمين، ومع الأوروبيين خاصة مع رئيسي بلدية سطيف السيد: "دي لوكا" (Deluca) الذي اغتيل أثناء أحداث 8 ماي 1945، والثاني السيد: "برانكا" (brincat)، الذي نفي من الجزائر بعد أحداث 13 ماي 1958.⁽⁴³⁹⁾ وهكذا تكون مدينة سطيف فتحت صدرها وضمت إليها فرحات عباس كأم حنون عطوف على ابنها الصغير، فهو سطاييفي أكثر منه جيجلي، فجيغل أخذ عنها عزة النفس، وحافظت بأمانة على جذوره التي لم تسمح له باقتلاعها أو التنصل من أصله، أما مدينة سطيف فزادته صفاء كصفاء هوائها وشامخا كشموخ موقعها، وكأنها حارسة الجزائر، بارتفاعها عن مستوى سطح البحر الذي يصل إلى 1074 مترا، فتعلم في مدينة سطيف ما لم يتعلمه في الجامعة أو في الجزائر العاصمة، تعلم فيها صدق الرجال وإخلاصهم، ووفائهم للرجال الصادقين واستعدادهم للدفاع عنهم بدمهم، ومالمهم* وفي هذه المدينة لمع نجمه السياسي بين رجال مخلصين سانده ووقفوا إلى جانبه في السراء والضراء (سواء أثناء فترة الاحتلال والثورة الجزائرية، أو أثناء مرحلة الاستقلال).

أما أخوه الأكبر عمار، فقد خلف والده في منصب قايد بأحجار الميس، وأخوه الثاني أحمد أصبح موظفا في بلدية الطاهير المختلطة، وأخوه الرابع حميد توفي سنة 1931 بباريس حيث كان طالبا في الحقوق، وحضر جنازته بمدينة الطاهير الكثير من الطلبة، والأخ الخامس محمد الصالح اختص في الفلاحة.⁽⁴⁴⁰⁾

تزوج فرحات عباس في سنة 1934 بفاطمة الزهراء بنت عبد الرحمن بن خلاف أحد الملاكين الكبار بمدينة جيجل.⁽⁴⁴¹⁾

وكان هذا الزواج نزولا عند رغبة أبيه القايد، الذي كان معجبا بالعائلات الثرية في منطقته، ولم تكن لفرحات عباس أية معرفة سابقة بزوجته، فهو زواج تقليدي، حسب الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة في هذه

⁽⁴³⁷⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 51

⁽⁴³⁸⁾ ibid. p : 53

⁽⁴³⁹⁾ ibid.

* تكريما له، سمي السطايفية جامعتهم بـ: جامعة فرحات عباس أما مدينته الأصلية جيجل فقد أطلقت اسمه على مطارها " مطار فرحات عباس "

⁽⁴⁴⁰⁾ ibid. p : 51

⁽⁴⁴¹⁾ Jean Lacouture, op.cit,p : 273

المنطقة، فالعائلات التي نالت بعض الإمتيازات في إدارة الاحتلال، أدارت بظهرها لأصولها الفلاحية المتواضعة، أما البرجوازية التقليدية فكانت تسعى إلى التقرب عن طريق المصاهرة من النخبة لزيادة توسيع نفوذها، وتحقيق مصالحها. وكما يسميه بنيامين سطورا بأنه " زواج سياسي " (442) لكنه نسي بأن فرحات عباس ليس من الرجال الانتهازيين وما كان هذا الزواج إلا احتراماً لوالده الذي لم يستطع الخروج عن طاعته، وليس لأغراض أخرى، رزق بطفل عاش بضعة أشهر فقط ثم توفي، وزواجه من فاطمة الزهراء لم يتكلم عنه نهائياً في كتاباته رغم أن زوجته الأولى كانت ابنة بلدته، ولم يعرف عنهما أي خصام بينهما طوال مدة زواجهما، وذلك بعكس زواجه الثاني من فرنسية الذي تكلم عنه في مذكراته.

وبعد خروجه من السجن في مارس 1946، تزوج للمرة الثانية من امرأة فرنسية (أرملة) مولودة في الجزائر (من الأقدام السوداء) بالقرب من البلدة تتقن العربية جيداً، اسمها "مارسيل ستوتزيل" (Marcelle Stoetzel) - تعرضت هي الأخرى إلى الاعتقال بسبب نشاطها السياسي معه - تزوج على الطريقة الإسلامية، وذلك بحضور الشيخ البشير الإبراهيمي الذي قرأ الفاتحة، والدكتور أحمد فرنيسيس. (443)

رفضت زوجته الأولى فاطمة الزهراء رفضاً مطلقاً تعدد الزوجات، مدعية أنها لا تستطيع العيش مع زوجة ثانية من أصل فرنسي (ظاهرياً عائلة ابن خلاف محافظة تقليدية، وعندما يتعلق الأمر بمصلحتها فهي براغماتية، وترفض تعدد الزوجات)، وطلبت الطلاق بإرادتها، فقبله فرحات عباس مباشرة، وربما يكون قد تخلص من عبء وضعه والده عليه، لم يرزقه الله من زواجه الثاني بأي ولد، فتبنى الطفل عبد الحليم ابن أخيه محمد الصالح، وحينما أخذه كان هذا الطفل في وضعية مرضية خطيرة، فاهتمت به زوجته مارسيل كثيراً، وكذلك عمه فرحات عباس حتى شفي من مرضه. (444)

وفي تلك السنة التي تزوج فيها فرحات عباس انتخب مستشاراً عاماً لبلدية سطيف، والتي كان عدد سكانها يقدر بحوالي 28530 نسمة، منهم 8055 أوروبي محتل، و 1300 يهودي. (445) وفي 14 أكتوبر 1934 انتخب مستشاراً عاماً لولاية قسنطينة، منتصراً على منافسه لعوامري بـ 3301 صوتاً مقابل 886 صوتاً لمنافسه. (446) هذا الانتصار في الانتخابات الولائية التي دخلها في إطار فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة، وأصبح نائباً للدكتور محمد الصالح بن جلول. (447) واستطاعت فيدرالية المنتخبين أن تحصل على أغلبية المقاعد المخصصة للجزائريين المسلمين للهيئة الثانية.

(442) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit :51

(443) ibid. p : 163

(444) ibid.

(445) ibid. p : 52

(446) Jacques Bouveresse, op.cit,p : 897

(447) ibid.

عن بسكرة فاز الدكتور سعدان، وعن سوق أهراس، فاز قواهرية الزين، وعن سطيف فاز فرحات عباس، وعن جيغل بن خلاف، وعن قالمة لخضري، وعن عين البيضاء ابن عبود، وعن ميله بوالصوف، وعن الخروب سراوي. (448)

إن جماعة الفيدرالية اعتبروا فرنسا وطنًا مشتركًا بين المسلمين والمحتلين، وأكدوا على احترامهم للسلطات الفرنسية، فهي لم تكن معارضة للوجود الفرنسي في الجزائر، ولكن معارضتها كانت لأساليب إدارة الاحتلال في الجزائر، ففرنسا بالنسبة لهم هي وطن الحرية والتقدم والديمقراطية. (449)

وقد وضعت فيدرالية المنتخبين المسلمين برنامجًا لها حددت فيه مطالبها الآتية:

" 1 - تمثيل الأهالي في البرلمان.

2- المساواة في الخدمة العسكرية.

3- المساواة في التعويض للموظفين الأوروبيين و الأهالي.

4- إلغاء الإجراءات المفروضة على العمال الأهالي، والسماح لهم بالانتقال إلى فرنسا.

5- إلغاء قانون الأهالي.

6- تطوير التعليم، والتكوين المهني لدى الأهالي.

7- تطبيق القوانين الاجتماعية في الجزائر.

8- إعادة تنظيم البلديات المختلطة، وانتخاب الأهالي، حسب قانون 1910 الخاص بانتخاب المستشارين العامين في المندوبيات المالية. (450)

هذه المطالب مستمدة في معظمها من برنامج الأمير خالد، حيث طالب بتمثيل الأهالي في البرلمان ومساواتهم مع الفرنسيين في الحقوق والواجبات وإلغاء قانون الأهالي، وتكوين الجزائريين وفتح المدارس أمامهم، وتوظيفهم، وإلغاء المحاكم الخاصة. (451)

مشاركة فرحات عباس في الانتخابات، لم يكن هدفه منها الحصول على إمتيازات، أو التقرب من مسؤولي الاحتلال من أجل منافع شخصية، إنما غاية الدفاع عن الجزائريين المسلمين وتحسين وضعيتهم، ضمن القوانين الفرنسية، أين أنه قاد ثورة قانونية ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أو كما يسميها هو: " الثورة بالقانون." (452) لأن الاحتلال لم يترك للجزائريين أي سلاح بيدهم لمواجهة.

(448) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :127

(449) Mahfoud Kaddache, op.cit,p :211

(450) cité par Mahfoud Kaddache,op.cit,p :213 d'après Spielmann, la tribune indigène Algérienne du 25 Novembre 1927

(451) Ageron C. R, politiques coloniales au Maghreb, op.cit, p p :255-256

(452) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 10

يقول في مقدمة كتابه الشاب الجزائري في طبعته الثانية سنة 1981: "إن النخبة المسلمة لم يترك لها الاحتلال أي سلاح للدفاع عن حقوقها، فناضلت بالكلمة كسلاح وحيد سمح به القانون الفرنسي، وكنت شاهدا على هذا النضال، عرفت الأمير خالد الذي مات في المنفى بدمشق، و لمين العمودي، و دندن، وحاج عمار، ومحمد بن رحال، و علاوة بن لونسى، وأحسن بن خلاف، و فيكتور سبيلمان، والدكتور موسى، والدكتور ابن تامي، وجي طالب، وعلي صاب، و صفير، و قايد حمود، وشيكيكين، والمعلم حدو، و طاهرات، والعلماء أمثال عبد الحميد بن باديس، و طالب الإبراهيمي*، والعربي التبسي، ومبارك المليي وغيرهم... صحيح أننا كنا في مواجهة أعداء، ولوبي في باريس، وسائلنا كانت ضعيفة للدفاع عن شعب ضعيف." (453)

أما عن مداخلاته في المجالس النيابية كانت لا تختلف كثيرا عن مطالب فيدرالية المنتخبين المسلمين، ومتطابقة مع برنامجهم لسنة 1927، فبالنسبة إليهم مفهوم الوطنية لم يتبلور بعد في فكرهم، فهم يعترفون بفرنسا الوطن الأم، إنما كفاحهم كان ضد المحتلين الذين وقفوا بكل قوة أمام الإصلاحات الخاصة بالجزائريين المسلمين، ولم يكن هؤلاء النواب يحملون شيئا من الأفكار الثورية. (454) فرحات عباس كان دائما يدعو إلى حل المشاكل باستعمال الطرق السلمية، والتعقل، وترك أسلوب العنف، وكان نضاله ضد سياسة الاحتلال.

ويصف " جاك بيرك " (Jacques Berque) مداخلات هؤلاء النواب خلال الثلاثينات من القرن الماضي بقوله: "إنها عتبة الدخول في القضايا المنطقية المحورية الظاهرية، المرتبطة بالاحتلال الفرنسي للجزائر." (455) مطالبهم الأولى والأساسية كانت تنحصر في طلب المساواة التامة بين الجزائريين المسلمين والأوروبيين المحتلين.

أما " جاك بوفريس " (Jacques Bouveresse) فيقول عن مداخلاتهم ما يلي: " كانوا يتضرعون إلى إدارة الاحتلال لتحقيق المساواة، وإلغاء القوانين الجائرة... " (456) وكان نواب المحتلين في مختلف المجالس قد وقفوا بكل تعنت وشراسة، وشكلوا حجر عثرة أمام كل مطلب في مصلحة الجزائريين المسلمين الذي كانوا يرون فيه خطرا على إمتيازاتهم، ولا يخدم مصالحهم الآنية، ولم يكن باستطاعة النواب المسلمين الجزائريين المطالبة أكثر من ذلك.

* ذكر فرحات اسم طالب الإبراهيمي، ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه، فهو يقصد البشير الإبراهيمي الذي سجن معه بعد أحداث 8 ماي 1945، وكانت تربطه به علاقة جيدة ويعرف كذلك ابنه أحمد طالب الإبراهيمي

(453) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :23

(454) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872

(455) Jacques Berque, Le Maghreb entre deux guerres, ed, Seuil, Paris,1962, p :459

(456) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872

صرح أحد أعضاء فيدرالية المنتخبين، مولاي مصطفى، مستشار عام بالمدينة، ومندوب مالي بقوله: " إنني صديق النظام والمساواة. " (457) فهو مع فرنسا ولكنه ضد القوانين التي فرضها الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ويمكننا أن نعبر باختصار بأن هذا الرأي كان يتفق تماما مع الفكر السياسي لفرحات عباس.

فإذا تتبعنا فكره السياسي في هذه المرحلة نجده مرتبطا بفكر و مطالب فيدرالية المنتخبين المسلمين، فالذي كان يؤله كثيرا هي الوضعية المأساوية للفلاحين المسلمين، كان نضاله ينحصر في المطالب الاجتماعية، و الثقافية، والقانونية.

لكن الشيء الإيجابي في هذا الانتخابات، هي الحملات الانتخابية التي كانت تفرض على المرشحين الجزائريين المسلمين من الهيئة الانتخابية الثانية، الاحتكاك مباشرة بالفئات الشعبية البسيطة المقهورة من أجل الحصول على أصواتهم، وكانت المنافسة بين المرشحين، ممثلي إدارة الاحتلال من قياد و باشاغوات، الذين كان يغلب عليهم طابع الجهل، والامثال الكامل لإدارة الاحتلال (أشخاص طيّعون، لا يعصون أوامر سادتهم)، ومن جهة أخرى طابع القوة و النفوذ الذي كانوا يفتخرون به أمام شعب جائع فقير مظلوم لا قوة له.

أما النخبة المثقفة المرشحة للانتخابات فكانت منافسا شرسا لهؤلاء القياد و الباشاغوات، وأعاون إدارة الاحتلال فهي تكشف عيوبهم بخضوعهم التام لأسيادهم المحتلين أمام الفئات الشعبية. فكانت هذه الحملات الانتخابية كمدسة سياسية شعبية، فتحت عيون الجزائريين على مشاكلهم، ومناقشتها، وطرح الحلول لها. (458)

ربما نستطيع أن نقول أن هذه الحملات الانتخابية كان لها دورا فعالا في نشر الوعي السياسي بين أوساط الفلاحين الجزائريين، دون أن يدرك الاحتلال أخطارها المستقبلية.

أما المناصب السياسية التي مارسها فرحات عباس ككاتب في المجالس النيابية أثناء فترة الاحتلال هي: (انظر جدول رقم : 1) (459)

(457) cité par Jacques Bouveresse, op.cit, p :872 d'après le journal Dépêche Algérienne du 21 janvier 1935

(458) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 872

(459) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 404-410

جدول رقم: 1

| المنصب السياسي | السنة |
|--|-------------------|
| ينتخب مستشارا عاما لبلدية سطيف و مستشارا عاما لولاية قسنطينة و ينتخب عضوا في المندوبيات المالية يعين عضوا في المندوبيات المالية | 1939-1934 |
| ينتخب مستشارا عاما لولاية قسنطينة ونائبا في البرلمان الفرنسي، ومستشارا في الإتحاد الفرنسي ونائبا في المجلس الجزائري | 1941 1955-1946 |

ويبرر فرحات عباس قبوله هذه المناصب السياسية بقوله: " قبلنا النضال على أرض الميدان من أجل الدفاع عن المساواة بين الجزائريين المسلمين والمختلين، اخترت الطريق الذي ظهر لي بأنه الأقصر والسريع، لإيجاد علاج لوضعية تزداد خطورة يوما بعد يوم، أما الانتظار فإنه سيؤدي إلى انفجار قاتل." (461) كان يعلم بأن الظلم والقهر الذي مارسه الاحتلال الفرنسي في الجزائر، لا يتولد عنه سوى ثورة الشعب الجزائري فالظلم لا ينتج عنه سوى التطرف والرغبة في الانتقام متى سنحت الفرصة لذلك.

والمناصب السياسية التي مارسها أثناء انضمامه للثورة وبعد الاستقلال هي: (أنظر جدول رقم: 2) (462)

جدول رقم: 2

| المنصب السياسي | الشهر و السنة |
|--|----------------|
| عضو المجلس الوطني لثورة الجزائر | 20 أوت 1956 |
| عضو لجنة التنسيق و التنفيذ الثانية مكلف بالإعلام | أوت 1957 |
| أول رئيس لأول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية | 19 سبتمبر 1958 |
| رئيس لثاني حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية | 20 جانفي 1960 |
| رئيس المجلس الوطني التأسيسي | 20 سبتمبر 1962 |

جعل فرحات عباس اهتمامه كله للدفاع عن فئة الجزائريين المسلمين البائسة من خلال مداخلاته ونشاطه النبائي، ويقول عنه أحمد توفيق المدني: " كان فرحات عباس من أكثر عناصر فيدرالية المنتخبين المسلمين نشاطا، ودفاعا عن مصالح المسلمين الجزائريين." (463) فهو لا يشعر بالسعادة والراحة إلا وسط فئة الفلاحين الذين تربى وعاش معهم، وكما يعبر أن ارتباطه بهم ليس عاطفيا، ولكن عضويا، عارض سياسة الاحتلال، ووقف ضد إمتيازات الطبقة الإقطاعية، فبالنسبة إليه الإصلاح ضروري، ويجب أن يكون سريعا لإنقاذ أوضاع الجزائريين المسلمين المزرية، معتمدا في ذلك على أفكار الديمقراطية الليبرالية الفرنسية التي وضع أسسها " جون جوريس ". (464) فدفاعه عن المحرومين هو قضية أخلاقية بالنسبة إليه.

(460) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op. cit. p : 26

(461) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 123

(462) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 411-416

(463) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956، ص: 168

(464) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 52

كانت جماعة فيدرالية المنتخبين تدافع عن حقوق الجزائريين المسلمين، وتطالب بتحسين وضعيتهم الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ولكن في إطار القوانين الفرنسية، وداعية إلى سياسة الاندماج. (465)

ويصف انتخاب الشعب له، وجماعة فيدرالية المنتخبين المسلمين، وذلك بسبب الثقة الكبيرة التي وضعها الشعب فيهم، بالرغم من أن معظمهم مثقفون باللغة الفرنسية، وأبناء طبقة الأعيان، فإن ذلك لم يكن مانعا في وجه هذه الجماعة، المدافعة عن الجزائريين المسلمين، والمتطلعة إلى احترام حقوق الإنسان. (466)

والمشاركة بالنسبة إليه في الحملات الانتخابية، هي تربية سياسية، واجتماعية للمسلمين، لأنه استطاع بواسطتها أن يتقرب أكثر من الأغلبية العامة منهم، فتحاور معهم، واطلع على مشاكلهم وهمومهم، وآمالهم. (467)

وبفضل الحملات استطاع الفلاحون أن يتجاوزوا إصلاحات 1919، وأصبحت مطالبهم، تتمثل في المساواة مع المحتلين في الأجور والمعاملات، والحقوق. (468)

لقد تميزت مداخلات فرحات عباس في المجالس النيابية بدفاعه عن الجزائريين المسلمين مطالبا بشدة تحسين وضعيتهم والأخذ بأيديهم إلى طريق التحرر، والوقوف ضد القوانين الاستثنائية التعسفية التي فرضها الاحتلال الفرنسي على الجزائريين من أجل سيطرته وهيمنته، وإذلال الشعب الجزائري.

كما جلبت له هذه المداخلات الكثير من المشاكل مع غلاة المحتلين، فأثناء الحرب الكونية الثانية طالبوا بتصفيته، لأنه في نظرهم عنصر محرض على التمرد والثورة ضدهم، وأثناء سجنه بعد حوادث 8 ماي 1945، تعرضت صيدليته بمدينة سطيف إلى النهب والتخريب.

وكان يفضح سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بكل شجاعة في مداخلاته داخل المجالس، ومن خلال كتاباته في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي، طالب بوضع حد لها، والأخذ بيد الجزائريين المسلمين إلى ما فيه الخير والسعادة لهم، وإزالة القوانين الاستثنائية، وتكوين مجتمع جزائري مبني على العدل الاحترام.

(465) أحمد مهساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود، ومحمد عباس، دار القصة، الجزائر، 2003، ص: 61

(466) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane, N° 18 du 09 janvier 1936

(467) ibid.

(468) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 20 du 20 janvier 1936

المبحث الثالث

دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول

بداية الثلاثينات من القرن العشرين كانت حاسمة، فاحتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر، كانت إهانة للجزائريين، وتحد لمشاعرهم.

كيف كان موقف فرحات عباس من هذه المرحلة؟ أينفصل عن أصله ومجتمعه، وهو المثقف المتخرج من الجامعة؟ أم أنه جعل من نفسه مناضلا لإنقاذ أمته؟

وهذا ما سنراه في هذا المبحث و الطرق التي لجأت إليها النخبة الجزائرية بهدف وضع حد لسياسة الاحتلال المبنية على الظلم والقهر والتعسف.

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، برئاسة عبد الحميد بن باديس، وضمت 72 عالما جزائريا. (469)

ويعتبر هذا حدثا عظيما، عرفته الجزائر في هذه الفترة، لقد أدرك العلماء الخطر المحدق بأمتهم، فتحملوا أمانتهم بصدق، وقاموا بدور فعال برئاسة شيخهم عبد الحميد بن باديس، في إيقاظ الأمة الجزائرية المسلمة من سباتها، وفضح أساليب الاحتلال الفرنسي، وأذنا به من الجزائريين، والطرقية، والمتحسنيين، ومحاربة الجهل، والخرافات، والشعوذة، ونشر التعليم باللغة العربية...

كان عدد سكان مدينة قسنطينة في سنة 1931 حوالي 99600 نسمة، 12% منهم يهود، وكان تأثيرهم كبيرا على إدارة الاحتلال في هذه المدينة، فمعظم المناصب الإدارية الهامة كانت بأيديهم، فتكبروا وتجرأوا على الجزائريين المسلمين الذين كانوا يعانون الفقر، والظلم الإداري، فنشأت كراهية كبيرة بين الفئتين، وكان من نتيجة ذلك نشوب أحداث دامية في أوت 1934 بين الجزائريين المسلمين ويهود قسنطينة، أدت إلى مقتل 23 يهودي، و4 قتلى من الجزائريين المسلمين. (470) تدخل الشيخ عبد الحميد بن باديس، وابن جلول لتهدئة الأوضاع، كما استنكر فرحات عباس هذه الأحداث، واتصل برئيس جمعية الصداقة اليهودية الإسلامية "إيلي غوزلان" (Elie Gozlan) للتعبير عن أواصر الصداقة بين المسلمين و اليهود، معتبرا أن هذه الأحداث هي من صنع الاحتلال، وسببها الفقر، والظلم، واللامساواة، التي خلقها الاحتلال بين المسلمين واليهود. (471)

وشهدت مدينة سطيف في 1 فيفري 1935 أحداثا دامية سببها اليهود، فأحد أعوان الشرطة يهودي اسمه

(469) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 81
(470) Mahfoud Kaddache, op.cit, pp :305-306

(471) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 63-64

" سيرفان " (Sirven) أطلق النار من مسدسه في إحدى الملاهي بسطيف على جزائري وقتله، وعمت الفوضى في المدينة كلها، واتجه السطايفية إلى محافظة الشرطة معبرين عن غضبهم، فأطلقت الشرطة عليهم النار وقتلت 2 منهم، فكانت بذلك كمن يصب الزيت على النار، فاعتدى المواطنون على أملاك اليهود، وعم الرعب، وانتقلت أعمال العنف ضد اليهود إلى عدد من المدن الجزائرية وصلت حتى مدينة مستغانم. (472)

ويصف فرحات عباس هذه الأحداث بقوله: " في سنة 1935 انفجرت أحداث في قسنطينة، وبجاية، وسطيف، وبسكرة، وكانت شرطة الاحتلال تحت تصرف رؤساء البلديات الفاشيين، الذين أمروا بإطلاق النار على الشعب فقتلوا 3 مناضلين قداماء، وجرح عدد كبير منهم." (473) على إثر ذلك تدخلت سلطات الاحتلال بقوة، واعتقلت العشرات من الجزائريين المسلمين. (474) إنه الاحتلال يواجه دائما الحقوق الشرعية للجزائريين المسلمين باستعمال العنف والترهيب في غير محله بهدف بث الرعب والبلبلة في نفوس الجزائريين، ليتمكن من المحافظة على سياسته المبنية على الظلم والاستغلال.

لقد تدخل فرحات عباس داعيا إلى التهدئة في مدينة سطيف، لأنه كان يعلم بأن الشعب الجزائري ليس له القوة لمواجهة جحافل الاحتلال في تلك الفترة، وألقى التهمة على الاحتلال المتسبب في تلك الأحداث بسبب إهماله للجزائريين المسلمين، معتبرا أن اليهود، والإيطاليين، والأسبانيين، أبناءه، أما الجزائريين المسلمين فلا اعتبار لهم عند المحتلين. (475) فقتلهم واستغللهم شيء مباح له.

وهكذا تتلاحق الأحداث بسرعة، وليس بيد المنتخبين المسلمين الجزائريين القوة لمواجهة تعنت إدارة الاحتلال، فلا سلاح لهم سوى القوانين الفرنسية، التي كان يستعملها فرحات عباس كسلاح لمواجهة سياسة المحتلين في الجزائر، وهو يعلم جيدا بأن سلاحه ضعيف، كان يتمثل أولا في نشر التوعية في أوساط الفلاحين عن طريق الحملات الانتخابية، من أجل تعبئتهم للدفاع عن حقوقهم، وثانيا الاعتماد على قوانين الجمهورية الفرنسية أمام غلاة المحتلين الذين كانوا يرفضونها، ولا يطبقونها. وطلبت فيدرالية رؤساء البلديات الجزائر من فرنسا المزيد من القوات العسكرية، وطالبت أيضا بعزل الرماة الجزائريين من صفوف الجيش الفرنسي في الجزائر، وتعويضهم بالرماة السنغاليين الذين لا يعصون الأوامر، ويطيعون ضباطهم طاعة عمياء، مع مطالبتهم كذلك بإنشاء فرق متنقلة من الدرك تجوب الأرياف الجزائرية، وتراقب أي تحرك، وألحوا على ضرورة معاقبة المشاركين في تلك الأحداث بدون رحمة ليكونوا عبرة للآخرين. (476) هذه هي سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، حل المشاكل الاجتماعية للجزائريين المسلمين

(472) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 367

(473) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :127

(474) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p :65

(475) ibid.

(476) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :128

بواسطة القوة العسكرية التي لا تترد في استعمال أبشع أنواع العقاب ضد الجزائريين المطالبين بحقوقهم. أما النواب المسلمون الجزائريون وجهوا احتجاجات إلى ليبرالي فرنسا منهم رئيس الجمهورية الفرنسية، ورئيس المجلس، ووزير الداخلية، وإلى موريس فيوليت عضو مجلس الشيوخ، جاء وزير الداخلية الفرنسي "مارسيل رينييه" (Marcel Rénier) إلى الجزائر للإطلاع بنفسه على أحوالها، واصطدم بالحالة المزرية التي كان يعيش فيها الجزائريون المسلمون، وبرجوعه إلى فرنسا أصدر قرارا سمي باسمه "قرار رينييه" يهدف إلى القيام بإصلاحات.⁽⁴⁷⁷⁾ تضع نوعا ما بعض المسكنات، والهدف منها المحافظة على أمن وسلامة وأملاك المحتلين متجاهلا بذلك مصالح الجزائريين المسلمين.

هذه الإصلاحات كانت كسيف على رقاب الجزائريين المسلمين، لأنها تجاهلت تماما مطالبهم، ومنحت إمتيازات أكثر لرؤساء البلديات.

أمام هذه الأوضاع المتوترة والخطيرة في نفس الوقت جعلت العلماء وفيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين يعتقدون مؤتمرا لهم في قسنطينة ما بين 17 و 24 نوفمبر 1935، وكونوا لجنة لتحضير دراسة من أجل تأسيس حزب سياسي يجمع صفوف الجزائريين.⁽⁴⁷⁸⁾ هذه الفكرة سبق للأمير خالد أن طرحها في جريد الدفاع ليوم 13 أفريل 1934،⁽⁴⁷⁹⁾ وطرحها كذلك فرحات عباس و"صاطور" يوم 15 فيفري 1935 في جريدة الدفاع.⁽⁴⁸⁰⁾

لكن الشيخ عبد الحميد بن باديس لخص أمنيته في دعوته لجميع الأحزاب الجزائرية لعقد "مؤتمر إسلامي" أو "جبهة وطنية".⁽⁴⁸¹⁾ وقد نشر ابن باديس مقالا له في جريدة الدفاع دعا إلى ضرورة اجتماع جميع زعماء الجزائريين المسلمين، والعلماء، والقضاة، والأساتذة، والمدرسين لعقد مؤتمر إسلامي جزائري، لتحديد ميثاق سياسي لمسلمي الجزائر.⁽⁴⁸²⁾ بهدف تكوين قوة كبرى بإمكانها الوقوف أمام الاحتلال، وفي هذه النقطة يتفق رأي فرحات عباس تماما مع رأي الشيخ ابن باديس في جمع الأحزاب الجزائرية.

نشر فرحات عباس يوم 27 فيفري 1936 مقالا له في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي بعنوان "على

⁽⁴⁷⁷⁾ ibid.

⁽⁴⁷⁸⁾ Claude Collot et Jean Robert, op.cit,p :64

⁽⁴⁷⁹⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 417

⁽⁴⁸⁰⁾ ibid.

⁽⁴⁸²⁾ La défense, N° 88 du 03 Janvier 1936

⁽⁴⁸¹⁾ نفس المرجع، ص: 148

* مقال فرحات عباس: على هامش الوطنية، فرنسا هي أنا

هذا الموقف المتواضع، وفكر بعض الناس غير العارفين، جريدة الزمن " le temps " والتي تدعمها القوة المالية الكولونيالية، وسخافة بعض السياسيين الذين يستمرون في عداوتهم للجزائر المسلمة، حيث يطلقون عليها تسميات ذنينة، منذ 50 عاما: الوطنية - التعصب الديني - الوهابية .. الخ نتذكر الحملة التي نظمت ضدنا في سنة 1935، وزيارة وزير الداخلية الفرنسية الذي يعرف كيف ينظر للأشياء بذكاء السيد رينيه لاحظ طبيعة نشاطنا وما هو أحسن للسكان الذين تمثلهم، وتفحص جميع الآفاق وجميع الأفئدة ولما عاد إلى باريس صرح بشدة من أعلى منبر مجلس الأمة: " لي الثقة في الأهالي " . كنا نعتقد أن يكون لكلامه صدى في العالم كله، وبوضعنا الثقة في الحكومة وحتى في خصومنا بالأمس، كنا ننتظر ساعة الإصلاحات وإنجازها الملموس. كنا نتمنى نهاية مأساة الجزائريين، إنما سداجة من هؤلاء الذين يمزجون بين العاطفة والفعل والشرف مع السياسة من جهة أخرى.

كنا نتق في الوعود التي أعطيت لنا، وقد سقطنا في لعبة خصومنا بترك الميدان حرا لهم .. التحالفات الخفية والشهوات المنظمة بقوة، هذه القوات قامت بمناورة من طراز عال بخرق قرار الحاكم، الهدنة احترقت، دافعنا عن أنفسنا سنة 1935، وسندافع اليوم، نريد الحوار .. فلنحاور .. نريد القذف، ولكن الحقيقة تغلب على الكذب. في جميع الميادين وبعون الله والرجال سننتصر، ليس من اختصاصي الدفاع عن الشيخ ابن باديس، والشيخ العقبي وكل العلماء. القضية التي تمسني هي التعليم باللغة العربية التي تطرقت إليها جريدة " le temps "، هذه اللغة العربية بالنسبة للدين الإسلامي، هي بمثابة الكنيسة للديانة الكاثوليكية، لا يمكنها العيش بدونها، إيمان مسلم أمة هو نسيج من هذه الإجماعات، المسجد عندنا لا شيء، وقراءة القرآن الكريم هو الكل الذي يشكل إسمت الإيمان. هل من الضروري في هذه الأحوال أن نؤكد تمسكنا بتعليم اللغة العربية التي هي أساس إيماننا. إن تعليم اللغة العربية مرتبط بجزية الضمير، وأن منع تعليمها هي إعلان الحرب ضد الدين الإسلامي، وخاصة إعلان الحرب ضد التعليم .. يجب أن ننظر للأشياء كما هي .. الوهابية والقومية العربية هما ستار تخفي من ورائه أهداف الاحتلال. الشعب الذي حرم من الدخول إلى المدرسة الفرنسية يجب أن يحرم من تعليم اللغة العربية، لا ثقافة فرنسية، ولا ثقافة عربية وبالتالي يسهل استغلال الشعب بسهولة وفي حالة رفضه للاستغلال يكون مصيره السجن، وموقفنا ضد ذلك. في بلد يحرم فيه أكثر من 800 ألف طفل من التعليم، ومطلبنا هو التعليم، وهذا المطلب يترجم في تقديم تشكراتنا للمبادرات الفردية وبصفة خاصة إلى العلماء الذين فسحوا المجال لتعليم عدد هائل من أطفالنا عوض أن يكونوا في الشارع .. هل هذا المجهود المشكور الذي يجلب غيرة حكامنا إذا كان معنى كلمة التعليم ليست خيالا بالنسبة للبعض منهم؟ إذا كان العلماء عنصريين، شموليين، نحن أصدقاء الدكتور ابن جلول سنكون وطنيين. التهمة ليست جديدة، تحاورت مع شخصيات عديدة حول هذه القضية، وجهة نظري معروفة.

الوطنية هي عاطفة تدفع شعبا ليعيش داخل وطنه وهي التي خلقت شبكة من الأوطان.

لو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ولا أحجل من ذلك كمن يرتكب جريمة . الرجال الذين ماتوا من أجل الوطن إنهم يوميا يكرمون ويحترمون، حياتي ليست أغلى من حياتهم، ومع هذا لن أقوم بهذه التضحية، الجزائر كأمة هي خيال لم أكتشفها، سألت التاريخ والأموال والأحياء وزرت المقابر! لا أحد تكلم عن الأمة الجزائرية، بلا شك وجدت الإمبراطورية العربية، والإمبراطورية الإسلامية التي شرفت الإسلام وسلطاننا، ولكن هاتين الإمبراطوريتين زالتا كما زالت الإمبراطورية اللاتينية والإمبراطورية المقدسة الرومانية الجرمانية في العصور الوسطى ظهروا لعصر وإنسانية لم تعد من زماننا.

هل هناك جزائري مسلم يفكر بجد في بناء مستقبله على غبار الماضي؟ الدونكشوطيون لم يعودوا من زماننا. لا نبي على الريح أبعدنا بصفة نهائية الأوهام لربط مستقبلنا بمستقبل فرنسا في هذا البلد، لقد كتبنا ذلك، الحفاظ على هذا العمل هو محور عملنا السياسي .. وإذا كنت بحاجة إلى دعم اتجاهنا سأذكر فعلا بجنا قمت به شخصيا كشف لي عن حقيقة، في سنة 1918 كان فيه مبلغ التأمين على الحياة عند الأهالي مئات الآلاف من الفرنكات تقريبا واليوم أصبح أكثر من 20 مليون فرنك تصورت لو كنا وطنيين ضد الوجود الفرنسي. النقطة الأولى التي يجب عملها هي ألا نضع مدخراتنا في صندوق التسفير الفرنسي ساكون ضد فرنسا، وخلال 20 أو 30 سنة سألتزم بدفع مداخلي المتواضعة للاقتصاد الفرنسي، بواسطتها أستطيع ضمان أيامي الباقية وتعليم أولادي، ولماذا لا أتوجه إلى مؤسسات أجنبية مرخص لها من قبل الدولة. إنها سخرية. مبادرتنا تتلاءم مع فكرنا. لا أحد يؤمن بجد في وطنيتنا. ما نريد مكافئته من خلال هذه الكلمة هو تحررنا اقتصاديا وسياسيا، وهذا التحرر المزوج نريده بكل قوانا ومثلنا الاجتماعية.

إذا كان 6 ملايين من المسلمين يعيشون على هذه الأرض التي أصبحت منذ 100 سنة فرنسية، يسكنون في أكواخ وحفاة عراة وبدون خبز. هذا العدد الهائل من الجائعين، نريد أن نبنى مجتمعا عصريا بواسطة المدرسة، والدفاع عن الفالحين والمساعدة الاجتماعية، نريد رفع المسلم إلى كرامة الإنسان ليكون فرنسا، هل هناك سياسة الاحتلال أكثر نضجا، لن ننسى أبدا بدون تحرير الأهالي لا وجود لجزائر فرنسية دائمة. إن فرنسا هي أنا .. أنا هو العدد .. أنا هو الجندي .. أنا هو العامل .. أنا هو الحرفي .. أنا هو المستهلك. إبعاد تعاوني ورفاهيتي وضريبي من العمل الجماعي خطأ فادح. مصالح فرنسا هي مصالحنا من اللحظة التي تكون فيها مصالحنا هي مصالح فرنسا.

هذه الجدية في العمل والفكر هي الحاجز للإقطاعية الجزائرية، وتجاوزات هذه الأخيرة تزداد، وتجعلنا نتأسف على أخذنا بجدية الكتب المدرسية. ربما تريد العودة بنا إلى الوراء . فات الأوان . إننا أبناء عالم جديد مكون من روح وجهد فرنسا . شعارنا: إلى الأمام. (ترجمة: صاحب البحث)

سطيف 1935/2/23-

وذلك ردا على جريدة " لوطن " (le temps) العنصرية المتطرفة التي اهتمت في مقالاتها بأن الحركة الوطنية الجزائرية هي التي كانت وراء الاضطرابات التي حدثت في الجزائر. (484) في سنوات 1935.

في هذا المقال طرح فرحات عباس بكل قوة وشجاعة قضية أساسية وهامة هي قضية: الوطن الجزائري والأمة الجزائرية. (485) هذا المقال أسى فهمه، واستعمل كسلاح ضده، أثناء مراحل الحركة الوطنية، استعمله أعداؤه الفرنسيون ضده عندما أصبح رئيسا للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، (486) وبعد الاستقلال كذلك عندما كان معارضا للنظام الشمولي، فرحات عباس رجل سياسي يتكيف مع الظروف، ويحول تطرف المحتلين إلى مكسب سياسي له للمطالبة بتحسين أوضاع الجزائريين المسلمين، وإنقاذهم من الظلم والقهر، والقوانين الاستثنائية عن طريق تحقيق المساواة، وتوفير المدرسة، وحرية التعبير ...

وإذا قرأنا مقاله هذا بسطحية، وبدون معرفة شخصية فرحات عباس، وبُعد نظرتة السياسية، فإننا سنقول حتما بأنه أنكر وجود الأمة الجزائرية، ولكن إذا حللنا الموضوع تحليلا في إطار سياقه التاريخي، وعرفنا أوضاع تلك المرحلة الخطيرة التي كانت مسلطة على 6 ملايين جزائري مسلم، فإننا سنعرف بدون شك أهداف فرحات عباس من وراء ذلك الموضوع، وهي ثورة سياسية ضد المحتلين، ومصالحهم في الجزائر التي لم تكن لها حدود، ولذلك وقف المحتلون موقف الرفض ضد كل سياسة داعية إلى مساواتهم بالجزائريين المسلمين، لأن ذلك معناه في نظرهم وضع حد لسياسة الاحتلال، وتقليص نفوذهم و إمتيازاتهم.

لقد كانت ردود الفعل الوطنية قوية ضد هذا المقال خاصة من الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب. (487) ومما جاء في رده ما يلي: " البارحة قال أحد المتصوفة الكبار: الله بحث عنك فوجدت نفسي أنا الله. واليوم متصوف سياسي يعلن: فرنسا بحثت عنك فوجدت نفسي أنا فرنسا. " (488) ويضيف ابن باديس موضحا ومنتقدا لذلك المقال بقوله: " اليوم بحثنا في صفحات التاريخ، والوضعية الراهنة، ووجدنا الأمة الجزائرية متكونة وموجودة، كما تكونت ووجدت سائر الأمم، هذه الأمة الجزائرية مسلمة، وهي ليست فرنسا، ولن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسية، ولن تستطيع أن تكون فرنسية، ولو أرادت ... " (489)

" ابن باديس هو الرجل الذي أجاب بفصاحة كبيرة مؤكدا وجود الأمة الجزائرية، واستحالة كون الجزائر جزءا من فرنسا. " (490)

(484) Claude Collot et Jean Robert, op.cit, p :64

(485) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 73

(486) Jean Lacouture, op.cit, p : 274

(487) مجلة الشهاب، أبريل 1936، ص: 42 - 45

(488) نفس المصدر

(489) نفس المصدر

(490) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 51

وهكذا نجد جمعية العلماء برئاسة شيخها عبد الحميد بن باديس قد وقفت بالمرصاد لكل شخص حاول التعرض للهوية الوطنية، مهما كان مستواه ورتبته، تلك هي رسالتها الأساسية التي وهب رجالها الأجلاء أنفسهم للدفاع عنها.

أما مالك بن نبي فيذكر في مذكرات شاهد للقرن حول ذلك المقال ما يلي: "اطلعت على المقال، قطعاً لم تهزني صدمة مثل التي هزني ذلك اليوم، منذ قرأت عنوان المقال (أنا فرنسا) ورأيت اسم صاحبه (فرحات عباس)".⁽⁴⁹¹⁾ كان مالك بن نبي في تلك الفترة يعيش في فرنسا، وشغولاً بمعرفة أحوال الجزائر، وسياسة المحتلين فيها وردود فعل الجزائريين المسلمين تجاهها، كان تواقاً لإحياء الشخصية العربية الإسلامية مثله مثل العلماء، ولذلك قام بكتابة مقال شيق حسب رأيه، وأرسله إلى الأمين العمودي لنشره في جريدة الدفاع، ولكن هذا المقال لم ينشر، ولما سأل مالك بن نبي، الأمين العمودي عن عدم نشره، أجابه هذا الأخير بقوله: "نعم إنني لم أنشره عن روية حتى لا أحطم مستقبل (فرحات عباس) في الحلبة السياسية".⁽⁴⁹²⁾ يظهر أن الأمين العمودي كان على معرفة بجوهر ذلك الموضوع السياسي الذي نشره فرحات عباس، فلم يتحامل عليه أو ينتقده.

ويوضح فرحات مواقفه السياسية في هذه الفترة بقوله: "في هذه المرحلة كانت لي مواقف سياسية، اليوم يستغلها المحتلون، للدلالة على أن الوطنية الجزائرية ليس لها جذور عميقة، سوء النية واضح، موقفي في ذلك الوقت معروف جداً، لا يكفي ذكر بعض الجمل من مقالتي كحجة ضد سياسة كانت، يجب على الأقل ربطها بواقع تلك المرحلة".⁽⁴⁹³⁾ الردود التي جاءت في تلك الفترة تميزت بالقساوة ضد فرحات عباس، وركزت كلها على العنوان فرنسا هي أنا، وبعض الجمل الواردة فيه، ولكنها لم تناقش أو ترد على صلب الموضوع الذي يريد فرحات عباس الوصول إليه، وهي تحرر الجزائريين المسلمين، وإلغاء القوانين الاستثنائية، وإدراج الجزائريين كلهم في صف المواطنين الفرنسية، وهذه الأفكار كانت شائعة في تلك الفترة في الأوساط السياسية الجزائرية المعتدلة، وحتى رد ابن باديس تجاهل عن عمد ذكر المسألة الوطنية كما كان يطرحها مصالي الحاج.⁽⁴⁹⁴⁾

فرحات عباس برغم الانتقادات القاسية التي تلقاها، لم يتسرع أو يتهور، إنما راجع جيداً ما كتب ضده، ورفض معاداة الشيخ ابن باديس أو الإساءة إليه، فهو رجل يحاسب نفسه، يعترف بأخطائه حينما يتأكد من ذلك، ينصت إلى العقل والواقع، ذهب بنفسه إلى مقر مجلة الشهاب، لتوضيح موقفه من ذلك المقال واحترامه للعلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، فكتبت مجلة الشهاب عن تلك الزيارة بقولها أظهر فرحات عباس عمق معارفه وسمو نظراته السياسية وفكره.⁽⁴⁹⁵⁾

⁽⁴⁹¹⁾ مالك بن نبي، المرجع السابق، ص: 360

⁽⁴⁹²⁾ نفس المرجع، ص: 366

⁽⁴⁹³⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 129

⁽⁴⁹⁴⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 65

⁽⁴⁹⁵⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :76

توفي الأمير خالد في 9 جانفي 1936، وهو بالنسبة للعلماء، وعلى رأسهم الشيخ بن باديس، وأصحاب نجم شمال إفريقيا بزعامة مصالي الحاج، وكذلك فرحات عباس الذي تأثر كثيرا بأفكار الأمير خالد، زعيم حركة الشبان الجزائريين الداعي إلى إلغاء الاحتلال، وإعطاء الشعب الجزائري حق تقرير المصير بنفسه، من خلال رسالته إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "ولسن" (Wilson) سنة 1919 أثناء انعقاد مؤتمر الصلح بباريس. (496)

وكتب ابن باديس عن تلك الرسالة ما يلي: "اعتقد الأمير خالد بأن الفرصة مواتية للجزائر لتجريب حظها مثل كل الدول، حيث طرح القضية الجزائرية إلى الرئيس ولسن خلال مؤتمر فرساي." (497)

دعا الشيخ ابن باديس في شهر جانفي 1936 إلى عقد "مؤتمر إسلامي" وفي 16 ماي 1936 فيدرالية المنتخبين لولاية قسنطينة، وجمعية علماء المسلمين الجزائريين، نشرت بيانا بعنوان "نداء إلى مسلمي الجزائر" لتأسيس جمعية من "أجل التحضير لمؤتمر إسلامي جزائري الذي سوف ينعقد في الجزائر (العاصمة) خلال شهر جوان لتحضير برنامج إصلاحية كامل." (498)

أما فرحات عباس فيذكر بأن فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة هي التي دعت إلى عقد المؤتمر الإسلامي بمشاركة كل التيارات الإسلامية الجزائرية، الاشتراكيون، الشيوعيون، المنتخبون، العلماء، الفلاحون، لتحضير ميثاق من أجل المطالبة بتطبيق مشروع فيوليت. (499)

عقدت جمعية تحضيرية في يوم 6 جوان 1936 بنادي الترقى بالجزائر، وفي الغد يوم الأحد 7 جوان 1936 عقد المؤتمر الإسلامي الأول. (500) بسينما ماجيستيك (حاليا سينما الأطلس) (501) بحضور 4000 شخصية من جميع التيارات الجزائرية، العلماء، المنتخبون، قدماء الجيش، الفلاحون، الشيوعيون، الاشتراكيون، والمرابطون، والشبان، أي كل التيارات السياسية والاجتماعية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. (502)

ويستثني أبو القاسم سعد الله حضور النجم، لكن محمد قنانش يشير بأن النجم كان حاضرا بممثل فرع تلمسان، وممثل آخر عن فرع مستغانم، وأعضاء فرع الجزائر العاصمة تكلفوا بالتنظيم وذلك طول مدة أشغال اللجان، ومن باريس إدارة النجم من جهتها أرسلت برقية إلى المؤتمرين جاء فيها: "تحية أخوية إلى المؤتمر الإسلامي، إننا ندعم مطالب تحسين أوضاع الشعب، ونرفض كل اقتراح تستفيد منه أقلية فقط، ونرفض

(496) ibid. p : 75

(497) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :75 d'après Ali Merad, En marge du nationalisme Algérien, R.O.M.M. N°9, 1^{er} décembre 1971.

(498) Claude Collot et Jean Robert, op.cit, p : 75

(499) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 128

(500) Ali Merad, op.cit, p :189

(501) Mohamed Guenaneche, Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939) traduit de l'arabe par sid Ahmed Bouali, édition, E.N.L et O.P.U, Alger, 1990, p :70

(502) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 152

كذلك كل مساس بالشخصية الإسلامية." (503) سمي البشير الإبراهيمي هذا اليوم بـ "اليوم المشهود" (504) نظرا لأهميته وحضور العدد الكبير من الجزائريين من مختلف الاتجاهات، أما المؤرخ "جلبير مينييه" (Gilbert Meynier) فقد اعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري أول جبهة جزائرية. (505) تمكنت من جمع كل التيارات السياسية، والفكرية الجزائرية في إطار جبهة واحدة، من أجل الضغط على إدارة الاحتلال لتحقيق بعض المطالب الإصلاحية.

وهذه طبيعة الجزائريين في أغلب المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر، وذلك منذ عهد ماسينيما، يختلفون فيما بينهم، ولكنهم لا يختلفون حول طبيعة العدو الخارجي، وضرورة الاتحاد ضده.

كلمة الافتتاح ألقاها الدكتور تامزالي، ثم جاء بعده الدكتور ابن جلول، وتلاه الدكتور ابن التامي، و الدكتور عبد الوهاب، ثم جاء دور الصيدلي فرحات عباس، ثم خطب ابن باديس، والعقبي، و البشير الإبراهيمي. (506)

قدم فرحات عباس في مداخلته برنامج فيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية قسنطينة. (507) مؤكدا على ضرورة بقاء النواب مرتبطين بالعمامة، (بقي طوال حياته مرتبطا بهم) رافضا تكوين طبقة انتخابية خاصة، مشيرا بأن المؤتمر الإسلامي لم ينعقد بسبب نجاح الجبهة الشعبية، ولكن انعقد بإرادة الجزائريين المسلمين وممثليهم، (508) وشكر الحكومة الجديدة على عواطفها تجاه الأمة الجزائرية، أما قوله بأن المؤتمر الإسلامي جاء نتيجة لإرادة الجزائريين وممثليهم، فقد أثار ذلك نقاشا حادا بين بعض المؤتمرين لأنه أراد من ذلك أن يعيب على بعض النواب الذين لا يستطيعون ممارسة السياسة إلا عندما يزول الخطر. (509) و تكون الظروف مساعدة لهم لكي لا يغضبوا أسيادهم، فممارسة السياسة عند هؤلاء لا تكون إلا في الخط الذي رسمه الاحتلال.

إن فرحات عباس لا يخاف من قول الحق الذي يراه مطابقا لمشروعه السياسي مهما كانت الظروف والأخطار، فهو ليس برجل انتهازي، وتم الاتفاق أخيرا بعد مناقشة حادة داخل المؤتمر على المطالب التالية:
أولا:

- إلغاء جميع القوانين والقرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.

ثانيا:

- إلحاق الجزائر بفرنسا مباشرة، وإلغاء الولاية العامة الجزائرية، ومجلس النيابات الجزائرية، ونظام البلديات المختلطة.

(503) ibid.

(504) نفس المرجع. ص: 150

(505) Gilbert Meynier, histoire intérieure du F.L.N 1954-1962, édition, Gasbah, Alger, 2003, p : 55

(506) نفس المرجع، ص: 151

(507) Jacques Bouveresse, op.cit, p :887

(508) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :79

(509) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 428

ثالثا:

- المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية الإسلامية مطبقة لروح القانون الإسلامي، و تحريره.

- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة، وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقه.

- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا.

- إرجاع أموال الأوقاف إلى الجماعة الإسلامية، ليتمكن بواسطتها القيام بأمر المساجد، والمعاهد الدينية والذين يقومون بها.

- إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية، وإلغاء اعتبارها لغة أجنبية.

- الحرية التامة لتعلم اللغة العربية، وحرية التعبير للصحافة العربية.

رابعا:

- الإصلاحات الاجتماعية: التعليم الإجباري للبينين والبنات، الشروع بسرعة في بناء المدارس لتعميم التعليم الإجباري.

- جعل التعليم مشتركا بين المسلمين والأوروبيين.

- الزيادة في معاهد الصحة من المستشفيات و مستوصفات، وفي معاهد الإغاثة، كالمطاعم الشعبية، وإنشاء خزينة خاصة للعاملين من العمال.

خامسا:

- الإصلاحات الاقتصادية: تساوي الأجر إذا تساوى العمل، تساوي الرتبة إذا تساوت الكفاءة، توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة والصناعة والتجارة والاحتراف على الجميع وعلى مقتضى الاحتياج دون تمييز بين الأجناس.

- تكوين جمعيات تعاونية فلاحية، ومراكز لتعليم الفلاحين.

- الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض.

- توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين والعمال الفلاحين.

- إلغاء قانون الغاب.

سادسا:

- مطالب سياسية: إعلان العفو السياسي العمومي - توحيد هيئة الناخبين في سائر الانتخابات - إعطاء الحق

لكل ناخب في ترشيح نفسه - النيابة في مجلس الأمة.

قائمة الإقتراحات الفردية:

-إلغاء المحاكم العسكرية.

-تكريم الرجال الذين عملوا لخير الجزائر.

-طرح كلمة (أنديجان) وهجر استعمالها.

-العفو عن المحكوم عليهم في حوادث 5 أوث. " (510)

اعتبر فرحات عباس عقد المؤتمر الإسلامي ومطالبه بأنه يوم تاريخي من أجل مصلحة الجزائر، فهو يوم لا ينسى، حدث عظيم في تاريخ الجزائر. (511) لأنه عبر حقيقة عن طموح فرحات عباس في جمع كل القوى الحية الجزائرية في إطار كتلة واحدة، تكون لها الفعالية في الوقوف في وجه الاحتلال، فهو يؤكد دائما بأن مجموعة، أو أفرادا منفصلين لا يستطيعون فرض رأيهم على الاحتلال.

وبعد شهر تقريبا من المشاورات والاجتماعات من أجل اختيار اللجنة التنفيذية للمؤتمر، تم اختيار لجنة تنفيذية متكونة من 21 عضوا، أطلق عليهم اسم اللجنة التنفيذية، وتنحصر مهامها في:

- انتخاب المكتب.

- التصويت على كل ما يعرض عليها.

- لزوم الحضور لكل اجتماع.

وكانت نتيجة الاختيار كما يلي:

قسنطينة: عن النواب: الدكتور ابن جلول - الصيدلي فرحات عباس - الدكتور الأخضر، عن العلماء: الشيخ عبد الحميد بن باديس - الشيخ محمد خير الدين، عن الشباب: السيد طاهرات. (512)

انتقلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي إلى فرنسا، وقدموا مطالب المؤتمر إلى أعضاء الحكومة الفرنسية، وقد نشرت مجلة الشهاب (أكتوبر 1936) المقابلات الرسمية والحوار الذي دار بين اللجنة التنفيذية، وأعضاء الحكومة الفرنسية. (513)

يرى أبو القاسم سعد الله أن مطالب المؤتمر كانت في أكثرها غير سياسية ماعدا مطلب حق التمثيل النيابي، وإلغاء منصب الحاكم العام أما بقيت المطالب فهي اجتماعية، ثقافية، اقتصادية. (514)

(510) مجلة الشهاب، عدد جويلية 1936، ص ص: 236-237

(511) Ferhat Abbas, éditorial de l'entente franco - musulmane, N°30 du 11 juin 1936

(512) نفس المرجع، والصفحة.

(513) مجلة الشهاب، عدد أكتوبر 1936.

(514) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 158

أما محفوظ قداش فيركز على المطلب السياسي الهام الذي يتمثل في ربط الجزائر بفرنسا مع المحافظة على الشخصية الإسلامية.⁽⁵¹⁵⁾ فهو يرى بأن المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول، ذو أهداف سياسية بالدرجة الأولى.

بعد أن اتصلت اللجنة التنفيذية بأهم مسؤولي فرنسا، عادت إلى الجزائر، و في 2 أوت 1936 عقد تجمع شعبي بالمعبد البلدي بالعناصر بالعاصمة، لتقديم تقرير اللجنة التنفيذية.⁽⁵¹⁶⁾ حول تلك الاتصالات والمطالب. حضر مصالي الحاج هذا التجمع وألقى كلمة " لم يكن مبرحاً " عبر فيها عن وجهة نظر نجم شمال إفريقيا، ووجد الفرصة مناسبة جدا له لدعوة الشعب الجزائري إلى الانضمام إلى النجم.⁽⁵¹⁷⁾

بدأ نجم شمال إفريقيا يجني ثمار بذور زرعها غيره من النخبة، والعلماء في الجزائر، فكان في خطبته أقرب إلى آمال الشعب الجزائري، الذي أنهكه القهر والجوع و التعسف، استطاع أن يكسب شهرة، ما كان يحلم بها أمام أكثر من 20000 حضرا، فكانت خطبته كعصا النبي موسى أمام فرعون وسحرته، فقد أهر الحاضرين بلغته الخطابية، وقدرته على التبليغ وبساطة أسلوبه مع التعبير مباشرة بدون لف أو دوران عن حقيقة آمال الجزائريين.

فحوّل الحاضرين من الاعتدال إلى التطرف، ومن المطالبة بالقليل إلى المطالبة بالكثير، ومن الدعوة إلى المساواة عن طريق الاندماج إلى نقد الاحتلال، ورفضه نهائيا، والدعوة إلى التحرر، بالرغم أن كلمة الاستقلال الوطني لم ترد في خطابه هذا.⁽⁵¹⁸⁾

بعد تلك الخطبة التي كان صداها واسعا داخل الجزائر، خاصة في الأوساط الشعبية التواقفة إلى الإنعتاق والتحرر في أسرع وقت، فالاحتلال الفرنسي لم يترك الفرصة للشعب الجزائري المقهور والجائع، ليكون معتدلا في مطالبه مثل جماعة النخبة الذين كان معظمهم يعيشون في الرفاهية تتقارب أحيانا مع رفاهية المحتلين.

نظام الاحتلال متطرف في حكمه ناكرا لوجود الشعب الجزائري المسلم، فجورُهُ و حيفه، ونكرانه للعدل، أدى إلى خلق فئة كبيرة من الجزائريين المسلمين متطرفة كل التطرف من أجل القضاء عليه بكل الوسائل، فتطرف الاحتلال في جوره، أدى إلى تطرف الشعب الجزائري المسلم في فكره وفعله، ولذلك فإن ثمار المؤتمر الإسلامي الأول جناها مصالي الحاج الذي عبر حقيقة عن رغبة الأغلبية الكبرى من الشعب الجزائري المسلم بكل صراحة وغير معترف بسياسة المراحل، ولم يستطع المؤتمر الإسلامي الأول أدنى مطالبه، ولكنه مكن مصالي الحاج من توسيع شعبيته في الجزائر.

⁽⁵¹⁵⁾ الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص : 33

⁽⁵¹⁶⁾ Mahfoud kaddache, op.cit,p :437

⁽⁵¹⁷⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 160

⁽⁵¹⁸⁾ Voir le discours prononcé par Messali Hadj au meeting organisé par le congrès musulman Algérien le 02 août 1936 au stade municipal d'Alger, Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 82-85. Ou voir le journal ELOUMA du septembre, octobre 1936

المبحث الرابع

موقفه من رفض مشروع بلوم - فيوليت

بنجاح الجبهة الشعبية الفرنسية في انتخابات 1936 ووصولها إلى الحكم في فرنسا، عمت فرحة عارمة في الجزائر كلها لأن الشعب الجزائري، وخاصة النخبة منه أمثال فرحات عباس وغيره، كانوا ينتظرون بفارغ الصبر منحهم بعض الحقوق القانونية لمواجهة غلاة المحتلين الذين تجبروا في الجزائر، وفي هذا المبحث سنرى موقف فرحات عباس من رفض مشروع بلوم - فيوليت، والآمال التي علقها عليه، ورأيه في منح الجنسية الفرنسية للنخبة الجزائرية المسلمة.

أرسلت حكومة "ليون بلوم" (Léon Blum) في مارس 1936 لجنة تحقيق إلى الجزائر لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها وكانت تحت رئاسة مجموعة من البرلمانيين، و اتصلت بالجزائريين المسلمين، وبالمختلين كذلك، وبناء على تقريرها قررت حكومة بلوم إصدار مشروع إصلاحات. (519)

وكان فرحات عباس من مؤيدي ومناصري هذه الإصلاحات، التي أطلق عليها اسم مشروع "بلوم - فيوليت"، هذا المشروع تم وضعه من قبل الحاكم العام الفرنسي موريس فيوليت، ويقول عنه فرحات عباس إنه رجل عظيم يعرف جيدا المشكل الجزائري، وضع مشروع قانون يسمح بدخول الجزائريين المسلمين في المواطنة الفرنسية. (520) وقد برر فرحات عباس في مذكراته فيما بعد، قبوله ذلك المشروع بقوله: "حاولنا إنقاذ الشعب بالوسائل التي كانت موجودة، فضعفه البدني والفكري كان غائضا في الوحل." (521) أي أنه في رأيه يجب إنقاذ الشعب الجزائري المسلم بأية وسيلة ولو كانت بسيطة جدا، ما دام أنها تمنح ولو بصيصا من الأمل، ليتمكن فرحات عباس بعدها من الانتقال إلى مطلب آخر متبعا في ذلك سياسة خطوة خطوة.

العلماء الذين اهتموا بالتعصب والتطرف، وافقوا مباشرة على المشروع، ودافعوا عن حسن نيتهم عن الشعب الجزائري المسلم وإنقاذه من الظلم و القهر، فالشيخ عبد الحميد بن باديس أجاب بدون تردد قبوله بالإصلاحات التي وعدت بها حكومة بلوم - فيوليت. (522) وهو المدافع عن الهوية الوطنية، والرافض للمتاجرة بها، ولا يمكننا أن نشك في نيته الحسنة أبدا، وإنما وجد أمامه شعبا مستضعفا من جميع الجوانب، واحتلالا أعمى، فحاول أن يقبل بالقليل من أجل المطالبة بأكثر فيما بعد، وهو دارك بأن الشعب الجزائري لا يستطيع أن يكون

(519) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit , p : 129

(520) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane, N°31 du 29 Avril 1937

(521) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 129

(522) Ferhat Abbas L'indépendance confisquée, édition Garnier, France, 1984, p :209

فرنسيا ولو أراد ذلك، فهو شعب أصيل، والأصيل كمعدن الذهب.

كان فرحات عباس يريد دمج الجزائريين كلهم في فرنسا، ورافضا للتجنس الفردي، ففي نظره أن مشروع هذا القانون يسمح للجزائريين بالارتباط بفرنسا بطريقة سليمة وبسيطة كمجموعة مسلمة في العائلة الفرنسية الكبيرة. (523)

أماني فرحات عباس بدأ أفقها يلوح، وحلمه في ضم الجزائريين إلى فرنسا يكاد يصبح حقيقة، ولكن رغبة المحتلين شيء آخر، فحلمهم يختلف تماما عن حلم فرحات عباس، لذلك كان هناك تصادما فكريا وقانونيا وعمليا بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين، فمطالبة دمج الجزائريين بفرنسا في تلك الفترة هي إهانة وتحد كبير للمحتلين.

" أصبح قرار الاندماج فجأة بالغ الأهمية مع ظهور حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا بقيادة " ليون بلوم " عام 1936، وكان الليبراليون، الذين وضعوا آمالهم الكبيرة في حكومة بلوم قد كوفئوا عندما أرسلت الحكومة إلى الجمعية الوطنية مشروع قانون وهو اقتراح بلوم - فيوليت. " (524)

وضع مشروع بلوم - فيوليت على مكتب الجمعية العامة، يوم 23 ديسمبر 1936. (525) ونشر في الجريدة الرسمية الفرنسية يوم 30 ديسمبر 1936. (526)

وهذا المشروع يمنح الحقوق السياسية لبعض الجزائريين للحصول (الارتقاء) على الجنسية الفرنسية، بدون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، وهم الضباط القداماء، وأصحاب الشهادات الجامعية، و النواب. (527)

هدف المشروع سلب الفئة المثقفة، أو التي لها تكويننا عسكريا، أو مهنيا، أو سياسيا عن فئة العامة، وبالتالي فإن هذا المشروع يقدم خدمة كبيرة للاحتلال الفرنسي في الجزائر، فهو شبيه بالظهير البربري في المغرب الأقصى، الاحتلال يمارس سياسة فرق - تسد. هذا المشروع أسال الكثير من الحبر، وأقام الدنيا ولم يقعدا، لنعد إلى حقيقة ذلك

المشروع من خلال الدراسة التي قامت بها إدارة الاحتلال، فقد أحصت 30546 ناخبا في الانتخابات التشريعية القادمة لسنة 1940 إذا حذفنا منهم 4229 ناخبا تنتهي مدتهم سنة 1940، فعدد الناخبين يكون قد وصل إلى 26317 ناخبا جديدا ينتخبون في الهيئة الأولى. (528) أي 10% من الجزائريين الناخبين ينتخبون في الهيئة الأولى (Premier

collège) (529) (انظر جدول رقم: 03) يسلخون من 423000 ناخبا جزائريا مسلما في الهيئة الثانية (Second collège)، مقابل 202426 ناخبا فرنسيا في الهيئة الأولى (Premier collège) (530)

(523) ibid.

(524) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص : 45

(525) Jacques Bouveresse, op.cit, p :888

(526) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :85,86

(527) Mahfoud Kaddache, op.cit,p :406

(528) ibid.

(529) Gilbert Meynier, op.cit,p :55

(530) Mahfoud Kaddache, op.cit, p :406

جدول رقم : 03

عدد الناخبين الجزائريين بالتقريب لسنة 1940⁽⁵³¹⁾. (في الهيئة الأولى، في حالة قبول مشروع بلوم - فيوليت).

| ملاحظات | العدد | الفئة |
|--|-------|---|
| رقيب أول والرتب السامية باستثناء صف الضباط | 300 | ضباط متقاعدون |
| ومن بينهم حاملو البكالوريا بمعدل 40 في السنة | 3000 | صف ضباط بعد خمسة عشر سنة |
| مشروطة بالشهادة الدروس المتوسطة بمعدل 50 في السنة، وكذلك العدد الضخم في حالة النجاح في | 10000 | ميداليات عسكرية و صليب الحرب..... |
| البكالوريا حيث يصل المعدل إلى 30 في السنة، | 1600 | دبلوم التعليم العالي. بكالوريا..... |
| يضاف إليهم حاملو الشهادة المتوسطة حيث يصل | 2000 | شهادة الدروس العليا و شهادة الدروس المتوسطة..... |
| المجموع إلى 2516. | 1200 | الشهادة الابتدائية، والشهادة الابتدائية للمدرسة، وشهادة |
| التجارة: 19، الفلاحة: 17. 200. في بداية السنة | 1500 | المدارس الكبرى الوطنية..... |
| الأولى. و 50 لكل سنة. | 36 | موظفون مسجلون بمسابقة في الغرفة التجارية |
| | 1050 | الفلاحية..... |
| | 1050 | معينون من قبل المجلس الإداري للنواحي الاقتصادية..... |
| | 21 | معينون من قبل الغرف التجارية..... |
| | 10 | مندوبون ماليون |
| | 32 | قدماء المندوبين الماليين |
| | 40 | مستشارون عامون |
| | 1235 | قدماء مستشارين عامين..... |
| | 2400 | مستشارون في البلديات (الكاملة السلطات)..... |
| 233 جماعة (بلديات كاملة السلطات) و 1035 | 1268 | قدماء المستشارين في البلديات |
| جماعة (بلديات مختلطة). | 1000 | رؤساء الجماعة |
| قياد متقاعدون: 779 ، من بينهم الضباط القدماء، | 20 | قدماء رؤساء الجماعة |
| وصف الضباط، بمعدل 100 في السنة (من 50 سنة | 40 | باشا آغا |
| إلى 60 سنة). | 1714 | آغا..... |
| | 60 | قياد، و قدماء القياد..... |
| عدد قليل من أمناء النقابات من الأهالي الذين مارسوا | 1000 | قائد فارس في الفرق الشرفية..... |
| هذه المهنة خلال 10 سنوات. | 20 | ميداليات العمل |
| | | أمناء النقابات..... |
| | 30546 | المجموع |

(531) Cité par Mahfoud Kaddache, op.cit, p 407 d'après le rapport du conseiller général, dans L' Echo d'Alger ,du 31 octobre 1936

كمشروع بلوم - فيوليت كما هو واضح من خلال العناصر التي ستتنضم - في حالة قبوله - إلى المواطنة الفرنسية، ذو أغراض خبيثة وخطيرة على المجتمع الجزائري المسلم، فهو يهدف إلى زوال مفهوم الوطنية الجزائرية، وعزل النخبة الجزائرية المسلمة نهائيا عن عامة الشعب، وربطها بالحضارة الفرنسية مباشرة.⁽⁵³²⁾ وجعل هذه الفئة المتجنسة في خدمة فرنسا، وربما نستطيع أن نقول أن الاحتلال الفرنسي رجع إلى سياسة الاحتلال الروماني التي طبقها في شمال إفريقيا وغيرها من المناطق التي احتلها، أي ضم إليه كل من يرى فيهم عناصر القوة، وترك العامة كعبيد له، فنظرة بسيطة للجدول رقم: 03 توضح جيدا الفئات التي كان مشروع بلوم - فيوليت يريد ضمها إلى فرنسا.

وهذا ما كان يريده "موريس فيوليت" من سياسته، وقف نمو الوطنية الجزائرية، التي بدأت ملامحها تنتشر عبر كامل الجزائر خاصة بعد الحرب الكونية الأولى، وقرارات مؤتمر الصلح بباريس، ومبادئ "ولسن" الداعية إلى إعطاء حق تقرير المصير لكل الشعوب الخاضعة للاحتلال.

وعن ذلك يقول "موريس فيوليت": "إذا كان محتلو الجزائر لا يفهمون أنه من واجبه الانحياز إلى سياسة الاندماج بتبصر، وبحكمة وبصدق، فما عليهم إلا أن يعلموا بأنهم بذلك الرفض، يعملون على خلق وطنية جزائرية، تتخذ بالضرورة شكلا ثوريا، ككل الحركات الوطنية."⁽⁵³³⁾

الذين وقفوا ضد هذا المشروع هم ممثلو المحتلين في باريس - الذين يشكلون لوبي قويا - وفيدرالية رؤساء بلديات الجزائر، ونجم شمال إفريقيا.⁽⁵³⁴⁾ لقد خصص رؤساء بلديات الجزائر 200 مليون فرنكا للصحافة من أجل الدعاية لإفشال المشروع.⁽⁵³⁵⁾ الفكر السياسي للاحتلال الفرنسي بمقارنته مع الفكر السياسي للاحتلال الروماني نجده أقل إدراكا ووعيا منه بنتائج المستقبل، فهو يتشابه نوعا ما مع سياسة الاحتلال البرتغالي.

وعبر فرحات عباس عن رأيه في ذلك الرفض من خلال مقال له في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي بعنوان "أنريد إضاعة الجزائر" ومما جاء فيه: "إننا نعلم أن حكومة الجبهة الشعبية عند وصولها إلى الحكم، وضعت مشروع قانون يسمى (مشروع بلوم- فيوليت) موقع من طرف السادة: شاتون (Chautemps)، ودلاديه (Daladie) يمنح الجنسية الفرنسية لعدد من الجزائريين المسلمين... المشروع رفض بالرغم أنه غير مؤذ (لا قيمة له)... يسمح لـ 20 ألف، أو 25 ألف من الأهالي بإغراقهم في الهيئة الانتخابية الأولى... المؤتمر الإسلامي والعلماء، وكل مؤيدي الجبهة الشعبية، وافقوا على ذلك المشروع، ولكنهم وجدوا عداوة من بعض المثات من

⁽⁵³²⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 408

⁽⁵³³⁾ Cité par Mahfoud kaddache, op.cit, p :408d'après le journal L'Echo d'Alger du 25 octobre 1936.

⁽⁵³⁴⁾ Jacques Bouveresse, op.cit, p :888

⁽⁵³⁵⁾ Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p :85

الأوروبيين، نواب وكبار المحتلين، وذلك خوفا على إمتيازاتهم." (536)

المصالح الآنية هي التي تتحكم في أصحاب النفوذ ونظرهم ضيقة قصيرة المدى، ويذكر فرحات عباس مدى جهل هؤلاء بالمستقبل، حيث يورد مجادلة وقعت بينه وبين رئيس بلدية الأصنام، حينما قال له فرحات عباس: "إنه من واجبنا العمل معا على تحضير مستقبل يسوده السلم والإخاء بين أبناءنا." فأجابه رئيس البلدية بقوله: "المستقبل لا يهمني، نحن الآن سادة، ومن بعدنا الطوفان." (537) وبالفعل جاءت ثورة أول نوفمبر 1954 وكانت طوفانا على المحتلين، فهم كانوا يعملون في الجزائر كأهم سيمكتون فيها للأبد، ولكن هذا الأبد الذي يخصهم وحدهم دون التفكير في أجيالهم التي ستأتي بعدهم، أو في زيادة كراهية الشعب الجزائري لهم، وانتظار الفرصة المواتية للانقضاض على الاحتلال، فهم في أغلبهم لم يكونوا واعين بتلك الخطورة.

عقد رؤساء بلديات الجزائر في يوم 14 جانفي 1937 مؤتمرا لهم، تحت رئاسة "غابريال أبو" (Gabriel Abbo)، مندوب مالي لتيزوزو، ورئيس بلدية، وهو كذلك رئيس فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر، حضر هذا المؤتمر 300 رئيس بلدية. (538) وذلك من أجل الوصول إلى الاتفاق فيما بينهم للضغط على الحكومة الفرنسية لإلغاء مشروع بلوم - فيوليت.

" وقد أيد المؤتمر جميع أميار القطر تقريبا، وعارض الحضور مشروع بلوم - فيوليت، وأن هذا المشروع سيتسبب قطعا في القضاء على نيابة وتمثيل الوطنيين الفرنسيين بالمجالس الاستشارية، وسيؤدي إلى إحداث قلاقل، و اضطرابات خطيرة، تؤدي إلى نتائج مهلكة." (539) فالخوف عند هؤلاء يكمن في وصول الجزائريين المسلمين إلى المجالس النيابية، ووقوفهم ضد القوانين الاستثنائية التي تخدم فئة دون أخرى.

ويظهر أن هذا ما كان يسعى إليه فرحات عباس، وهي تحقيق المساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين عن طريق قوة القانون، ولا يمكن لهذا القانون أن يطبق إلا بوجود جزائريين بنسب مرتفعة في المجالس النيابية والاستشارية، ولكن لم تكن هذه السياسة خافية عن أصحاب الإمتيازات من المحتلين، فهم بيدهم الإدارة والأموال والصحافة، والانتهازيين والخونة من بعض الجزائريين الذين يستغلونهم لتحقيق أغراضهم، وعن هؤلاء يقول فرحات عباس: " لم يكن عدد المعارضين من المحتلين كبيرا إنما إمكانياتهم ضخمة، بيدهم الإدارة والأموال الكثيرة، فقد وضعوا أنفسهم حكاما على الجزائريين." (540)

(536) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 39 du 23 septembre 1937

(537) Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, op.cit, p :15

(538) Jacques Bouveresse, op.cit, p :888

(539) جريدة النجاح، عدد 1948، 17 جانفي 1937

(540) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 39 du 23 septembre 1937

تورطت إدارة الحكومة العامة في الجزائر مع رؤساء البلديات، ودبرت مؤامرة قتل مفتي الجزائر الشيخ كحول، وألقت التهمة على العلماء، ووضعت الشيخ العقبي، وعباس التركي في السجن، بتهمة الاغتيال، فالهدف حسب فرحات عباس واضح هو ضرب المؤتمر الإسلامي و الحركة الوطنية الجزائرية. (541)

ويقول فرحات عباس عن ذلك: " أن المناورة كانت ناجحة من الجهتين، المؤتمر الإسلامي أهمل من طرف رئيسه الدكتور ابن جلول، و مشروع بلوم - فيوليت لم يناقش. " (542)

اجتمعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي يوم 29 أوت 1937، وتم الاتفاق على تقديم استقالة جميع النواب المسلمين، وقطع المشاركة في مداوات المجالس النيابية ابتداء من 29 أوت 1937، و حددت 30 سبتمبر آخر أجل لتقديم استقالات النواب. (543)

وقد استجاب فرحات عباس وجماعة فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين لولاية قسنطينة لذلك، حيث يقول: " ليس أمامنا كنواب مسلمين سوى تقديم استقالاتنا، رافضين الديكتاتورية والأتوقراطية المالية التي تضغط بقوة على الوطن. " (544)

هؤلاء أصحاب النفوذ لهم تأثير مباشر على الحكومة الفرنسية في باريس، فهم الذين يوجهون سياستها في الجزائر، ويفتخر رئيس فيدرالية رؤساء بلدية الجزائر " غابريال أبو " بقوله: " في سنة 1936 خربت مشروع بلوم - فيوليت، والحكومة ركعت أمامي.... كلما أعطينا للعرب أكثر طالبوا بأكثر منه، ثقوا بي، إنني أعرف كيف أقهرهم. " (545) أي منطق يفهمه هؤلاء المحتلون؟ إنهم يفتخرون بمجديتهم، ولا يخجلون من ذلك!

استجابت فيدرالية منتخبي ولاية قسنطينة لقرار اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي، وفي يوم 30 سبتمبر 1937 قدم 2500 منتخبا استقالتهم منهم فرحات عباس والدكتور ابن جلول.

أما في ولاية الجزائر فلم يقدم سوى 150 منتخبا مسلما استقالتهم، وفي ولاية وهران كانت الاستجابة ضعيفة جدا، فلم تتعدى سوى بضعة عشرات، فقط من المنتخبين المسلمين الذين قدموا استقالتهم. (546) والسبب واضح أن ولاية قسنطينة كانت أكثر حركية سياسية في تلك الفترة لوجود الشيخ عبد الحميد بن باديس بها، وتأثيره الواسع على الخاصة والعامة، إلى جانب نشاط فرحات عباس والدكتور ابن جلول في فيدرالية المنتخبين المسلمين. فكيف كان رد رؤساء بلديات الجزائر على تلك الاستقالات؟

يذكر فرحات عباس أن معظم رؤساء البلديات كانوا سعداء عندما قدم النواب المسلمون استقالتهم

(541) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 137

(542) ibid.

(543) Jacques Bouveresse, op.cit, p :890

(544) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N°39 du 23 septembre 1937

(545) Cité par Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p : 210, d'après le journal PARIS PRESSE du 7 mai 1947

(546) Jacques Bouveresse, op.cit, p :890

ومنهم رئيس بلدية جيجل " مورينو " (Morinaud) الذي طلب من والي قسنطينة قبول استقالة النواب. (547) بدون تردد، لأنهم في نظره عناصر مشاغبة ومضرة.

فرؤساء البلديات عنصريون يقلقهم وجود نواب مسلمين في المجالس، وعبر فرحات عباس عن ذلك: " إن استقالتنا لها معنى آخر، وهو إعطاؤها قوة شرعية للمعارضة ضد الرجعيين أمثال رئيس بلدية جيجل... إلى الأمام من أجل الإصلاحات... إلى الأمام من أجل جزائر فرنسية تضمن الاحترام لكل أحد، والعمل والخبز للجميع. " (548) دافع فرحات عباس من أجل ربط الجزائريين بفرنسا، وقف المحتلون ضده و الشعب الجزائري رفض ذلك. ألم يكن فرحات عباس في هذه الفترة طالبا المستحيل، أو يسعى إلى تحقيق مجتمع مثالي؟

قام فرحات عباس سنة 1937 بزيارة إلى فرنسا*، وسأل أعضاء الحكومة الفرنسية عن سبب رفض مشروع بلوم - فيوليت حيث يقول: " في خلال لقاء بيني وبين الرئيس " ألبير سارو " (Albert Sarraut) ووزير الداخلية الفرنسية، دافعت عن شرعية مطالب المسلمين واستطعت إقناع وزير الداخلية، الذي كان ضعيفا أمام ظلم الإقطاعيين المحتلين، فرد وزير الداخلية على فرحات عباس بقوله: " استقبلت في هذه الأيام بعض النواب الجزائريين (الأوروبيين) و تحاورت معهم في موضوع مشروع بلوم - فيوليت لأكثر من ساعة، أدليت لهم بنفس الحجج التي عرضتموها علي، وحاولت إقناعهم بذلك، وناشدتهم باسم وطنيتهم أن يتفهموه باسم العقل والقلب، ولكنني تيقنت بأن هؤلاء السادة لا عقل ولا قلب ولا وطنية لهم، ما هم إلا أجهزة هضم. " (549)

ترأس فرحات عباس في سنة 1938 بعثة المؤتمر الإسلامي إلى فرنسا، والتقى ب " دلاديه " (Daladier) الذي خلف " بلوم " (Blum) (انتزع من الحكم من قبل مجلس الشيوخ) وأعلمهم بأن البرلمان الفرنسي رفض مشروع بلوم - فيوليت لأنه لا يتماشى مع الشريعة الإسلامية، وطلب منهم مساعدته لتوفير الأمن في الجزائر، مجيبا إياهم أنه في حالة عدم احترام النظام فإن فرنسا ستضطر لاستعمال القوة التي تملكها. (550)

إن فرنسا تلوح بالقوة أمام أي معارض لها في الجزائر، وبالفعل قد استعملتها منذ احتلالها للجزائر، فهي في هذه الأمور جادة وسريعة جدا، أما حل مشاكل الجزائريين المسلمين فإن الوقت بالنسبة إليها غير مناسب والظروف غير ملائمة، والملفات موجودة فوق مكاتب المسؤولين الفرنسيين، وما على الجزائريين المسلمين سوى الانتظار الذي دام أكثر من قرن !

ويرد فرحات عباس على " دلاديه " بقوله: " إن احترام حق الفرد، أهم من جميع الأسلحة. " (551) هذا

(547) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N°40 du 7 octobre 1937

(548) ibid.

* انظر الصورة رقم: 03 فرحات عباس في لقاء صحفي في باريس للإدلاء برأيه حول مشروع بلوم - فيوليت.

(549) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 131,132

(550) ibid. p : 132

(551) ibid.

الصورة رقم: 03

فرحات عباس في لقاء صحفي بباريس للإدلاء برأيه حول مشروع بلوم - فيوليت (سنة 1937)

هو غرور الاحتلال يعتقد أن سلاحه وقوته قادرة على إخضاع شعب مسلم خائنه سلاحه في الدفاع عن أرضه، ولكن قيمه لم تخنه بقيت ثابتة راسخة كأرض الجزائر، عبر مراحلها التاريخية.

وأضاف فرحات عباس قائلاً له: " إن هذه الطريقة التي تركزون عليها ستؤدي بدون شك إلى زوال الأمل وسينتج عنها الطلاق، وعلى الحكومة الفرنسية أن تتحمل مسؤوليتها أمام التاريخ. " (552) إن سياسة العدل والمساواة هي التي تكون مجتمعا عادلا، وحكومة قوية وليس السلاح أو الكذب يستطيعان أن يؤسسا حكومة قوية بإمكانها توفير الأمن والسلام لمدة طويلة.

لقد قرر النواب المستقيلون في 15 ديسمبر 1937 سحب استقالتهم، والمشاركة في انتخاب المندوبيات المالية وقد شارك فيها فرحات عباس، وجرى يوم 6 فيفري 1938، وفاز فيها (553) وأصبح مندوبا ماليا.

أما مشروع بلوم - فيوليت فقد أهمل، وبقي حبرا على ورق " في 8 فيفري 1938 بقي مشروع بلوم - فيوليت بلا مناقشة في مكتب الجمعية الفرنسية، وأمام تهديد رؤساء البلديات بالاستقالة الجماعية في حالة مناقشة هذا المشروع استجابت حكومة بلوم لضغطهم وسحبت المشروع نهائيا. " (554)

و أمام هذه السياسة الراضية لأية إصلاحات لصالح الجزائريين المسلمين، كان على فرحات عباس أن يختار طريقا آخر حتى لا تتجاوز الجماهير الشعبية، فعمل على تأسيس حزب " اتحاد الشعب الجزائري " لأن الحكومة الفرنسية رضخت لمطالب رؤساء بلديات الجزائر، وسحبت مشروع بلوم - فيوليت نهائيا. " (555) ولم تنصت لمطالب الحركة الوطنية الجزائرية.

بينما صديقه الدكتور ابن جلول أسس حزب " التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري " (556) كل واحد منهما اتخذ طريقا رآه مناسبا لأفكاره و أحلامه، وفرحات عباس أصيب بخيبة أمل كبرى، و عرف المحتلين وحكومة باريس وبرلمانها على حقيقتهم. " إن فشل مشروع بلوم - فيوليت، استطاع أن يضع حدا نهائيا لسياسة الاندماج، وفتح الباب أمام الجزائريين للمطالبة بحقوق أخرى. " (557) وتيقن الاندماحيون بأن مطالبهم ذهبت في مهب الريح، وتأكد فرحات عباس من استحالة تحقيق سياسته الداعية إلى الاندماج، ورأى بعينه كيف يتلاعب المحتلون، وحكومة فرنسا بمصالح الجزائريين المسلمين، ولو كانت مطالبهم بسيطة، لأنهم في نظرهم كلما منحوا شيئا للجزائريين طلبوا بأكثر منه، لذلك عملوا بكل قوة على غلق أبواب الإصلاحات بشدة.

(552) ibid.

(553) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 891

(554) وليم ب . كواندت، المرجع السابق، ص: 55

(555) Jacques Bouveresse, op.cit,p :891

(556) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :91

(557) أجيرون شارل روبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص : 145

المبحث الخامس

موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري

سنتعرض في هذا المبحث إلى قضيتين، الأولى موقف فرحات عباس من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الداعية إلى المحافظة على الهوية الوطنية، والثانية موقفه من حزب الشعب الجزائري (الثوري) الداعي إلى استقلال الجزائر. فإلى أي جهة يميل فرحات عباس؟ وما هو التيار الأقرب إلى أفكاره ومشروعه السياسي؟ هذا ما نريد معرفته في هذا المبحث.

موقفه من جمعية العلماء: عندما نتكلم عن جمعية العلماء المسلمين في هذه الفترة التاريخية، فإن الحديث في معظمه يخص الشيخ ابن باديس، فلولاه لما كان أثر لهذه الجمعية، بالرغم من وجود نادي الترقى بالعاصمة، وعمر إسماعيل الذي يذكر عنه توفيق المدني أنه من دعاة تأسيس جمعية العلماء المسلمين.⁽⁵⁵⁸⁾ فالشخص الذي كان له تأثير كبير وفعال، والذي استطاع أن يجمع كلمة العلماء الجزائريين في جمعية واحدة هو الشيخ عبد الحميد بن باديس، فنشاطه تعدى كسر الواقع المفروض على الشعب الجزائري المسلم، الذي ساهم فيه الاحتلال، والقوى الخائنة الرجعية العميلة من طرفية، وقياد، وباشاغاوات، وغيرهم، وعاملا على تكوين جيل جزائري مسلم جديد ساهم كثيرا فيما بعد في إعطاء الثورة التحريرية دفعا صلبا وقويا، وإعادة بناء جزائر مستقلة ومرتبطة بالإسلام والعروبة.⁽⁵⁵⁹⁾

ويصف فرحات عباس الظروف التي جاء فيها عبد الحميد بن باديس في مدخل كتابه الشاب الجزائري، الذي أعاد طبعه سنة 1981 بقوله: "إن زعماء العرب و الأرسقراطية القبليّة زالوا، والقبائل اندثرت، وانقسمت إلى دواوير صغيرة لتسهيل مراقبتها، عسكريا أولا، ومدنيا ثانيا... وأصبحت هذه القبائل كغبار إنساني، هذا الغبار الإنساني اليائس بقي على قيد الحياة، الشيخ ابن باديس أحزنه زوال الشخصية الإسلامية، وهو الذي قال يوما (الشيخ ابن باديس): شعب يجمعه طبل، ويفرقه شرطي، إنه ليس بشعب." ⁽⁵⁶⁰⁾

إن الشيخ ابن باديس آله أن يرى الشعب الجزائري المسلم خاضعا للقهر المسلط عليه من طرف إدارة الاحتلال، والجهل السائد في تلك الفترة، ونشاط الطرقية الضال العميل للاحتلال، والمشوه لحقيقة وجوه الدين الإسلامي، ويقول فرحات عباس عنه: "الشيخ ابن باديس أحد كبار علماء الدين، درّس في الجامع الأخضر بقسنطينة، وفسر القرآن الكريم في مدة 25 سنة، وترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي أسسها بمشاركة

⁽⁵⁵⁸⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 83

⁽⁵⁵⁹⁾ الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 264

⁽⁵⁶⁰⁾ Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 132

الشيخ العقبي، وطالب الإبراهيمي، ومبارك الملي، والعربي التبسي، وغيرهم، وفي المجال السياسي أجاز ربط الأمة (الجزائر المسلمة) بالأمة السياسية، ولهذا دَعَم مشروع بلوم - فيوليت سنة 1936، الذي يُسوي بين الجزائريين والفرنسيين مع احتفاظ الجزائريين بأحوالهم الشخصية الإسلامية. " (561)

وقد صرح ابن باديس أثناء زيارته إلى باريس كعضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي بقوله: " إنني مسرور بالإصلاحات التي وعدت بها حكومة بلوم. " (562) ولكن لم تكن تلك غايته، إنما كان يطمح إلى أكثر بكثير من ذلك.

وعند التقائه في باريس مع الحاج مصالي صرح ابن باديس لمصالي حينما لامهم على سياسية الارتباط، وكان ذلك بحضور فرحات عباس: " إنها سياسية جديدة، ووسيلة تسمح للجزائريين للاستفادة من الحقوق الفرنسية. " (563) ولكن ابن باديس تراجع فيما بعد عن موقفه الداعي إلى ربط الجزائر بفرنسا سياسيا، وانفصل عن المجموعة المساندة لمشروع بلوم - فيوليت، حينما تأكد بأن الاحتلال الفرنسي يرفض منح أية إصلاحات للجزائريين و أدى ذلك إلى حدوث خلاف بينه وبين الشيخ العقبي. (564) ونستطيع أن نقول أيضا أنه تراجع حينما أدرك خطورة ذلك المطلب، هذه هي طبيعة الشخصيات المثقفة، فإنها تَحْتَكِم للعقل والمنطق، وتراجع بكل شجاعة عن آرائها الخاطئة خدمة للصالح العام.

لقد كان فرحات عباس معجبا كثيرا بشخصية عبد الحميد بن باديس حتى أنه وصفه بقوله: " يضيء وجهه نور كأنه نبي. " (565) وهذا دليل قاطع على مدى تأثير شخصية ابن باديس على فرحات عباس بمظهره وخلقه وفكره وطريقته في التربية والإصلاح، وتكوين جيل جزائري جديد مسلح بالعلم والمعرفة وحب الوطن.

إن جمعية العلماء برئاسة شيخها جددت الإسلام والعروبة في الجزائر، وهذا ما كان يدافع عنه فرحات عباس، الذي بقي طوال حياته مرتبط بدينه وأصله، بالرغم أنه مثقف باللغة الفرنسية، حيث يقول: " إنني مرتبط جدا بالإسلام* ". (566) والإسلام هو إحدى المقومات الأساسية للأمة الجزائرية.

(561) ibid.

(562) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :79

(563) ibid. p : 81

(564) بنامين ستورا، مصالي الحاج 1898-1974 رائد الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عماري، ومصطفى ماضي، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999 ص

(565) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :133

* أدى فرحات عباس فريضة الحج سنة 1969، وكان ينصح أقاربه بأدائها، ففي سنة 1975 أرسل السيد عمرو معزة ابن خاله لأداء فريضة الحج على حسابه (كان هذا الشخص في مثل سنه)، وأن أموال الزكاة كان يرسلها كل سنة إلى أقاربه الفقراء، وقد بنى مصلى على حسابه الخاص كذلك سنة 1966 في منطقة بوحمدون، في مقبرة أجداده (هذه المنطقة تابعة لقبيلة بني عمران التي ينتمي إليها فرحات عباس وهي تابعة إلى بلدية الأمير عبد القادر حاليا دائرة الطاهير ولاية جيجل)

(566) Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p :19

لقد كان فرحات عباس يكره كثيرا إسلام الطريقة والمشعوذين، ويرى أنه عائق كبير أمام الإسلام الصحيح الذي يدعو إليه الدين الإسلامي، فهو يبحث على طلب العلم وتحرير الإنسان من الجهل و العبودية، ويقول عن جمعية العلماء: " تأسست جمعية العلماء سنة 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومجموعة من النخبة المثقفة بالعربية... هدفها تجديد الإسلام، ومحاربة الطريقة العميلة للاحتلال، وتكوين الإطارات العربية، ولها جريدتان: الشهاب، و البصائر، وينشران فكر العلماء، إلى جانب فتح الثغرات من المدارس من أجل استعادة اللغة العربية، إنه الطريق الوحيد لإنقاذ الشعب العربي، وأن الثقافة الفرنسية يجب أن تكون مكملة للثقافة العربية، وأن تكون بابا يفتح لنا على التقنية والعلوم العصرية." (567) أي امتزاج الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية من أجل إلحاق الشعوب العربية الإسلامية بالركب الحضاري.

فجمعية العلماء أسعدت كثيرا فرحات عباس، لأنها جاءت حسب إعطاء الدين الإسلامي مفهومه الحقيقي، وتحرير الإنسان من العبودية والقهر وخلق إنسان حر مبدع، تلك هي حقيقة الإسلام التي يؤمن بها فرحات عباس، وهي بالفعل جوهر الدين الإسلامي الذي عمل الشيخ ابن باديس على إحيائه في الجزائر.

ويتساءل فرحات عباس عن الصلاة التي يؤديها المسلمون الجاهلون لدينهم وحقيقتهم، ففي نظره أنهم يقرؤون القرآن أثناء الصلاة وهم لا يفهمون شيئا مما يقولون، وليست تلك غاية الآيات القرآنية الكريمة، إنهم يعرفون شيئا ويعملون به وهو قتل إخوانهم في الدين، هذه هي طريقة الزوايا و الطريقة، مؤكداً أن الصلاة يجب أن تعطي المسلم فكرا حرا، فهؤلاء الجهلة الذين يدعون الدين في نظره هم أعداء الدين الإسلامي، الذي أرسله الله، ويقول عن ذلك الوضع: " لو رجع الرسول (ﷺ) لقال: أمي ماذا بقي لك من كلام الله؟ ماذا فعلت بقانون الاجتهاد والعمل؟ والتي هي أساس سعادة الشعوب، أين ذهبت المساواة و الأخوة، وموعظتي في جبل عرفات؟ ملوكم تحيط بهم الجاريات وهم في أيدي الأجانب كموميات قديمة، يكسوهم الذهب، وهم في حالة خزي، لأن إخوانهم المسلمين يعيشون في الفقر." (568)

إن معرفته و حبه للدين الإسلامي لم يكن عن طريق المدرسة الفرنسية اللائكية وإنما عن طريق عائلته، فوالده كان مخالطا للعلماء ومحبا لهم، وأمه من عائلة محافظة، كان يقوم أفراد عائلتها بتعليم القرآن الكريم والصلح بين المتخاصمين في قبيلتهم، وكانت أمه ترجع أسباب انهزام الجزائريين المسلمين أمام الكفار الغزاة بسبب إهمال الجزائريين المسلمين لدينهم الإسلامي، تعلم هذا وهو صغير قبل أن يدخل المدرسة. إن جمعية العلماء بالنسبة إليه تقوم بعمل عظيم من أجل نشر المعرفة، وفتح عقول الجزائريين المسلمين، ويرفض التهم التي توجه لهم، فكتب

(567) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit,p :126

(568) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit,pp :113,114

يقول: " كتب صحافيو فرنسا في جرائدهم الرسمية، إن العلماء المصلحين يرسلون أبناءهم للدراسة في الجامعات الفرنسية، وهم متأثرون بهذا الثقافة، تلك شهادة على مدى قدرة تجاوب هؤلاء العلماء مع الحضارة الغربية، فمعرفتهم العلمية، ونهضتهم الاجتماعية، تجعلهم مدافعين ومحترمين لحقوق الإنسان، والحريات الفردية، وبهذا سوف يقومون بدورهم جيدا في تطبيق التعاليم التي جاء بها الإسلام." (569)

ويستشهد فرحات عباس بحديث الرسول (ﷺ): " ابجثوا* عن العلم ولو في الصين"، " ابجثوا عن العلم ولو عند الكفار" (570) وكما رأينا فيما سبق أن الشيخ عبد الحميد بن باديس حينما عاب على فرحات عباس ذلك المقال الذي ينكر فيه وجود أمة جزائرية، تراث فرحات عباس، ولم يتسرع ضد العلماء خاصة منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، لأنه كان يعلم بأنه شخصية دينية محترمة هدفها تحرير الشعب الجزائري من الخرافات، والشعوذة، وربطه بهويته، التي هي أساس تحرر وتقدم الشعوب.

لقد كان هناك تفاهم وتنسيق بين فرحات عباس وجمعية العلماء، ففي سنة 1943 وقفوا إلى جانب البيان، وفي سنة 1944 دعموا حركة أحباب البيان، وفي سنة 1946 ساعدوا فكرة الجمهورية الجزائرية. (571) فالعلماء رأوا فيه الحكمة والحنكة السياسية، و التعقل لذلك ساندوه ويقول عنهم: " إنهم دليلي الروحي." (572) ويقول عن الإسلام إنه " وطني الروحي" (753) ويضيف قائلا: " الإسلام هو ثقافة الأسرة التي هي الخلية الأساسية في المجتمع، الإسلام هو الديمقراطية، المدعمة بالثقافة، والعالم الديني هو ذاك النبيل العبقري، إنه الرجل السامي." (754)

هذه هي رؤيته للشيخ ابن باديس والعلماء المخلصين لدينهم وأمتهم، فقد رأى فيهم أملا كبيرا للنهوض بالجزائريين المسلمين عن طريق نشر وتعليم تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، فالسلم والأمن حسبه لا يطبق من خلال المبادئ الديمقراطية وحدها فقط، يجب أن يكون مدعما أساسا بالدين، فالعدالة الاجتماعية يجب أن تدعم بمفهوم ديني، ففي نظره أن العقلانية والدين مرتبطان ببعضهما، لكن يجب أن يكون هناك فصل بين السياسة والدين، وهذا يتفق مع الشيخ ابن باديس، الذي دعا فرنسا إلى عدم التدخل في الدين الإسلامي، وترك أموره للمسلمين. (575)

ولنعد إلى القضية الثانية، وهي موقف فرحات عباس من حزب الشعب الجزائري. فرحات عباس تقريبا له نفس سن مصالي الحاج (اسمه الحقيقي أحمد مسلي). (576) ولد مصالي الحاج يوم 16 ماي 1898 من عائلة

(569) Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, op.cit, p p :16,17

* ابجثوا عن العلم ولو في الصين ورد في الحديث: أطلبوا العلم ولو في الصين. أما ابجثوا عن العلم ولو عند الكفار فقد ورد في الحديث: الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها.

(570) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit,p : 20

(571) ibid. p : 20

(572) Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée,op.cit,p : 126

(573) Ferhat Abbas, le jeune Algérien,op.cit,p : 27

(574) ibid. p : 94

(575) Guy Pervillé, op.cit,p : 130

(576) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p :82

كرغلية والده ولد في وَجْدَة بالمغرب الأقصى.⁽⁵⁷⁷⁾ وهو ينتمي إلى عائلة فقيرة، وعاش وسط الفقر والحرمان، والده كان حارسا ليليا في مدينة تلمسان، ويروي مصالي الحاج عن حادثة أثرت فيه كثيرا، أوردها بنيامين سطورا في كتابه مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية، عندما عاد والده من حراسته الليلية في يوم بارد حيث قال أمام ابنه الصغير مصالي الحاج: " عندما أفكر في أنه يجب حراسة أولئك الذين سرقوا بلادنا..."⁽⁵⁷⁸⁾

إن هذه الكلمة " سرقة بلادنا " كان لها وقع كبير على نفسية مصالي الحاج، وفهم أن الاحتلال الفرنسي سرق بلادنا من أهلها الشرعيين، كان ذلك بمثابة بداية التفكير الفعلي لتحرير الجزائر من المحتلين، وضرورة اللجوء إلى الكفاح المسلح⁽⁵⁷⁹⁾ (الثوري).

لقد تبني مصالي الحاج الراديكالية منذ طفولته وكراهيته للاحتلال الفرنسي، وضرورة استعمال العنف ضده، ولذلك اختار الاتجاه الاستقلالي منذ بداية نشاطه السياسي.⁽⁵⁸⁰⁾ فهو لم يتعلم كيفية تحرير الجزائر من الاحتلال عن طريق المدرسة، وإنما تعلم ذلك من الواقع الذي فرضه المحتلون على الشعب الجزائري.

التقى فرحات عباس بمصالي الحاج لأول مرة سنة 1930 عندما عاد من بروكسيل لتمثيل الطلبة، وذلك بشارع السيد لوبرانس (Monsieur le prince) بباريس، في مقهى يديره أحمد بلغول - صديق مصالي - ودار بينهما نقاش ودي حول مستقبل الجزائر.⁽⁵⁸¹⁾ فاشترك فرحات عباس في جريدة النجم باستمرار منذ ذلك الوقت إلى سنة 1936، وتبادل الرسائل مع مصالي الحاج.⁽⁵⁸²⁾

لا يُرجَّع فرحات عباس بداية ظهور الحركة الوطنية ذات الاتجاه الاستقلالي لمصالي الحاج، كما يتفق في ذلك معظم المؤرخين الذين كتبوا عن الحركة الوطنية، ولكن يرجعها إلى الأمير خالد سنة 1924، حينما عقد ندوة بباريس حضرها عمال شمال إفريقيا وتعالق الأصوات فيها منادية بـ " تحيا أفريقيا الشمالية مستقلة"⁽⁵⁸³⁾ وكانت تلك البداية الأولى لظهور الاتجاه الاستقلالي في الحركة الوطنية، ويقول فرحات عباس بعد ذلك، في منتصف سبتمبر 1924 تأسس نجم شمال إفريقيا بباريس، لأهداف اجتماعية، تتمثل في الدفاع عن مصالح عمال شمال إفريقيا في فرنسا، ولكن من وراء تلك الواجهة توجد حقيقة النجم، وهي العمل على استقلال بلدان شمال إفريقيا.⁽⁵⁸⁴⁾

⁽⁵⁷⁷⁾ نفس المرجع، ص : 19

⁽⁵⁷⁸⁾ نفس المرجع، ص : 20

⁽⁵⁷⁹⁾ نفس المرجع والصفحة

⁽⁵⁸⁰⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :82

⁽⁵⁸¹⁾ ibid.

⁽⁵⁸³⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :135

⁽⁵⁸⁴⁾ ibid. p : 136

⁽⁵⁸²⁾ نفس المرجع، ص : 101

ويضيف فرحات عباس بأن أول رئيس لنجم شمال أفريقيا هو: سي محمد جفال، ويصفه بالشرف والشجاعة. (585) أما مكتب النجم فضم، حاج عبد القادر، وأحمد بلغول، و مصالي الحاج. (586)

أما مصالي الحاج فكان عضوا في المكتب التنفيذي، وأحمد بلغول، مكلف بالاتصال مع الأمير خالد. (587) في سنة 1926 استقال سي محمد جفال من رئاسة النجم، فتولاها أحمد بلغول، وفي شهر أوت 1926 اعتقل في بلدة الحمام (بوحجر) بالجزائر، فتولى رئاسة النجم مصالي الحاج. (588)

لقد حل النجم سنة 1929 تحت تأثير فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر (العنصريون)، ونواب الاحتلال، وسجن الحاج مصالي من 1933 إلى 1935، وأصبح مهددا بالسجن مرة أخرى بسبب نشاطه السري، فانتقل إلى جنيف وفيها التقى بـ "شكيب أرسلان" المناضل من أجل القومية العربية. (589) وهذا اللقاء بينهما قد حول الحاج مصالي إلى مناضل من أجل القومية العربية، والاعتماد على مساندة العالم العربي الإسلامي له. (590) أما استعماله للدين الإسلامي فكان لأهداف سياسية، (591) ومتأثرا بذلك بالحركة الدينية التي ظهرت في المغرب عن طريق جامعة القرويين، وبتونس عن طريق جامعة الزيتونة، وبالجزائر عن طريق ابن باديس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" هذه الحركات كان لها تأثير كبير على الفكر السياسي لمصالي الحاج. (592) الذي أصبح يستعمل الدين الإسلامي من أجل كسب أكبر عدد من المناضلين لتحقيق غرضه السياسي، لأنه عرف بأن إهماله للدين الإسلامي في مشروعه السياسي لا يسمح له بالنفوذ في أوساط العامة من الجزائريين المسلمين، لأن المحرك الأساسي لكل المقاومات التي ظهرت ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر، كان الدين الإسلامي محركا أساسيا هاما لها.

وبوصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا سمحت لمصالي الحاج بالعودة إلى فرنسا، ومنها إلى الجزائر، حيث استطاع أن يشارك اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي عند تقديمها لتقريرها بعد عودتها من فرنسا، وذلك بالمعرب البلدي بالعناصر - الجزائر - يوم 2 أوت 1936، وأخذ الكلمة باسم الوطنيين الجزائريين، معارضا في ذلك برنامج بلوم - فيوليت، ومطالب المؤتمر الإسلامي، خاصة المطلب السياسي المتعلق بربط الجزائر بفرنسا. (593)

وقد اهتمت جريدة الأمة الناطقة باسم النجم، فرحات عباس والدكتور ابن جلول بالعمل من أجل مصلحة الشخضية، وهما في نظرها من جماعة بني وي - وي (594) مضيضة بأن فرحات عباس يريد تطبيق

(585) ibid.

(586) ibid.

(587) أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج 1، م.و.ك، الجزائر 1986، ص : 95
(588) نفس المرجع والصفحة.

(589) ibid. p : 136

(590) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 130

(591) نفس المرجع.

(592) نفس المرجع. ص ص : 103-104

(593) ibid. p : 137

(594) Jacques Bouveresse, op.cit, p : 882

مشروع بلوم - فيوليت في الجزائر الذي يمنح الجنسية لـ 5000 مسلما جزائريا فقط، والسماح لهم بالدخول في المواطنة الفرنسية، أما 6 ملايين جزائري مسلم لا تهم فرحات عباس وأمثاله من النخبة، وفيدرالية المنتخبين المسلمين. (595) وهذا كذب و زور ضد شخصية فرحات عباس، ففي كتابه الشاب الجزائري يقول عن التجنس الفردي* ما يلي: " إن التجنس الفردي ليس حلا، فلماذا يتجنس جزائري؟ أمن أجل أن يكون فرنسيا؟ فهو كذلك مادام أن الجزائر أرض فرنسية، هل من أجل التمتع بالقوانين الفرنسية، والهروب من القوانين الاستثنائية؟ إنها رغبة شرعية بدون شك، ولكنها لا تغير من وضعية الجزائريين المسلمين، فإعطاء الجنسية لطبقة دون العامة، تؤدي إلى خلق فوضى اجتماعية، وتقسيم الوطن، إننا نريد أن نرفع هذا الوطن إلى مرتبة أعلى وليس تقسيمه." (596) أكره شيء عند فرحات عباس هو الكذب، ففي نظره لا يمكن أبدا بناء أمة على أسس كاذبة، فالسياسية عنده أخلاق والتزام، فالاندماج الذي دعا إليه لم يكن أبدا يعني النخب البرجوازية دون عامة الناس، وذلك كما كان يريد الاحتلال من أجل سلخ النخبة عن العامة، فهذه التهم كانت توجه ضده من أجل كسب الفئات الشعبية البسيطة، عن طريق النفاق، وليس عن طريق الإقناع الذي كان أسلوب فرحات عباس في كسب الأنصار، أو أسلوب جمعية العلماء الذي ركز على تربية الفرد أولا تربية إسلامية وطنية سليمة.

فهذه الأساليب التي كان يستعملها النجم مرفوضة عند فرحات عباس، حيث يقول: " إن الدولة، والأمة، والمجتمع، والقوانين لا ترتجل، ولا تنقل من الجار، إنها تخرج من عمق الشعب كما يخرج الطفل من بطن أمه، الثقافة، والأرض، وطبيعة الإنسان هي التي تصنع مؤسسات دولة." (597)

لقد كان حزب الشعب الجزائري ينشر عن فرحات عباس أفكارا خاطئة وأكاذيب من أجل كسب العامة من الشعب الجزائري، ولو على أساس غير سليم.

" أخذ النجم وحزب الشعب بأسلوب عمل يمكن وصفه ((بالغوغائية))، من أجل إثارة الحماس الوطني في الأوساط العمالية، وتأكيد النضج السياسي." (598) فله إيجابيات منها رفضه لمشروع بلوم- فيوليت، ودفاعه عن القومية الجزائرية، وسلبياته تتمثل في رفض مصالي الحاج قيام وحدة مع الحركة الوطنية في تلك الفترة، لأنه كان خائفا من الزعامة أن تفلت منه، (599) وتنتقل إلى غيره من المثقفين المعتدلين أمثال فرحات عباس وغيره.

(595) *ibid.*

* رفض فرحات عباس وكل أفراد عائلته من والده القايد، وأخيه عمار الذي خلف والده في منصبه، وأخوه أحمد الذي كان موظفا في بلدية الطاهير، وكذلك أخيه الصغير محمد الصالح، وأحوال فرحات عباس، ومنهم: معزة أحمد بن محمد الذي كان مستشارا في بلدية ستراسبورغ، الكاملة السلطات (الأمير عبد القادر حاليا)، ومالكين للأراضي بهذه البلدية، تقدم حتى طلب التجنس، بالجنسية الفرنسية، برغم أن قانون 1865 وقانون 1919 يسمح لهم بها.

(596) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :112

(597) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre op.cit, p :22

(598) عبد الحميد زوزو، المجلة التاريخية المغربية، عدد 5، جانفي 1976، تونس، ص: 46

(599) نفس المرجع، ص: 46 - 47

ويعبر فرحات عباس عن تلك الأساليب بقوله: " بالفعل، حزب الشعب الجزائري يستعمل الأكاذيب، مثل الاحتلال الفرنسي الذي يستعمل السوط." (600) فالكذب عند فرحات عباس لا يختلف عن السوط، فكلاهما عنده أسلوبان من أساليب القهر، ويهدفان إلى استغلال الإنسان بطرق غير شريفة، ولكن أثناء القبض على مصالي الحاج يوم 27 أوت 1937 مع بعض أنصاره، والحكم عليه بستين سجنا نافذا، استنكر فرحات عباس ذلك واعتبره تعدي على حقوق الإنسان وحرية الاجتماعات والرأي، وشبهها بطريقة الدكتاتوريين أمثال هتلر و موسوليني، (601) فهو يكره أساليب الكذب التي كان ينشرها حزب الشعب، ولكن عندما سجن مصالي الحاج، رفض واحتج، ولم يهمل لذلك أو يستغل الفرصة للانتقام من مصالي الحاج وتقديم الشكر للجلادين، فحرية الرأي والتعبير عنده جزء لا يتجزأ من كرامة الإنسان.

فرحات عباس سياسي، مثقف، صريح في أقواله، وأفعاله، يرفض أن يستعمل الأساليب الدنيئة لتحقيق مشروعه السياسي، فهو ليس ميكيافلي، ولا يؤمن بنظرية (الغاية تبرر الوسيلة)، لذلك كان متفقا مع أسلوب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طريقة العمل التربوي الإصلاحي، ويعلق على حزب الشعب في مذكراته بقوله: " حزب الشعب الجزائري، إنه ليس بحزب سياسي متفتح على الحوار، فهو بالأحرى طائفة سياسية دينية حاملة، لروح الزوايا، وتضامن الماسونية، وسلوك الستالينية." (602) ولكنه استطاع تجنيد الشعب الجزائري وراءه في تلك الفترة، وربما يظهر بأن ذلك الأسلوب هو الأنجع مع شعب غلب عليه الجهل والخرافات والقهر.

فحزب الشعب في نظره عاش في صراع مستمر من أجل الزعامة، وبقي هذا الصراع حتى أثناء الثورة التحريرية، وما بعدها. (603) صراع في معظمه مبني على الكذب وإصااق التهم الكاذبة بالناس، ويروي حادثة وقعت له أثناء انضمامه إلى الثورة مع أحد قدامى مناضلي حزب الشعب، العقيد أو عمران، سنة 1956 بالقاهرة، حيث قال له هذا الأخير: " لاحظت، ولكنك حيرتني كثيرا، إنك لا تدخن، ولا تشرب الخمر، وتحترم الدين، رؤساؤنا قالوا لنا إنك (M'tourni) تأكل لحم الخنزير، وتشرب الخمر، ولا تصوم رمضان، أنهم كذبوا علينا." (604)

إن فرحات عباس رجل نزيه ومتسامح، ولا يحمل الحقد لأحد، حيث يقول عن حزب الشعب ورئيسه مصالي الحاج: " من واجبنا أن نسامحه، لأن المهمة التي كان يحملها ثقيلة، ومملوءة بالأخطار." (605)

تميزت فترة الثلاثينات من القرن الماضي بظهور ثلاثة وجوه جزائرية صنعوا الحركة الوطنية الجزائرية،

(600) Ferhat Abbas, L'indépendance confisquée, op.cit, p :43

(601) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente Franco - musulmane, N°36 du 02septembre 1937

(602) Ferhat Abbas, L'indépendance confisquée, op.cit, p p :43- 44

(603) ibid. p : 44

(604) ibid. p : 43

(605) ibid.

كانوا مشتركين في الغاية، ومختلفين في الأساليب، مصالي الحاج رجل من الغرب الجزائري، من عائلة فقيرة، يميل لحل قضية الاحتلال بالطرق الراديكالية، تكوينه عصامي، ينقصه التنظير، رجل متحمس وشجاع، وعملي، لذلك كان فكره السياسي قريب جدا من فكر البسطاء من الشعب الجزائري الذين جعلهم الاحتلال متطرفين في فكرهم، ميالين للعنف متى سنحت الظروف ضد حكام محتلين متطرفين متجبرين، تمهم بطونهم و لا نظرة مستقبلية لهم، تطرف الحاكم الظالم، يُولد مباشرة تطرف المحكوم المظلوم، ورجلان من الشرق الجزائري، عاشا في عائلتين ميسورتين، والديهما موظفان في إدارة الاحتلال، هما فرحات عباس، والشيخ عبد الحميد بن باديس.

إن فرحات عباس أقرب في فكره السياسي المعتدل المبني على العقل والمنطق والمراحل، إلى سياسية وفكر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان يعلق آمالا كبيرة على النشء الصاعد بعد تكوينه، وتثقيفه دينيا أولا، وسياسيا ثانيا للقيام بواجبه عن إدراك ووعي، وفرحات عباس كان هو الآخر يريد أولا أن يكسب الشعب الجزائري العلم والثقافة، لأنها في نظره أقوى سلاح يملكه الشعب، وبواسطته يستطيع أن يصل إلى طريق التحرر المبني على أسس متينة وسليمة.

ثلاث رجال ضحوا بشبابهم وحياتهم كلها من أجل تحرير الإنسان الجزائري من الاحتلال، والجهل، إن فرحات عباس عرف كيف يوفق بين الأصالة و العصرية، منهجيته كانت سلمية إصلاحية عقلانية مشاهدة لمنهجية عبد الحميد بن باديس في كثير من النواحي، يتفق مع الشيخ ابن باديس في جوهر الإسلام الحقيقي الذي يقوم على العدل، والإنسانية، والحرية، و العلم، والديمقراطية، وفرحات عباس رجل سياسي يكره استعمال الكذب في عمله مثله مثل الشيخ ابن باديس، يعرف كيف يصحح أخطائه بكل شجاعة وعقلانية، فالخطأ عنده إذا لم يصحح بالحقيقة يتحول إلى رذيلة تلتصق بالشخص.

أما مصالي الحاج فكان فكره السياسي أقرب إلى فكر العامة في بساطته وتحليله للوقائع والأحداث، وميله إلى الاتجاه الراديكالي، وعدم اعترافه بسياسة المراحل.

ونستطيع أن نقول بأن هؤلاء الرجال الثلاثة عبروا عن حقيقة الاتجاهات السياسية التي سادت المجتمع الجزائري في فترتهم.

كان فرحات عباس زعيم النخبة الجزائرية، وممثل الطبقة الوسطى والمعبر عن الفكر السياسي للمثقفين الجزائريين المتأثرين بالثقافة الفرنسية و ديمقراطيتها وعلومها والهادف إلى جعل الإنسان الجزائري جزءا من إنسان الشعوب الحرة كفرنسا التي لم يستطع أن يعلن انفصاله عنها في هذه الفترة نظرا لتأثره بها، ونبذه لأسلوب ملوك العرب المسلمين في ممارسة حكمهم وقهرهم لشعوبهم، وسوء استغلالهم للدين الإسلامي الحنيف من أجل فرض ديكتاتوريتهم، وتركهم لشعوبهم في الجهل والتخلف.

والشيخ عبد الحميد بن باديس المعبر عن عمق وجوهر و أصالة الأمة الجزائرية والمدافع عنها، والهادف إلى تكوين إنسان جزائري مسلم حر مسلح بالدين و العلم، هذا الإنسان بطبيعة الحال يرفض أن يعيش تحت نير الاحتلال.

أما مصالي الحاج فهو زعيم العامة والتي تكوّن الأغلبية من الشعب الجزائري، المدافع عن تخليصهم من القهر والاستغلال، والمعبر عن آمال الجزائريين في الاستقلال، فأسلوبه يختلف عن أسلوب فرحات عباس، والشيخ عبد الحميد بن باديس، فهو لم يكن يهتم بالتكوين والتربية إنما كان يهتم بجلب المناضلين إلى حزبه، وإعدادهم لليوم الموعود (الذي رفض المشاركة فيه حينما وصل) ولطالما حلم بذلك اليوم.

ولكن أهداف هؤلاء الزعماء الوطنيين كانت شريفة، ولم يكن عملهم ونضالهم من أجل مصالحهم الشخصية، وإنما من أجل مصلحة الجزائر كلها، ولقد استطاع فرحات عباس الزعيم السياسي أن يلتحق بالثورة التحريرية، ويساهم بذلك مساهمة فعالة في تحرير الجزائر من الاحتلال، بينما الجيل الذي كونه الشيخ ابن باديس أعطى دفعا قويا للثورة عندما أعلنت جمعية العلماء المسلمين انضمامها إلى الثورة التحريرية.

المبحث السادس

تأسيسه لحزب "إتحاد الشعب الجزائري"

نتناول في هذا المبحث الأسباب التي دفعت فرحات عباس إلى التخلي عن فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين وتأسيسه لحزب "إتحاد الشعب الجزائري"، هل كان يريد من ذلك البحث عن الزعامة؟ أم كانت له أغراض غير ذلك؟

إن رفض مشروع بلوم - فيوليت، من طرف البرلمان الفرنسي كان ضربة قاسية تلقاها فرحات عباس من فرنسا و لسياسته الاندماجية، وأمام هذا الفشل الذريع لسياسته التي ناضل من أجلها قرابة عشرين سنة، والتي انتهت بهزيمته، ولم تعد فرنسا وطنه، لأنها رفضت العامة من الشعب الجزائري الارتباط بها، فكان عليه أن يعيد تصحيح موقفه تجاه سياسة الاندماج.

إن فشل مشروع بلوم - فيوليت أرغم فرحات عباس على الخروج من تحفظه وتراجعه عن دعوته " من المحتلة إلى المقاطعة"، فقد نشر في افتتاحية جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي الصادرتين يوم 16 و 23 ديسمبر 1937 مقالين بعنوان: " نحو حزب سياسي، اتحاد الشعب الجزائري، من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان، والمواطنة." (606) لأنه رأى بأن الطريق الصحيح يتمثل في تأسيس حزب سياسي حامل لمشروعه.

لقد كان المحتلون ينظرون إلى مشروع بلوم - فيوليت أنه خطر عليهم، وأن إمتيازاتهم سوف تنتهي بالجزائر بعد تطبيقه، لأنه يمنح الجنسية الفرنسية لحوالي 20 ألف أو 25 ألف جزائري كمرحلة أولى، وبالتالي يصبح تأثير الجزائريون كبيرا في المجالس النيابية، وهذه هي الطريقة التي كان يبحث عنها فرحات عباس من خلال مطالبته بالاندماج كخطوة أولى نحو استقلال الجزائر، فلقد " دلت الحوادث المتوالية بعد ذلك، خاصة بعد قيام ثورة أول نوفمبر 1954، على صدق ما كان يدعيه من أن سياسة المساواة والإدماج، مع تقدم وعي الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي، والاقتصادي ستؤدي إلى استقلال الجزائر." (607) بدون اللجوء إلى استعمال العنف أو سفك الدماء، فتعليم الجماهير الجزائرية ونشر الوعي في أوساطها يؤدي بدون شك إلى زوال الاحتلال، لأن الإنسان المتعلم، تصبح إمكانية استعباده صعبة، وفي أكثر الأحيان مستحيلة، ولن تكون لهذا القابلية للاحتلال.

فاختلف مع صديقه ورفيق دربه الدكتور محمد الصالح بن جلول، حينما رآه بأنه مازال متساهلا مع المحتلين وفرنسا ومنتظرا تحقيق سياسة الاندماج، فأعلن فرحات عباس عن تأسيس حزب (إتحاد الشعب الجزائري) يوم 28 جويلية 1938. (608) منفصلا بذلك عن ابن جلول الذي أسس هو الآخر حزب (التجمع الفرنسي -

(606) Jacques Bouveresse, op.cit, p :891

(607) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص : 55

(608) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :91

الإسلامي الجزائري) بعد ثلاثة أيام من تأسيس فرحات عباس لحزبه. (609)

هل كان تأسيس ابن جلول لحزبه منافسة فرحات عباس على أرض الميدان، بسبب اختلافهما حول سياسة الاندماج، التي عملا معا من أجل تطبيقها؟ أم كان باحثا هو الآخر عن الزعامة الشخصية؟ على كل حال إن تأثير حزب ابن جلول كان ضعيفا، ويكاد وجوده يقتصر على ملفه الذي قدمه لولاية قسنطينة.

وفي نفس اليوم الذي أسس فيه فرحات عباس حزبه (اتحاد الشعب الجزائري) نشر نداء في جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي يدعو فيه كل المناضلين المسلمين من أجل القضية الجزائرية سواء كانوا من الشبان الجزائريين أو النواب أو اشتراكيين أو شيوعيين أو علماء أو فلاحين أو تجار، الانخراط في حزبه حتى يكون حزبا قويا بإمكانه مواجهة، قوة الاحتلال. (610) حيث يتطلب ذلك تضافر جهود جميع الجزائريين للوقوف أمام الاحتلال كتلة واحدة.

أما شعار حزبه فهو (من الشعب وإلى الشعب*) (611) في نظره أن حزبا منفصلا عن القوة الحية في الوطن لا يستطيع أن يواجه قوة المحتلين، فيتحاد النخبة مع الشعب يكون قوة فعالة ضد أصحاب المصالح من المحتلين والقياد، والباشاغوات، وشيوخ الزوايا، الذين وقفوا ضد الإصلاحات لصالح الجزائريين المسلمين، فثقتهم في هذه الفئة منعدمة حيث يقول: "لكي نتنصر يجب أن تعتمد على الشعب، الأسواق، المقاهي والأكواخ هي ميادين مقاومة." (612) وقد لخص أهداف ومبادئ حزبه على بطاقات الانخراط، وهي:

- المساواة والحرية السياسية.

- الحبز.

- الأجر الأدني.

- التعليم باللغة العربية.

- تكوين الشباب المسلم.

- حرية الديانة.

- الصحة الاجتماعية.

- الأخوة الإنسانية.

- ضد الإمبريالية. (613)

أما برنامج حزبه، فقد ركز فيه على الإصلاحات الخاصة بالمجتمع الريفي الذي بقي تحت الظلم والفقر

(609) *ibid.*

(610) Mahfoud Kaddache, *histoire du nationalisme Algérien*, T2, p p :582, 583

* هذا الشعار تبنته جريدة المجاهد التي أسستها جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية.

(611) Benjamin Stora, Zakya Daoud, *op.cit*, p :91

(612) Ageron, C. R, in *revue d'histoire Maghrébine*, N°4 du juillet 1975, Tunis, p :125

(613) Benjamin Stora, Zakya Daoud, *op.cit*, p : 92

ومما جاء فيه:

-تحويل الدواوير إلى مجالس بلدية، تكون تحت إدارة جماعة منتخبة منه.

-إنشاء ملكيات زراعية صغيرة مقسمة بين الأهالي، وقدماء المحاربين، وتؤخذ من أملاك الدولة.

-تحديد حد أدنى للأجور يكفل معيشة العمال.

-المحافظة على الملكية الفلاحية الصغيرة لدى الأهالي، وتوقيف احتلال الأراضي من طرف المحتلين، وذلك لضمان بقاء الفلاحين مرتبطين بأرضهم.

-منح قروض فلاحية للفلاحين.

-إعادة تنظيم ديوان الحبوب.

-إلغاء قانون استغلال الغابات. (614)

ولقد ركز كثيرا في برنامجه الحزبي على الجانب الاجتماعي الريفي، لأنه عاش وسط بيئة فلاحية فقيرة * وهو يختلف بذلك عن مصالي الحاج الذي ولد في حي شعبي بتلمسان، ولم يخالط الفلاحين، وإنما خالط البروليتاريا العمالية في باريس، فيقول عن فرحات عباس أنه عرفه سنة 1930 حينما عاد من بروكسيل، ويعرف تاريخ نجم شمال إفريقيا، وشارك في جريدة الأمة التي كانت تصله إلى سطيف. (615) وقال فرحات عباس عن مصالي الحاج: " تكلمت مع مصالي، وكانت رؤيتنا مختلفة، هو يرى الجزائر من خلال جو باريس، وقوانينها التي تحمي الحريات، وأنا أرى الجزائر من خلال الدوار الذي ولدت فيه، والبلديات المختلطة، وأرض الجنوب، أعرف ثقل القوانين الاستثنائية المفروضة على بني عافر، وأمثالهم. " (616) ففي بداية 1939 أكثر من جولاته داخل الجزائر من أجل تشكيل فروع لحزبه، معتمدا على الفئة الشبانة المثقفة، مدافعا عن الحريات الفردية، وتعليم اللغة العربية، ومنتقدا الإمبريالية الكولونيالية، ومطالباً بحرية العبادة ومنع تدخل سلطات الاحتلال فيها، وكان بذلك قريبا جدا من مطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (617) ورفضاً ذكر سياسية الاندماج نهائيا، ومنتقدا النخبة التي مازالت تطالب بها، وكان يكتب في ورقة الاستعلامات التي تقدمها الفنادق لنزلاتها في خانة الجنسية: " نصف فرنسي " (618) وذلك استهزاء منه بالقوانين الفرنسية، ففكره السياسي تجاوز كثيرا النخبة الجزائرية الفرنسية، وكذلك أغلبية السياسيين الجزائريين المسلمين الذين عرفتهم الحركة الوطنية، وكانت سلطات الاحتلال في الجزائر تنظر إليه على أساس أنه سياسي خطير يعرف كيف يناور، وطالب المحتلون ووكيل النيابة في سطيف باعتقال فرحات عباس، بسبب سياسته المعادية، للمحتلين ، وراسل

(614) Ferhat Abbas,(brochure) Pourquoi créons-nous l'union populaire Algérienne,Alger,1938,

* دوار بني عافر الجبلي، حيث نشأ وترعرع فيه فرحات عباس، تتميز هذه المنطقة الفلاحية بالفقر، وكرم وشجاعة سكانها.

(615) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre,op.cit,p :59

(616) ibid.

(617) Ageron, C. R, in revue d'histoire maghrébine, op.cit, p :126

(618) ibid

الحاكم العام للسماح له بذلك، ولكن جاءه الرفض من الحاكم العام يوم 3 سبتمبر 1937 مبررا عدم اعتقاله بالشعبية الواسعة التي يتمتع بها فرحات عباس في الأوساط الشعبية، والتي ستؤدي بدون شك إلى إحداث اضطرابات. (619)

ولكنه بقي متأثرا و مرتبطا بالأفكار الديمقراطية الغربية، حيث يرى أن الديمقراطية الغربية، هي تحرر للإنسان من ظلم الحكام وتختلف عن دكتاتورية حكم ملوك العرب، لذلك ألح على ضرورة بقاء الشعب الجزائري حرا ولكن في إطار الوحدة الفرنسية، وليس الوحدة القومية العربية، التي تأثر بها مصالي الحاج.

فقد كتب في كتيبه " لماذا أسسنا حزب إتحاد الشعب الجزائري " ما يلي: " أحسن وسيلة لتطوير بلادنا هي مساعدة الفلاحين، منذ 108 سنوات الجزائريون المسلمون لم تصلهم أية مساعدة، ورفضوا كل الأعمال الوحشية للغزو الفرنسي لبلادهم، ولكنهم قابلون بأن يعيشوا أحرارا في إطار الوحدة الفرنسية... فهما كيدَين (فرنسا و الجزائر (مرتبطين مع بعضهما فوق بحيرة البحر المتوسط إلهما رمزان للتطور و المستقبل السعيد. " (620)

يلح فرحات عباس على بقاء الجزائر مرتبطة بالغرب فالشرق في نظره رمز للقهر، والعبودية، واستقلاله كان إذلالا للفتات الشعبية البسيطة، وإهانة لها من طرف ملوكهم، وأمرائهم، حيث يقول: " بقدر ما أحس بأنني شرقي بفعل الدين الإسلامي، وتسامحه، وإيماني به، بقدر ما أكره الشرق السياسي، إنه شرق الملوك، والأمراء، والدسائس، والقهر، والاستبداد. " (621) هل كان فرحات عباس محقا في رأيه هذا؟ أم متناقضا مع نفسه؟ فهو يرى بأن العلم هو المرحلة الأولى للتحرر، ولذلك كان يلح على سلطات الاحتلال في الجزائر على نشر العلم فالشعوب العربية في تلك الفترة التاريخية كان يغلب عليها الجهل والأمية، والجاهل الأمي في أي مكان لا يهاب إلا من العصا، ومنحه الحرية والديمقراطية جريمة في حقه، فالديمقراطية كاستقلال تؤخذ ولا تعطى، فوعي الجماهير هي التي تفرض الديمقراطية، وما على الحكام إلا الخضوع لرغبات الجماهير الواعية من شعوبهم، ويظهر من ذلك أن فرحات عباس كانت تنقصه الدراسة السوسولوجية للأمة العربية فوصول أي فرد للحكم خارج عن الإرادة الشعبية (الانتخابات النزيهة) الواعية يكون بالضرورة ديكتاتوريا.

توقف فرحات عباس في هذه الفترة عن طلب التجنس الجماعي للشعب الجزائري نهائيا، ربما يكون قد استجاب للفتوى التي أصدرها الشيخ ابن باديس يوم 10 أوت 1937، حيث حرم فيها التجنس، معتبرا أن كل متجنس جزائري مسلم حرام، وردة عن الإسلام. (622)

طلب فرحات عباس في خريف 1938 مقابلة رئيس الجمهورية الفرنسية " ألبر لوبرون " (Albert Lebrun)

- وتم له ذلك - حيث طلب منه فرحات عباس السماح للجزائريين بالمشاركة في البرلمان الفرنسي

(619) ibid. p : 125

(620) Ferhat Abbas, U.P.A (brochure)

(621) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 583

(622) Claude Collot, op.cit, p :126

فأجابه رئيس الجمهورية بقوله: " يا سيدي، لا أريد مشاركة المسلمين في البرلمان الفرنسي، اليوم الجزائر، ثم المغرب، ثم تونس، وفيما بعد الكل، ويصبح الفرنسيون أقلية فيه." (623) عاد خائبا إلى الجزائر، ولم يحن شيئا من مقابلته مع رئيس الجمهورية الفرنسية أو مع وزرائه، ورجع آملا من الشعب الجزائري أن يجعل منه قوة ضاغطة ومنظمة، في إطار حزب " إتحاد الشعب الجزائري " ففي سنة 1939 استطاع، أن يكوّن عدة فروع له، وكل فرع يضم أكثر من 50 منخرطا، منها 50 فرعا في ولاية قسنطينة* و 4 فروع في وهران، و 1 فرعا في الجزائر، وحسب سلطات الاحتلال فإن عدد المنخرطين في حزبه وصل إلى 10000 منخرطا في نهاية 1938. ومعظم المنخرطين كانوا من النخبة، والطبقة البرجوازية المتوسطة المسلمة. (624) إن عدد المنخرطين كان قليلا في حزبه، لأن النخبة في تلك الفترة كانت قليلة حوالي 5000 جزائري مسلم متحصل على شهادات عليا. (625) كان معظمهم يرغب في الوصول إلى البرلمان الفرنسي، لأن حزب "إتحاد الشعب الجزائري" كان يطالب بـ 5/2 من المقاعد للجزائريين المسلمين في كل المجالس النيابية الفرنسية، وهذه كانت رغبة المنتخبين منذ سنوات مضت. (626) ولقد قامت أجهزة الاحتلال في نهاية 1938 بدراسة وضعية الأحزاب السياسية، والجمعيات المسلمة في الجزائر، ومدى تأثيرها على الجزائريين المسلمين. لاحظ جدول رقم:04

الأحزاب الوطنية في نهاية 1938⁽⁶²⁷⁾

جدول رقم:04

| تأثيره على الأشخاص | المنخرطون | رئيسه | الحزب ، والجمعيات |
|--------------------|-----------|-----------------|--|
| 300.000 | 10000 | فرحات عباس | اتحاد الشعب الجزائري |
| 360.00 | - | ابن جلول | حزب التجمع الفرنسي - الإسلامي الجزائري |
| 100.00 | - | مصالي الحاج | حزب الشعب الجزائري |
| 240.00 | - | عمار أوزقان | الحزب الشيوعي الجزائري |
| 300.00 | - | الشيخ ابن باديس | جمعية العلماء الجزائريين المسلمين |
| 120.000 | - | شيوخ الزوايا | الزوايا |

(623) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 94

(624) ibid. p p : 94-95

* أثناء عمله في تصيب فروع حزبه بمدينة الطاهير ولاية جيجل، سأله أحد البسطاء حينما كان جالسا معه في مقهى بوسط الطاهير، على كرسي طويل يسمح بالجلوس عليه لعدة أشخاص. كيف تستطيع يا عباس أن تخرج فرنسا (العامة يعبرون بعفوية عن آمالهم، ورغبتهم في استقلال الجزائر بسرعة بدون حساب الأخطار التي تنجم عن ذلك) بقي فرحات عباس مسترسلا في حديثه ولكنه من جانب آخر بدأ يزحزح سائله عن الكرسي حتى كاد أن يسقطه أرضا، فغضب ذلك السائل وصاح في وجه فرحات عباس: لقد أسقتني أرضا! فرد عليه فرحات عباس قائلا: لم أرد من ذلك سوى إجابتك عن سؤالك.

(625) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :95

(626) Vatin Jean Claude, l'Algérie politique histoire et société, édition, Armand Colin et Fondation nationale des science politique,septembre,Paris,1974,p :181

(627) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, , op.cit,p :95 d'après l'archives outre mer ,A.O.M. Aix-en-Provence,série 10 H 87,10 H48 « situation politique » et « surveillance des indigènes »

يظهر من هذه الإحصائيات أنه يوجد فيه تضخيم كبير للأشخاص الخاضعين لتأثير حزب (اتحاد الشعب الجزائري)، فمعظم المؤرخين الذين كتبوا في هذه الفترة عن امتداد هذا الحزب في الأوساط الشعبية المسلمة يذكرون أن تأثيره كان ضعيفا، ومنهم محفوظ قداش، حيث يقول: " إن برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري لم يجد استجابة شعبية، وكان يقتصر على بعض أصدقاء فرحات عباس، المتأثرين بشخصه كزعيم للمنتخبين، أكثر من تأثرهم بالحزب." (628) وإن الشعب الجزائري المسلم في هذه الفترة كان أكثره خاضعا لتأثير الزوايا.

إن ظروف قيام الحرب الكونية الثانية، لم تسمح لحزبه بالتوسع عبر التراب الوطني، وأن تأثير فرحات عباس هو الفاعل في ذلك الحزب، لقد حاول جاهدا جمع شمل الجزائريين المسلمين في إطار حزب ليجعل منه قوة قادرة على الوقوف أمام الاحتلال، وتحقيق المرحلة الأولى من مشروعه السياسي الهادف إلى تحرير الإنسان الجزائري ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا بالدرجة الأولى، لتأتي فيما بعد المرحلة الأخيرة من مشروعه وهي التحرر السياسي للجزائر، ولن تكون هذه المرحلة إلا بعد تحضير الإنسان تحضيرا فعالا لذلك، حيث يستطيع الفرد الجزائري تحمل مسؤوليته وهو في كامل وعيه.

(628) Mahfoud Kaddache,op.cit,p : 584

المبحث السابع

فرحات عباس والحرب الكونية الثانية

نتناول في هذا المبحث النشاط الميداني والسياسي لفرحات عباس خلال فترة الحرب الكونية الثانية. هل كان يتمنى سقوط فرنسا أمام هتلر؟ أم كان رافضا للاحتلال والقهر أينما وُجد؟ هل أثرت الحرب الكونية الثانية على فكره السياسي؟

بدأت الحرب الكونية الثانية في سبتمبر 1939، وكانت فرنسا تمر بفترة ضعف سياسي، وعسكري، فلم تكن لها لا حكومة قوية، ولا جيش بإمكانه الوقوف أمام هتلر.⁽⁶²⁹⁾ إن فرنسا قبيل اندلاع الحرب الكونية الثانية، رفضت القيام بإصلاحات فعلية في الجزائر تلي رغبات، الأحزاب الوطنية، وعند بدايتها أُلقت القبض على زعماء حزب الشعب، وحلت حزبهم، وكذلك فعلت مع الحزب الشيوعي الجزائري، أما حزب إتحاد الشعب الجزائري فلم يصبح بعد حزبا سياسيا، ذو امتداد شعبي.⁽⁶³⁰⁾ فقبيل بداية الحرب الكونية الثانية، كَثُرَ فرحات عباس من نشاطه السياسي، بعد رفض مشروع بلوم- فيوليت، لقد أصبحت إدارة الاحتلال والمحتلون ينظرون إليه كرجل سياسي خطير، يعرف كيف يناور ومتجاوزا بذلك معظم جماعة النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، فوكيل النيابة بسطيف طلب من الحاكم العام إلقاء القبض على فرحات عباس بسبب نشاطه السياسي المتزايد والمعادي للاحتلال، وذلك يوم 03 سبتمبر 1937، ولكن الحاكم العام رفض طلبه، نظرا لزيادة شعبية فرحات عباس في نظره وأن الظروف لا تسمح بذلك.⁽⁶³¹⁾ وأثناء هبوب رياح الحرب الكونية الثانية، أصدرت حكومة " دلاديه " (Daladier) مرسوم ماي 1939، الذي يسمح للجزائريين بالمشاركة في الانتخابات التشريعية الفرنسية، فانتقل فرحات عباس مع الدكتور ابن جلول إلى باريس معتبرا أن ذلك المرسوم هدفه إشراك الجزائريين في الحرب الكونية الثانية إلى جانب فرنسا، فغضب منه " دلاديه " معتبرا ذلك ابتزازا لفرنسا في تلك الظروف الصعبة، وأجاب فرحات عباس، بقوله: " إن فرنسا لها القوة الكافية من الأسلحة والجنود للدفاع عن إمبراطوريتها الكولونيالية. " ⁽⁶³²⁾ وكتب فرحات عباس رافضا ذلك التهديد: " لا نستطيع أن ندفع عشرات الآلاف من الجزائريين للتضحية من أجل اللاشيء، المسلمون لا يستطيعون أن يستمروا في الموت دفاعا عن حرية الآخرين، وهم محرومون من هذه الحرية، فالتضحية من أجل الآخرين، يجب أن تكون مسبقة بتحررهم الكامل. " ⁽⁶³³⁾

⁽⁶²⁹⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص : 169

⁽⁶³⁰⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 599

⁽⁶³¹⁾ Ageron, C. R, in revue d'histoire maghrébine, op.cit, p : 125

⁽⁶³²⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 96

⁽⁶³³⁾ ibid. p : 97

إن فرحات عباس رفض مشاركة الشعب الجزائري المسلم في الحرب إلى جانب فرنسا بدون مقابل، فقبول مشاركة الجزائريين حسب رأيه يجب أن يكون مربوطا بشروط مسبقة تعيد لهم حريتهم وكرامتهم. ووجه فرحات عباس نداء للفرنسيين، قائلاً لهم: " لا تنتظروا حرباً أصبحت إجبارية عليكم، بسبب تراجعكم في ميونيخ، لتقولوا لرعاياكم: تعالوا لكي تموتوا من أجل الجمهورية، التي تنبذكم ظلماً، ومن أجل الحريات، التي لا فائدة لكم منها، ومن أجل حياة محترمة ترفضكم، ومن أجل تعليم لا يستفيد منه سوى 10 % من أبنائكم. " (634)

ولكن عند اندلاع الحرب الكونية الثانية بعد غزو ألمانيا لبولونيا في 1 سبتمبر 1939، فبعد ثلاثة أيام من ذلك التاريخ نشر فرحات عباس مقالا له في افتتاحية جريدة الوفاق الإسلامي، وهو عبارة عن رسالة مفتوحة لأصدقائه النواب يعلن فيها عن توقيف النشاط السياسي لحزبه (إتحاد الشعب الجزائري)، (635) ومما جاء فيه:

"أصدقائي الأعزاء، اليوم في هذه الساعة الصعبة، أصبحت حرية الأمم الديمقراطية مهددة، يعلن حزبنا عن توقف أي نشاط سياسي، ويتحول كلياً للدفاع عن سلامة الأمة التي يرتبط بها مستقبلنا، لأنه في حالة زوال فرنسا الديمقراطية، مثلنا في الحرية سيضمحل للأبد... نؤكد في هذه الساعة بالأعمال، إيماناً بانتصار فرنسا، إنه انتصار للحرية عندنا، وفي العالم كله... إن مكاني هو في الجيش إلى جانب رفاقي في الفيلق... أنا ذاهب، إذا مت، أطلب منكم أن تحتفلوا بذكراي، مع بقائكم أمناء لحزبنا، وللطريق الذي رسمه... وإن عدت، سوف أستأنف معكم، وبنفس الشجاعة، وبنفس التضحية، الدفاع عن قضيتنا المقدسة، تحيا الجزائر، تحيا فرنسا." (636)

وهوول معه شيوخ الزوايا، والنواب، والنخبة (الفرنسة)، للوقوف إلى جانب فرنسا في حربها ضد ألمانيا، وعلى رأس النخبة الدكتور ابن جلول الذي طلب المشاركة في الحرب كمتطوع في الصفوف الأمامية، وليس كطبيب في الصفوف الخلفية، وقدم شكره للجزائريين المسلمين الذي لبوا نداء الوطن (637) (فرنسا).

وقد أعلن الفرنسيون بأن الجزائريين مخلصون لهم، ومستشهدون على ذلك بما يرد عليهم من تأييد من أتباعهم من الجزائريين المسلمين. (638) هؤلاء المؤيدون لفرنسا في حربها ضد ألمانيا هم الذين استفادوا من الاحتلال الفرنسي للجزائر على حساب إخوانهم، فزوال فرنسا بالنسبة إليهم هو زوال صاحبة نعمتهم وجاههم.

ولقد نشرت جرائد الاحتلال معظم رسائل التأييد التي كانت تأتيها من هذه الفئة، وسأذكر رسالة أرسلها رؤساء جمعية الزوايا إلى الحاكم العام، وإلى الرأي العام الجزائري المسلم، ومما جاء فيها: " مثل أجدادكم

(634) ibid.

(635) Ferhat Abbas, éditorial de L'entente franco - musulmane N° 127 du 4 septembre 1939

(636) ibid.

(637) Mahfoud Kaddache, op.cit, op.cit, p:603

(638) نفس المرجع، ص : 170

في سنة 1870، ومثل آبائكم وإخوانكم، وأنتم كذلك في سنة 1914، وهذا يؤدي إلى ضمان مستقبلكم، بصفة جيدة لكم ولأولادكم، وبمشاركتكم في الحرب تحافظون على شرف وجاه فرنسا، وتضمنون انتصار السلام، والحرية والديمقراطية." (639)

ووقف كذلك القياد والباشاغوات، وشيوخ العرب إلى جانب فرنسا في حربها ضد النازية، وطلبوا من الجماهير المشاركة بقوة في الحرب، وادعى الحاكم العام "لوبو" (LeBeau) بأن الجزائريين المسلمين يقفون إلى جانب فرنسا. (640) ولكنه لم يوضح من هم هؤلاء المسلمين الذين وقفوا معها، وفي الحقيقة ربما يمكننا أن نجعل هذه الفئة جزء من فئة المحتلين، و ربما أخطر لأنهم كانوا يتكلمون باسم الجزائريين المسلمين، وتلك هي الطامة الكبرى، حيث تمكن الاحتلال من ترويض فئة من الجزائريين المسلمين للدفاع عنه.

ففي الأربعين سنة من عمره فرحات عباس يعلن تطوعه في الجيش الفرنسي ضد العدوان النازي ويوجه إلى وحدة قتالية. (641) وذلك دفاعا عن مثله العليا في الديمقراطية والحرية، فزوال فرنسا بالنسبة إليه، هو ترسيخ الفكر الكولونيالي النازي، ويصبح بذلك قاعدة. " فعندما اندلعت الحرب في أوروبا، هرع فرحات عباس بولاء إلى فرنسا في ساعة محتتها. " (642) ومنحت له رتبة عسكرية - مساعد - ووجه للعمل كصيدي في مخبر في وحدة صحية بالجزائر، ثم أرسل فيما بعد إلى مدينة تروا (Troyes) حيث شاهد بعينه هزيمة الجيش الفرنسي أمام الجيش النازي. (643) وسرح فرحات عباس في شهر أوت 1940 من الجيش الفرنسي وعاد إلى الجزائر. (644) حيث رجع إلى مدينة سطيف بعد أن قضى تقريبا سنة كاملة في خدمة الجيش الفرنسي، ترك البندقية والمخبر، وعاد إلى سطيف ليحمل القلم لمواجهة الاحتلال، أي استمرارية النضال في نظره من أجل انتصار الحق أينما كان، فهو وهب حياته للدفاع عن الحرية والعدل، والوقوف ضد الظالم ونصرة المظلوم، وهو القائل: " إني أكره العنف، بقدر ما أكره الظلم. " فالاحتلال عنده شيء فظيع يجب محاربهه أينما كان ووُجد.

شارك فرحات عباس في الحرب الكونية الثانية إلى جانب فرنسا مثله الأعلى في الحرية والديمقراطية، ولكن أمله لم يكن متوقفا على حرية فرنسا فقط، بل كان يأمل أن تنتقل الحرية والديمقراطية إلى أرض الجزائر لتشمل كل سكانها بدون تمييز، فذلك هو هدفه من المشاركة في الحرب، ولكنه نسي بأن الاحتلال الفرنسي ينظر إلى الشعوب العربية الإسلامية نظرة احتقار، فكان على فرحات عباس أن يواجه عراقيل أخرى، وظروف أقسى وقعت عليه لكي يعرف حقيقة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

(639) Cité par Mahfoud Kaddache, op.cit, p :603 d'après l'Afrique Française, 1939, pp :214,215

(640) نفس المرجع و الصفحة.

(641) Jean Lacouture, op.cit, p :277

(642) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص : 56

(643) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :98

(644) Jean Lacouture, op.cit, p :277

الفصل الخامس:
مواقفه خلال الأربعينات.

المبحث الأول: عودته من الحرب الكونية الثانية.

المبحث الثاني: بيان الشعب الجزائري.

المبحث الثالث: إنشاء حركة أحباب البيان والحريّة.

المبحث الرابع: فراحات عباس وحوادث 8 ماي 1945.

المبحث الخامس: تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي

للبيان الجزائري "

الفصل الخامس

مواقفه خلال الأربعينات

إن فترة الأربعينات كانت هامة جدا للحركة الوطنية الجزائرية بصفة خاصة، والحركات التحررية العالمية بصفة عامة، فالحرب الكونية الثانية، نتجت عنها تغيرات سياسية عالمية هامة منها انهزام الديكتاتورية النازية، والفاشية الإيطالية، وانتصار الديمقراطية، وظهور منظمات عالمية للدفاع عن السلم والأمن مثل منظمة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية.

ربما نستطيع أن نقول بأن الحرب الكونية الثانية فتحت عصرا تاريخيا جديدا تمثل في بداية انهيار الاحتلال الأوروبي الحديث، و انتشار الفكر التحرري، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية كبرى، ينافسها في ذلك الاتحاد السوفيتي (سابقا)، لم يكن الجزائريون منعزلين عن الأحداث العالمية أو الوطنية، وإنما تفاعلوا معها و عملوا على تحرير وطنهم من الاحتلال الفرنسي، وكان من نتيجة ذلك قيام ثورة أول نوفمبر 1954.

المبحث الأول

محدثه من الحرب الكونية الثانية

بعد سقوط فرنسا في يد النازية، أطلق سراح فرحات عباس من الجيش، وهو في 41 سنة من عمره، وشاهد بعينه انهزام فرنسا، وسقوط حكومتها، وجيشها، أمام قوة احتلالية أكبر منها، وهذا ما كان يخشاه فرحات عباس انتصار القوى الديكتاتورية على الديمقراطية الفرنسية مثله الأعلى في الحرية، كيف كان موقفه من الاحتلال الفرنسي في هذه الفترة؟ الشعوب الحرة تدافع عن حريتها وتدفع أعلى ما تملك من أجل أن تبقى سيادة على أوطانها. إلى أين توصل فرحات عباس بسياسته الاندماجية؟ كيف تفاعل مع التطورات الداخلية والعالمية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

رجع فرحات عباس إلى مدينة سطيف في شهر أوت 1940 بعد أن زار عائلته في الطاهير، وأخواله ببوحمون (في قبيلة بني عمران)، وعاد لممارسة نشاطه السياسي من جديد في مدينة سطيف، ولكن بفكر سياسي جديد، فزعيم الاندماج قبل الحرب الكونية الثانية، يتحول إلى زعيم وطني، مدافع عن الوطن الجزائري، حيث صرح بقوله: " إن الوطن الجزائري الذي لم أحده سنة 1936 في أوساط العامة من المسلمين، وجدته اليوم."⁽⁶⁴⁵⁾

⁽⁶⁴⁵⁾ Ageron, C. R, in R. H. M, op.cit, p : 125

في الحقيقة لم يكن يشعر أبدا بأنه بعيد أو غريب عن وطنه، فقد كتب في إحدى مذكراته الجيبية، يوم 6 سبتمبر 1939 " في أي مكان يضع المصير قبيري، فإن آخر فكري يبقى لمهدي. " (646) رجل مرتبط بأصالته، وسياسية الاندماج ما هي إلا مناورة سياسية، لأنه كان يعلم جيدا استحالة نكران الذات والأصل، وما تلك السياسة التي كان ينادي بها، إلا وسيلة لتحرر الشعب الجزائري، لكن هذا التطور في فكره السياسي يحتاج إلى دراسة أوسع، من طرف المؤرخين، فهو رجل يتطور حسب الظروف والأحداث، ومستخلصا نتائج دروسه من وعي العامة من الجزائريين، الذين يقول عنهم بأنه لم يجد عندهم في سنة 1936 وطن الجزائر، حيث كان الجهل سائدا، والبحث وراء لقمة الخبز هو الطابع الاجتماعي السائد في الجزائر في تلك الفترة، اعتقد عن صدق بأن الحل الوحيد لتحرر الجزائريين وإخراجهم من ضياعهم لن يكون إلا عن طريق التحنس الجماعي، ووقف مدافعا عن مشروع بلوم- فيوليت، ومؤيدا بكل قوة مطالب المؤتمر الإسلامي، لكن صدقه وأحلامه وجدت أمامها حاجزا منيعا أقامه محتلون ساديون أعمتهم أمراضهم النفسية، تجاه شعب منهزم بسلاحه، ولكنهم لم يستطيعوا هزم مقوماته الشخصية.

فبعد عودته إلى مدينة سطيف، بأقل من شهر، أي يوم 7 أكتوبر 1940، ألغت إدارة الاحتلال قرار كريميو 1870 الذي منح المواطنة الفرنسية لليهود الجزائري. (647) إن الكثير من المحتلين والجزائريين استقبلوا هذا الإلغاء بالفرح، لأنه جرد يهود الجزائر من الجنسية الفرنسية، فربئس بلدية قسنطينة السابق (مورينو) ورئيس بلدية جيجل فيما بعد، عبر عن سعادته بإلغاء هذا القرار وعودة اليهود إلى أصلهم الطبيعي مع الأهالي الجزائريين، وفي نظره أن هذا القرار عمل رديء أصدره اليهودي " كريميو " سنة 1870. (648) إلا أن فرحات عباس وبعض أعضاء النخبة والعلماء رفضوا ذلك الإلغاء. (649) واعتبروه عملا غير منطقي. ويدخل ذلك في إطار التمييز العنصري المفروض على الشعب الجزائري سواء المسلمين منه أو اليهود، ففي جوان 1942 عند رئاسة فرحات عباس لوليمة أقامتها الجمعية العامة للطلبة المسلمين، صرح قائلا للفرنسيين: " إن ما عملتموه لليهود الجزائر، المندمجون في الحضارة الفرنسية فهو بفعل مبادرتكم وإرادتكم، وليس بمبادرة العدو الذي لا يهتم بإلغاء قرار كريميو؛ إن عنصريتكم تذهب بكم في كل الاتجاهات، إنكم اليوم ضد اليهود، وأنتم دائما ضد العرب. " (650)

هذا هو الاحتلال يصدر قوانين ولا يحترمها، فبانهزام فرنسا أرادت حكومتها أن تقدم ولاءها لألمانيا، بإلغاء قرار كريميو، حتى هي أصبحت تكره اليهود بعد 70 سنة من دمجهم في المواطنة الفرنسية، وكان ذلك درسا للجزائريين المسلمين.

(646) Ferhat Abbas, archives privées saisies en mai 1945, I. R, boîte N° 13, A.W.C

(647) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 106

(648) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 60

(649) ibid.

(650) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 107 d' après Lucien Adés, L'Aventure Algérienne, 1940, 1944, éd.Belfond, Paris, 1979, p :74

خصوص فرحات عباس من الفرنسيين بعد نزول الحلفاء في الجزائر في نوفمبر 1942، اتموه بالتعاطف مع نظام فيشي، وعبأوا عليه معارضته لإلغاء قرار كريميو. (651) إن وضع الثقة في الاحتلال غباوة سياسية، لذلك كان على دعاة الاندماج اختيار طريق آخر.

ففي السنة التي عاد فيها فرحات عباس إلى سطيف، كانت كل النشاطات السياسية في الجزائر متوقفة، من حزب "إتحاد الشعب الجزائري"، وفيدرالية المنتخبين، والمجالس النيابية، وحزب الشعب الجزائري. (652)

قامت مظاهرة في 12 أكتوبر 1940 في شوارع مدينة سطيف بسبب عزل مدير مدرسة من مهامه لكونه يهودي يساري، بسبب احتجاجه على تعليق المجالس العامة المنتخبة. (653) تدخل فرحات عباس وحرك سكان مدينة سطيف، وأمرهم بالخروج إلى الشوارع متحدنين بذلك سلطات الاحتلال من جهة، ومن جهة أخرى تأكيده على مدى وَضْعِ ثقتهم في شخصيته عن طريق تفعيل رجل الشارع، وبذلك كان فرحات عباس عند وعده، الذي التزم به في حالة عودته سالما من الحرب الكونية الثانية بقوله السابق الذكر. - إذا بقيت حيا، ورجعت إلى الجزائر، سأواصل معكم الكفاح بنفس الشجاعة، مع نكران الذات للدفاع عن قضيتنا المقدسة -

قرر الحاكم العام في 12 ديسمبر 1940 تعيين مجلس مالي لتعويض المندوبيات المالية المنتخبة. (654) فرفض فرحات عباس هذا التعيين وأدانه، حيث وجه رسالة احتجاج إلى الحاكم العام الأدميرال أبريال (Abrial) يوم 16 ديسمبر 1940 ومما جاء فيها: "إن هذا الاختيار تنكيدي، تقريبا فكل الجزائريون المعينون هم شيوخ زوايا، وهم أميون ولا ضمير لهم ومتعصبون." أما عن الجانب الفرنسي فيقول عنهم، بأن معظمهم يمتازون بعدوانيتهم تجاه الجزائريين المسلمين. (655) ويضيف قائلا: "إن زمن الموظفين الكبار قد ولى". (656) وفي رسالة أخرى وجهها إلى رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين، يوم 26 مارس 1941 ومما جاء فيها: "إن سكان قسنطينة، وكذلك سكان سطيف لم يستقبلوا هذا التعيين بالفرح، لأنه لا يحل مشكل الأكوخ القذرة... إن تعيين السيد سيسبان هو انتصار جديد للمحتلين، وليس انتصارا للمسلمين." (657)

لقد رفض ذلك القرار بكل شجاعة، وقدم نصيحة إلى الحاكم العام ينصحه فيها بالاعتماد على العناصر الجزائرية المسلمة المثقفة، فهي الوحيدة القادرة في نظره على فهم مشاكل الجزائريين، وليس الجهلة الذين لا يعرفون سوى مصلحتهم الشخصية الضيقة، ولا تهمهم العامة من إخوانهم الذين يعيشون في الفقر والجهل والذل، معتبرا

(651) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 126

(652) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 107

(653) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 126

(654) ibid.

(655) ibid.

(656) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 107

(657) Lettre de Ferhat Abbas, à M^f: le président de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981, A.W.C

أن هذه الطريقة الدينية، أدت إلى قتل فرنسا في قلوب الجزائريين المسلمين. (658) فمن إيجابيات الحرب الكونية الثانية بالنسبة للجزائريين أنها أضعفت كثيرا تأثير الأعيان من القياد، و الباشاغوات، وشيوخ الزوايا في نفوس الجزائريين، وأظهرتهم على حقيقتهم، ولم يعد لهم الاحترام أو الهيبة التي كانوا يتمتعون بها من قبل.

إن فرنسا قد سقطت في يد ألمانيا، فهذه القوة العظمى التي كان ينظر إليها العامة من الجزائريين المسلمين، بأنها قوة لا تقهر، ها هي تسقط، وبالتالي تُبعثها من بعض الجزائريين سقطت قيمتهم في أعين الجزائريين، وفتح المجال للفئة المثقفة من أمثال فرحات عباس، وابن جلول، والعلماء وغيرهم، فهذا الجيل الجديد من الشباب المثقف النشط المتحمس لإلغاء الاحتلال، وذيوله المنتشرة عبر الأرياف خاصة، والبلديات المختلطة، ولكن هذا الشباب كان ينقصه التنظيم. (659) لأنه معظمهم كان يعتقد بأن الحل يأتي من إدارة الاحتلال، عن طريق الاحتجاجات، و استعمال الوسائل القانونية، مع احتلال استيطاني بشع بنى مجده عن طريق اختراقه كل القوانين السماوية، والوضعية، متركبا جرائم حرب إنسانية من أجل السيطرة على أملاك غيره.

وكان تأثير احتجاج فرحات عباس لدى الأدميرال "أبريال" مقلقا، حيث استدعاه إلى الجزائر العاصمة لاستفساره عن ذلك، فانتقل فرحات عباس من سطيف مستجيبا دعوة أبريال، وكان النقاش بينهما حادا، اتهم الأدميرال أبريال فرحات عباس بالعمل على: "التحريض ضد فرنسا" (660) موضحا له بأن اللجنة المالية التي اختارها كان ذلك عن قناعة وثقة كبيرة فيهم، ومتهما استياء فرحات عباس منها بسبب كرهه لفرنسا، ومحاولة استعماله الفلاحين لتحقيق أهدافه السياسية، ثم هدده بإلقاء القبض عليه، وأمره بالخروج من مكتبه. (661) فأراد فرحات عباس أن يقوم برد عنيف، ولكنه تحكم في أعصابه، وتجاوب مع "أبريال" بكل كبرياء قائلا له: "لا تطردني سأنسحب." (662) هدوء فرحات عباس، وكبريائه زاد من غضب "أبريال" أكثر من رسالة الاحتجاج التي وجهها له، فأراد أن يسجنه، ولكن مستشاريه نصحوه بعدم الإقدام على ذلك، بسبب ازدياد شعبية فرحات عباس. (663) فهو سياسي، وضع نفسه في خدمة الجزائريين المسلمين حسب قناعته، وبالتالي فإن التهديد لا يخيفه، بل يزيده قناعة وثقة بما يعمل.

أما بنيامين سطورا، فيذكر أن النقاش بينهما كان أكثر حدة، حيث لجأ الأدميرال "أبريال" إلى دفع فرحات عباس بقوة خارج الباب، وأراد إلقاء القبض عليه، ولكن الجنرال "ويغان" (Weygand) هو الذي هدأ غضب "أبريال". (664)

(658) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

(659) Annie Rey –Goldzeiguer, Aux origines de la guerre d' Algérie 1940-1945, édition, Gasbah, Alger, 2003, pp :181, 182

(660) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p : 108

(661) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

(662) ibid.

(663) ibid.

(664) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p: 108

إن تهديدات الحاكم العام " أبريال " لفرحات عباس كان صدها واسعا، وشكّلت شعبية جديدة لفرحات عباس مع صديقه الدكتور سعدان، وانخفاض شعبية الدكتور ابن جلول،⁽⁶⁶⁵⁾ لأن الجزائريين المسلمين يظهر من ذلك، أنهم كانوا ينتظرون فعلا حقيقيا ضد المحتلين، وليس كلام الصحف والجرائد، والخطابات.

أسس الحاكم العام " أبريال " في 24 جانفي 1941 " المجلس الوطني " بناء على رغبة حكومة فيشي التي طلبت منه ذلك بشرط أن يكون متساو بين المحتلين والجزائريين، ولكن الحاكم العام عين 5 مستشارين من المحتلين*، و 4 مستشارين من الجزائريين** المسلمين.⁽⁶⁶⁶⁾

أما المسلمون الذين قبلوا هذه المناصب فقدوا كل احترام شعبي لهم، واتهموا بالخيانة والبحث عن المناصب والمكاسب بطرق غير شريفة، ماعدا شيخ المدرسة ابن زكري الذي قبل سكان الجزائر العاصمة تعيينه بكل فرح، وذلك نظرا لصدقه وشعبيته ووقوفه إلى جانب المستضعفين، أما ولاية قسنطينة فلم يتم تعيين أي ممثل عنها لأسباب تبقى مجهولة لحد الآن.⁽⁶⁶⁷⁾

لقد رفض فرحات عباس رفضا مطلقا هذا التعيين الذي يسئ للجزائريين، وفكر في إرسال مندوبين إلى المارشال بيتان (Pétain)، ولكن الدكتور ابن جلول رفض المشاركة في هذه اللجنة معلنا اشمئزازه من العمل السياسي.⁽⁶⁶⁸⁾ إن سلطات الاحتلال شددت قبضتها على أعضاء الحركة الوطنية الجزائرية والشعب، ولم يسلم من ذلك حتى الجنود الجزائريين المخبدين في الجيش الفرنسي، ففي يوم السبت 25 جانفي 1941 على الساعة 9:15 ليلا، تمرد المئات من القناصة الجزائريين في ثكنة الدار البيضاء بالعاصمة يقودهم ضابط جزائري، واحتلوا مدينة الدار البيضاء لعدة أيام، ونادوا بالجهاد.⁽⁶⁶⁹⁾ ولم تتمكن سلطات الاحتلال إلا بعد جلب قوات فرنسية كبيرة للقضاء على ذلك التمرد، وخلفت تلك المواجهة العشرات من الضحايا بين الجانبين.⁽⁶⁷⁰⁾ هل كان ذلك التمرد بداية ثورة ضد الاحتلال فشلت في مهدها بسبب عدم تجاوب الشعب معها، والمجنودون الجزائريون في الثكنات الأخرى، هذا التمرد العسكري مازال يحتاج إلى دراسة للإطلاع على خفاياه وأهدافه، وقبل هذا التاريخ بثلاثة أشهر

⁽⁶⁶⁵⁾ Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

⁽⁶⁶⁶⁾ ibid.

* المستشارون المحتلون هم: الجنرال فرنسوا (François) رئيس فيلق الحاربيين - إميل بوردير (Emile Bordères) رئيس سابق للمندوبيات المالية - أندري مالرمي (André Mallarmé) وزير سابق وسيناتور - و اثنان من نواب اليمين هما: ستانيسلاس ديفنو (Stanislas Devaud)، و بول سوران (Paul Saurin)

** أما المستشارون المسلمون فهم: عبد الرحمان بو خردنة، رئيس سابق لفيدرالية المنتخبين المسلمين لولاية الجزائر - سيبان الشريف، رئيس سابق لفرع العرب في المندوبيات المالية - الآغا بن شبيحة بوسيف، نائب رئيس فيدرالية الفلاحين - الشيخ ابن زكري، أستاذ في المدرسة بالجزائر.

المرجع: Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 151-151

⁽⁶⁶⁷⁾ Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 127

⁽⁶⁶⁸⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 108

⁽⁶⁶⁹⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit, p :618

⁽⁶⁷⁰⁾ أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 186

فرحات عباس حرك الشارع السطايفي بواسطة مظاهرات شعبية ضد سلوك إدارة الاحتلال، ولكن أثرها بقي محصورا في سطيف كتمرد القناصة في الدار البيضاء، وكان من الصعوبة جدا في تلك الفترة القيام بعمل موحد على مستوى الوطن نظرا لنقص الوعي والتنظيم الوطني السياسي الجيد.

حكم على مصالي الحاج في 17 مارس 1941 بـ 16 سنة سجن مع الأعمال الشاقة. (671) لأنه أصبح عنصرا خطيرا على الاحتلال الفرنسي في الجزائر، بسبب تغلغل نشاطه السياسي داخل الجزائر.

وأمام عدم التنسيق السياسي بين مختلف جهات الوطن، وسجن زعماء الأحزاب، ووفاة الشيخ ابن باديس، وزيادة شدة أجهزة أمن المحتل داخل الجزائر، ونقل القناصة الجزائريين إلى فرنسا، وعدم مقدرة الشعب الجزائري المسلم على القيام بأي تحرك منظم ضد الاحتلال، قام فرحات عباس بمبادرة سياسية فريدة في وقتها هذا، حيث قرر أن يتوجه مباشرة للمارشال فيليب بيتان (Philippe Pétain) بواسطة ماكس بونافوس* (Max Bonnafous) وزير التموين في حكومة فيشي، وبذلك "رجع فرحات عباس إلى التضرع للصيغة القديمة « آه ! لو كان الملك يعلم ؟ " (672) واتصال فرحات عباس بهذا الوزير كان بواسطة " أوغستان بيرك " (Augustin Berque)، والد المستشرق " جاك بيرك " (Jacques Berque). (673)

أرسل فرحات عباس تقريرا إلى المارشال بيتان، يوم 10 أبريل 1941، ونشره في كتابه الشاب الجزائري، (الذي أعاد طبعه سنة 1981) ويقول عنه بأنه آخر محاولة له لطلب المساواة في الحقوق في إطار الجمهورية الفرنسية. (674) لينتقل بعدها إلى مرحلة سياسية أخرى، وقدم تبريرات لذلك العمل السياسي، حيث اعتقد بأن الوقت مناسب لتغيير سياسي حقيقي في الجزائر، معللا ذلك بمحاولة إنقاذ الأمة الجزائرية من الغرق، لأن كل الأبواب قد أغلقت في وجه الجزائريين المسلمين. (675) وكل محاولات الإصلاح باءت بالفشل قبل هذا التاريخ، ولم تستجب إدارة الاحتلال، وفرنسا لمطالب الجزائريين، المتمثلة في المؤتمر الإسلامي، ورفض البرلمان الفرنسي المصادقة على مشروع بلوم - فيوليت، بسبب تعنت وتجبر المحتلين في الجزائر، ووقوفهم ضد أية إصلاحات تخص الجزائريين المسلمين ولو كانت بسيطة، لأن في نظرهم قبولها سيسمح للجزائريين بطلب المزيد، وهكذا حتى يصبح المحتلون أقلية غير فعالة في الإدارة والسياسة، وبالتالي فقدان الإمتيازات التي جاؤوا من أجلها لاحتلال الجزائر.

(671) ibid.

* كان أستاذا للفلسفة، اشتراكي، ثم واليا على قسنطينة، استدعاه بيتان لمنصب وزير التموين.

(672) Ageron, C. R, in, R.H.M, op. cit, p: 128

(673) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 108

(674) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p : 169

(675) ibid. p p : 196-171

بدأ فرحات عباس تقريره إلى المارشال بيتان، بقوله: "إن مصير بلادنا متوقف على الله، وعلى حكومتكم، إنكم حكام على وضع ثقيل علينا، وهذا الوضع وقف ضد تطور الجزائريين، فلم تكن أية حكومة سابقة لها الشجاعة والحرية، لمواجهة المشكل الجزائري، وإيجاد حل له." (676)

ويقول "جون لاكوتير" عن هذا التقرير: "فرحات عباس استعمل أسلوبا نبيلًا في تقريره هذا، متأثرا بأسلوب الكتاب الفرنسيين الكبار أمثال شاتو بريان." (677) فهذه هي طبيعة الفرنسيين الأسلوب السياسي المهذب ينسبونه إليهم، والسيئ ينسبونه للعرب، نسوا وحشيتهم وإجرامهم في حق الجزائريين المسلمين، فرحات عباس كان قادرا على وصف الأحداث والأوضاع التي يعيش فيها الجزائريون بطريقة عقلانية ومؤثرة أحيانا، خاصة بعض جملته التي وردت في هذا التقرير مثل قوله: "إن الرجال الذين لهم شرف توجيه هذا التقرير إلى رجل الدولة الفرنسية المحترم، ولدوا تحت الحشفة." (678) ويضيف مؤكدا على صحة ما جاء فيه قائلا: "إن هذا التقرير يمكن أن تكون فيه أخطاء، ولكنه خال من الكذب." (679) رجل صريح مع نفسه وأفعاله، لا يستعمل أساليب الغش، والنفاق، والتملق للوصول إلى أهدافه، صريح حتى مع أعدائه، وتلك هي إحدى عوامل قوة فرحات عباس السياسية، لم ينكر يوما جملة أو مقالا كتبه، كان يأمل من هذا التقرير أن يحقق هدفه: "أمل أن يحدث تغييرا لاثقا في الجزائر، في إطار النظام الجديد، لفرنسا الجديدة." (680) كان يأمل فقط، ولم يكن متيقنا من قبول هذا التقرير، ولكنه يثبت لأعدائه بأن في الجزائر رجال مخلصين لشعبهم، ومعتدلون، ويكرهون الظلم، بقدر ما يكرهون العنف، فاستعمال لغة المنطق، والدلائل الدامغة من الممكن الوصول للهدف، ولكن ليس مع محتلين ساديون متطرفون أو كما وصفهم أحد وزرائهم بأنهم عبارة عن أجهزة هضم لا عقول لهم، كان ينتظر الحل أن يأتي من حكومة باريس، مذكرا إياهم بمبادئ فرنسا الحرة، وثورتها الكبرى (1789) التي قامت ضد التجبر، والظلم.

لكنه كان يعلم بأن تقريره هذا موجه لأعدائه، ووضع الثقة فيهم صعب حيث يقول في هذا التقرير: "من الخطأ في السياسة، أن تعتمد على حكمة أعدائك." (681) فبرغم مبادئ الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية، والمساواة والإخاء، هذه المبادئ البراقة فهو لا يثق في فرنسا، ولكن رغم ذلك لجأ إليها طالبا إصلاح أوضاع الجزائريين المسلمين، ويبرر فعله هذا بأنه أضعف الإيمان، فكل الأبواب موصدة أمام الجزائريين. وتقريره هذا هو في

(676) *ibid.* p : 147

(677) Jean Lacouture, *op.cit.*, p :279

(678) *ibid.*

(679) Ferhat Abbas, *le jeune Algérien*, *op.cit.*, p :174

(680) *ibid.*

(681) *ibid.* p : 187

حقيقته دراسة تاريخية و سوسولوجية للجزائر، وتدل على مدى إطلاعه على الأوضاع العامة في الجزائر، سواء بالنسبة للجزائريين المسلمين أو المحتلين، حيث قدم حوادث تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية بشكل معمق، وقال "جون لاكوتير": "إن هذا التقرير مستمد من قراءة فرحات عباس لـ "غوتيه" (Gautier)، و"أغوستان برنار" (Augustin Bernard)، و"وليام مارسيه" (William Marçais)، وأضاف قائلا: "إن فرحات عباس كان صريحا جدا في وقت كثر فيه التملق." (682) فهو لم يقدم نفسه في التقرير كرجل نسي ففته وتنصل منها، فلم يستطع أن ينسى فئة الفلاحين الذين عاش بينهم في منطقة ريفية جبلية معزولة عن كل مظاهر الحضارة، وبقيت تعيش كأنها في العصور الوسطى أو ما قبلها، حيث وصفهم في تقريره بقوله: "إن حياة الفلاحين المسلمين روتينية وحزينة، وذلك مثل طرقهم المٌعْبَرَة والتي تشبه أفعى لا نهاية لها، وهذه الطرق تمتد بين الروابي القاحلة، تحت أشعة الشمس، ومتواصلة بغير انقطاع وذلك كبؤس الفلاحين ومعاناتهم التي لا تنقطع." (683) يقدم وصفا دقيقا لمعاناة الفلاحين المستمرة منذ ولادتهم إلى مماتهم لا أحد يهتم مستقبلهم، أبعدها إلى مناطق نائية، فقيرة، ذات أرض قاحلة، فلا مدرسة ولا طريق معبّد ولا مستشفى، قياد وباشاغوات سُلطوا عليهم لمراقبتهم ومساعدة جباة الضرائب، فهذا الوضع يؤلمه ويقلقه كثيرا، الفلاحون أحمأوه، ولم يستطع التحلي عنهم، (684) وكذب تقارير المحتلين التي يقولون فيها بأنهم طوروا الجزائر، وأخرجوها من الجهل، والتخلف، فهم لم يطوروا سوى أنفسهم والعناصر التي جاءت من إيطاليا وأسبانيا ومالطا بحثا عن الرزق، وأضافوا إليهم يهود الجزائر، أما 6 ملايين شرقي "جزائري" فقد تركوا في العصور الوسطى." (685) فالاحتلال الفرنسي للجزائر كوّن مجتمعين متناقضين ومتنافرين، مجتمع المحتلين المتطور والظالم، ومجتمع المسلمين المتخلف والمظلوم.

ويقول عن هذا المجتمع الثاني: "إنهم العرب والبربر الذين تحملوا وحدهم عبء الاحتلال، وقوانينه الاستثنائية الجائرة." (686)

وقدم فيه دراسة مقارنة للحياة الاقتصادية والاجتماعية للمحتلين، والجزائريين المسلمين. (687) وصف فيها نوعية الزراعة و مردودها، ومداحيل العمال، وحياتهم الاجتماعية، والصحية، والتعليمية، مستخلصا النتيجة التالية: "إن المحتلين الكبار ما هم إلا إقطاعية فلاحية جعلوا هياكل الجزائر كلها في خدمتهم." (688) وعن

(682) Jean Lacouture, op.cit , p :280

(683) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit , p :182

(684) Jean Lacouture, op.cit, p :279

(685) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :177

(686) ibid. p : 175

(687) ibid. p : 176

(688) ibid. p : 177

الجزائريين المسلمين وصل إلى النتيجة التالية: " تراجع الجزائريون المسلمون إلى الوراء، إلى حياة ما قبل التاريخ، حياة الكهوف. " (689)

لقد استطاع أن يثبت بأن حياة الجزائريين المسلمين، كانت أحسن بكثير قبل سنة 1830، عما هي عليه الآن، وأن يوفق إلى حد كبير في محاكمة الاحتلال، وإبراز جرائمه وأكاذيبه التي لا تنتهي. " (690)

ولكن ما هي الأسباب التي جعلته يوجه هذا التقرير إلى رئيس الدولة الفرنسية "بيتان" بالذات؟ لقد أكد أن الأبواب كانت من قبل موصدة في وجه الجزائريين لإيصال معاناتهم، ولكنه أكد في تقريره بأنه مصمم على مواصلة النضال في كل الظروف والأحوال، وتحت كل أنواع الأنظمة، حتى يطبق القانون الواحد على الجميع في الجزائر، وإلغاء الإمتيازات الطبقية، والقضاء على الإقطاعية الفلاحية المألقة للأرض، والمسيرة، لـ 6 ملايين جزائري مسلم. (691) طلب من رئيس الدولة الفرنسية بعد إطلاعها على حقيقة الجزائر بأن يقوم بتغيير ثوري وتحضير النهضة الحقيقية لـ " جزائر الغد "، بالقضاء على الإقطاعية المزروجة للمحتلين والمسلمين معا. (692) فهو يرفض الإقطاعية سواء كانت عند المحتلين أو عند الجزائريين المسلمين، ويعتبرها إهانة للإنسان وظلم، وجور، عاشتها الشعوب في العصور الوسطى مرغمة.

فأراد من تقريره هذا أن يحقق مصالحة حقيقية بين فئتين متناقضتين: المحتلون والجزائريون المسلمون. (693) أي المصالحة بين إنسان شرقي سلبت منه حقوقه وله مقوماته وخصائصه الثقافية والدينية، وإنسان غربي محتل متكبر ومتعجرف ينظر نظرة الدونية إلى الإنسان المشرق، فالتعايش بينهما مستحيل.

إن فرحات عباس دافع تقريبا مدة 20 سنة عن سياسته الداعية إلى الاندماج، ولكن نتيجتها دائما الفشل، ومع ذلك لم يفقد الأمل، وبقي طوال هذه المدة يعتقد في إمكانية تحقيق النجاح، وفي هذه المرة وضع ثقته في المارشال بيتان، على الأقل لتحقيق أدنى إصلاحات للجزائريين المسلمين. (694)

وعلى كل حال فإن هذه المبادرة السياسية، في هذه الفترة، هي الوحيدة في الجزائر، والتي قام بها فرحات عباس، بإرسال تقرير إلى المارشال بيتان. (695) في هذا التقرير لم يذكر نهائيا مصطلح التجنس الجماعي للجزائريين المسلمين، ولكنه ركز على سياسة المساواة بين المحتلين والجزائريين المسلمين.

(689) ibid. p : 181

(690) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 83

(691) Ageron, C. R, in, R.H.M, op.cit, p: 128

(692) ibid.

(693) André Noushi, La naissance du nationalisme Algérien, 1914-1954, édition, de minuit, Paris, 1962, p :129

(694) Annie Rey Goldzeiguer, op.cit, p :89

(695) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص : 189

ويرى "بنيامين سطورا" بأن ظاهر هذا التقرير يدعو إلى سياسة الاندماج، بأخذ المواطنة الفرنسية كاملة لكل الجزائريين، ولكن من خلال دراسة تحليلية لهذا التقرير، نجد فيه ملامح الوطنية الخاصة بالجزائريين. (696) ويلخص فرحات عباس تقريره قبل تقديم اقتراحاته وحلوله لمشكل الجزائر، بقوله: "إن خلاصة هذا العرض بسيطة، من خلال الاتصال اليومي بالمجتمع الأوروبي، فإنه يتضح من خلاله إهمال المجتمع العربي الإسلامي، فلا يكفي إيقاظه من سباته فقط، فالمجتمع الجزائري يوجد فيه عاملين، واحد ميت، والآخر غير قادر على النشوء، إننا في مفترق الطرق، يجب الاختيار، نتقدم من أجل توسيع الحياة العصرية، أو نستسلم، ليأتي يوم ونرى فيه عالم الشرق، عالم العصور الوسطى يغرق كله، وتنهار كل منجزاته. (697) فهو يعلم بأن الصراع شديد بين جنسين مختلفين في الثقافة أحدهما ظالم معتدي يتمثل في جنس المحتلين، والآخر مظلوم مسلوب الحقوق يتمثل في الجنس الأصلي للجزائر، البربر، والعرب التي وحدت الحضارة الإسلامية والتاريخ عناصرهما.

وفرحات عباس هو من الرجال الذين تأثروا بالتقنيات الغربية وديمقراطية فرنسا، و ليبراليتها، وإيمانه بأن الجزائري يستطيع أن يقتبس هذه العناصر الأساسية للتطور، حيث يقول: "إن جيلنا اختار، إننا نريد أن نتقدم، لأننا نؤمن بالنهضة بواسطة التقنيات العصرية، وتطور الإنسان، وقدرة جنسنا على الاقتباس، إننا نريد أن نتقدم، لأننا على يقين بأن الشعب سيسير وراءنا، وسينصاع لنا، وذلك أمر لا مفر منه، إننا نريد أن نتقدم، لأن لنا الثقة في الشعب الفرنسي، وفي عبقريته الخلاقة." (698)

ففي نظره أن الشعب الجزائري لا يمكن أن يتقدم ويكتسب العلوم العصرية، إلا بمساعدة أمة كبيرة كفرنسا، تقوم بمساعدته والأخذ بيده، إلى التطور ويضرب أمثلة بذلك بالمنجزات التي حققها أتاتورك في هذه الفترة، لأن وراءه أمة كبيرة ساعدته على التطور. (699) فهو في هذا التقرير يرى بأن التقدم لا يمكن أن يكون للشعوب المتخلفة مثل الشعب الجزائري إلا إذا وجد أمة متطورة تساعد على اكتساب التكنولوجيا العصرية، ويرى أن هذه الأمة لن تكون إلا فرنسا، ويؤكد بأن الشعب الجزائري عدوه الوحيد هو الظلم، والجور، والقوانين الاستثنائية، والطبقة الإقطاعية المسيطرة من المحتلين وبعض المسلمين، العملاء للاحتلال "شعبنا لا عدو له، سوى الطائفة الأقلية المسيطرة، والإقطاعية الأوروبية، والمسلمة." (700)

ويتمنى أن تتحقق المساواة والإخاء بين الجزائريين، والفرنسيين، وأن استمرار سياسة اللاعدل التي يطبقها المحتلون في الجزائر فإنها ستؤدي مستقبلا إلى حدوث كارثة حتمية. (701)

(696) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 111

(697) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :185

(698) ibid.

(699) ibid.

(700) ibid. p : 186

(701) ibid.

فهذه الكارثة بدون شك ستكون الثورة، وبعد أن قدم عرضا وافيا لوضعية الجزائر، يقدم حلولا سماها بـ "مخطط تجديد الجزائر المسلمة" (702) وهنا تكمن القدرة السياسية لفرحات عباس، يصف أوضاعا، ويقدم حلولا، لا يكتفي بالبكاء وتشخيص المرض، إنما يقدم علاجا، فهو سياسي، حامل لمشروع مجتمع.

ويبدأ الحلول بعد أن قسمها، حسب أهميتها، و أولويتها وتأثيرها على الجزائريين المسلمين.

بدأ أولا بالمشكل الأخلاقي: "احترام الشعب المهزوم، من قبل المنتصر، وإزالة مصطلح الانهزام، واحترام كرامة الجزائريين المسلمين." (703) لأن الإنسان الذي يشعر بالإهانة، والذل لا يمكن الاعتماد عليه، لبناء مجتمع متطور ومتحرر، فلا يمكن تحقيق أي تطور إلا برد الكرامة الإنسانية للإنسان الذي هو أساس كل تقدم، وهذه الكرامة كانت كرامة لفرحات عباس منذ بداية نشاطه السياسي. (704) فالحل الأول الأساسي في نظره هو رد الكرامة للإنسان الجزائري المسلم، قبل الشروع في أي إصلاح، بعد ذلك يأتي إلى النقطة الثانية من الحلول وهي:

المشكل الزراعي، ويقترح إصلاح الفلاحة، بإبقاء الفلاحين في أراضيهم الفلاحية، وإعادة تشكيل طبقة الفلاحين عن طريق منحهم قروضا فلاحية، والوسائل الفلاحية العصرية لتحسين المردود، وتطوير المجتمع الريفي عن طريق حماية الدولة للملكية الفلاحين. (705) ويمثل هذا الاقتراح مشروع إصلاحيا حقيقيا للقطاع الفلاحي عن طريق استعادة الدولة للملكيات الفلاحية الكبرى، وتوزيعها على الفلاحين، وتقديم الدعم المادي والتقني لهم، وبناء مساكن عصرية لهم فيها، وإقامة تعاونيات زراعية جماعية أو فردية، ومنع الفلاحين من بيع أراضيهم أو إهمالها. (706) ويقترح حماية القطاع الفلاحي، ولا يتحقق ذلك إلا بسن قوانين تحمي القطاع الفلاحي، كإنشاء صندوق فلاحية يخضع للشؤون الإسلامية التابع للحكومة العامة، وتأسيس الولاية في كل دائرة لجان فلاحية تحت مسؤولية رؤساء الدوائر، للإشراف على شراء الأراضي، وتوزيعها، وإنشاء لجان فلاحية... (707)

ثم ينتقل إلى الاقتراح الثالث، وهو تطوير التعليم، ففي نظره أن أي إصلاح لا يمكن أن يتحقق في الجزائر إلا عن طريق التعليم، الذي لا يمكن أن يكون إلا ببناء المدارس وجعل التعليم إجباريا لكل أبناء الجزائر ذكورا وإناثا، وهذا يسمح للجزائريين المسلمين بالتفاعل مع الحياة العصرية، واقتباس التكنولوجيا. (708) والخروج من ظلمات الجهل، ثم يستمر في اقتراح الحلول حسب الأولوية، ودرجة أهميتها بالنسبة للجزائريين المسلمين.

لقد تلقى فرحات عباس إجابة متأخرة عن طريق الجنرال "لور" (Laure) (709) وغير واضحة من المارشال

(702) ibid. p : 187

(703) ibid. p : 188

(704) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 110

(705) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p :190

(706) Jean Lacouture, op.cit, p :282

(707) Ferhat Abbas, le jeune Algérien, op.cit, p p :190 – 191

(708) Jean Lacouture, op.cit, p :282

(709) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113

بيتان يوم 4 أوت 1941، أكد له فيها بأنه سيوف يأخذ هذه الاقتراحات بعين الاعتبار. (710)

ويعلق " أجبرون " على ذلك بقوله: " إن فيشي لم يفهم أنه حينما يريد تجنب ثورة، يجب أن يقوم بما هو بنفسه. " (711) أي صنع أزمة أو ثورة ثم تسييرها حسب رغبته وفي الأخير الخروج منها منتصرا على العدو.

وجه فرحات عباس يوم 4 أوت 1941 رسالة إلى رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين ابن جلول يعلمه فيها، عن تقديم استقالته من نيابة رئاستها، بسبب الأخطاء الإدارية المرتكبة من قبل هذه الفيدرالية وإعلانها عن قبول التعاون مع النظام الجديد في إطار السياسة المعادية للمسلمين، مبررا استقالته بقوله: " إن سكوتنا عن ذلك خداع لشعبنا. " (712) لأن إدارة الاحتلال لم تقدم أية إصلاحات فعلية للجزائريين المسلمين.

ولقد ساءت الوضعية الاقتصادية في الجزائر كثيرا، ما بين 1940 - 1942، منها انخفاض في إنتاج الحبوب خاصة في منطقة القبائل وارتفاع نسبة البطالة، وانتشار مرض التيفوس (بقي إلى سنة 1946) في الأوساط الريفية التي عانت من سوء التغذية كذلك ونقص الثياب، حتى أن الناس في هذه الفترة في الريف الجزائري كانوا يرتدون الأكياس المخصصة للحبوب. (713) انتشرت الفضائح المالية والسوق السوداء، وتم تقنين المواد الغذائية لأن معظم المنتجات الجزائرية كانت ترسل إلى فرنسا. (714) وترك السكان الجزائريون مهملون يتخبطون في مشاكلهم الاقتصادية، والاجتماعية، ولم تتدخل حكومة فيشي لحل ولو جزء من هذه المشاكل، بل بالعكس راح الماريشال بيتان ينصح الجزائريين المسلمين بقبول واقعهم لأنه في نظره قضاء و قدر، وعلى الإنسان الجزائري أن يكفر ذنوبه التي ارتكبها في حق الله ! (715) خاطب بيتان الجزائريين المسلمين بلغة شيوخ الزوايا، شيء عجيب ! الجوع، والظلم، والفقر، هي عقاب إلهي للإنسان الجزائري الذي حرم من أبسط حقوقه الإنسانية التي وهبها الله للبشر، استعمال الدين الإسلامي لتبرير ظلم الإنسان للإنسان، على كل حال هذه طبيعة الحكام الظالمين، يغلقون أفواه رجال الحق، ويفتحون أفواه رجال الباطل، ويستغلون الدين أسوأ استغلال من أجل استمرار ظلمهم، حتى الماريشال بيتان أصبح واعظا دينيا للشعب الجزائري المسلم، مستغلا بذلك الجهل الذي كان سائدا في المجتمع الجزائري. إن فرحات عباس كان يناضل في عدة جبهات فالجبهة الأولى تتمثل في وضع حد لسياسة الاحتلال ومواجهة غلاة المحتلين واللوبي الكولونيالي في باريس، والجبهة الثانية تتمثل في نشر الوعي التحرري في أوساط العامة من الشعب الجزائري التي كان يغلب عليها طابع الأمية والجهل أو سيادة ثقافة الجهل، والوسائل التي كانت بيده ضعيفة أمام أبشع احتلال استيطاني عرفته الجزائر.

(710) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 128

(711) ibid.

(712) Lettre de Ferhat Abbas, à M^f : le président de la, F.E.M, de Constantine(documents inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981, A.W.C

(743) Ageron C. R, in R.H.M, op.cit , p p : 128-129

(714) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1930-1945، المرجع السابق، ص: 184

(715) نفس المرجع والصفحة.

المبحث الثاني

بيان الشعب الجزائري

نتعرض في هذا المبحث إلى قضية هامة من النضال السياسي لفرحات عباس، فقد تراجع نهائيا عن سياسة الاندماج، ما هي الظروف التي أدت إلى تطور فكره السياسي؟ ولصالح من كان هذا التطور؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

قدم فرحات عباس استقالته في شهر جويلية 1942 من اللجنة المالية الجزائرية.⁽⁷¹⁶⁾ ورفض تعيينه رئيسا شرفيا للجنة المسلمين لمساعدة فرنسا.⁽⁷¹⁷⁾ كان هذا الموقف منه إهانة للحاكم العام "شاتيل" (Chatel) حيث استدعاه ولكنه رفض دعوته، هذه الاستقالة ورفض دعوة الحاكم العام زادت من شعبيته،⁽⁷¹⁸⁾ وبرهنت على موقفه الحقيقي الصريح والمعادي للاحتلال من رجل طالما اتم بحبه لفرنسا ونكرانه لوطنه، وحاول أن يواجه الاحتلال بطرق ثورية قانونية مستمدة من قوانين فرنسا اللبرالية، ولكن الواقع أثبت له بأن فرنسا الديمقراطية ليست هي فرنسا الكولونيالية، فاحتلوا ما هم إلا أجهزة قهر ضد الجزائريين، فمصلحتهم كانت همهم بالدرجة الأولى، لقد وقفوا إلى جانب حكومة فيشي، وساروا وراء مصالحتهم الشخصية، ويذكر فرحات عباس أن 80% من المحتلين في الجزائر كانوا موالين لحكومة فيشي كان همهم مصالحتهم والاحتفاظ بالجزائر تحت سلطتهم وقد عبروا عن ذلك بقولهم: " لقد ارتكبت فرنسا أخطاء، وعليها وحدها أن تدفع الثمن، ولسنا على استعداد لدفعه بدلها ". ويقول فرحات عباس في هذا الصدد: " فكّرنا بعد آلام فرنسا، بأن المحتلين سيعملون على رد الاعتبار للقضية الجزائرية، لكن كان العكس أن معظم المحتلين مالوا إلى حكومة فيشي حفاظا على مصالحهم، واتصلوا بالضباط الألمان، وحاولوا إقناعهم بالوقوف ضد الجزائريين المسلمين، ووصفوهم بأنهم شيوعيون، وثوريون، خطيرون. " ⁽⁷¹⁹⁾

طالب فرحات عباس نهائيا بالتخلي عن سياسة الاندماج تماشيا مع الظروف وتطور وعي الجزائريين المسلمين، موقفه هذا خيب آمال كل الاندماجين الجزائريين الذين كانوا يعتبرون فرحات عباس الزعيم الاندماجي الذي يقنطد به، هل تخلى فرحات عباس عن أصدقائه الاندماجين؟ أم أن مصلحة الجزائر قد جعلها فوق مصالحته الشخصية؟

⁽⁷¹⁶⁾ Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 130

⁽⁷¹⁷⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113

⁽⁷¹⁸⁾ Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 130

⁽⁷¹⁹⁾ ibid.

وقد عبر الحاكم العام " شاتيل " قبل ذلك من خلال ملاحظاته لفرحات عباس أثناء لقائه به في مقر الحكومة العامة، لمدير ديوانه الأستاذ " ماروجي " (Maroger) بقوله: " إن فرحات عباس شخص ممتاز، يجري وراء غايته، ولكنه لم يستطع القبض عليها. " (720)

نزلت قوات الأنغلو - أمريكية بشمال إفريقيا يوم 8 نوفمبر 1942، ولقد استغرب الجزائريون من هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1940، وشاهدوا بأنفسهم تغيير نظام فيشي في الجزائر بعد نزول قوات الحلفاء سنة 1942. وقبله كان الحكم الفرنسي تحت رقابة ألمانيا، صراع ومؤامرات بين الفرنسيين من أجل الحكم، الجزائريون استغلوا الفرصة لطرح القضية الجزائرية على الحلفاء وعلى الفرنسيين كذلك. (721)

ويرى بعض الفرنسيين بأن يوم 8 نوفمبر 1942 هو يوم الخديعة. (722) ربما كان هذا صحيحا، لأن الجزائريين أدركوا حقيقة قوة فرنسا أمام قوات الولايات المتحدة الأمريكية، والقتال الذي حدث بين القوات الفرنسية في الجزائر والحلفاء الوافدين إلى الجزائر، وأدى إلى مقتل و جرح حوالي 750 من الجانبين، وتدمير عدد من الآليات العسكرية. (723) وتبعته محاكمات ومداهمات للذين شاركوا في هذا القتال سواء من العسكريين أو المدنيين الفرنسيين.

أما الجزائريون المسلمون فقد رحبوا بنزول الحلفاء على أرض الجزائر، لأنهم في نظرهم جاؤوا لتحرير الشعوب المحتلة، وتطبيق ميثاق الأطلسي. (724)

تميزت هذه الفترة من الناحية السياسية بنشاط فرحات عباس، وجماعة النخبة، والنواب، الذين سمحت لهم الظروف (برغم الحرب) بالتحرك بكل حرية، وكذلك الشيوعيون، أما مناضلي حزب الشعب، والعلماء فكانوا محاصرين. (725)

وكان فرحات عباس على اتصال بـ " روبر مورفي " (Robert Murphy) قنصل سابق للولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر، ومكلف من الإدارة الأمريكية بمتابعة القضية الجزائرية. (726) وآخر اتصال به قبل نزول قوات الحلفاء كان يوم 7 نوفمبر 1942، وقد وصف "مورفي" فرحات عباس بأنه وطني جزائري متحمس وله قدرة التأثير على الجزائريين المسلمين ولكنه رجل معتدل، وعاقل. (727)

(720) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 113

(721) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 628

(722) Annie Rey – Goldzeiguer, op.cit, p : 114

(723) ibid. p : 116

(724) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 190

(725) نفس المرجع، ص: 189

(726) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 114-115

(727) نفس المرجع، ص: 196

ففرحات عباس له القدرة على الإقناع، والتأثير، واتصاله بمورفي كان من أجل التحضير لاستقلال الجزائر " في هذا الاجتماع أراد فرحات عباس أن يعرف رأي الحكومة الأمريكية، نحو إقامة دولة جزائرية مستقلة ذاتيا (أوتونوم)، لكن مورفي كما أخبره سابقا، إن أمريكا تتعاطف مع كل رغبات الاستقلال، ولكنها في الوقت الراهن حددت هدفها في هزيمة ألمانيا." (728)

ثم بعد نزول قوات الحلفاء، فرحات عباس يكثر من نشاطه، واتصاله بهم، وكان يرى في الولايات المتحدة الأمريكية بأنها دولة فتية متحررة من الذهنية المتناقضة، وبأن مستقبل العالم سيكون لها، وكان معجبا بأفكار الأمريكيين الداعية إلى تحرر الشعوب من سيطرة الاحتلال، والداعية أيضا إلى تطبيق ميثاق الأطلسي، فالفرنسيون في سطيف علقوا على صيدليته صورة الرئيس الأمريكي " روزفلت "، وبعض حمل مأخوذة من إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية. (729)

إن رغبة فرحات عباس في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، لم يستمدتها من مرجعية النظام الفيدرالي للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن " تأثير مورفي على عباس كان سريا وفعالا"، (730) فهو إنسان سياسي ينطلق من ذاته، ووعي الجزائريين المسلمين، يستمد مشروعه السياسي من الواقع الجزائري، وقد عبر عن ذلك كما مر علينا بأن السياسة لا ترتجل ولا تقلد من الجار، ولكنها تخرج من أعماق وثقافة الشعب نفسه، ويقول محفوظ قداش عن دعوة فرحات عباس إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا، مع فرنسا ما يلي: " رأى فرحات عباس بأنها مرحلة منطقية للجزائر ستقودها فيما بعد إلى الاستقلال التام." (731) وكان يريد فرحات عباس بكل إخلاص تطبيق مبادئ ميثاق الأطلسي على الجزائر، أملا من الأمريكيين تقديم المساعدة له، وقد أعلن لخليفة بن عمار، وأحمد بومنجل، وشوقي مصطفى، بأن له وعدا من الأمريكيين لتأسيس حكومة جزائرية، ومن أجل ذلك عمل على تحضير مطالب لتقدمها للأمريكيين ويعتمد عليها كأساس. (732) وبناء على ذلك بدأ في تحضير رسالة قدمها للسلطات الفرنسية، والحلفاء، يوم 20 ديسمبر 1942، ثم أتبعها بثانية مع إدخال تغيير عليها يوم 22 ديسمبر 1942، وهذه الأخيرة موقعة من طرف فرحات عباس، وعبد القادر السايح*، والدكتور تامزالي**.* (733)

وهذا عنوان الرسالة الأولى: " رسالة من ممثلي المسلمين الجزائريين إلى السلطات المسؤولة ".

(728) نفس المرجع، والصفحة.

(729) ibid. P: 114

(730) Mahfoud Kaddache, op.cit, p :630

(731) ibid.

(732) Mohamed Harbi, le F.L.N, mirage et réalité, édition, Jeune Afrique, Paris, 1980, p p : 45, 62

* رئيس الفرع العربي في المندوبيات المالية

** رئيس فرع القبائل للمجلس المالي

(733) ibid.

" ممثلو المسلمين الجزائريين، أمام الأحداث الخطيرة التي يعيشها بلدهم منذ 8 نوفمبر 1942 يوجهون إلى السلطات المسؤولة الرسالة التالية: بعد أن اكتسحت الحرب كل القارات، ومزقت فرنسا مشعل الحضارة و الثقافة تصل اليوم إلى الجزائر. لو كانت هذه الحرب كما يصرح بها السيد رئيس الولايات المتحدة، حرب تحرير الشعوب، والأشخاص، دون تفرقة في الأجناس والأديان، لشارك المسلمون الجزائريون فيها بكل قواهم، وبكل التضحيات في هذا الكفاح التحريري، وهكذا سيضمنون تحررهم السياسي، وفي نفس الوقت تحرير فرنسا، ولكن يجب التذكير أنهم يمثلون سكانا محرومين من الحقوق والحريات الأساسية التي يتمتع بها السكان الآخرون لهذه البلاد، رغم التضحيات التي قبلها هؤلاء، ورغم الوعود الثابتة والقطعية التي أعطت لهم في عدة مرات، وعليه قبل أن تشارك الجماهير المسلمة في أي جهد حربي، يطلبون ندوة تجمع المنتخبين و الممثلين المؤهلين من جميع المنظمات المسلمة، هدفها إنشاء قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي لمسلمي الجزائر، في الواقع هذا القانون يؤسس على العدالة الاجتماعية، يمنح لمسلمي هذا البلد الوعي الكامل حول واجباتهم الحالية." (734)

هذه الرسالة موقعة من الشخصيات الثلاثة المذكورة، و 12 عضوا من اللجنة المالية، 9 شخصيات (المجموع 24 شخصية) ربطوا فيها مشاركة المسلمين الجزائريين في الحرب بناء على طلب الجنرال "جيرو" (Giraud)، والأميرال " دارلان " (Darlan) وذلك يوم 11 ديسمبر 1942 من ممثلي المسلمين بتكوين جيش جزائري مسلم يصل إلى 300 ألف عسكري، دون الإشارة إلى الحقوق، فرحات عباس كتب رسالة وقدمها إلى الأمين العام للحكومة العامة " قونون " (Gonon) وإلى الحلفاء طالبوا فيها بربط مشاركة المسلمين في الحرب إلى جانب الحلفاء بإصدار قانون جديد للجزائر مبني على أساس العدالة الاجتماعية، وضامنا للحرية السياسية، رفض الحاكم العام شاتيل تلك الشروط، وذكر لهم بأن الحرية السياسية لا تتم بتلك الشروط، وأنها لا تكون إلا في إطار فرنسي، فطلب فرحات عباس من الشخصيات الموقعة معه على تلك المطالب بعقد اجتماع فوري، وتم الاتفاق فيه على توجيه رسالة ثانية إلى الحاكم العام يوم 22 ديسمبر 1942، اعترفوا له فيها بسيادة فرنسا على الجزائر وقدموا مشروع إصلاحات للتخفيف من معاناة الجزائريين. (735) و لم يوجهوها للحلفاء، حتى لا تشعر سلطات الاحتلال بالإهانة أو محاولة تجاوزهم.

وهذه الرسالة الثانية تعتبر كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد، ويرى بعض المشككين أنه استمدتها من " مورفي ". (736)

وغير عنوانها وجعله كما يلي: " رسالة من ممثلي المسلمين إلى السلطات الفرنسية ".

(734) Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 153-154

(735) Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p : 132

(736) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 115

" ممثلو الجزائريين المسلمين أما الأحداث الخطيرة التي أصبحت بلدهم مسرحا لها منذ 8 نوفمبر 1942 يوجهون إلى السلطات الفرنسية الرسالة التالية: بعدما عمت الحرب كل القارات، ومزقت فرنسا مشعل الحضارة، و الثقافة تصل اليوم إلى الجزائر، لو كانت هذه الحرب كما صرح بها السيد رئيس الولايات المتحدة حرب تحرير الشعوب والأشخاص، بدون تفرقة في الأجناس والأديان، لشارك المسلمون الجزائريون بكل قواهم، وبكل التضحيات في هذا الكفاح التحريري، وهكذا سيضمنون وفي إطار فرنسي بحث، تحريرهم السياسي، وفي نفس الوقت تحرير فرنسا، لكن يجب التذكير أنهم يمثلون سكانا محرومين من الحقوق، والحريات الأساسية، التي يتمتع بها السكان الآخرون لهذه البلاد، رغم التضحيات التي قبلها هؤلاء، ورغم الوعود الثابتة، والقطعية التي أعطت لهم في عدة مرات. فالرأي العام للمسلمين يبقى مضطربا بعمق. ويريد أن يشارك في المصير المشترك، وليس في مجال التضحيات وحدها. وينبغي منذ ذلك الوقت أن نبين له بإنجازات واقعية، وعاجلة إرادة فرنسا الإصلاحية، وعليه يطلب المضمون أسفله استدعاء عاجلا لندوة تجمع المنتخبين المؤهلين و الممثلين من جميع المنظمات المسلمة، هذه الندوة سيكون هدفها إنشاء قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي لمسلمي الجزائر، في الواقع هذا القانون يؤسس على العدالة الاجتماعية، يمنح لمسلمي هذا البلد، الوعي الكامل حول واجباتهم الحالية." (737)

قدم فرحات عباس بنفسه هذه الرسالة للأمين العام للحكومة العامة "قونون (Gonon) وكان معه بومنجل، والدكتور سعدان، وبعد محادثة لطيفة، قبل الأمين العام الرسالة، وذلك قبيل اغتيال "دارلان" (738).

إن الرسالة الثانية قد حدد فيها السلطة الفرنسية وحدها دون الآخرين لتحمل مسؤوليتها كاملة تجاه الجزائريين المسلمين، وربط فيها تحرر الجزائر السياسي من الاحتلال بتحرير فرنسا، وطلب بسن قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي للجزائر مبني على أساس العدالة الاجتماعية. (739)

وقد أعلن الجزائريون المسلمون في الرسالتين عن استعدادهم للمشاركة في الحرب الكونية الثانية لتحرير الشعوب من الاحتلال بشرط أن يدخل هذا في إطار تحريرهم الذاتي سياسيا، ومؤكدون بأن الجزائريين المسلمين مازالوا محرومين من أبسط الحقوق الأساسية التي يتمتع بها باقي سكان الجزائر، وفي الرسالتين طالبوا بضرورة عقد ندوة عاجلة لإعداد قانون سياسي، واقتصادي، واجتماعي خاص بالجزائر.

" والمقارنة بين النصين مفيدة، فالأول يتغافل عن ذكر سلطة فرنسا السياسية، والثاني يقر بإبقاء الجزائر في

(737) Claude Collot –Jean Robert Henry, op.cit, p p : 154-155

(738) Annie Rey - Goldzeiguer,op.cit,p : 189

(739) Alistaire Horne, histoire de la guerre d'Algérie, édition, Albin Michel, Paris, 1980, p :185

الإطار الفرنسي، لكنه لا يشرك الفرنسيين في تحرير النظام الخاص بالمسلمين، وهو ما يجردهم بالفعل من أحد اختصاصاتهم الأساسية." (740) فالسياسيون الجزائريون المسلمون استولت عليهم الحمى غداة نزول قوات الأنغلو-أمريكية بالجزائر يوم 8 نوفمبر 1942 "التشكيلات السياسية لما قبل الحرب، بدأت تجتمع لوضع مخطط عمل." (741) لإنقاذ الشعب الجزائري المسلم من نظام الاحتلال الجائر "فالوطنية الجزائرية انطلقت." (742) باحثة عن الوطن الجزائري، وفرحات عباس ينتقل إلى مجال الوطنيين. (743)

ويلاحظ في أسلوب هاتين الرسالتين اختلافا واضحا عن الرسالة التي وجهها فرحات عباس إلى الماريشال "بيتان"، حيث كانت هذه الأخيرة تحتوي على عبارات الاحترام والتقدير، أما الرسالتين فأسلوبهما جاف، ويرجع ذلك "شارل أندري جوليان" إلى "الحضور الأمريكي أعطى التحرير صبغة احتلال أجنبي أكثر من استرجاع فرنسا لنفوذها." (744)

إن سلطات الاحتلال وحلفائها في الجزائر كان هدفهم الأساسي يتمثل في القضاء على المحور، أما مشاكل الجزائريين المسلمين فإنها بالنسبة إليهم غير مهمة، ولم يحصل فرحات عباس وجماعته على أي وعد محدد. (745) وقد قال الجنرال "جيرو" (Giraud) الذي حلف "دارلان" لوفد من الجزائريين المسلمين "اليهود للدكاكين، والعرب للمحراث" (746) وصرف الوفد الذي قاده فرحات عباس قائلاً لهم أيضا: "إنه يحارب ولا يشتغل بالسياسة." (747) وقد علق فرحات عباس على ذلك قائلاً: "إن الجزائر وجدت أمامها رجالا من سالف الزمان، مثقلين بذكريات "التعقل" التي تمنعهم من التجديد." (748)

فرجال الاحتلال هم من نمط واحد منذ 1830، ينظرون إلى الجزائر والعرب المسلمين، كضيعة لهم وجدت من أجل مصلحتهم، وأن أية معارضة لهم، أو المطالبة بأبسط الحقوق الإنسانية، يعتبرونها عصيانا وثورا، تستحق القهر، والإذلال. الجنرال "جيرو" كان قاسيا مع فرحات عباس لأنه غضب منه بسبب اتصالاته بالأمريكيين، والتي بدأها فرحات عباس بمورفي قبل إنزال الأنغلو-أمريكية، ثم بعد 8 نوفمبر 1942 كانت له اتصالات مع الأمريكيين بواسطة عسكري أمريكي مسلم من أصل لبناني "حاج محمد سييليني" الذي التقى بفرحات عباس، والدكتور

(740) شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير (القوميّات الإسلامية، والسيادة الفرنسية) ترجمة المنجلي سليم، وآخرون، طبعة، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1976، ص ص: 312-313

(741) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 138,139

(742) Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit, p :181

(744) نفس المرجع، ص: 313

(743) ibid. p: 188

(745) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 192

(746) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :116

(747) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 313

(748) ibid. p p : 116-117

سعدان، والصالح هني، وقد أقام الدكتور تامزالي مأدبة غداء شارك فيها القنصل مورفي، وفرحات عباس،⁽⁷⁴⁹⁾ وابن جلول و الأخصري، والنتيجة التي توصل إليها المجتمعون، أن الجزائر يجب أن لا تبقى تحت الإكراه، وتمت اتصالات أخرى تم التعرض فيها إلى إمكانية تأسيس حكومة جزائرية.⁽⁷⁵⁰⁾

وأمام تعنت إدارة الاحتلال، وعدم ترحيب قوات الحلفاء بمطالب فرحات عباس السابقة.⁽⁷⁵¹⁾ كان لزاما عليه أن يختار طريقا آخر أكثر راديكالية، لأن أبسط مطالبه رُفضت، فدعا إلى عقد اجتماع في مكتب المحامي بومنجل بالعاصمة، حضره الدكتور تامزالي، رئيس الفرع القبائلي في المندوبيات المالية، وغرسي أحمد، مستشار مالي، وقاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاحين، والدكتور لمين دباغين، و عسلة، عضوان في حزب الشعب الجزائري، والشيخ التبسي، والشيخ خير الدين، والشيخ توفيق المدني، من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفرحات عباس، والدكتور ابن جلول، ومستشارون عامون، ومندوبون ماليون، ومحمد الهادي حمام رئيس الجمعية للطلبة المسلمين، والدكتور سعدان مستشار عام، هؤلاء الحاضرون، اتفقوا على إصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر.⁽⁷⁵²⁾

وبعد استشارته مع هذه الشخصيات، تم الاتفاق فيما بينهم على تكليف فرحات عباس بتحرير تقرير يقدم إلى سلطات الاحتلال والحلفاء، ويقول فرحات عباس: " بعد عودتي إلى سطيف كتبت بيان الشعب الجزائري." ⁽⁷⁵³⁾ حرره وحده في بيته بسطيف، ويقول عنه بأنه ملخص موضوعي لـ 130 * سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، واستقراء للماضي، وتعبير صادق عن مطامح الشعب الجزائري، بدون حقد، ولا انفعال فهو يجدد المشكل الجزائري بصدق⁽⁷⁵⁴⁾ في نظره.

وقد وضع عنوانا للبيان " الجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري " ⁽⁷⁵⁵⁾ وتركز على 5 مطالب أساسية هي:

" 1- إدانة الاحتلال وتصفيته، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق، واستغلال شعب لشعب آخر، إن هذا الاحتلال ما هو

⁽⁷⁴⁹⁾ نقلا عن وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 56، " من كتاب « دي غول » تأليف جون لاكوتير ص: 117، حيث يرى أن دي غول لم يسامح عباس على تعامله مع الأمريكان و البريطانيين قبل الاتصال بفرنسا الحرة أثناء الحرب العالمية الثانية، وأنه مازال دي غول يحمل سوء النية على عباس الذي أصبح فيما بعد رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. ويشير لاكوتير إلى أن دي غول مارس الضغط على جبهة التحرير الوطنية عندما عرض التفاوض بشرط إزاحة فرحات عباس عن الرئاسة وحصل ذلك في آب 1961، وبعدها استمرت المفاوضات بسرعة، وفي مقابلة مع المؤلف بين فرحات عباس انه (كذا) ان الكاتب مصيب في تعليقه. "

⁽⁷⁵⁰⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit, p p : 629 - 630

⁽⁷⁵¹⁾ نفس المرجع والصفحة.

⁽⁷⁵²⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :140

⁽⁷⁵³⁾ ibid.

* لقد أخطأ في المدة الزمنية فهي 112 سنة (في تلك الفترة) من الاحتلال وليس 130 سنة .

⁽⁷⁵⁴⁾ ibid.

⁽⁷⁵⁵⁾ Anonyme, du Manifeste à la république Algérienne, édition, libération, Alger, 1948, p :25

إلا شكل جماعي للعبودية الفردية في القدم، والاستبعاد في العصور الوسطى، ومن جهة أخرى فهو أساس رئيسي للمنافسات والمنازعات بين القوى العظمى.

2- تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة (هذا المطلب الثاني مأخوذ من ميثاق الأطلسي 14 أوث 1941، وكذلك المطلب الأول مستمد منه).

3- منح الجزائر دستورا يضمن لها:

أ - الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي، أو ديني.

ب- إنهاء الملكيات الإقطاعية، بتطبيق إصلاح زراعي، وحق العيش برحاء، للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية، (هذا المطلب ورد في برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري، وفي الرسالة التي قدمها إلى " بيتان" 1940)

ج- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية (ورد في برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري)

د- حرية الصحافة، وحق الجمعيات.

هـ - التعليم المجاني والإجباري لكل الأطفال، ذكورا وإناثا (ورد في برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري).

و- حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق فصل كل الديانات عن الدولة (ورد في برنامج حزب اتحاد الشعب الجزائري).

4- المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين، في حكومة بلدهم، مثلما فعلت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة الماريشال بيتان والألمان في تونس، وهذه الحكومة تستطيع في جو من الوحدة المعنوية الواضحة أن تشرك الشعب الجزائري في الكفاح المشترك. (هذا المطلب أخذه من تأسيس الحكومة السورية في عهد الجبهة الشعبية).

5- إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين المحكوم عليهم، مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه. " (756) قد رفض سجن مصالي الحاج منذ 1937، وأشار في ذلك في كتاباته السابقة رافضا الاعتداء على حرية التعبير، لأنها في نظره جزء من الكرامة الإنسانية).

أما أسباب اختيار فرحات عباس لمصطلح " البيان " فقد استمده من مرجعية " كارل ماركس " (Karl Marx) حتى يظهر بأنه أكثر هجوما من تعبير مصطلح الميثاق، وبالتالي انتقل فرحات عباس من الاعتدال إلى الراديكالية. (757) في مواقفه السياسية، وقد عبر المحامي أحمد بومنجل عن ذلك البيان بأنه نضال سياسي، سيؤدي إلى إحداث القطيعة نهائيا مع الاندماج، ويقوي الروح الوطنية عند الجزائريين. (758) واستطاع فرحات عباس في

(756) ibid. p p : 40-41

(757) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 118

(758) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص : 88

هذا البيان أن يجمع بين أفكار حزب الشعب الجزائري، وجمعية المسلمين الجزائريين، وهذا ما كان يريده منذ تأسيسه لحزب الشعب الجزائري، لأنه كان يرى بأن مواجهة الاحتلال الفرنسي تتطلب تعاون الجميع.

" تمثل هذه الوثيقة أول خرق لفكرة الاندماج عند فرحات عباس. " (759) وقد اعتبر " شارل أندري جوليان " بأن فرحات عباس هو الرجل الصاعد لما بعد الحرب. (760)

لقد كتب فرحات عباس البيان و وقعه باسم المنتخبين لولاية قسنطينة، وحسب عمار نارون فإن أحمد فرنسيس قد شارك فرحات عباس في كتابته (761) وأعطاه لمقرر منتخبي ولاية الجزائر الذي يظهر بأنه لم يزد عليه أية إضافات.

أما هذا البيان فهو مؤرخ بتاريخ 10 فيفري 1943، و موجه إلى سلطات الحلفاء، وقدم إلى السلطات العليا للاحتلال الفرنسي بالجزائر، ويذكر شارل روبيير وأجرون بأن عدة نسخ من هذا البيان موجودة في أرشيف الحكومة العامة تحمل عدة توقيعات* مختلفة، واحدة منهم تحمل 6 توقيعات فقط هم " السايح، الدكتور تامزالي، والدكتور ابن جلول، وابن خلاف، و زروق، وفرحات عباس. " ونسخة أخرى تحمل 9 توقيعات هم " سيسبان، تامزالي، بن علي الشريف، زروق، عباس، بن زكري، بن غانا، قاضي، و شحراوي. " ونسخة ثالثة تحمل 37 توقيعاً. (762)

أما الاختلافات في نصوص البيان فإنها توجد في نسختين فقط، نسخة الطبعة الأولى، موجهة للحلفاء،

(759) وليم ب. كواندت، المرجع السابق ص: 56

(760) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 119

(761) Amar Naroun, op.cit :163

* البيان الذي نشره أبو القاسم سعد الله يحتوي على 22 توقيعاً (أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، 1930-1945 المرجع السابق، ص ص: 266-265). والتوقيعات على البيان الذي نشره كلود كولو، وجون روبيير هنري (Claude Collot-Jean robert Henry.op.cit, pp : 164,165.) يحتوي على 31 توقيعاً.

وعدد التوقيعات في كتاب عبد القادر ميموني (2^{eme} édition, édition, Mimouni Alger, 1991, pp :21,22) يحتوي على 28 توقيعاً.

والبيان الذي نشره يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 86-87، يحتوي على 30 توقيعاً.

أما في القرص المضغوط (Cédérom Microsoft Encarta 2003, Ferhat Abbas) فإنه يذكر عدد التوقيعات: 28 توقيعاً.

ويذكر أندري نوشي أن عدد التوقيعات بلغت الخمسينيات توقيعاً (André Noushi,op.cit,p :133).

أما شارل أندري جوليان، فيذكر أن عدد التوقيعات 55 توقيعاً (شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص: 314)

ملاحظة: التوقيعات على البيان مختلفة، وغير مضبوطة، ربما يعود ذلك إلى تقديم كل مرة للحكومة العامة نسخة من البيان كلما زاد عدد الموقعين، من أجل الضغط عليها، لذلك جاءت التوقيعات مختلفة، أما التاريخ الذي كتب فيه البيان 10 فيفري 1943 ثابتاً وغير متغير برغم تغيير التوقيعات.

(762) Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p p : 132-133

ورد فيها 5 مرات تعبير "الأمم المتحدة" هذه العبارة مكتوبة باللغة الإنجليزية، أما النسخة الثانية الموجهة للسلطات الفرنسية، ورد فيها تعبير "الأمم المتحالفة" مرة واحدة وهذه العبارة مكتوبة باللغة الفرنسية.

والسلطات الفرنسية لم ترد في هذه النسخة إلا مرة واحدة على شكل خط مائل جاء فيه: "إلى جانب الجنرال "جيرو"، وجيوش الأنغلو-أمريكية." وهذه النسخة الثانية قدمت إلى الحاكم العام "بيرتون" (Peyrouton) يوم 31 مارس 1943 مع إدخال تغييرات بسيطة عليها بالمقارنة مع النسخة الأولى الموجهة للحلفاء. ففي النسخة الأولى، ليوم 10 فيفري 1943 طلب فرحات عباس بـ "دستور جمهوري واجتماعي" بمعنى "دستور خاص بالجزائر" مضيفاً: "المشكل الجزائري... ليس فقط جنسي أو ديني ولكن بالدرجة الأولى هو مشكل صراع الطبقات." (763)

أما في النسخة الثانية الموجهة للسلطات الفرنسية يوم 31 مارس 1943 (764) فقد وردت فيها: "أن المشكل الجزائري... جنسي وديني." وطالب فرحات عباس بـ "تكوين حكومة مؤقتة نابعة من الشعب" وورد فيها كذلك: "مشاركة المسلمين الجزائريين في حكومة بلدهم" (765)

ويقول فرحات عباس: "في يوم 31 مارس 1943 قدم وفد متكون من الدكتور ابن جلول، و السايح عبد القادر، والدكتور تامزالي، و أرابح، و دن علي الشريف، والدكتور الأحضري، وأنا أيضاً، هذا التقرير إلى الحاكم العام السيد "مارسيل بيروتون" (Marcel Peyrouton) الذي استقبلنا، وسلمنا هذا التقرير، وفي الغد قدمناه إلى ممثلي الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، والاتحاد السوفيتي، وبلغناه كذلك إلى الجنرال دي غول (de Gaulle) بلندن، وحكومة القاهرة. (766)

إن مبادرة كتابة البيان التي قام بها فرحات عباس جاءت نتيجة لفشل سياسة حكومات الجمهورية الثالثة التي لم تستطع تحقيق إصلاحات تلي مطالب الجزائريين المسلمين، فجاء هذا البيان ليطالب بحكم ذاتي للجزائر. (767)

ويتهم الحزب الشيوعي الجزائري فرحات عباس بأنه استمد كتابة هذا البيان من ممثل الولايات المتحدة، مورفي، ومدير شؤون المسلمين بالحكومة العامة السيد بيرك، فيرد فرحات عباس عن هؤلاء المتشككين من الشيوعيين وغيرهم من الأصوات المعادية له، بقوله: "يقولون بأن السيد بيرك، مدير شؤون المسلمين، والسيد روبر مورفي، ممثل الولايات المتحدة الأمريكية، هما اللذان ساعداني في كتابة البيان، فلا شيء من ذلك صحيح،

(763) ibid. p : 133

(764) Mémoire, remis le 31 mars 1943, à M. Le Gouverneur Général, par MM. Ferhat Abbas, Bendjelloul, Benkhellaf, docteur Tamzali, Saiah Abdelkader et Zerrouk Mahieddine, op.cit, A.W.C.

(765) Ageron, C. R, in, R.H.M, N°4 juillet 1975, op.cit, p: 133

(766) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 145

(767) www.herodote.net, ferhat abbas

هاتان الشخصيتان، لم تعلما بقضية البيان، إلا بعد تقديمه رسميا للسلطات، وهذا البيان جاء كاستمرار للتقرير الذي قدمته للماريشال بيتان في أفريل 1941. " (768)

وقد ورد تشكيك آخر (يضاف إلى تشكيك الشيوعيين الجزائريين سنة 1943) في كتاب ابن يوسف بن خدة، أصول أول نوفمبر 1954، حول كتابة هذا البيان، فقد ذكر شهادة لـ "لمين دباغين" الذي يذكر بأنه هو الذي كتب هذا البيان، وأعطاه لفرحات عباس، الذي قدمه فيما بعد إلى السلطات الفرنسية والحلفاء، بعد أن عدل فرحات عباس بعض الكلمات فيه. (769)

على كل حال لا يمكن تصديق ذلك، فهو بعيد عن الحقيقة، لأن كتاب ابن يوسف بن خدة، طبعه بعد وفاة فرحات عباس بأربع سنوات أي سنة 1989، ولم يستطع لمين دباغين أن يذكر ذلك في حياة فرحات عباس، وكان بإمكانه وهو طبيب وكاتب كما يقول أن ينشر ذلك في الجرائد، صحيح أن فرحات عباس قبل كتابة البيان تشاور مع عدة شخصيات جزائرية في مكتب المحامي بومنجل بالعاصمة، وكان من بينهم العلماء، وأعضاء من حزب الشعب الجزائري، وبحضور لمين دباغين كذلك، فدار النقاش حول صيغة لتقدم مطالب الوطنيين الجزائريين إلى السلطات الفرنسية والحلفاء لإيجاد حل لمشكل الجزائر، وبطبيعة الحال قدّم الحاضرون اقتراحاتهم من الممكن أن تكون شفوية أو كتابية، وبرجوع فرحات عباس إلى مدينة سطيف كما ذكر كتب البيان في بيته، فاستشارته لجميع التيارات الجزائرية، وسماعه إليهم، وأخذه بما اتفق عليه الجميع، تلك هي سياسته المبنية على احترام الآراء، والديمقراطية، وإيمانه الراسخ بأن الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يمكن لفئة واحد مواجهته إذا لم تتضافر جهود الجميع.

لقد حَقَّق " شارل رويير أجيرون " في بيان الشعب الجزائري، حلل أسلوبه، وأفكاره، وقارنه مع كتابات فرحات عباس منذ العشرينات في الجرائد التي جمعها في كتاب الشباب الجزائري (1931)، ووجد أن خطة البيان هي نفس خطة التقرير الذي أرسله إلى الماريشال بيتان، وثانيا توجده فيه انتقادات مطوّلة لنظام الاحتلال، واقتراح الحلول، واحتوائه على الأخلاقيات، وهذه كلازمة لفرحات عباس، الذي يركز كثيرا على الجانب الأخلاقي، وتوصل بعد التحقيق الواسع في البيان بأن كاتبه الحقيقي هو " فرحات عباس " (770)

ويؤكد كذلك أبو القاسم سعد الله بقوله: " أن البيان أعده فرحات عباس. " (771)

(768) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 140

(769) Benyoucef Benkhedda, les origines du 1^{er} novembre 1954, édition, Dahleb, Alger, 1989, p :90

(770) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 133

(771) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص : 204

فالأعضاء الذين اجتمعوا في مكتب المحامي بومنجل في العاصمة، بعد اتفاهم على الخطوط العامة، والمبدئية، قرروا تقديم مطالبهم على شكل ميثاق يحتوى على مطالب الشعب الجزائري، وتم الاتفاق فيما بينهم على تكليف فرحات عباس بتحريره في إطار تلك المبادئ والخطوط، وبرجوعه إلى سطيف كما رأينا سابقا قام بتحرير البيان. (772) حيث اعتمد في تحريره كثيرا على كتاباته السابقة، خاصة مقالاته التي جمعها في كتابه الشاب الجزائري.

فكل المؤرخين الذين كتبوا عن هذا الفترة سواء كانوا جزائريين أو أجانب يؤكدون بأن كاتب المقال هو فرحات عباس.* وليس كما يشاع ظلما بأنه من إيجاء " أوغسطين بيرك"، أو " روبر مورفي"، أو كما ورد في رواية ابن يوسف بن خدة.

إن البيان يعتبر بحق عمل ثوري لمطالبته بالتنديد بالاحتلال وإلغائه ورفضه لسياسة الاندماج، و المطالبة بالجنسية الجزائرية والمواطنة.

وإن مصالي الحاج لم يكن معارضا لمضمون البيان، ولكنه لم يوقعه لأنه كان مسجوناً في عين صالح. (773) وقد برهن فرحات عباس أن الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ سنة 1830 لم يجلب للجزائريين المسلمين سوى الدمار، والخراب والتمييز العنصري، وحرمان الشعب الجزائري من أبسط الحقوق الأساسية. (774) وبرغم أن الجزائريين المسلمين قد قاوموا الاحتلال الفرنسي منذ 1830، ورفضوه رفضاً مطلقاً، ولم يسكتوا عنه أبداً إلا حينما انهزمت أسلحتهم، فهو مرفوض لديهم.

أما لجوء فرحات عباس وأصدقائه إلى الحلفاء، فلأن الحكومات الفرنسية رفضت، أو فشلت في سياسة الإصلاح. (775) فالجزائريون المسلمون مستعدون للمشاركة في الحرب الكونية الثانية إلى جانب الحلفاء، ولكنهم

(772) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 66

* حسب دراسي المتواضعة لأسلوب وأفكار فرحات عباس، أنه هو كاتب بيان الشعب الجزائري، فمقالاته السابقة يعتمد فيها على مؤرخين فرنسيين أمثال، غوتيه، ومارسيه، وشارل أندري جوليان، لإعطاء الدليل على فظاعة الاحتلال، وهي نفسها أعادها في البيان، ومطالبته بتحسين أوضاع الفلاحين المسلمين، وفتح أبواب التعليم أمام جميع الجزائريين، هي نفس المطالب التي كان يدعو إليها منذ الثلاثينات من القرن العشرين.

وقد أشرت حين تعرضت إلى المطالب الخمس للبيان، مصدر كل مطلب، بهدف توضيح أصلها، وتحليله لوصف الجزائر خلال 113 سنة من الاحتلال معظمها مستمدة من كتاباته السابقة، الشاب الجزائري جريدة الوفاق الفرنسي الإسلامي، مطالب النخبة خلال الحملات الانتخابية، وفي مداوات المجالس النيابية، ومطالب المؤتمر الإسلامي، ومبادئ حزب إتحاد الشعب الجزائري، مع إضافة بعض مطالب حزب الشعب الجزائري أما الأسلوب فهو يتطابق تماماً مع أسلوب فرحات عباس، أما أسلوب لمين دباغين فإننا نجده... وربما يقول أحد المتشككين بأن فرحات عباس إنسان اندماجي، فعليه الرجوع إلى نشاطه بعد عودته من الحرب الكونية الثانية، ورسائله وتقاريره إلى سلطات الاحتلال، حيث يلاحظ بدون عناء تحول الفكر السياسي لفرحات عباس، فهو القائل كما مر علينا " إن الوطن الجزائري الذي لم أحده سنة 1936 وجدته الآن."

(773) ibid. p : 134

(774) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 204

(775) الجيلالي صاري، ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 72

رفعوا شعار الرئيس الأمريكي " روزفلت " ، الذي أعطى ضمانا باسم الحلفاء في إطار النظام العالمي الجديد، " حق كل الشعوب الصغيرة، أو الكبيرة ستكون محترمة " ، وهذا الحق لم يرد الشعب الجزائري أن يفقده. (776)

وهذا ما كانت تهابه سلطات الاحتلال، وفرنسا كانت تتشدد في القيام بإصلاحات حقيقية في الجزائر، خوفا من أن ينتقل الجزائريون إلى مطالب أكثر راديكالية، لذلك كانت الإصلاحات التي تمت في الجزائر حتى تاريخ كتابة البيان هزيلة، ونستطيع أن نقول بأنها إهانة للإنسان الجزائري المسلم، أمام نقص الإصلاحات تحولت النخبة التي كانت تطالب بالاندماج بالتخلي عنه نهائيا " ففزعت الإدارة عندما لاحظت ابتعاد زبائنها " (777) واقتراحهم من العلماء و مناضلي حزب الشعب الجزائري، فسياسة الاحتلال الهادفة إلى تكوين جيل من الجزائريين مثقف بالفرنسية، موالي لفرنسا، باءت بالفشل، باستثناء الشيوعيين الجزائريين (الحزب الشيوعي الجزائري) الذين أزعجهم مضمون البيان، فعارضوه، ورفضوه، ففي نظرهم أن الوطنية التي يدعو إليها البيان، هي تعبير عن تيار مصالح البرجوازية العربية - البربرية، وطالبوا بالتضامن مع العمال الأوروبيين في الجزائر، والديمقراطية الفرنسية.

وقد رد عمار أوزقان في سنة 1943 على هذا البيان بإعادته للكلمات التي جاءت في خطاب "موريس ثوريز" (Maurice Thorez) سنة 1939 بقوله: " الجزائر أمة في طور التكوين، وشعبها سيكون خليطا، من عناصر ذات أصول أوروبية، وبربرية، وعربية، هؤلاء الذين انصهروا في جيل جديد، ولكن هذه الأمة لم تنضج بعد لتكوين وطن، الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي بقي مرتبطا بسياسة الاندماج. " (778) ف (ح.ش.ج) بقي مرتبطا بسياسة الاندماج، فإذا كان البيان قد أقلق الشيوعيين الجزائريين، فإن حزب الشعب الجزائري، والعلماء قبلوه بدون تحفظ. (779)

قَبِلَ حزب الشعب الجزائري البيان لأنه يدعو إلى تأسيس حكومة جزائرية، ورفض الاحتلال، ومطالبها بإدائه وإلغاءه، وقبل العلماء البيان لأن جماعة النخبة تراجعت عن مطلب التجنس وطالبت بوطن جزائري، ويرى الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف: " كان (ذلك) ناتجا أساسا عن تطور النخبة، ويأسها من الديمقراطية الفرنسية، أما قبول العلماء التعاون مع هؤلاء فقد كان ناتجا عن قناعتهم بالمواقف الجديدة التي أثبتت منذ سنة 1943 قطيعة رجال النخبة نهائيا مع المستعمر من جهة، والإمكانيات السياسية التي كان يتمتع بها أعضاء النخبة من جهة أخرى. " (780) فالعلماء كان هدفهم يتمثل في كيفية العمل على المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية، وإعداد

(776) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 643

(777) نفس المرجع، ص: 73

(778) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p : 134

(779) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 645

(780) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 (دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص: 286

جيل للدفاع عن الوطن الجزائري، بعد تربيته وتعليمه تعليما عربيا إسلاميا، ويدافعون عن بقاء الشعب الجزائري حتى لا يزول، أو يندثر، وفرحات عباس كتب البيان باسم الشعب الجزائري (781) وكان بذلك معبرا حقيقة عن آمال الشعب الجزائري، وتطلعه لوطن جزائري مستقل، "ومع بيان الشعب الجزائري توصل فرحات عباس، وأتباعه أخيرا إلى النتيجة أن استقلال الجزائر بشكل ما، مطلب مرغوب فيه." (782)

إن البيان لم يذكر نهائيا إقامة حكومة فيدرالية، كما تعرض في ذلك فرحات عباس، في رسالته، الموجهة لسلطات الاحتلال يوم 22 ديسمبر 1942 والتي جاء فيها كما مر علينا، بأن الجزائريين (سيضمنون في إطار فرنسي بحث، تحريرهم السياسي) ولا في ملحق البيان، كذلك، فالبيان يذكر بمشاركة المسلمين الجزائريين الفعلية في حكومة بلدهم "ولا تسلم حيثيات الملحق لفرنسا إلا بحق مراقبة الجزائر " الأمة ذات السيادة " وفي هذا نفي للنظام الفيدرالي بالذات " (783) لذلك لم يعارضه لا العلماء، ولا حزب الشعب الجزائري، وحتى بعض المنتخبين المواليين لفرنسا قد وقعوه، ولكن بعد أن تغيير الوضع بعد 8 أشهر تخلى 12 منهم عن البيان، بعد سجن فرحات عباس، ولغة التهديد التي أصبحت الحكومة العامة تستعملها، ويعترف " شارل أندري جوليان " بأن: "البيان فتح عهدا جديدا للعمل الوطني." (784) بتخلي جماعة النخبة، وعلى رأسهم زعيمهم فرحات عباس في هذه الفترة عن سياسة الاندماج، ومما جاء في البيان:

" إن الجنسية الجزائرية والمواطنة الجزائرية، هما اللتان تمنحان المسلم الجزائري الأمن الأوفر، لكونه جزائريا مسلما " فرحات عباس، لم يعد يطالب نهائيا بالتحنس الجماعي للجزائريين المسلمين، لأن الزمن أثبت له استحالة تحقيق ذلك، " فالمعسكر الأوروبي، والمعسكر الإسلامي، ظلا متميزين أحدهما عن الآخر دون روح مشتركة تجمعهما، وفيما يلي لن يطلب الجزائري المسلم أكثر سوى أن يكون جزائريا مسلما "، ولقد انتقد " شارل أندري جوليان " الجانب السياسي منه معتبرا أن هذا البيان يستمد أفكاره من الثقافة الفرنسية، والغربية التي تلقتهما النخبة الجزائرية المسلمة، وأن قوتهم، وبراهينهم، مستمدة من مبادئ الثورة الفرنسية، وأدبياتها، ومن تقاليد الشعب الفرنسي في الحرية والديمقراطية، ويضيف قائلا: " لذلك يشهرون بالنظام الاستعماري المفروض على الشعب الجزائري، والذي قام على المظالم، والجرائم " (785) ويستشهد بفقرة وردت في البيان " أن سياسة الاندماج التي طبقت على هؤلاء دون أولئك جعلت المجتمع الإسلامي في أتم العبودية. " وفي خدمة الغزاة، وهنا يثبت " شارل أندري جوليان " عنصريته (المهذبة)، وكان الجزائريين لا يتعلمون كيفية الدفاع عن حقوقهم إلا

(781) Jean Claude Vatin, op.cit, p : 182

(782) وليم ب. كواندت، المرجع السابق، ص: 56
(783) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 314
(784) نفس المرجع والصفحة.
(785) نفس المرجع، ص: 315

بعد تلقيهم للثقافة الفرنسية، ومبادئ ثورتها، إنه تحليل غريب، ويضيف " شارل أندري جوليان " محاولا إثبات صحة رأيه بقوله: " نخبة من المثقفين، والفلاحين، وأصحاب الصناعات التقليدية، والعمال، استطاعت أن تتكون، وقد كونتها الثقافة، والتقنية الغربية. " (786) ويجادل إظهار حقيقة جرائم الاحتلال التي استدلت بها البيان، من جرائم " بيجو " و " سانت ارنو " و " مونتانيك " فهو لا ينفىها، ولكنه يقارنها بعمل الحجاج بن يوسف في العراق، والفاحين العرب المسلمين لشمال أفريقيا، والأعمال التي ارتكبتها هؤلاء الفاتحون من أجل نشر الإسلام، (787) يا لها من مقارنة ! وكأنه يقول للجزائريين المسلمين لماذا ترفضون الاحتلال الفرنسي لوطنكم وتنددون به ؟ لماذا هذا البيان ؟ وربما نسي أن يستشهد بمقال فرحات عباس " فرنسا هي أنا " الذي كتبه سنة 1936.

أما في الجانب الاقتصادي، فقد أوضح البيان عجز الاحتلال الفرنسي في تحقيق توازن اقتصادي واجتماعي، بين الغزاة وأغلبية السكان الأصليين، (ماعدا اليهود، والقياد، و الباشاغوات) حيث ورد فيه: " أما من الناحية الاقتصادية، فإن الاحتلال، قد أظهر عجزه في تحسين الأوضاع، وحل المشاكل الكبرى التي كونها، وهكذا فإن الجزائر لو أديرت إدارة جيدة، وسُيرت تسييرا متقننا، و جهزت تجهيزا حسنا لكان في استطاعتها أن تُوفر العيش لـ 20 مليون نسمة على الأقل في حالة رخاء، وأن تجعلهم في حالة جيدة، سلام اجتماعي، ولكن ما دامت أسيرة نظام الاحتلال، فهي لن تستطيع أن توفر العيش، ولا أن تعلم، ولا أن تكسي، ولا أن تسكن، ولا أن تجد العلاج، حتى لنصف سكانها الحاليين، تجهيزها هذا يكفي فقط لضمان رفاهية فئة قليلة تمثل 8/1 من مجموع سكانها، هذا التجهيز سيظل سطحيا وسخيفا، لظالما أن الجزائر ليست لها حكومة مستمدة من الشعب ولفائدته، إن الحقيقة التاريخية تكمن هنا وليس في مكان آخر. " فالبيان يؤكد أن العدل في توزيع الثروة على الجزائريين لا يمكن أن يكون إلا بوجود حكومة نابعة من الشعب الجزائري نفسه، وغياب هذه الحكومة يضيف البيان واصفا حالة الجزائريين: " الجزائريون المسلمون سيكونون محرومين، ومستعبدين، لدرجة أنهم يظهرون في وطنهم كأجانب حقيقيين، خدمات عامة، جيش، إدارة، تجارة، بنوك، صحافة، الكل في أيدي الأقلية الأوروبية، الأهلي هو عبارة عن لاشيء. "

وذكر البيان الإحصائيات العامة لأملاك المحتلين من الأراضي منذ سنة 1830 أي بداية النهب الاحتلالي، والقوانين التي وضعها فيما بعد الاحتلال لصالح المحتلين، ولكن فرحات عباس لم يذكر لنا إحصائيات أملاك القياد، و الباشاغوات، فمعظم هؤلاء كانوا إلى جانب المحتلين، ونالوا إمتيازات على حساب إخوانهم المسلمين، وقدموا خدمات عظيمة للاحتلال، ربما عجز حتى بعض المحتلين عن تقديمها لنظام الاحتلال.

(786) نفس المرجع والصفحة.

(787) نفس المرجع، ص : 321

قدم البيان للحاكم العام " بيرتون " (Peyrouton) يوم 31 مارس 1943 من طرف وفد مكون من الموقعين عليه من بينهم فرحات عباس، فقبل منهم " بيرتون " البيان، ووعدهم بأنه سوف يأخذه بعين الاعتبار، وسيجعل منه ميثاقا أساسيا لجزائر المستقبل.

ويذكر فرحات عباس بأن الحكومة العامة لم تتفاجأ بالبيان ولكن الذي أدهشها، ولم تجد له تفسيرا، هو موقف بعض النواب المسلمين الذين صنعهم الاحتلال حسب مقاسه، وجعلهم كأداة طيعة له، وعملاء جيدين، فإذا بهم يديرون له ظهورهم ويعودون إلى إخوانهم* (788).

ويقول فرحات عباس عن هؤلاء المنتخبين البرجوازيين الذين وقعوا على البيان بأن: " تضامنهم مع إخوانهم المسلمين شيء جديد، ولكنه مؤكد "، فالاحتلال لم يفهم بأن الباطل لن يدوم، والحق سوف يسود على أرض الجزائر، ويؤكد في مذكراته بأنه منذ سنة 1943 إلى سنة 1954 وهو يبذل جهودا كبيرة لتدراك الأخطاء، ومحاولا تجنب المصائب التي تحيط بالشعب الجزائري، وقدّم إلى فرنسا نصائح ثمينة لمنع وقوع كارثة كبرى في الجزائر، فكان دائما يناشد الجزائريين المسلمين برباطة الجأش، وعدم التسرع، والنظر إلى الأمور بنظرة منطقية متزنة، وأكد لفرنسا من خلال كتاباته ومدخلاته في المداولات النيابية بأن التمسك الأعمى بأهداف ومبادئ الاحتلال، ستؤدي إلى الهلاك، ويضيف قائلا: " إن عجلة التاريخ تدور بسرعة، والأحداث تتوالى الواحدة تلو الأخرى، بلا هوادة، وكنا نغتنم كل فرصة سانحة لنعرض على فرنسا حلولاً إيجابية، ومعتدلة، تحدوننا رغبة واحدة هي ضمان الحرية، والكرامة لشعبنا، وليس ذلك بمستحيل، كما كان هدفنا يدور حول فكرة واحدة، وهي منح الجزائر دستور دولة ذات سيادة بطرق سلمية، أو ما يسمى بـ " الثورة بالقانون " كان ذلك اعتقادنا الأساسي، وكان طريقنا يهدف إلى نقل الديمقراطية الفرنسية، في إطار جمعية جديدة مبنية على أساس الاعتراف واحترام مواطنة الشعوب المحتلة، وشعارنا " التحرر و الاتحاد " (789) وقد طلب " بيرتون " من الوفد تحديد برنامج دقيق وملمس قابل للتطبيق. (790)

ويذكر فرحات عباس بأن الحاكم العام " بيرتون " وعدهم بأنه سيأخذ البيان بعين الاعتبار، وأمر بإنشاء لجنة لتحضير، إصلاحات، فورية. (791)

فشكل الحاكم العام يوم 3 أفريل 1943 " لجنة دراسة القضايا الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين " (792) وعينت إدارة الاحتلال في هذه اللجنة مندوبين تابعين لها، بهدف إجهاض تلك الإصلاحات المزعم القيام بها، فقد

* حينما تشدد الحاكم العام كاترو، وهدد الموقعين على البيان تراجمت مجموعة منهم، إلى بيت الطاعة.

(788) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 143

(789) ibid. p p : 143-144

(790) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134

(791) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 145

(792) Jean Lacouture, op.cit, p :287

عُين فيها 8 باشاغوات (من جماعة بني وي - وي)، فاحتج فرحات عباس على ذلك مبررا قوله بأن هذه اللجنة لا تضم عناصر من حزب الشعب الجزائري. (793) ويظهر من تلك العناصر العميلة بأن الحاكم العام لم تكن له النية الحسنة في القيام بإصلاحات فعلية لصالح الجزائريين المسلمين، فلجأ إلى أسلوب المناورة، وربح الوقت، أو كما يقال إذا أردت إفشال مشروع ما، فأسنده إلى لجان - وأخطر من ذلك إسنادها إلى عملاء -

وكان أول اجتماع لهذه اللجنة ما بين 14 و 17 أبريل 1943، (794) ولم يتم التوصل إلى أي اتفاق حول كيفية تطبيق الإصلاحات بسبب تناقض مواقف أعضائها، وتأجلت الاجتماعات وبذلك استطاع الحاكم العام تحقيق جزء من مناوراته، ولكي يظهر نيته الحسنة، دعا في يوم 22 ماي 1943 المندوبيات المالية لاستئناف نشاطها بعد انقطاع دام 3 سنوات، ورجع إليها بيرتون طالبا منها (بدل اللجنة التي أسسها في 3 أبريل) وضع اقتراحات واقعية قابلة للتطبيق، للإصلاحات الواردة في البيان. (795)

لقد أطلق سراح مصالي الحاج من السجن يوم 26 أبريل 1943 أي بعد 5 أشهر ونصف من نزول قوات الأنغلو - أمريكية في شمال إفريقيا وأطلق كذلك سراح الديغوليين، والشيوعيين و التروتسكيين، والديمقراطيين، الذين أدانتهم محاكم فيشي، أطلق مصالي من سجن " لامبيز"، وحوّل إلى الإقامة الجبرية في قصر البخاري، وخلال نقله من سجن لامبيز بباتنة إلى قصر البخاري توقف بمدينة سطيف، وقد اتصل به فرحات عباس مع الدكتور لمين دباغين، وحضر ذلك اللقاء الشيخ البشير الإبراهيمي (من جمعية العلماء)، و "موريس لابور"، وقال فرحات عباس لمصالي الحاج*: " يا مصالي، بالأمس كنت ضدك، مناصرا متحمسا للاندماج، وحاربتك، لكن الأحداث أثبتت أنك على صواب، وإني على خطأ، واليوم فأني أثق فيك**". (796)

بعد هذا اللقاء تمت لقاءات أخرى بينهما في أواخر شهر ماي، واقترح مصالي الحاج على عباس إضافة أخرى إلى البيان تضمنت ما يلي: " في نهاية الحرب تقام في الجزائر دولة جزائرية، مزودة بدستور خاص بها تعده جمعية جزائرية تأسيسية منتخبة، بالاقتراع العام، من طرف جميع السكان. " (797) وتضمنت الإضافات التي قدمها

* حسب شهادة السيد ممشاوي، التي أوردها بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 186

(793) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134

(794) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 145

(795) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 134

** أثناء تنقل مصالي الحاج من لامبيز إلى قصر البخاري يوم 26 أبريل 1943 نزل ضيفا على فرحات عباس بسطيف. وقضى ليلية عنده، ومن بعد ذلك كانت اتصالات عديدة بينهما، ويقول فرحات عباس عن ذلك اللقاء في بيته مع مصالي: " تحادثنا وكونا علاقات جيدة بالرغم من الهجومات التي استهدفتني من قبل أتباعه،

الذين نسبوا إلي أكاذيب عديدة، كنت احترمته دائما، لأن هدفه كان نبيلاً. " Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, pp : 122,123

(796) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 186

(797) نفس المرجع، ص: 186-187

مصالي الحاج إلى فرحات عباس تغيير مفهوم "الجنسية"، إلى مفهوم "أمة ذات سيادة" ومن مفهوم "دستور ممنوح" إلى مفهوم "الجمعية التأسيسية" (798) وبذلك نقلت هذه الإضافات بيان الشعب الجزائري إلى صيغة أكثر ثورية حيث طرح القضية الأساسية وهي: "الاعتراف بالدولة الجزائرية، والمواطنة الجزائرية" (799)

وبناء على ذلك قام فرحات عباس بإضافة هذه التغييرات التي اقترحها الحاج مصالي، بالاتفاق مع زملائه في المندوبيات المالية، يوم 26 ماي 1943 ووقعت هذه التغييرات من طرف 21 مندوبا ماليا عربيا و قبايليا. وفي يوم 30 ماي 1943 سلم إلى الحكومة العامة، تحت عنوان "مشروع إصلاحات" (800) وسمي كذلك بـ "ملحق البيان" (801) وفي يوم 10 جوان 1943 قدمت نسخة منه إلى الجنرال "دي غول" (802).

ويلاحظ في الملحق أنه تناول نفس النقاط التي تعرض إليها البيان، بادئا أولا بالأسباب الداعية إلى إضافة الملحق "عند تسليم بيان الشعب الجزائري إلى ممثلي فرنسا، يوم 31 مارس 1943 طلب السيد الحاكم العام من المنتخبين المسلمين أن يكملوا مطالبهم باقتراحات فعلية من أجل الموافقة على مبادئها. المندوبون المالبيون العرب، والقبائل، الممثلون الشرعيون للسكان المسلمين، جاؤوا اليوم بهذه الاقتراحات السهلة، والسريعة التطبيق، في إطار المبادئ التي كانوا قد طرحوها باسم الجزائر كافة في بيان 10 فيفري." ومؤكدا على تشكيل دولة جزائرية ومما جاء فيه: "لهذه الأسباب، ولوضع حد للضجة المغرصة التي تدور حاليا، إن المندوبين المالبيين العرب، و القبائل يطالبون بضمان وحدة التراب الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى الاعتراف بالاستقلال الذاتي السياسي للجزائر في إطار أمة ذات سيادة مع حق الرقابة لفرنسا، والمساعدة العسكرية للحلفاء في الحرب، إن تشكيل هذه الدولة الجزائرية لا يستبعد من جهة أخرى الانضمام مع المغرب وتونس لتنظيم اتحاد فيدرالي لدول شمال إفريقيا، أو اتحاد شمال إفريقيا الذي يبدو لكثير من الأذهان بأنه أحسن وسيلة للمستقبل." ويظهر هنا تأثير مصالي الحاج على الملحق واضح، حيث قال لفرحات عباس كما أورد ذلك في كتابه ليل الاحتلال: "إني أثق فيك لإقامة جمهورية جزائرية مشتركة مع فرنسا، وفي المقابل لا أثق أبدا في فرنسا، إن فرنسا لن تعطيك شيئا، إنما لا تتنازل إلا بالقوة، ولن تعطي إلا ما ينتزع منها." (803) وتضمن الملحق قسمين، القسم الأول تعرض للإصلاحات التي يمكن تأجيلها إلى ما بعد الحرب حيث ستقوم الجزائر كدولة جزائرية، مجهزة بدستور خاص، الذي سينجز من طرف مجلس جزائري دستوري منتخب

(798) نفس المرجع.

(799) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 123

(800) Projet de réforme, faisant suite au manifeste du peuple Algérien musulman du 10 février 1943, présenté par les délégués financiers arabes et kabyles le 26 mai 1943, I. R. boîte N° 13, A.W.C.

(801) ibid.

(802) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 202

(803) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 151

بواسطة الاقتراع العام من طرف كل سكان الجزائر، تم التأكيد فيه على ضمان سلامة القطر الجزائري ووحدته الترابية، والاعتراف باستقلال الجزائر. (804) وبذلك تحولت مطالب النخبة من سياسة الاندماج، إلى سياسة التجمع. (805) (الدولة الجزائرية مع الدولة الفرنسية)

والقسم الثاني يحتوي على الإصلاحات السريعة والممكنة، التي يجب تطبيقها مباشرة لأنها مطلب الشعب الجزائري المسلم من اجل تحضير مستقبله، وقد تضمن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: " المشاركة الفورية، والفعالة لمثلي المسلمين في حكومة وإدارة الجزائر، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية متكونة من وزراء بعدد متساو بين الفرنسيين، والمسلمين، والإدارة الحالية تصبح إدارات وزراء، ورئيس الحكومة، سيكون الحاكم العام الذي سيحمل لقب سفير، أو المحافظ السامي الفرنسي في الجزائر، التمثيل النيابي في المجالس يكون متساويا بين المنتخبين الفرنسيين، و المسلمين (المجلس الأعلى للحكومة، المندوبيات المالية، المجالس العامة، المجالس البلدية، غرف التجارة، والفلاحة، ممثلي نقابات العمال، والدواوين... وإعطاء الإدارة الذاتية للدواوير في البلديات المختلطة طبقا للقانون البلدي لسنة 1884، والجماعة ستصبح تحت رئاسة مجلس بلدي، ورئيس بلدية الدوار يسمى (رئيس الدوار) ودخول الجزائريين كل الوظائف العمومية على أساس المساواة مع الفرنسيين، وإلغاء كل القوانين الاستثنائية، وتطبيق القانون العام في كل الجزائر. "

القسم الثاني: تناول " المساواة أمام ضريبة الدم، وإلغاء نظام تجنيد الأهالي والخدمة العسكرية، المعمول بها تحت عنوان "صفة أهلي"، وتوحيد نظام التجنيد، المساواة في الرواتب والمكافآت... ورفع العلم الجزائري في الفرق الجزائرية العاملة إلى جانب العلم الفرنسي لفرع معنويات الجنود الجزائريين. "

أما القسم الثالث: فتناول " الإصلاحات الاقتصادية، والاجتماعية"، إنشاء مصلحة للفلاحة الجزائرية لمساعدة الفلاحين الأهليين، وإنشاء وزارة عمل تشرف على تطبيق القوانين الاجتماعية على العمال بجميع أصنافهم، إنهاء التعليم المسمى بالأهلي، و منح الحرية في تعليم اللغة العربية، وتوفير السكن، وحرية الدين الإسلامي، وحرية الصحافة باللغتين، والترخيص بإنشاء ثلاثة صحف إسلامية في الجزائر، ووهران، و قسنطينة لإطلاع وقيادة الرأي الإسلامي، ويضيف الملحق، بأن هذه الإصلاحات، مؤقتة، ورمزية، في انتظار تحرير فرنسا. " فملحق البيان قدم اقتراحات، لإصلاحات راديكالية في الجانب السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي للجزائر. " (806)

بعد يومين من قبول الحاكم العام بيرتون للملحق البيان، قدم استقالته من منصب الحاكم العام يوم 1 جوان 1943

(804) أحمد مهساس ، المرجع السابق، ص: 196

(805) Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit,p :206

(806) André Noushi,op.cit,p :136

وعوضه في منصبه الجنرال كاترو (Catroux)، وهو مولود في الجزائر بسعيدة من الأقدام السوداء، وخبيرا بشؤون الجزائر، وله إطلاع واسع بأحوال العرب والمسلمين، وتقلد مناصب في سوريا، والمغرب، وهو ليبرالي، واستقبل تعيينه كحاكم عام في الجزائر على أنه سيكون بداية عهد جديد لإصلاحات حقيقية في الجزائر، ولكن كان عكس ذلك، (807) ففي هذه الفترة بدأ حكم الجنرال "دي غول"، والجنرال "كاترو" في الجزائر، وأصبحت أعمالهما تصدر باسم (لجنة فرنسا الحرة) وكان كاترو من أنصار بقاء الجزائر فرنسية، ولم يعترف بما جاء في البيان أو ملحقه، قائلا: "أنتم المسلمون إذا لم تجدوا مكانا لكم في الوحدة الفرنسية، وهو مكانكم الشرعي، وباستطاعتكم التعبير عنه، وأعتقد دائما في ذلك، وقد علمتكم أن هذا المكان يجب أن تأخذوه."

وكان هذا الحاكم العام يكره العرب ويميل إلى اليهود حيث أعاد لهم قرار كريميو، ولكي يقضي على مطالب الجزائريين المسلمين، أعلن تهديده لأي شخص يمس سيادة فرنسا في الجزائر بالسجن، وسمح للحزب الشيوعي الجزائري بالعودة إلى ممارسة نشاطه السياسي لأن هذا الحزب رفض البيان وعارضه، وكذلك عارض تأسيس أمة جزائرية، لأن الوقت في نظرهم لم يحن، وهذه الأمة الجزائرية مازالت في طور التكوين، وقد أطلق كاترو على البيان الجزائري اسم (العاصفة)، ووعد بالقضاء عليه بكل الوسائل المتاحة لديه معتبرا أن هذه العاصفة جاءت من الشرق ومن وراء الأطلسي، فوق شمال إفريقيا. (808) معلنا بأن هدفه الرئيسي هو ربح الحرب، والقضاء على النازية. (809) ورفض الالتزام بسياسة سلفه. (810)

وبذلك أصبح فرحات عباس أمام وضعية جديدة و صعبة، فأجل الاجتماعات، ورأى أنه من الضروري إرسال وفد إلى الجنرال كاترو، ومطالبته بقبول البيان وملحقه، لكن ابن جلول وبعض العناصر رفضت ذلك، في يوم 10 جوان 1943، قدم وفد ملحق البيان إلى الجنرال "دي غول"، وإلى الحاكم العام كاترو يوم 11 جوان. وصرح الحاكم العام "كاترو" في 23 جوان 1943 أمام اللجنة بأن مطالب البيان وملحقه سابقة لأوانها، ومن الممكن أن تؤدي هذه الإصلاحات إلى خلق اضطرابات ستؤثر على سير الحرب. (811) ولكن فرحات عباس استطاع أن يناور وأن يتحصل على موافقة اللجنة التي عينتها الحكومة العامة كما وافق عليه ممثل الحكومة، وذلك يوم 26 جوان 1943، خاف المحتلون عن مصالحهم ووقفوا معارضين لذلك (812) "وكان الاعتراض المنتظم

(807) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 209

(808) نفس المرجع، ص: 210

(809) نفس المرجع والصفحة.

(810) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص: 96

(811) André Noushi, op.cit, p: 136

(812) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 210

للمعمرين على أي إصلاح، يمثل بالنسبة للحكومات الفرنسية المتعاقبة، مبررا مناسباً يتيح لها أن لا توفي بوعودها بالإصلاح التي قطعوها للجزائريين. " (813) وفي نفس الشهر وقع حادث في مدينة سكيكدة ارتكبه الجنود السنغاليون في حق جزائريين في أحياء سكيكدة، هذه المؤامرة الخبيثة دبرها الضباط الفرنسيون، بسبب إهانة الضباط الأمريكيين و الإنجليز لهم في تونس، فأرادوا رد الاعتبار لهم بتحريض الجنود السود بقتل الجزائريين، ولم تتحرك السلطات الفرنسية لمعاقبة فاعليها الذين تسببوا في قتل حوالي 30 جزائريا مسلما. (814)

أصدرت الحكومة العامة 6 مراسيم في 6 أوت 1943 تخص دخول بعض المسلمين في الوظائف العامة، و التجنس، و إنشاء منصب للمسلمين كنائب لرئيس البلديات الكاملة السلطات، و توسيع التعليم الأهلي الابتدائي العام، والخاص. (815) وهي إصلاحات هزيلة وبعيدة كل البعد عن مطالب البيان وملحقه.

وقد رفض فرحات عباس حضور جلسة الوفود المالية ليوم 23 سبتمبر 1943 مطالبا بشدة بضرورة الاعتراف بما جاء في البيان وملحقه، ورفض الاعتراف بالإصلاحات الهزيلة التي أقرتها الحكومة العامة، ووقف معه كذلك مندوبو الوفود المالية، وعلى إثر ذلك أعلن الحاكم العام عن حل المندوبيات المالية، واعتقل فرحات عباس ورئيس المندوبيات المالية العربية عبد القادر السايح، وقام بنفيهما إلى بني عباس في تابلبالا (Tablala) في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، قام "كاترو" بهذا العمل بهدف تخويف مناضلي الحركة الوطنية من مواصلة مطالبهم الشرعية، ولس نبض قوة الموقعين على البيان وملحقه، ومدى تأثيرهم على الرأي العام الإسلامي الجزائري، وقد توصل إلى حقيقة أسعدته وهي تراجع واعتذار 12 من الموقعين على البيان، مؤكدين له عن ولائهم التام لفرنسا، فهذا الموقف الجبان أدى إلى ضعف تماسك الحركة الوطنية التي بدأها فرحات عباس بجمع كل التيارات الجزائرية الإسلامية برغم إدراكه المسبق لذلك، ودافع الفرنسيون عن أنفسهم أمام الحلفاء باقحام فرحات عباس، وعبد القادر السايح بأنهم قاموا بعمل خطير أثناء الحرب وهو (العصيان المدني وإحداث الشغب في وقت الحرب)، وأن اعتقالهما في صالح الجزائر الفرنسية، والحلفاء، ولم يكن الحلفاء داركين الوضع بالضبط (816) في الجزائر.

ويعلق فرحات عباس على ذلك النفي بقوله: " كان ذلك هدفنا، حيث أجبرنا العدو على كشف حقيقته، وربحنا الجولة الأولى. (817) أي كشف حقيقة الاحتلال للحلفاء ورفضه التخلي عن سياسة القمع والقهر.

(813) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص : 198

(814) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :148

(815) André Noushi,op.cit,p p :136-137

(816) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 209-210

(817) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

فقامت مظاهرات في الجزائر، و سطيف، و قسنطينة، وغيرهم من المدن الجزائرية يوم 30 سبتمبر 1943 رافعين لافتات كتب عليها: " من أجل ميثاق الأطلسي وجزائر حرة " ومنادين بإطلاق سراح فرحات عباس، و عبد القادر السايح. (818) إن شعبية فرحات عباس توسعت أكثر خاصة بين سكان المدن الجزائرية الكبرى الذين كانوا أكثر إطلاعاً على الأحداث الوطنية، والعالمية، وذلك بعكس سكان الريف الجزائري الذي يضم أغلبية السكان الجزائريين المسلمين حيث بقي بعيداً عن تلك الأحداث بسبب انتشار الجهل والامية فيه، ووجود النخبة في المدن، وأطلق سراحهما يوم 2 ديسمبر 1943. (819)

وعاد فرحات عباس إلى منزله في سطيف واستقبل استقبال الأبطال، ليبدأ بعدها مرحلة أخرى من النضال السياسي، وهو أكثر تجربة وحنكة مما كان عليه من قبل، فالظروف الصعبة أحياناً ضرورية لصنع رجال أشداء مقتنعين بمطالبهم الشرعية، حيث تزيد هذه الظروف قوة وإيماناً للدفاع عن مصير أمتهم التي تنتظر منهم إنقاذها من ليل مظلم عاصف فرضه الاحتلال عليهم بكل قوة و جبروت ومن أجل غد مشرق ينعم الجميع بأنواره، ويزول فيه الظلم والقهر، وتتحقق العدالة الاجتماعية للجميع.

إن الوسائل التي استعملها فرحات عباس من أجل الحصول على إقامة دولة جزائرية كانت ضعيفة أمام احتلال لا يعترف بمنطق الحق الذي طالب به الجزائريون، احتلال فرض نفسه على الجزائر بالقوة والدم، وبالتالي لن ولم يفهم إلا أسلوب العنف فقط الذي فرض به وجوده على أرض الجزائر وشعبها، وكانت الثورة التحريرية محقة في لجوئها إلى استعمال أسلوب العنف.

(818) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :126

(819) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

المبحث الثالث

إنشاء حركة أحباب البيان والحريّة

أدرك فرحات عباس أن الاحتلال الفرنسي لا يتردد أبدا في ترهيب وسجن المناضلين المدافعين عن القضية الوطنية، ويستعمل أساليب دنيئة لتحقيق غرضه ذلك، وتيقن بأن تيارا واحدا من الحركة الوطنية لا يمكنه مواجهة الاحتلال، لذلك عمل كل جهده من أجل جمع كل اتجاهات الحركة الوطنية في إطار حركة واحدة، بإمكانها أن تفرض مطالبها بقوة على إدارة الاحتلال، وتجمع معظم الفئات الشعبية حول مشروعها السياسي.

وتعرض في هذا المبحث إلى نشاط فرحات عباس بعد إطلاق سراحه من السجن. فهل حقق الاحتلال هدفه في ترويض فرحات عباس؟ أم أن ذلك زاده قوة وصلابة وإيمانا بقضيته؟

أطلق سراحه من المعتقل بالجنوب الغربي لوهرا، مع زميله عبد القادر السايح في 2 ديسمبر 1943، وذلك على إثر وساطة "بيار بلوخ" (Pierre Bloch) لدى الحاكم العام.⁽⁸²⁰⁾ ولكن إطلاق سراحهما كان للضرر المعنوي الذي لحق بسمعة فرنسا، ورفع قيمة فرحات عباس في أعين الجزائريين المسلمين.⁽⁸²¹⁾ فالاحتلال لا يريد أن يصنع زعماء وطنيين، فاعتقاهما كما عبر عنه فرحات عباس انتصارا له، نظرا لازدياد شعبيته.

وقد سجلت مصالح الاستعلامات العسكرية الملاحظة التالية: "علم سكان قسنطينة بإطلاق سراح فرحات عباس قبل أن تنشره الصحافة، واستقبل ذلك الخبر بفرح كبير من طرف السكان المسلمين، وخاصة في الأوساط المثقفة... وانتشرت دعاية تقول بأن فرحات عباس سيرجع إلى سطيف في طائرة أمريكية." ⁽⁸²²⁾

وهذه الدعاية كانت لصالح فرحات عباس، حيث زادته قوة وإيمانا أكثر بسياسته الهادفة إلى إقامة حكومة جزائرية وإلغاء الاحتلال، ولكنه وجد أن الجنرال كاترو استطاع أن يزرع بذور التفرقة في أوساط المنتخبين الجزائريين المسلمين، فبعضهم خضع للتهديدات، و الابتزاز، ويقول فرحات عباس عن ذلك: " كان ذلك أمرا متوقعا فمجموعة من المنتخبين المسلمين، أصبح تعاوّنهم مع الاحتلال كطبيعة ثانية." ⁽⁸²³⁾

ويشير في ذلك إلى المنتخبين الإثني عشر الذين تراجعوا عن مطالب البيان، وملحقه، لذلك قام بكتابة رسالة يوم 9 ديسمبر 1943، ⁽⁸²⁴⁾ (سبعة أيام بعد خروجه من المعتقل) وجهها إلى الدكتور تامزالي رئيس

⁽⁸²⁰⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :127

⁽⁸²¹⁾ نفس المرجع، ص: 212

⁽⁸²²⁾ ibid.

⁽⁸²³⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

⁽⁸²⁴⁾ Lettre de Ferhat Abbas à monsieur le Dr Tamzali Président de la section Kabyle des Délégations Financière le 09 décembre 1943, (document inédits du mouvement national) N° 12, novembre 1981 A.W.C.

الفرع القبائلي في المندوبيات المالية، ومما جاء فيها: " خلال اعتقالي، قدمتم إلى السيد الحاكم العام، باسم المندوبين الماليين للأهالي تصريحا يغير مسار سياستنا الجزائرية، إن هذا التصريح مُملى ومفروض عليكم من إدارة الشؤون الإسلامية، ولم يستشر فيه السكان المعنيين، لي الشرف أن أعلمكم من جانبي بأنه ملغى، وغير جاد، وإنني سأبقى وفيا، لبيان 10 فيفري 1943، ولليمين الذي أقسمته مثلكم، أما إصلاحات الهياكل، والتي صرحتم بها، فهي تلميح محتشم، وأنشئت من طرف لجنة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين، بمساعدة محافظ الحكومة لأجل هذا الغرض، وأنتم تنتمون إليها، وتعتقدون بذلك العودة إلى أساليب الماضي العقيمة، وهي مصدر كل الآلام التي تراكمت على الجزائر المسلمة. سيدي الرئيس لقد اتخذتم مسؤولية أمام شعبنا، ولا أستطيع مشاركتكم فيها *." " استطاع بيرك أن ينجح بواسطة التواطؤ مع الدكتور تامزالي بإدخال 12 منتخبا إلى حظيرة الإدارة، وقبلوا بطلب الأمان. " (825)

لذلك حمل فرحات عباس مسؤولية الخيانة للدكتور تامزالي، الذي أقسم اليمين معه على العمل من أجل تجسيد ما جاء في البيان وملحقه، وفرحات عباس عمل أكثر من 20 سنة من أجل سياسة الاندماج، وتوصل إلى حقيقة ثابتة بأن هذه السياسة لا يمكن أن تنجح، فيواصل في رسالته، وكله ثقة بما يقول: " إن السياسة الزائفة لإدماج الجزائر في المجتمع الفرنسي قد فشلت، وذلك منذ 1865، حيث كانت كجبل على أعناقنا لضمان إخضاعنا، وتمكين المحتلين من استغلالنا... لقد استنكرنا سياسة الاندماج بصفة قطعية... ولا أحد سيستطيع أن يفرضها علينا من جديد... سيدي الرئيس، تصريحك، ليس له معنى آخر سوى استرجاع عهدتكم، والحصول على بعض المقاعد الجديدة، ويعتبر ذلك كتحفيز جيد لطفل... رجال ونساء يقبلون المنفى، ويفرطون في كل شيء من أجل الحصول والمحافظة على الخير الإلهي، الذي يتمثل في الحرية... وتقبلوا سيادة الرئيس تحياتي الخالصة. التوقيع: فرحات عباس."

ألقى الجنرال " دي غول " في 12 ديسمبر 1943 خطابا في قسنطينة. (826) باسم اللجنة الفرنسية للتحريير الوطني، أعلن فيه عن عزمه القيام بإصلاحات تتمثل في منح الجنسية الفرنسية لعدة آلاف من الجزائريين

* بعد اعتقال فرحات عباس وعبد القادر السايح، مجموعة من المندوبين الماليين المسلمين استقبلهم الجنرال كاترو الحاكم العام، والسيد قونون (Gonon) الأمين العام للحكومة، والسيد بيرك (Berque) مدير الشؤون الإسلامية، يوم الجمعة 15 أكتوبر 1943 وذلك بطلب منهم، وقدم الرئيس تامزالي عبد النور إلى الحاكم العام، اعتذاره باسم زملائه، ومؤكدا على التزامهم باحترام النظام، وعدم الخروج عنه، وولاءهم الخالص لفرنسا، وهؤلاء المندوبون الماليون الذين تراجعوا عن البيان وملحقه هم: " الدكتور تامزالي، الدكتور ابن جلول، الدكتور لخضري، رينيه فضيل، أحمد غرسي، شنتوف عدة، حاج حسان باشارزي، أ. عباس، طالب عبد السلام، حيار، غراب، خليل تامزالي. " وعددهم 12 مندوبا ماليا.

(Anonyme, du manifeste à la république Algérien, op.cit, p p : 57-58)

(825) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 650

(826) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 149

مباشرة مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية، وزيادة نسبة عدد النواب الجزائريين في المجالس النيابية. (827) بعد هذه الخطاب كلفت لجنة فرنسا الحرة محافظ الدولة بتأسيس جمعية مختلطة لتحضير الإصلاحات. (828)

وتكونت هذه اللجنة يوم 14 ديسمبر 1943 من 16 عضو منهم 4 موظفين سامين، و6 أعضاء من الفرنسيين المحتلين، و6 جزائريين مسلمين* (829) ويلاحظ جيدا عدم التوازن بين الجزائريين، والمحتلين، وقد اختارت فرنسا كما نرى الجزائريين المسلمين الموالين لها، حتى تطمئن لمطالبهم التي لا تقلقها، فاختيارهم كان مدروسا، وحتى الشيخ الطيب العقي المعين في هذه اللجنة كان من مؤيدي فرنسا في الحرب، وقد استقال من المجلس الإداري لجمعية العلماء قبل الحرب الكونية الثانية، " ولم تكن هذه اللجنة في الحقيقة سوى واجهة غير صلبة للديمقراطية الفرنسية. " (830)

وعلى إثر ذلك وجه فرحات عباس يوم 15 ديسمبر 1943 رسالة إلى رئيس المندوبيات المالية بالجزائر، (831) ومما جاء فيها: " في 23 سبتمبر 1943 بناء على قرار السيد والي الجزائر، اعتقلت مع السيد السايح، رئيس الفرع العربي للمندوبيات المالية، في منطقة الجنوب الغربي لوهران، هذا الاعتقال أعلن ضدنا أثناء ممارستنا الشرعية لعهدتنا، وذلك عندما كنا في مداورات خاصة، وبدون إساءتنا للنظام العام، أو المجهود الحربي. " وهي التهمة التي وجهتها سلطات الاحتلال لفرحات عباس، وعبد القادر السايح (تحريض زملائهم على العصيان المدني، ومحاولة منع الجمعية من أداء عملها، وإثارة الشغب العام خلال الحرب.) (832) ويلوم فيها رئيس المندوبيات المالية عن عدم تدخله، " ومكتب مجلسنا لم يقدم اعتراضا ضد الاستغلال السيئ للسلطة. " هذا الاعتقال كان بطلب من بعض مندوبي الاحتلال الذين بدأوا يتحدثون ويهايون من تطور الفكر السياسي لفرحات عباس أثناء الحرب الكونية الثانية، ويؤكد ذلك في رسالته " بعض مندوبي الاحتلال، توجهوا عشية اعتقالنا إلى رئيس المحتلة من أجل اتخاذ إجراءات ردعية ضد نظرائهم المسلمين، وفي الغد هملوا حل مندوبية الأهالي، وللعقوبات التي اتخذت ضدنا، هذه الإجراءات، و التهليلات تشكل وصمة عار، وهذه الطريقة ألقى الضوء على عقلية الإقطاعيين وحول تصورهم للحرية... بالأمس انخرطوا في الثورة الوطنية لتدعيم وضممان حكومة فيشي بقوة، واليوم حلوا في المراتب الأولى للديغولية، وتعلقوا بسيف جنرال،

(827) Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit, p : 196

(828) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 652

* هؤلاء الأعضاء هم: الشيخ العقي، والشيخ قاسيني، والدكتور ابن جلول، والدكتور تامزالي، وفضل رينيه، وقاضي عبد القادر، وابن قانة.

نقلا عن (André Noushi, op.cit, p : 138)

(829) André Noushi, op.cit, p : 138

(830) نفس المرجع، ص: 214

(831) Lettre de Ferhat Abbas, à Monsieur le Président des délégations Financières, Sétif, le 15 décembre 1943 (document inédits du mouvement national), N° 12, novembre 1981, A.W.C.

(832) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 650

لتهديد الأهالي، ومحاولين إهانتهم وتقسيمهم، وغدا سيتمرغون بين أرجل الشيوعيين... سيدي الرئيس إني أعلم بأن التخلص من ألمانيا المحتلة، أسهل من التخلص من الإقطاعية الجزائرية وفاشيتها... إني سيدي الرئيس طلقتم مرة واحدة ولأبد هذا التعاون، ولا أريد أن أضيع وقتي في التدليس والنفاق وسط جمعيات أوليغارشية، وإقطاعية صنعها المحتلون لأجلهم... إن اليوم الذي تكون فيه الجمعيات الجزائرية قائمة على أسس ديمقراطية، وجمهورية، سأسأتمن نضالي مع ثقة الشعب، تقبلوا سيدي الرئيس تحياتي الخالصة، التوقيع: فرحات عباس."

بدأت هذه اللجنة اجتماعاتها منذ 21 ديسمبر 1943 إلى 8 جويلية 1944.⁽⁸³³⁾ وقد تمنى فرحات عباس وصديقه عبد القادر السايح من لجنة فرنسا للتحرير الوطني أن تقوم بإصلاحات كبيرة وثورية تكون في خدمة الجزائر، وفرنسا، والإنسانية.⁽⁸³⁴⁾ جميعا ويلغى فيها مفهوم الاحتلال.

وقد قدم الشيخ البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثلاث اقتراحات لهذه اللجنة وهي:

أولا: إصلاح العدالة الإسلامية.

ثانيا: قضية التعليم العربي الحر.

ثالثا قضية المساجد وموظفوها، وأوقافها.

وتعرض كذلك للجانب السياسي، مطالب بإنشاء المواطنة الجزائرية، ومساواة جميع سكان الجزائر دون تمييز، لا في الجنس، ولا في الدين، ولا في الحقوق والواجبات، وتغيير نظام الاحتلال بنظام "الحكومة الجزائرية" تكون مسؤولة أمام برلمان جزائري.⁽⁸³⁵⁾

أما اقتراح مصالي الحاج لهذه اللجنة، فهو أن الجزائريين المسلمين لا يطالبون سوى بجزائر حرة ومستقلة، وبرلمان جزائري منتخب بطريقة ديمقراطية على قدم المساواة بين العرب، والأوروبيين، والإسرائيليين بكل أخوة، وإتحاد، يعمل كل واحد منهم حسب كفاءته من أجل جزائر حرة، وسعيدة.⁽⁸³⁶⁾ بعد الاستشارة الواسعة وأخذ آراء الطبقة السياسية الجزائرية وآراء المحتلين، ويهود الجزائر، نتج عنها إصدار أمر 7 مارس 1944.⁽⁸³⁷⁾

وقد صرح "دي غول" قبل هذا في شهر جانفي 1944 ببرازافيل بأن هدف السياسة الفرنسية هو إعطاء الحرية للشعوب المحتلة لحكم نفسها في إطار إتحاد فيدرالي مع فرنسا، ولكنه لم يتعرض لذكر الجزائر، لأنه كان يعتبرها جزء من التراب الفرنسي.⁽⁸³⁸⁾

⁽⁸³³⁾ André Noushi, op.cit, p :138

⁽⁸³⁴⁾ Claude Collot - Jean robert Henry. op.cit, p : 177

⁽⁸³⁵⁾ ibid. p p : 179-182

⁽⁸³⁶⁾ ibid. p : 184

⁽⁸³⁷⁾ André Noushi, op.cit, p :138

⁽⁸³⁸⁾ ibid.

ولذلك جاء أمر 7 مارس 1944 مخيبا لآمال الجزائريين، باسم لجنة فرنسا الحرة الحاكمة من مدينة الجزائر التي أصبحت عاصمة لفرنسا الجديدة قبل تحرير باريس من الاحتلال النازي. (839)

إن هذه الأمرية ما هي إلا تأخير لمشروع بلوم - فيوليت، ومطالب النخبة الجزائرية في العشرينات، والثلاثينات من القرن العشرين، حيث سمح لحوالي 50 ألف جزائري للدخول في المواطنة الفرنسية بدون التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية (مضاعفة العدد الذي جاء به مشروع بلوم - فيوليت)، وإلغاء القوانين الاستثنائية، ومساواة الجزائريين بالفرنسيين أمام القانون، وتوسيع مشاركة الجزائريين في المجالس النيابية، وفي الجانب الاجتماعي تعرضت إلى تطبيق نظام الضمان الاجتماعي على العمال الجزائريين، وحرية الهجرة إلى فرنسا، وتعميم التعليم (840)...

إن هذه الإجراءات التي اقترحتها حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال "دي غول" لم يقبلها الجزائريون، لأن الوقت قد فات، حسب تعبير فرحات عباس، وأصبح الجزائريون يطالبون بجنسية جزائرية، رافضين الجنسية الفرنسية، وأن الجماهير الشعبية المسلمة التفت حول الأحزاب الوطنية، والعلماء، والشخصيات المدافعة عن مطالب البيان، لأنها يئست من إقناع الحكومة الفرنسية بتحقيق إصلاحات حقيقية للجزائريين المسلمين. (841)

ويقول فرحات عباس عنها: "أمر 7 مارس 1944 ليس بشيء جديد قد أعاد مشروع بلوم - فيوليت كله لسنة 1936، هذه الإصلاحات تجاوزها الزمن، الشعب يدينها مطلقا، فهي قبل كل شيء لا تجمع سوى بعض النواب الخائفين، والمهمومين، لإرضاء السلطات من أجل الحفاظ على مصالحهم." (842)

إن فرحات عباس الاندماجي في الثلاثينات يتراجع نهائيا عن سياسته، ويعتبر أمر 7 مارس 1944 مهينا للجزائريين، وغير ديمقراطي، ومعاد للمجتمع، والسنوات الماضية بالنسبة لنا قرون (ويقصد بها السنوات التي كان يطالب فيها بسياسة الاندماج.)

وقد وصف أحد الصحفيين الفرنسيين رفض فرحات عباس، لأمرية 7 مارس 1944، متهكما بقوله: "فرحات عباس هو الصيدلي الوحيد الذي لا يجب الأمرات (les ordonnances)." (843)

إلى جانب رفض فرحات عباس لها، نجد كذلك رفض جمعية العلماء، فرئيسها الشيخ الإبراهيمي صرح بأن كل الإصلاحات في الإطار الفرنسي تجاوزها الزمن، وكذلك رفضها حزب الشعب الجزائري. (844)

(839) نفس المرجع، ص: 215

(840) المرجع السابق، ص: 215-217

(841) الجليلي صاري، ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 76-77

(842) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 149-150

(843) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 131

(844) ibid. P: 128

ولم يساند هذا الأمر سوى الحزب الشيوعي الجزائري، ولكن تأثير هذا الحزب على الرأي العام الجزائري المسلم كان ضعيفا جدا. (845) ويؤكد فرحات عباس بقوله: " بعد الإعلان عن القانون الجديد، أسسنا في سطيف يوم 14 مارس، حركة "أحباب البيان و الحرية"، ووضعت بنفسها قانونها في ولاية قسنطينة. " (846) وتمكن فرحات عباس بذلك من إنشاء حزبه الكبير الذي كان يحلم به، وهو "الجزائر الحرة"، ولكن أطلق عليه اسم "أحباب البيان و الحرية" (847)، وبتأسيس هذه الحركة استطاع فرحات عباس أن يملأ الفراغ السياسي الذي غاب عنه المرحوم الشيخ ابن باديس، و مصالي الحاج الذي كان مسجوناً. (848) وقد لخص أهداف حركة البيان و الحرية*، فيما يلي:

أولاً: الهدف الأساسي للدفاع عن البيان كمهمة مستعجلة، وحرية التعبير، والكرامة، ونشر أفكار البيان والاستنكار النهائي لنظام الاحتلال، وتمييزه العنصري، وجبروته.

أما وسائل العمل فقد أوضحها كما يلي: " إنقاذ كل ضحايا القوانين الاستثنائية، وظلم الاحتلال، إنشاء تيار فكري مستمد من البيان، ونشر فكرة الأمة الجزائرية، وتأسيس جمهورية جزائرية مستقلة ذاتيا و متحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية، وهي ضد الاحتلال والإمبريالية، وخلق روح التضامن بين جميع الجزائريين باختلاف أجناسهم ودياناتهم يهود، مسيحيون، مسلمون، وبث روح التضامن الجزائري، والشعور بالمساواة والرغبة في التجمع بينهم في السراء، والضراء. " (849)

" عندما أنشأ فرحات عباس حركة أصدقاء البيان و الحرية، في مارس 1944 للدفاع عن المطالب التي قدمت للحكومة الفرنسية في سنة 1943، انضم إليها كل العلماء، و مناضلي حزب الشعب، وتكونت جمعية جماعية سطرت برنامج عمل مشترك بين جميع القوى الوطنية... و بانضمام العلماء إليها زادت قوتها. " (850) وأصبحت هذه المنظمة بعد هذا التدعيم ذات تأثير فعال في المجتمع الجزائري المسلم لأنها أصبحت تعبر حقيقة عن رغبة الأغلبية العظمى من الجزائريين، وقد قامت بحملات واسعة عبر التراب الوطني منددة بامر 7 مارس، و كتبت أحباب البيان و الحرية لافتات بالعربية، وعلقتها في أهم المدن الجزائرية مكتوب عليها " لا للجنسية الفرنسية، نعم للجنسية الجزائرية، تسقط الجنسية الفرنسية، و تعيش الجنسية الجزائرية للجميع. " (851)

(845) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 204

(846) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 150

(847) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 Juliet 1975, op.cit, p: 142

(848) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 217

* انظر قانون أحباب البيان و الحرية كاملا في: Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p p :186,187

(849) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p :150

(850) عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص: 285

(851) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 218

وقد أسس فرحات عباس جريدة أسبوعية " المساواة " يوم 15 سبتمبر 1944 لنشر أفكار أحباب الحرية والبيان، و الدفاع عنها، ويقول عن النجاح الكبير الذي حققته: " أن عدد المنخرطين في أحباب البيان والحرية وصل إلى 500 ألف منخرطا، إلى المقر الاجتماعي الكائن بـ 6 ساحة الكاردينال لافيغري بالجزائر (Cardinal Lavigerie) وكنت أمينها العام، والمدير السياسي لجريدة المساواة، وكنت على اتصال بالإدارة العليا من أجل الدفاع عن الإصلاحات، مسؤوليتنا كانت ثقيلة، وتحملتها بصدق، وكنت متخوفا خاصة من استفزازات الشرطة. " (852) أما عدد الفروع لحركة أحباب البيان والحرية، فقد تجاوز 150 فرعا على مستوى الوطن. (853)

تأكد الحاكم العام " كاترو " الذي كان مسؤولا إلى الجانب الجنرال " دي غول " عن إصدار أمر 7 مارس 1944 بأن الوطنيين الجزائريين المسلمين رفضوه، (854) ولم يقبله سوى الشيوعيون، وبعض القياد الذين أسسوا تجمعاً لهم أطلقوا عليه اسم " أصدقاء الديمقراطية والحرية " الذي وافق على سياسة الاندماج. (855)

فرحات عباس كانت له كما يظهر بعض الثقة في فرنسا المقاومة للاحتلال الألماني والتي جربت معنى الاحتلال وعانت من ظلمه وجبروته، حيث عبر عن ذلك بقوله: " لم يكن يخطر ببالي أنها ستخذلنا وتخدعنا "، وتوقع أن تنجح سياسة " الثورة بالقانون " الصالحة للجزائر، وتونس، والمغرب... وهذه هي الأفكار التي دافع عنها في جريدته " المساواة ". (856)

عزل الجنرال " كاترو " في سبتمبر 1944 وعيّن بدله حاكم عام " إيف شاتينيو " (Yves Chataigneau)، يقول عنه فرحات عباس: " إنه دبلوماسي محترف يعرف مشاكل الإسلام والعالم العربي، ليبرالي بعيد النظر، ومن نظرة أخرى فهو الخليفة المباشر لـ " موريس فيوليت " (Maurice Viollette). " (857)

أما المحتلون فكانت دائما نظرهم ضيقة وقفوا ضد أمر 7 مارس 1944، وضد أحباب البيان والحرية، و عملوا بكل إرادتهم لإفشالها. (858)

إن فترة عودة فرحات عباس من الحرب الكونية الثانية كانت مليئة بالنشاط السياسي، رجل تعلم من تجاربه واستخلص الدروس جيدا، ودخل في مواجهة حقيقية مع إدارة الاحتلال والمحتلين، وهو أكثر صلابة، ووعيا وتجربة مما كان عليه في الفترات السابقة، تعلم أن الالتحام بالجماهير هو الضمان الوحيد لنجاح سياسته الداعية إلى إلغاء الاحتلال، واستطاع أن يلتحم بالجماهير الشعبية، وأن يعمل مع زملائه على زيادة نمو الوعي الشعبي

(852) ibid. p : 152

(853) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 213

(854) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ص: 219

(855) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 208

(856) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 152

(857) ibid. p : 153

(858) ibid.

الجزائري، ولذلك طلب فرحات عباس بتأسيس دولة جزائرية ديمقراطية اجتماعية، متحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية، وكانت هذه المرحلة الأولى في نظره لتحقيق الاستقلال التام للدولة الجزائرية فيما بعد أي حينما تنهياً الظروف المناسبة للشعب الجزائري لكي تكون له القدرة والكفاءة على التسيير، وإدارة شؤون الدولة، داعياً إلى التعقل ونبذ العنف، واستعمال الوسائل السلمية لتحقيق ذلك، لأن القوى الشعبية الجزائرية المسلمة في هذه الفترة كانت تنتظر الفرصة لوضع حد نهائي للاحتلال الفرنسي للجزائر، ولو عن طريق استعمال العنف.

المبحث الرابع

فرحات عباس وحوادث 8 ماي 1945

في بداية سنة 1945 أصبحت الحرب الكونية الثانية تسير لصالح الحلفاء وأصبح نصرهم على النازية وشيكا، وشهدت هذه الفترة كذلك انتشار الأفكار التحررية عند الشعوب الخاضعة للاحتلال، وأصبحت هي الأخرى تنتظر بفارغ الصبر تحررها من الاحتلال، آمليين في تطبيق وعد الحلفاء (ميثاق الأطلسي) بإعطائها حريتها لتقرير مصيرها، وقد تأثر فرحات عباس بذلك وكذلك الحركة الوطنية الجزائرية في مجموعها باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري الذي بقي مرتبطا بالحزب الشيوعي الفرنسي.

يتناول هذا المبحث، الدور الذي قام به فرحات عباس قبيل نهاية الحرب الكونية الثانية، والآمال التي كان يريد تحقيقها للجزائر، ومعرفة الوسائل التي اعتمد عليها في تحقيق مشروعه السياسي الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية؟ والنتائج التي ترتبت عن ذلك سواء بالنسبة له كشخصية جزائرية سياسية معتدلة داعية إلى نبذ العنف والاحتلال معا، أو بالنسبة للحركة الوطنية ككل، وأثر حوادث 8 ماي 1945 على الجزائر. هذا ما سنقوم بمحاولة دراسته في هذا المبحث.

لقد وصل تجمع أحباب البيان والحرية قمته في ربيع 1945، واستطاع أن ينفذ بواسطة أفكاره الداعية إلى التحرر من الاحتلال في الأوساط الجماهيرية، مما جعل سلطات الاحتلال تحسب له ألف حساب وتراقب نشاطات مناضليه وأقوال زعيمه فرحات عباس. (859) لأنها أصبحت تزعج كثيرا المحتلين في الجزائر.

فخلال المؤتمر الأول لأحباب البيان والحرية المنعقد بالجزائر ما بين 2 و 4 مارس 1945 تم التأكيد فيه على تأسيس " جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع الجمهورية الفرنسية " وانتخب فرحات عباس رئيسا لـ " الجمعية المؤقتة للجزائر المستقلة " من طرف النواب، والعلماء، والمصاليين. (860) وأصبح بذلك فرحات عباس زعيما سياسيا للجزائر عن طريق اقتراع مناضلي الحركة الوطنية له بمختلف اتجاهاتها.

أما المحتلون في الجزائر كانوا خائفين من حركة أحباب البيان والحرية، وامتدادها الواسع، ففي الوقت الذي كانت فيه هذه الحركة تتوسع كان المحتلون يتآمرون عليها، ويبحثون عن أسلوب للقضاء عليها، وخاصة على زعيمها فرحات عباس هذا السياسي الجزائري المحنك الذي يعرف كيف يجادل أعدائه من المحتلين، حيث يقول: " كان خصومنا يريدون إبعاد أحباب البيان والحرية لمنعها من المشاركة في الانتخابات البلدية التي انطلقت من

(859) نفس المرجع، ص: 229

(860) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 juillet 1975, op.cit, p: 143

فرنسا، وبالفعل استطاعوا تأجيلها في الجزائر لتجنب نجاح القوى الشعبية.⁽⁸⁶¹⁾ هذه المؤامرة الأولى تمكنوا من النجاح فيها، لكنهم فرغوا من كثرة نشاطاتها وانضمام العلماء إليها، ومناضلي حزب الشعب الجزائري الذين زادوها قوة وشعبية واسعة، فلذلك رأى المحتلون ضرورة تدبير مؤامرة كبرى للقضاء عليها، وعلى أمر 7 مارس 1944، لأن فكرهم السياسي كان جامدا، ولم يستطع أن يتطور مع المتغيرات الداخلية والخارجية التي حدثت بفعل الحرب الكونية الثانية.

" في أبريل 1945 أخبر والي قسنطينة " لوستراد كاربونيل " (Lestrade Carbonnel) الدكتور سعدان أحد مسؤولي أحباب البيان والحرية، بواسطة أحد الإداريين في بلدية مختلطة، بقوله: " إن بعض الاضطرابات ستحدث، وستؤدي إلى حل حزب كبير. " (862) الحزب الكبير بدون شك هو أحباب البيان والحرية، الذي وجد صدق واسعاً في الأوساط الشعبية، وساعدته أكثر الأزمات الاقتصادية الحادة التي كانت تعاني منها الجزائر بالإضافة إلى ميلاد الجامعة العربية، وما صاحبها من ارتفاع لمعنويات العرب الخاضعين للاحتلال، ومنهم الجزائريين.⁽⁸⁶³⁾

فمناضلي حزب الشعب الذين أمرهم الحاج مصالي بالانخراط في أحباب البيان والحرية.⁽⁸⁶⁴⁾ كانوا أكثر راديكالية وتمردا على الاحتلال، ومنتظرون الأوامر من مسؤوليهم لبداية التمرد، وفرحات عباس كان يؤمن بفكرة " الثورة بالقانون " ولكنه يعلم بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بتعبئة كل الفئات الشعبية بمختلف اتجاهاتها في إطار حزب شعبي قادر على فرض كلمته، لذلك فتح منذ البداية أحباب البيان والحرية على كل التيارات، وقد حاولت سلطات الاحتلال كعادتها زرع بذور الشقاق، عساها أن تفلح في القضاء على أحباب البيان والحرية، وتفريق صفوفه وإضعافه، ولما فشلت سلطات الاحتلال على مواجهة أحباب البيان والحرية في ربيع 1945، قامت بإرجاع مصالي الحاج إلى السجن في بوغار يوم 18 أبريل 1945، فقامت على إثر ذلك مظاهرات شعبية مطالبة بإطلاق سراحه سواء من مناضلي مصالي الحاج، أو من مناضلي فرحات عباس، فنقل إلى قصر الشلالة، حيث زاره فرحات عباس هنالك، ويقول بأنه وجد الشعب في هذه المنطقة مرتبطا بقضية التحرر الوطني، فقصر الشلالة مثله مثل كل الجزائر، الشعب يسأل عن مستقبله، ومتابعا الحرب الكونية الثانية بشغف.⁽⁸⁶⁵⁾ وفي قصر الشلالة، ومنطقة بوغار و البرواقية لاحظ المحتلون زيادة عدد المنخرطين في أحباب البيان والحرية، وكان معظمهم من مناضلي مصالي الحاج.⁽⁸⁶⁶⁾

فإدارة الاحتلال دبرت عملية استفزازية ضد البدو الرحل من قبيلة لعشاشبة في منطقة الشلالة بسبب

⁽⁸⁶¹⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 153

⁽⁸⁶²⁾ ibid.

⁽⁸⁶³⁾ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، المرجع السابق، ص: 226

⁽⁸⁶⁴⁾ Mahfoud Kaddache, op.cit,p : 670

⁽⁸⁶⁵⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p p : 206-207

⁽⁸⁶⁶⁾ Mahfoud Kaddache, op. cit, p : 690

المرعى، اتخذها والي الجزائر " لويس بيرلييه " (Louis Périllier) الذي انتقل بنفسه إلى تلك المنطقة كذريعة، وأمر إلقاء القبض على مسؤولي أحباب البيان والحرية. (867)

و يظهر من ذلك أن إدارة الاحتلال بدأت تقوم بعملية جس النبض من أجل تهينة الجو للقضاء على الحركة الوطنية، وحملت الحاج مصالي مسؤولية ما حدث، وقامت بنقله إلى مدينة القليعة في الجنوب الجزائري. (868)

وقام رئيس فيدرالية رؤساء البلديات "أبو" (Abbo) من جانبه مرددا بأن أحداث شغب كبرى ستندلع في الجزائر، وستجبر الجنرال " دي غول " على تراجع عن إصلاحاته (أمر 7 مارس 1944). (869) ومن القليعة نقل مصالي الحاج إلى برازافيل بإفريقيا، رفض الجزائريون هذا التعنت واعتبروه إهانة وتحد لهم، في الوقت الذي كانت تستعد فيه الجزائر لاحتفالات الحلفاء بانتصار الحرية والديمقراطية. (870) على الديكتاتورية.

وأصبح الجو مشحونا بالتوتر بين الجزائريين المسلمين والمحتلين، وقاطع الجزائريون دكاكين الفرنسيين ومقاهيهم، ففي مارس 1945 كتب النقيب " فريس " (Fraise) من الحرس الجمهوري الملاحظة التالية " من جانب المحتلين الوضعية تتطور بسرعة، وأصبح من الصعوبة العيش في طمأنينة في بلد أكثرية سكانه من الأهالي، وأصبح اللأمن هو السائد، وأن الوضعية ستطول، بعض أملاك الأوروبيين في الجزائر بدأت تباع، وانتقل ملاكها إلى فرنسا، والجيش الحاضر سيعطي الأوروبيين أوهاما في المحافظة على الأمن. " (871)

وقد اتفق فرحات عباس، والعلماء، وبعض زعماء حزب الشعب الجزائري على تنظيم مظاهرة كبرى يوم 1ماي 1945 الهدف منها إظهار قوة الحركة الوطنية للمحتلين ولفرنسا والحلفاء، وإبراز قدرتهم على تجنيد الجزائريين المسلمين حول القضية الوطنية، لكن هذه المظاهرة المحددة في هذا اليوم قد اعترها خلل ولم تحدث في ذلك اليوم إلا في بعض جهات من الوطن. (872)

ويقول فرحات عباس: " أن حزب الشعب الجزائري احتج، وتفاعل بشجاعة في مناسبة احتفالات أول ماي بمظاهرة كبيرة في الجزائر، فتحت الشرطة النار على المتظاهرين، وقتلت واحدا منهم، وجرحت أعدادا كبيرة، المؤامرة مدبرة من السلطات العليا، وتطورت كأنها مخطط لها. " (873) هذه المظاهرات التي قادها مناضلي حزب الشعب الجزائري، نادوا فيها بإطلاق سراح مصالي الحاج، واستقلال الجزائر، رافعين العلم الوطني، وامتدت هذه المظاهرات إلى عدد كبير من المدن الجزائرية كبحاية، وبسكرة، و سطيف، ووهران، و قالمة، وغيرهم لكنها كانت

(867) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p : 207

(868) ibid.

(869) ibid.

(871) Annie Rey – Goldzeiguer, op.cit, p :228

(873) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op. cit, p : 207

(870) نفس المرجع، ص: 229

(872) نفس المرجع والصفحة.

أقل عنفا من العاصمة. (874)

صرح فرحات عباس يوم 2 ماي 1945 بمدينة سطيف أمام أكثر من 2000 سطايفي قائلا: " أمام فرنسا حلين في مواجهتها: الحفاظ على النظام الإمبريالي، وبذلك تحتاج إلى الرشاشات والسنغاليين، أو تقبل بالاستقلال الذاتي للجزائر، وستجد بذلك صديقة لها. " (875) هل كان فرحات عباس على علم بحوادث 8 ماي 1945 ؟ أم أنه كان يقصد بأن الاحتلال مآله الزوال، ولو عن طريق العنف كنتيجة حتمية للتطور التاريخي ؟ ويظهر أنه كان يقصد ذلك، فهو يكره أسلوب العنف، وبالتالي فإنه يؤكد بأن الاحتلال هو الذي سيلجأ لاستعمال الرشاشات ضد الجزائريين المطالبين بحقوقهم الشرعية.

انتشرت دعاية في الأوساط الشعبية الإسلامية، تقول بأن فرحات عباس على اتفاق مع القوات الأنغلو-أمريكية على استقلال الجزائر، وأنه التقى مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية " روزفلت " (Roosevelt)، ولم يتدخل فرحات عباس في خطابه هذا لنفي الدعاية. (876) فالشعب الجزائري المسلم آمن بهذه الدعاية لأنها تعبر عن أمانه، وتماشى مع ما يريد أن يسمعه، ولقد أصبح في هذه الفترة ينتظر بفارغ الصبر استقلال الجزائر.

إن خطابات فرحات عباس الداعية إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا أو مع دول شمال إفريقيا تحت حماية فرنسا، كانت الجماهير المسلمة تفهم من هذا على أن ذلك استقلال تام للجزائر، و نهاية الاحتلال الفرنسي، ونداءه للتعقل، والمطالبة بالاستقلال متناقضان، الفئات الشعبية البسيطة كانت تنتظر استقلال الجزائر مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فلقد أكد فرحات عباس في تجمع شعبي في سطيف يوم 29 أبريل 1945، بأن ندوة سان فرانسيسكو تضمن الحرية لجميع الشعوب، وأن الشعب الجزائري سيستفيد من تلك المزايا. (877) و معنى ذلك أن الدول الكبرى ستقف إلى جانب الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، وهذه في نظري هي الفكرة التي استخلصها الجزائريون المسلمون من كلامه، لذلك قاموا بتلك المظاهرات، ومنها مظاهرة 8 ماي 1945 التي نتجت عنها جرائم إنسانية في حق الجزائريين.

وكانت عناصر حزب الشعب الجزائري المنخرطة في أحباب البيان والحرية تستمد أفكار فرحات عباس وتنقلها بين الأوساط الشعبية، وتحرض من خلالها على استعمال العنف ضد الاحتلال، ونشروا بأن أول ماي 1945 سيكون سببا مباشرا وسريعا لمظاهرات ينتج عنها تمردا ضد الاحتلال. (878)

إن مناضلي حزب الشعب كانوا يحضرون لعصيان وتمرد ضد الاحتلال من أجل استقلال الجزائر، بينما فرحات عباس و مناضليه كانوا ينادون إلى التعقل ونبد أسلوب العنف، فأحباب البيان والحرية أصبحت غطاء

(874) نفس المرجع، ص: 230

(875) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p : 143

(876) Ageron, C. R, in, R.H.M, N° 4 Juillet 1975, op.cit, p: 143

(877) ibid.

(878) ibid.

للمصاليين الذي انخرطوا فيها بكثرة، وكانوا يرون بأن الوقت قد حان للقضاء نهائيا على الاحتلال، فأسبوعية " المساواة " الصادرة يوم 4 ماي 1945 نشرت نداء تدعوا فيه إلى الهدوء، والحكمة والتعقل، والابتعاد عن الكراهية والعنف. (879)

ويقول فرحات عباس أنه كان على علم، بأن أحباب البيان يضم عناصر من حزب الشعب، ويدعون إلى العنف لكنه سكت عنهم لأن هذه الفترة في نظره كانت تتطلب مواجهة الأحداث، والوقت مناسب لها. (880)

يرجع أبو القاسم سعد الله حوادث 8 ماي 1945 إلى أحباب البيان والحرية التي قامت بنشاطات ودعاية واسعة ضد الاحتلال، ومحاولتها تكوين جبهة متحدة تضم جميع العناصر الوطنية المؤمنة باستقلال الجزائر، وإنهاء الاحتلال، واتصالات فرحات عباس العلنية والسرية بقيادة الحركة الوطنية من أجل تأسيس جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، فقبل 8 ماي 1945 لم يكن زعماء الاحتلال في وضعية تسمح لهم بالقضاء النهائي على أحباب البيان والحرية، لذلك انتظروا الفرصة المناسبة لحو أي حركة وطنية تنادي بالاستقلال. (881)

وكما رأينا في المظاهرات التي قامت في 1 ماي 1945، والتي شارك فيها عشرات الآلاف من الجزائر عبر أهم المدن الجزائرية، فقد سادها الانضباط والهدوء كانوا رافعين شعارات تنادي بـ " استقلال الجزائر، نهاية الاحتلال، تحرير مصالي... " وحاولت الشرطة استفزاز المواطنين، وإطلاق النار عليهم في الجزائر، وبجاية، فقتلت 2 منهم وجرحت المئات، 2 منهم كانا حاملان للعلم الجزائري (بولحفاف، و زيار) وانتشر الذعر، في أوساط المحتلين، وانتظروا الفرصة المناسبة، أما الجزائريين المسلمين، فإن خبر إطلاق النار على المتظاهرين استقبلوه بنوع من التحدي والصمود، وزادهم ذلك شجاعة وقوة وتماسكا ضد المتحليلين المتجبرين. (882) ورأوا بأن الوقت مناسب لتحرير الجزائر من الاحتلال، وإقامة دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة.

حررت اللجنة المركزية لأحباب البيان والحرية على إثر تلك الأحداث منشورا بعنوان: " نداء إلى كل الفرنسيين " تندد فيه بنفي مصالي الحاج، و ردع مظاهرات أول ماي، فأحباب البيان والحرية نددوا لاستعمال العنف من طرف الشرطة، و أعلنوا تضامنهم الفعلي مع عناصر حزب الشعب الجزائري، وهذا البيان وقعه فرحات عباس، والدكتور سعدان، والشيخ إبراهيمي، والشيخ خير الدين، والشيخ العربي التبسي، و ميموني عبد القادر، وأحمد بومنجل، و صاطور، وغرسي محمد، وعباس التركي، و جمام، و دردور جمال... (883)

صمم الشعب الجزائري في 8 ماي 1945 على إعادة تنظيم مظاهرات أول ماي، وذلك بمناسبة يوم انتصار الحلفاء على الألمان، وأن تكون هذه المظاهرات عبر كامل التراب الوطني، واكتسبت أهمية أكبر في ولاية قسنطينة،

(879) ibid.

(880) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op. cit, p: 143

(881) نفس المرجع، ص ص: 224-223
(882) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 237

(883) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 701

وتعتبر الحوادث الأليمة التي نتجت عنها من الأصول الأولى لثورة أول نوفمبر 1954. (884)

ويصف فرحات عباس هذه المظاهرات بقوله: " الاضطراب الصغير أدى إلى صنع سيناريو، لإيجاد مبرر لتصفية أحباب البيان والحرية، والرجوع إلى الوراء، هذه المظاهرات تحولت إلى أحداث كبرى، وهكذا تفسر أحداث 8 ماي 1945. " (885) في نظره أن هذه الأحداث هي من تدبير سلطات الاحتلال من أجل القضاء على الحركة الوطنية بزعامته، وهي التي دفعت الفئات الشعبية للقيام بأعمال شغب من أجل إيجاد مبرر للقيام بأعمال إجرامية وحشية ضد الجزائريين المسلمين تجبر الجنرال " دي غول " على التراجع عن سياسته، وحل أحباب البيان والحرية.

وسمحت هذه الأحداث بزيادة الحقد و الضغينة بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين الذين أرادوا الانتقام من انتفاضة الحاج المقراني لسنة 1871. ويقدم فرحات عباس وصفا ليوم 8 ماي 1945 بمدينة سطيف، " ... كان هذا اليوم، هو يوم الثلاثاء يعقد فيه السوق الأسبوعي، يتوارد على مدينة سطيف حوالي 5 آلاف من الفلاحين يتقاطرون من أرجاء الناحية، وكانت سلطات الاحتلال قد أعطت رخصة القيام بمظاهرة زاعمة أن بعض المسلمين رغبوا في وضع إكليل من الزهور على نصب الأموات. " إن إدارة الاحتلال هي التي منحت الرخصة للمتظاهرين، ويتساءل فرحات عباس لمن سلمت هذه الرخصة؟ لقد ادعى رئيس دائرة سطيف بأنه سلم الرخصة شفويا لأحد مسؤولي أحباب البيان والحرية، دون أن يشترط عليه تقديم طلب كتابي أو استظهار بطاقة التعريف الوطنية حسب ما ينص عليه القانون، أما رئيس بلدية سطيف فإنه لم يكن على علم بهذه المظاهرة، وبالمقابل فإن والي قسنطينة كان على علم بما ووافق عليها، بشرط ألا يحمل المتظاهرون الراية الجزائرية*. (886)

فالحكومة العامة يظهر أنها كانت على علم أكيد بأنه سوف تحدث مظاهرات واضطرابات بين الجزائريين المسلمين والفرنسيين، فالحاكم العام " شاتينيو " راسل قبل شهر ماي كل الولاية ورؤساء الدوائر لأخذ الإحتياطات الأمنية الضرورية حول الاضطرابات التي ستقع بين المسلمين والمحتلين في يوم الاحتفال بعيد النصر. (887)

إذا كان رئيس دائرة سطيف قد أعطيت له التعليمات وللولاية بأخذ الإحتياطات الضرورية، وترك الأمور تسير بشكل عفوي، فإننا نشك بأن الأمر كان مديرا، فمن المستحيل أن يمنح رخصة شفوية لتنظيم مظاهرة، اللهم إلا إذا كان من أحد العناصر المخططة لإعطاء ضربة قوية للحركة الوطنية، ورد الاعتبار للمحتلين وجنودهم، أمام

(884) الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 79

(885) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 154

(886) ibid. p p : 154-155

(887) André Noushi, op.cit , p : 141

* يذكر فرحات عباس أن الراية التي حملها المتظاهرون في يوم 8 ماي 1945 كانت هي راية الأمير عبد القادر، باللونين الأبيض، والأخضر Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 15 وكذلك بنيامين سطورا يذكر بأن الراية الجزائرية التي حملها المتظاهرون في هذا اليوم كانت بلونين، أخضر، و أبيض. (بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 190)

أعين الجزائريين، بسبب زيادة الكراهية من طرف الجزائريين تجاه المحتلين، ولكن الكثير من المؤرخين لا يشيرون إلى زيادة حقد و كراهية المحتلين الشديدة للجزائريين المسلمين الذين أصبحوا يسخرون منهم بسبب انهزامهم أمام ألمانيا، فالقوة التي كان يتظاهر بها هؤلاء أصبحت محل سخرية بين الجزائريين، لذلك يظهر أن هذه المظاهرات و الاضطرابات كان ينتظرها المحتلون لرد الاعتبار لأنفسهم، وإدارتهم لإعطاء ضربة قوية للحركة الوطنية، ولتكون درسا مستقبليا للمطالبين بتأسيس حكومة جزائرية، فهذه المظاهرات كانت في أكثر الاحتمالات أمها مؤامرة، ولكنها كانت من إحدى العوامل الهامة، والأساسية لثورة أول نوفمبر 1954، السحر ينقلب على الساحر، وتصل الكراهية بين الجزائريين المسلمين، والمحتلين أقصى مراحلها، ولم يعد بالإمكان هائيا لمّ الجرح، وأصبح الطريق الوحيد للجزائريين المسموح لهم السير فيه، هو طريق الرصاص.

ويضيف فرحات عباس واصفا تلك المظاهرة بقوله: "تشكل الموكب في المحطة قرب المسجد الجديد، ثم توجه إلى المدينة، وكان محفوفًا بالشرطة، وسار هذا الموكب 1000 متر تقريبا وكان في مقدمته شابا حاملا الراية الجزائرية، ولكن لما اقترب الموكب من أحد المقاهي وسط المدينة برز محافظ الشرطة، وحاول نزع الراية من يد ذلك الشاب، فصمد له هذا المناضل الجزائري، فأطلقت الشرطة الرصاص عليه، و أردته قتيلا، وجرحت عددا من المتظاهرين." (888) وهنا نتأكد من أن الشرطة طبقت أوامر والي قسنطينة، لمنع المتظاهرين من حمل العلم الجزائري.

"فاضطرمت نار الفتنة، واندلع لهيبها، فتصدى المتظاهرون لمطاردة الأوربيين، وأطلقت الشرطة الرصاص، وتدخل الجند لتعزيزهم، ومليشيات المحتلين الذين انتحلوا حق محاكمة الجزائريين المتظاهرين وإطلاق النار عليهم، فاستشهد عدد كبير، وجرح الكثير من إخواننا، ودفع شباب أحباب البيان والحرية الثمن غالبا، وتكالبت جيوش اللقيف الأجنبي، والسنغاليون، والطابور المغربي على قرانا، و دواويرنا، باعثن الذعر أمامهم، فالنساء مسبيات، والأرواح مزهقات، وأطلق المحتلون العنان لهمجيتهم، ووحشيتهم، فلم يروا مسلما إلا قتلوه، وجريحا إلا أجهزوا عليه." (889)

برغم أن المظاهرات في اليوم الأول كانت سلمية، وهادئة فتعليمات منظميها نصت على عدم الرد على استفزازات المحتلين، والشرطة، وفي هذا اليوم لم تسجل أية حالة استعمال السلاح من طرف المتظاهرين، لكن الاحتلال مع ذلك قتل في هذا اليوم حوالي 29 متظاهرا، وجرح عددا كبيرا منهم بالرصاص. (890)

فلماذا الأحداث في سطيف اتخذت ردا همجيا من طرف الاحتلال، الذين كما رأينا اتخذوا الاحتياطات اللازمة لها وذلك تطبيقا لأوامر الجنرال "مارتان" الذي أرسل برقية يوم 7 ماي 1945 إلى الجيش يأمره فيها بأخذ

(888) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 155

(889) ibid. p : 156

(890) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 239

أقصى درجات الحذر استعدادا ليوم الثلاثاء 8 ماي. (891)

اتخذت المظاهرات أحداثا دامية في سطيف لأسباب عديدة، فقد ذكر ابن يوسف بن خدة إحدى أسبابها في نظره أن مدينة سطيف أصبحت عاصمة سياسية للجزائر منذ 1942 لوجود فرحات عباس بها، زعيم المنتخبين المسلمين، و حزب إتحاد الشعب الجزائري، وحاج مصطفى، وأحمد معيزة، أمين صندوق المال لجمعية العلماء المسلمين. (892) فرحات عباس قام بدور كبير لا ينكر في توعية الجماهير، والمطالبة باستقلال الجزائر، صحيح أنه كان يدعو إلى التعقل، لكن استقلال الجزائر في نظر الإنسان الجزائري البسيط لا يكون إلا عن طريق الثورة، الشارع أحيانا يتجاوز تفكير النخبة، لكن ينقصه التنظيم، فبعد 8 ماي أي يوم 9 و 10 و 11 منه استعمل الجزائريون السلاح ضد المحتلين، هذه الأسلحة، تحصل عليها الجزائريون من الجيش الألماني في تونس، ومن الجيش الإنجليزي* الذي باعها للجزائريين بالأموال، أو نسيها في مراكزه في شمال إفريقيا بعد انتقاله لإيطاليا. (893)

والسبب الثاني أن المحتلين أرادوا أن ينتقموا بكل قوة من انتشار الأفكار التحررية في هذه المدينة بشكل مقلق لهم، نتيجة لنشاط فرحات عباس السياسي في هذه المدينة خاصة.

أما السبب الثالث فيتمثل في كون مدينة سطيف منطقة التقاء وعبور لسكان الصحراء وشرق الجزائر وشمالها وغربها، ومنها كانت تنتقل لزوارها الأفكار التحررية لذلك أراد الاحتلال ضرب مركز هذه الأفكار بقوة، والمناطق المجاورة لها، ويسترسل فرحات عباس واصفا تلك الأحداث بقوله: " في سطيف وضواحيها، وفي خراطة، و وادي مرسى، و قالمة، و عنابة المحتلون تجمعوا في إطار مليشيات أرؤوا غليلهم، وحقدهم، وأطلقوا النار على الآلاف بعد أن عرضوهم لأبشع أنواع التعذيب، وعادت من جديد (صيد العرب) كما كانت في زمن روفيجو، و سانت ارنو، والسفينة الحربية دوغاي تروين (Dugay - Trouin)، قصفت دوار البلديات المختلطة في تاكيتوننت، و وادي مرسى (بناحية خراطة). واستعملت الطائرات الحربية والدبابات لقصف الأحياء المدنية، و الدواوير، وكل هذا تحت قيادة الجنرال " دو فال " (Duval)، وأسفرت الأحداث عن مقتل 102 من الفرنسيين،

(891) Annie Rey - Goldzeiguer, op.cit, p : 260

(892) Benyoucef Benkhedda, op.cit, p :90

* ذكر لي والدي (محمد معزة)، ومجموعة من الأشخاص، أنه في شتاء 1943 في شاطئ تاسوست ببني عمران (بلدية الأمير عبد القادر حاليا، ستراسبوغ سابقا) على بُعد حوالي 7 كلم شرق مدينة جيجل، أخرجت الرياح سفينة عسكرية بريطانية إلى الشاطئ، وبقيت هنالك إلى نهاية الحرب الكونية الثانية، حيث تمت عملية إخراجها من الرمال.

وأن الجيش الإنجليزي الذي كان فيها ترك علبا كثيرة من أسلحة خفيفة متنوعة، مسدسات، رشاشات، قنابل يدوية، هذه الأسلحة كما يذكر هؤلاء الشهود نقلت في اتجاه جبال البابور نحو ابن ياحيس، و سلمت لمناضلي حزب الشعب الجزائري الذين كانوا على اتصال بجماعة سطيف، ربما تكون هذه الأسلحة هي التي استعملت في أحداث 9 - 10 - 11 - 12 ماي في سطيف، وخراطة وغيرها، وقد قام الجيش الفرنسي بتفتيش دقيق لهذه الجبال بحثا عن الأسلحة المتبقية بعد نهاية الأحداث، وامتد هذا التفتيش إلى ناحية بني عمران تبعته اعتقالات (هذه السفينة البريطانية المذكورة هنا لم يشر إليها أي أحد من المؤرخين). (صاحب البحث)

(893) Paul Emile Sarrasin, La crise Algérienne, édition, du Cerf, Paris, 1949, p :18

وعشرات الآلاف من إخواننا، وكل هذا باسم المدنية، والحضارة. " (894)

بعض المؤرخين يرجعون هذه الأحداث إلى أسباب اجتماعية مثل بنيامين سطورا، حيث يرى أن الأزمة الاقتصادية والمجاعة التي انتشرت في الأرياف هي التي أدت إلى هذه الأحداث. (895) وهذا العامل في نظري ضعيف جدا، لأن المنطقة التي جرت فيها الأحداث بشكل عنيف، تعتبر من المناطق الغنية في زراعة الحبوب في الجزائر، والمتظاهرون لم يكونوا يطالبون بالخبز أو العمل، إنما كانوا يحملون العلم الجزائري ويطالبون بإطلاق سراح مصالي الحاج واستقلال الجزائر، ويناقض " بنيامين سطورا " نفسه حيث يذكر الشعارات التي كان يحملها المتظاهرون في سطيف وغيرها " تحيا الجزائر، أطلقوا سراح مصالي، يسقط الاستعمار و الفاشية، تحيا الجزائر المستقلة. " (896) لماذا هذا التحريف والتزوير في تاريخنا المعاصر؟ هل أن الشعب الجزائري لا تحركه إلا بطنه؟ تلك تفاسير خاطئة ذات أهداف غير بريئة وبعيدة عن الحقيقة العلمية. أما " سارازن " (Sarrasin) فيرى بأنها مظاهرات ذات مطالب سياسية، وليست اجتماعية. (897) فبعض قادة مناضلي حزب الشعب الجزائري كونوا لجنة تضم ملين دباغين، طالب محمد، و مزرنة، وعبدون، و شرشالي، أعطوا الأوامر لمناضليهم لعصيان عام مسلح وركزوا على ناحية قسنطينة والقبائل، وجنوب العاصمة، لأسباب منها كثرة مناضليهم في هذه المناطق وتنظيمهم الجيد، وكثرة الجبال الصالحة لحرب العصابات، وحددوا اليوم 23 أو 24 ماي 1945، ولكن أحداث 8 ماي سبقتهم. (898)

لقد وصف فرحات عباس أحداث 8 ماي 1945 كما مر علينا، ولكنه لم يكن شاهدا عليها، ففي هذا اليوم حيث يذكر: " أوقفت مع الدكتور سعدان في غرفة الانتظار التابعة للحكومة العامة بالجزائر، يوم 8 ماي 1945 على الساعة 30:10، ذهبنا باسم أحباب البيان والحرية لتهنئة ممثلي فرنسا على النصر. " (899)

و لم يعلم بالأحداث إلا بعد مرور أسبوعين عليها. (900) أما الرسالة التي كان يحملها إلى الحاكم العام "شاتيبيو" جاء فيها: " إن تجمع أحباب البيان و الحرية الذي يضم كل المسلمين المخلصين بمختلف آراءهم يوجه رسالة باسمهم، في هذا اليوم الوقور. بمناسبة انتصار الديمقراطية... إن أحباب البيان والحرية باسم مناضليه بمختلف الاتجاهات: مثقفون، علماء، مصاليون، شيوخ الزوايا، اشتراكيون، شيوعيون (هذه الكلمة الأخيرة مشطوبة من النص)، يعبرون عن رغبتهم بمناسبة النصر المشترك لتحقيق الوفاق النهائي لكل المنظمات الديمقراطية من أجل الدفاع الفعال ضد بقايا التمييز العنصري... وأخيرا يعبرون عن إرادتهم لمواصلة دفاعهم بالاتفاق الكامل مع

(894) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 156

(895) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 189

(896) نفس المرجع، ص: 190

(897) Paul Emile Sarrasin, op.cit, p : 21

(898) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 711

(899) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 157

(900) ibid.

الشعب الفرنسي، فرنسا الجديدة والأمم الكبيرة الديمقراطية الجهد الضروري لضمان النصر النهائي والحرية... وتحقيق الأمن الذي سيصبح قاعدة ضرورية لضمان الأمن والسلام. تحيا الجزائر، تحيا فرنسا، تحيا الأمم المتحدة." (901)

رسالة لم يستطع فرحات عباس والدكتور سعدان تقديمها للحاكم العام، ولكنهما وجدا رجال الأمن العسكري في انتظارهما، وكانت نتائج أحداث 8 ماي 1945 مجزرة حقيقية، وجريمة إنسانية في حق الجزائريين، والإنسانية جمعاء مقتل 45 ألف جزائري أبرياء لا ذنب لهم، سوى أنهم طلبوا بحقهم الشرعي وأن يعيشوا أحرارا في وطنهم كبقية جميع شعوب العالم الحرة.

"الأوليغارشية الكولونيالية تجيب الجزائريين بواسطة القمع." (902) المحتلون طالبوا بإعدام فرحات عباس، وكل الذين حرضوا على هذه الأحداث. (903) وكذلك كان مطلب الحزب الشيوعي الجزائري بزعامة أمينه العام أوزقان الذي طالب: "بمعاينة منظمي هذه الاضطرابات بسرعة وبلا رحمة، وإعدام المحرضين على هذا التمرد بالرصاص، وكذلك الرجال المنفذين الذين قادوا الشعب الشعبي." (904)

اعتبر فرحات عباس ثورة أول نوفمبر 1954 غير مفاجئة لأن الشعب الجزائري كان ينتظرها منذ 8 ماي 1945 بعد أحداث سطيف، وقلمة، التي وضعت حدا نهائيا للعلاقة بين الجزائريين المسلمين، والمختلين. (905) بعد إلقاء القبض على فرحات عباس وصديقه الدكتور سعدان، صيدليته في سطيف تعرضت للتخريب، والغلق، ومنعت جريدته المساواة يوم 15 ماي 1945 من الصدور وبعد بضعة أسابيع من سجنه يلقي القبض على رفيقته في النضال "مارسيل ستوتزيل" ووضعت في السجن، ولم يطلق سراحها إلا يوم 16 مارس 1946 مع فرحات عباس وبقية المساجين السياسيين. (906) المحتلون، والشيوعيون الجزائريون و الفرنسيون، وبعض المنتخبين المسلمين طالبوا بتطبيق عقوبة الإعدام على مصالي الحاج، وفرحات عباس، ودافع "ألبير كامو" عن فرحات عباس حيث كتب في جريدته "النضال" ما يلي: "الرجل الذي كتب (لن يموت إفريقي واحد من أجل هتلر) يملك وعيا سياسيا حذرا، ولا يمكن أن يوافق على مثل هذه التجاوزات." (907) وقد عبر كاتب ياسين عن أحداث سطيف، بأنها رسخت وطنيته. (908) اتهمت المحكمة الفرنسية فرحات عباس بالمساس بالسيادة الفرنسية، (حسب قرار ريينه) والتهمة الثانية المساس بالسيادة الداخلية للدولة، والتهمة الثالثة المساس بالسيادة الخارجية للدولة، وانتقل بين أربعة سجون من العاصمة إلى السجن العسكري بقسنطينة، ووقف أمام ثلاثة قضاة عسكريين. (909)

(901) Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p : 207

(902) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre, op.cit, p : 20

(903) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p :148

(904) نفس المرجع، ص: 191

(905) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre, op.cit, p : 46

(906) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p :149

(907) ibid. p : 150

(908) ibid.

(909) Ferhat Abbas, autopsie d'une guerre, op.cit, p p : 157-158

أثناء سجن فرحات عباس بعد أحداث 8 ماي 1945 حرر مقالا بعنوان " وصيتي السياسية * " .⁽⁹¹⁰⁾ هذه الوصية وجدها المؤرخ الفرنسي "شارل روبير أجيرون" في أرشيف الجيش البري الفرنسي، ونشرها سنة 1994، ولكن قبله قد كتب جزءا منها فقط الجنرال "ماسو" في كتابه " معركة الجزائر الحقيقية " سنة 1972 وقد تحصل الجنرال "ماسو" على تلك النسخة سنة 1957 من زوجة قائد السجن العسكري الملازم "لافون" (Lafond)، (الذي كان مسؤولا عن السجن العسكري في الجزائر من 1941 إلى 1945، وتوفي سنة 1954)، ويظهر أن هذه النسخة تعرضت للمصادرة أو الاختلاس من طرف "لافون"، أو تحصل عليها الجنرال "ماسو" خلال معركة الجزائر سنة 1957 حينما نقلت وثائق السجن العسكري إليه.⁽⁹¹¹⁾

كتب فرحات عباس هذه الرسالة في بداية سنة 1946 في السجن، هذه الوصية يؤكد فيها عن تعبه من العمل السياسي الذي دام لمدة 25 سنة من النضال، وهي بمثابة استقالة من السياسة، وكتبها ليدافع عن شرفه، ولتبرئة نفسه، وأحباب البيان والحرية من أحداث 8 ماي 1945، فيقول في بدايتها: " أؤكد بشرفي، وأقسم أمام الله، أن "أحباب البيان" غرباء عن أحداث سطيف، وأن أيادينا نقية من أي دم إنساني... "، وتناول فيها قضايا أساسية رئيسية في نظره منها تحرير الفلاحين، وإخراجهم من وضعيتهم المأساوية، قائلا: " الكل متحالف من أجل استغلاله، سرقته، معاملته بقسوة، رفضه، شتمه، وكأنه ينتمي إلى جنس ودم آخر، بدون شك هذا الرجل له الكثير من العيوب، وهي مؤكدة، لكن من أين له أن يتعلم الصفات الحسنة؟ " هذا الفلاح الجزائري تعرض للاستغلال منذ الاحتلال الروماني، والعهد العثماني، والاحتلال الفرنسي، وترك منبوذا مهملًا، مستغلا، لا يحتاجه المحتلون إلا لاستغلاله في العمل، ودفع الضرائب، وتقديم أبنائه للجيش للدفاع عن المحتلين.

" إن مصير هذا الإنسان، وسعادته، ومآسيه هي التي تحدد مستقبل الجزائر، ليس هناك مشكلة نخبة، لأن من السهولة حلها، ولكن هناك مشكل العامة غير، المثقفة، والفقيرة، والبائسة، وحلها مستعصي. " اهتم فرحات عباس في وصيته هذه بضرورة وضع حد لاستغلال الفلاح، والعمل على التحرر، قائلا: " العامة تتغير عندما تتغير السلطة التي تستغلها، وتصبح تعمل لصالحها. " أما إذا بقي الفلاح على حاله فإن من السهولة استغلاله، وتوجيهه للعنف، والانتحار الجماعي، ظل فرحات عباس رافضا العنف وحل المشاكل عن طريق القوة، فهو يرى أن العقل قادر على حل كل المشاكل مهما استعصت بالطرق العقلانية السلمية بدون اللجوء لسفك الدماء، فهو يؤمن

* انظر ملحق الوثائق رقم: 04

⁽⁹¹⁰⁾ Ferhat Abbas « Mon testament politique », manuscrit inédit, retrouvé et publié par Charles – Robert Ageron, dans la Revue Française d ' histoire d ' outre – mer, t.LXXXI, 1994, N ° 303, p p : 187-197

⁽⁹¹¹⁾ ibid. p : 181

بالقدرات الفكرية للإنسان، ويرى بأن الإنسان الأمي الفقير المستغل، من السهولة توجيهه للعنف، وهنا تكمن نقطة الاختلاف بين فرحات عباس، و مصالي الحاج، فهذا الأخير معاد لكل حل ينبع من فكر متنور، " فهو يؤمن بالعفوية وبالتصورات السياسية الناتجة عن التطوعية، لهذا كان يمقت المثقفين، حتى تكونت لديه ما يمكن تسميته بعقدة المثقف، التي انفجرت داخل حزبه سنة 1949. " (912)

وفرحات عباس يرى في وصيته بأن العمل، والعلوم وحدهما القادران على إعطاء الحرية للشعوب، وأن السياسة في نظره هي مسألة شرف، وعلى من يمارسها عليه أن يعرف كيف يتمسك بالتزاماته، ويتعد عن الأنانية ومصالحه الخاصة، و ألا يلجأ للكذب والنفاق، فليس عن طريقهما يمكن تربية شعب، وإعداده للمستقبل، ففي هذه الوصية التي كتبها في السجن، استخلص فيها، تجربته السياسية وتأملاته الفلسفية، والأخلاقية، ووضع فيها أسس تحرر الشعوب وتقدمها، وحدد ذلك بالعلم والإيمان، بالمبادئ والعقيدة الدينية، ومبادئ الحرية، والإيمان بفضيلتي العمل، والعلم وضرورة تجديد الأفكار و الابتعاد عن الأنانية، والنفاق، والكذب.

تبراً فرحات عباس من أحداث 8 ماي 1945، لكن سلطات الاحتلال، والمحتلون اعتبروا فرحات عباس مسؤولاً مباشراً عن الأحداث التي جرت في سطيف، وامتدت إلى بقية المناطق الأخرى، من الشرق الجزائري، وذلك بسبب نشاطه السياسي المكثف خلال الحرب الكونية الثانية الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية، والرافض لسياسة الاندماج، والارتباط بفرنسا. صحيح أن فرحات عباس لا يدعو إلى استعمال العنف، ولكنه يرفض الظلم والقهر، والطغيان.

بعد العفو عليه، وعلى زملائه في 16 مارس 1946، انتقل إلى فرنسا للدفاع عن نفسه من تهمة التحريض على أحداث 8 ماي 1945، ففي تسجيل صوتي له في ندوة صحفية بباريس قال: " أنا لست مسؤولاً عن أحداث 8 ماي 1945، ولا أصحابي، أتحمّل المسؤولية الكاملة في قولي الحقيقة، جئت إلى باريس، وإلى البرلمان طالبا إرسال لجنة تحقيق، لكشف الحقيقة الكاملة، حول تلك الأحداث ومدبريها. " (913)

إن حوادث 8 ماي 1945 والنتائج التي ترتبت عنها، زادت الهوة اتساعاً بين الاحتلال والشعب الجزائري المسلم، وكشفت حقيقة الاحتلال للجيل الجزائري المسلم الذي ولد بعد نهاية المقاومات الوطنية، ومنه فرحات عباس، وبرهنت بحقائق دامغة بأن الاحتلال الفرنسي للجزائر لا يتردد في القيام بحرب إبادة ضد الجزائريين المسلمين، وأن سياسة الاعتدال التي انتهجها فرحات عباس في نضاله لا تؤدي إلى تحقيق أماني الشعب الجزائري في العيش حراً على أرض وطنه.

(912) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 103

(913) céderom, La guerre d ' Algérie (V2.0 Française)

المبحث الخامس

تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "

بعد إصدار عفو شامل عن المساجين السياسيين الذين اتهمهم الاحتلال بتدبير حوادث 8 ماي 1945 رجح فرحات عباس إلى ممارسة نشاطه السياسي وهو كله ثقة وإيمانا بقضيته الوطنية العادلة.

وستتناول في هذا المبحث الأسباب التي جعلت فرحات عباس يتراجع عن وعده الذي قطعه على نفسه في " وصيته السياسية " وهي تخليه عن العمل السياسي. هل عاد من أجل الانتقام من جلاديه، وتبرئة نفسه وحركته من أحداث 8 ماي 1945 ؟ أم عاد للنضال السياسي من أجل مصلحة الجزائر كلها ؟

ذكر فرحات عباس حادثة وقعت له في السجن العسكري بقسنطينة، وكان معه في نفس الزنزانة الشيخ البشير الإبراهيمي وهي: " زارنا الجنرال "دوفال" (Duval) مسؤول عن القمع الدموي في منطقة سطيف، وقالمة، ومعه العقيد "بورديلا" (Bourdila) وسألنا هل نحتاج شيئا ؟ أجبتة بشيء من الحيوية: سيدي الجنرال، إننا نحتاج الحرية. " (914) الحرية، والكرامة الإنسانية هما لازمتان سياسيتان ارتبطتا بالفكر السياسي لفرحات عباس طوال حياته، وبالتالي فإنه لم يستطع الوفاء بترك العمل السياسي الذي وعد به في وصيته السياسية حتى أثناء نضاله ضد الاحتلال، كان يحترم القانون الفرنسي، فالظلم، والقهر المسلط على إخوانه من الجزائريين هو دلالة على الخير للأيام القادمة. (915) فهي لا تتسع إلا عندما تضيق، وبالتالي فإن الدماء البريئة التي سالت أثناء حوادث 8 ماي 1945 لن يكون من وراءها إلا الخير للجزائر، وأكد له الشيخ البشير الإبراهيمي بعد ذلك بقوله بأن هناك قاعدة إسلامية تقول: "لا تتخلى أبدا، عندما تكون مدافعا عما هو حق. " (916) وهذا ما كان يؤمن به فرحات عباس، قول الحق دائما حسب ما يراه حقا.

إن مرحلة ما بعد 1946 إلى بداية الخمسينات من القرن العشرين تميزت بمرحلة صعبة اقتصاديا، واجتماعيا، وكانت تنذر بالحرب، ارتفاع نسبة البطالة، وتقريبا انعدام مناصب الشغل، ارتفاع أسعار المواد الغذائية، وصعوبة الحصول على الغذاء، وارتفاع نسبة النمو السكاني (917)، ولم تقدم فرنسا أي مجهود فعال لحل هذه المشاكل، فهي من الناحية السياسية لم تعاقب مجرمي 8 ماي 1945، وألقت الاتهام على الأبرياء، ولجنة التحقيق التي أرسلها الجنرال " دي غول " تحت قيادة الجنرال " توبرير " (Tubert)، ألقت اللوم على الجزائريين المسلمين الذين تعرضوا للجنود الفرنسيين، والمحتلين، وأملاكهم. (918) وكأنهم يقولون لنا بأن كل ما ارتكبه

(914) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 155

(915) ibid. p. 156

(916) ibid.

(917) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 735

(918) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 243

الجيش الفرنسي وميلشيات المحتلين، كانت دفاعا عن النفس! ولم تكشف هذه اللجنة نهائيا عن المحرضين الحقيقيين لتلك الأحداث، إلى يومنا هذا.

لكي تلهي فرنسا الجزائريين المسلمين أصدرت قانون سبتمبر 1947، حيث منحت فيه المواطنة الفرنسية لكل الجزائريين، ولتطبيقه لجأت إلى تزوير الانتخابات، استهزاء، ومكر سياسي، وتطاول في اللسان، وكأن الجزائريين المسلمين لا ينتظرون من الاحتلال سوى قوانين لصالحهم بقيت حبرا على ورق، إن قالوا ليس لنا حقوق، أشاروا عليهم بقانون سبتمبر 1947، وإن أرادوا الكرامة والحرية، قالوا لهم إنكم جزء من أمة عظيمة، وهذا فخر لكم! في وقت لم يعد فيه الجزائريون يطالبون سوى بالجنسية الجزائرية.

لقد رفض فرحات عباس وكل الأحزاب الوطنية ماعدا الشيوعيين الجزائريين أمر 7 مارس 1944 كما مر علينا، وقامت أحباب البيان والحرية بنشر حملة واسعة ضده بواسطة مناشير بالعربية، والفرنسية ومما جاء فيها: "أنت مواطن فرنسي؟ لا. أمواطن جزائري؟ نعم. تسقط المواطنة الفرنسية، تحيا المواطنة الجزائرية للجميع." (919)

أعلن فرحات عباس في أبريل 1946 عن تأسيس حزب سياسي جديد، تحت اسم "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري". (920) وهو الوريث لبرنامج أحباب البيان والحرية. (921) ويهدف إلى جمع المناضلين في برنامج أحباب البيان والحرية، ونواته متكونة من المثقفين، الأعيان، محامون، أمثال بومنجل، و قدور صاطور، وأطباء أمثال الدكتور سعدان، والدكتور ابن خليل، والدكتور أحمد فرنسيس، ومدرسون ميرزون أمثال محداد، وحميد بن سالم، و ابن قادة وغيرهم. (922) فهو حزب الطبقة المتوسطة، والمثقفون البرجوازيون (923)، وبقي هذا الحزب قائما إلى سنة 1956 حيث حل، وانضمت عناصره بما فيهم زعيمه فرحات عباس إلى جبهة التحرير الوطني. (924)

وجه فرحات عباس في 1 ماي 1946، نداء إلى الشباب المسلم، والفرنسي ومما جاء فيه: " في 8 ماي 1945، عندما ذهبت مع الدكتور سعدان إلى الحكومة العامة لتقديم التهانى لرئيس المحتلة بمناسبة الانتصار النهائي للحرية الفرنسية والحلفاء، ضابط من المحكمة العسكرية ألقى القبض علينا... وبقينا في السرية التامة ولم يسألنا أحد إلا في شهر سبتمبر عندما نقلنا إلى السجن العسكري بقسنطينة... ماذا أقول عن التمييز العنصري، إنه مرض مزمن لاحتلال... ماذا أقول لهؤلاء الضباط الذين استحموا بدماء العرب؟... إن القضية هي تحرير الجزائر من نظام قديم قائم على الاستغلال الكولونيالي، لقد تركنا نهاية الطرق القديمة المعهودة لنسلك الطريق الكبير، طريق الوطن الجزائري، أعني المساواة والحرية، لا اندماج ولا سيد جديد و لا انفصال، شعب فتى يقوم بتثقيفه

(919) Cité par Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 679, d'après le journal l'Egalité de septembre et octobre 1944

(920) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 730

(921) Ferhat Abbas, autopsie d' une guerre, op.cit ,p :15

(922) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 730

(923) Jean Lacouture, op.cit,p :295

(924) Claude Collot - Jean Robert Henry, op.cit, p : 214

الديمقراطي والاجتماعي... ديمقراطية فنية وحديثة المولد تقودها الديمقراطية الفرنسية الكبيرة... لا للجمهورية الخادعة للطبقات المالكة، و لا الأوهام التي تتغذى بالشعارات الموروثة عن ماض بائد يمكنها أن توقف عملنا الرزين ولا زحفنا إلى الأمام." (925)

إن فرحات عباس يريد من هذا النداء الابتعاد عن مناضلي حزب الشعب الجزائري. (926) فعبّر في هذا النداء عن أفكاره الديمقراطية، داعياً إلى عدم استعمال الدين لأغراض سياسية ضيقة كما فعل حزب الشعب الجزائري، وأن الجزائر بحاجة إلى وطنيين مخلصين يعملون بإخلاص من أجل القضاء على النظام الكولونيالي، ولكن في إطار الشرعية، وبالتعاون الفرنسي الإسلامي، ملحا على ضرورة تأسيس دولة جزائرية جديدة متحدة فيدراليا مع فرنسا.

أما مناضلو حزب الشعب الجزائري اعتبروا هذا النداء خيانة من فرحات عباس للقضية الوطنية، واعتقد المحتلون أن فرحات عباس يريد رميهم في البحر، و أما العلماء فقد ظلوا مؤيدين له، (927) لأنهم يعرفون غرضه جيدا فهم مثله يبحثون عن جزائر جديدة ولا يعانون من مرض الزعامة، ويتفوقون معه في دعوته إلى تربية الشعب وتعليمه وجعله واعيا بالأعمال التي يقوم بها، وبالتالي لا يستطيع أحد استغلاله لصالحه. لقد رفض الفرنسيون في 5 ماي 1946 المصادقة على الدستور الذي عرض عليهم، والذي نص على أن: " فرنسا تتكون من اتحاد مؤسس على اتفاق حر. " يضمن لكل الشعوب المواطنة الفرنسية، أعلن فرحات عباس في 24 ماي 1946 بسعيدة مخاطبا الفئات الشعبية قائلا: " عندما تكونون في مواجهة محافظ الشرطة، أو واليا، أو وزيرا، حدقوا في وجهه جيدا و قولوا له: هذا ما أريده، إنك قوي، اقتلني إن شئت فأنا أملك الإيمان." (928)

شارك حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في الانتخابات التأسيسية الثانية (البرلمانية) يوم 2 جوان 1946، وتحصل على 11 مقعدا* من مجموع 13 مقعدا مخصص للجزائريين المسلمين من الهيئة الانتخابية الثانية. (929) وتحصل الإتحاد الديمقراطي على 71% من الأصوات المعبر عنها أي 458000 صوتا من مجموع 633000 ناخبا

(925) ibid. p p : 219-223

(926) الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 86

* قائمة (المنتخبون 11) هم: ولاية قسنطينة: فرحات عباس صيدلي بسطيف، مصطفى الهادي محامي بسطيف، الدكتور ابن خليل طبيب في باتنة، قدور ساطور محامي بالجزائر العاصمة، باي العقون مالك بعنابة، حاج السعيد محامي بقسنطينة، في ولاية وهران: محداد أستاذ بثانوية وهران، احمد فرنسيس طبيب بغليزان، قادة بوطاران أستاذ في تيارت، وفي ولاية الجزائر: تحصلت على مقعدين من مجموع 4 وهما، الدكتور سعدان، طبيب بيسكرة، بن قداش موظف في التجارة بميشلي، أما المقعدان الباقيان فقد قام والي العاصمة بيريليه (Périllier) بتزوير الانتخابات لمنع أحمد بومنجل الحامي بالعاصمة، و محمد بن سالم المختص في الإشهار بالأغواط من الحصول عليهما (Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 162-163)

(927) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 108

(928) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 162

(929) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 165- 166

ناخبا، والاشتراكيون تحصلوا على 86329 صوتا، والشيوعيون 53396 صوتا. (930) مجموعة كبيرة من المتعاطفين مع حزب الشعب الجزائري انتخبوا لصالح الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. (931) نسبة المقاطعة كانت مرتفعة نتيجة لدعوة حزب الشعب لذلك حيث بلغت 700000. (932)

ويقول فرحات عباس عن هذا الانتصار الانتخابي: " إنه انتصار مُسَلَّم به. " (933) برغم أن حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لم يؤسس بعد. (934) وأصبح فرحات عباس وزملائه الناطقين الرسميين للوطنيين الجزائريين. (935)

إن دخول فرحات عباس البرلمان الفرنسي اعتبره نهاية العزلة السياسية للجزائريين المسلمين وانتصار الجزائر في معركة كبرى، ولكنه يؤكد بأن الأمور ليست سهلة لأن الوسائل التي يملكها هؤلاء النواب ضعيفة و 90% من البرلمانيين الفرنسيين يجهلون وضعية الجزائريين المسلمين، ودورهم في البرلمان الفرنسي هو تغيير عقلية البرلمانيين الفرنسيين تجاه الجزائريين المسلمين. (936) لكن هل يمكن لـ 11 برلمانيا من الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري تغيير عقلية كبار الملاك الفرنسيين الذين تربطهم بالاحتلن مصالح مشتركة، حاول فرحات عباس أن يقنعهم مستعملا في مداخلته مبادئ الثورة الفرنسية وفلسفتها، وقوانين الجمهورية الفرنسية الديمقراطية الليبرالية، مستغلا بذلك كل تجاربه السياسية، وذكائه وقدراته الخطابية لكسب البرلمانيين الفرنسيين وتأييده في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

قدم فرحات عباس مع جماعته من البرلمانيين الجزائريين في 9 أوت 1946 للبرلمان الفرنسي مشروع " دستور الجمهورية الجزائرية " في حين يقول بأن فرنسا في هذه الفترة لم يكن لها دستور (937) وتضمن هذا المشروع ما يلي: " المادة الأولى: تعترف الجمهورية الفرنسية للجزائر بسيادتها، وفي نفس الوقت تعترف فرنسا بالجمهورية الجزائرية، والحكومة الجزائرية، والعلم الجزائري.

المادة الثانية: تصبح الجمهورية الجزائرية عضوا في الإتحاد الفرنسي، بصفتها دولة شريكة، وتكون العلاقات الخارجية، والدفاع الوطني مشتركا مع الجمهورية الفرنسية ذلك من صلاحيات الإتحاد الذي تعتبر الجزائر طرفا فيه.

(930) André Noushi, op.cit, p : 144

(931) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 749

(932) André Noushi, op.cit, p : 144

(933) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 163

(934) Jean Lacouture, op.cit, p : 295

(935) Mahfoud Kaddache, op.cit, p : 750

(936) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 163-164

(937) ibid. p : 164

المادة الثالثة: تتمتع الجمهورية الجزائرية بكامل السيادة في القضايا الداخلية ومن بينها الشرطة عبر كامل التراب الوطني. المادة الرابعة، والخامسة: يتمتع كل مواطن فرنسي من أصل أوروبي بالمواطنة الجزائرية، وبالتالي تكون له نفس الحقوق، التي للمواطنين الجزائريين عبر كامل التراب الجزائري، بما في ذلك حق التصويت، والتوظيف والمقابل يتمتع كل مواطن جزائري في التراب الفرنسي بالمواطنة الفرنسية، وتكون له كذلك عبر كامل التراب الفرنسي نفس الحقوق التي للمواطنين الفرنسيين، بما في ذلك حق التصويت والتوظيف.

المادة السابعة: اللغات الرسمية في الجمهورية الجزائرية هي الفرنسية، والعربية، ويكون التعليم العام باللغتين وإجباري للجنسين... " (938)

كما دعا فرحات عباس إلى إقامة شراكة فرنسية في جميع المجالات، ولكن بعض المعتدلين من الجزائريين المسلمين رأوا بأن هذه الجمهورية الجزائرية التي يريد فرحات عباس تأسيسها، ما هي إلا خطوة مرحلية أولى يتبعها فيما بعد الاستقلال التام للجمهورية الجزائرية. (939) بدأ مطالبه بسياسة الاندماج، وانتقل أثناء الحرب الكونية الثانية إلى المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا.

وبعد تقديمه هذا المشروع للبرلمان الفرنسي، التقى في باريس مع "هوشي منه" (Ho Chi- Minh) فهناه على نشاطه الواضح والبناء، ومن القاهرة وصلته رسالة من الحبيب بورقيبة، رئيس الدستور الجديد، يقول له فيها: " بأن فرنسا لا تمنحنا أي شيء من مطالبنا، وطلب من فرحات عباس الانضمام إلى حزب الشعب الجزائري." (940)

أما مناضلو حزب الشعب الجزائري فقد عارضوا هذا المشروع الذي تقدم به فرحات عباس للبرلمان الفرنسي لأن لهم قناعة راسخة بأن استقلال الجزائر لا يكون إلا عن طريق الثورة، وتحضير الجماهير الشعبية لخوضها. (941) فرحات عباس كان يعلم بالمشاكل العميقة التي يعيش فيها الجزائريون المسلمون، وبانتخابه في البرلمان الفرنسي يقول بأنه وضع جملة من القضايا، طالب بتحقيقها بسرعة منها:

" - إعادة تشكيل أحباب البيان والحرية (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري).

- بناء على طلبه نقل مصالي الحاج من برازافيل إلى باريس.

- عودة جريدة المساواة التي ألغيت بعد أحداث 8 ماي 1945، والسماح لها بالظهور (جريدة الجمهورية الجزائرية)... (942) افتتحت جلسة 23 أوت 1946 البرلمانية بشيء من التشنج، الجنرال " بريان " (Briand) خاطب

(938) ibid. p p : 164-156

(939) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 266

(940) ibid. p : 168

(941) المرجع السابق، ص: 269

(942) ibid. p : 169

البرلمانيين الجزائريين بقوله: " كانت الجزائر قبل الغزو أدغالا للثغالب. " فرحات عباس، والدكتور أحمد فرنسيس، والدكتور سعدان تحكوما في أعصابهم بينما لم يستطع باي العقون من التحكم في أعصابه، فنهض مندفعاً من مكانه متحدثاً عن الحقوق والواجبات، وبعده صعد الدكتور سعدان إلى المنصة وتحدث عن التمييز العنصري والسلب، والقمع الذي حدث خلال مجازر 8 ماي 1945، وأضاف سعدان قائلاً: " إذا لم تعطينا فرنسا الحقوق الواجب إعطاؤها لنا فإننا سنذهب، وذلك رداً على برلماني فرنسي أهانه، ولما ارتفعت الأصوات و الضجيج داخل القاعة تدخل فرحات عباس قائلاً: " لقد انتظرنا هذا الوقت منذ 116 سنة لكي نكون هنا، لإسماع صوتنا، وطوال هذه المدة والجزائر فرنسية، الرجاء أصدروا، وكونوا كرماء نحن هنا أقلية صغيرة، وخلال جلسة اليوم الموالي تدخل نائب مدينة وهران " غيليسي " (Quilici) فشن هجوماً على فرحات عباس، وذكره بالرسالة التي بعثها إلى المارشال بيتان وتصريحات عباس لسنة 1939 عندما قال: " إذا لم تقدم فرنسا على إصلاحات، فإننا لن ندفن مشروع بلوم - فيوليت وحده بل سندفن كل الإنجازات الفرنسية. " ولما تدخل فرحات عباس تكلم بعزة نفس وهدوء طالباً رفع مستوى النقاش ودعا إلى التعايش والاحترام المتبادل مضيفاً أن الشخصية الجزائرية التي لم يكتشفها سنة 1936 اكتشفها اليوم عند العامة من الجزائريين المسلمين، وإنما اليوم واضحة للعيان لا أنتم ولا أنا نستطيع تجاهلها. (943)

ولم يتحصل فرحات عباس على أي شيء من مطالبه سوى الموافقة على وضع الثقة في الحكومة التي ستقدم في أقرب الآجال، مشروع قانون خاص بالجزائر. (944)

لقد غادر مصالي السحن في أكتوبر 1946، ونزل ببوزريعة بالعاصمة فذهب أحمد بومنجل، والدكتور سعدان لاستقباله باسم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. (945) فسجنه الطويل و راديكالته دفعت الجماهير، المسلمة من الطبقة الضعيفة البروليتاريا، و البطالين، و المهمشين من المحامين، والأطباء، والأساتذة إلى الانضمام إلى حزب الشعب الذي تحول يوم 10 نوفمبر 1946 إلى " حركة انتصار الحريات الديمقراطية ". (946) ويعلق فرحات عباس على تأسيس هذا الحزب، والسماح لمصالي الحاج بالدخول إلى الجزائر، قائلاً: " عندما قال "كريستيان بينو" (Christian Pineau) للحاكم العام " شاتينيو " أن يقطع الطريق أمامي، أجابه هذا الأخير بقوله: لا أرى إلا رجلاً واحداً يستطيع أن يهزم فرحات عباس إنه مصالي الحاج، فرد عليه رئيس المجلس الفرنسي بقوله: نعم، أقض عليه بواسطة مصالي الحاج. " (947) حاولت فرنسا من ذلك تحويل الصراع السياسي الجزائري ضدها إلى صراع بين الجزائريين الأشقاء.

(943) Jean Lacouture, op.cit, p p : 298-301

(944) ibid. p : 303

(945) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 174

(946) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 197

(947) Ferhat Abbas, autopsie d ' une guerre, op.cit,p p : 137-138

يرى فرحات عباس بأن إطلاق سراح مصالي الحاج راجع إلى سياسة المناورات والدسائس التي يستعملها الاحتلال من أجل إفشال وإضعاف الحركة الوطنية، حيث سُمح لمصالي الحاج بالمشاركة في الانتخابات التشريعية تحت راية حزب آخر غير حزب الشعب الجزائري. هو (ح.إ.ح.د.)⁽⁹⁴⁸⁾ إلا أن الحاج مصالي كان يرى عكس ذلك و أن فرحات عباس هو الذي كان يتعاون مع الحاكم العام " شاتينيو " ضده.⁽⁹⁴⁹⁾ وقد نجحت نوعا ما مناورات الاحتلال في سياستها الهادفة إلى جعل الأحزاب الوطنية الجزائرية تتصارع فيما بينها وتبادل التهم.

عندما جرت الانتخابات التشريعية في نوفمبر 1946 طلب مصالي الحاج من فرحات عباس أن يترك الفرصة لمرشحي حزب (ح.إ.ح.د.) فوافق فرحات عباس الذي برر ذلك بأنه لم يكن يرغب في الوقوف في وجه حزب وطني رفع قضية الاستقلال عاليا، وأثناء الحملة الانتخابية توجه فرحات عباس للعمل في تنصيب هياكل حزبه (إ.د.ب.ج) داعيا إلى التصويت لصالح (ح.إ.ح.د.) ويعلق والي قسنطينة على ذلك، بأن فرحات عباس أحرقتة أحباب البيان والحرية، فخاف أن يشارك في الانتخابات النيابية.⁽⁹⁵⁰⁾ ويقول فرحات عباس: " إن تجمع أحباب البيان والحرية امتنع عن تقديم مرشحين للانتخابات التشريعية الأولى في نوفمبر 1946 لتمكين مصالي الحاج من مواجهة الرأي العام الفرنسي، وبرلمانه، إن مصالي الحاج حصل على ضمانات وزارة الداخلية والحكومة العامة في الجزائر، بأن القوائم الانتخابية التي يقدمها حزب الشعب ستعتمد، وبناء على ذلك ترشح للانتخابات، وطلب مني الانسحاب من المنافسة، تخاشيا لانشقاق القوى الوطنية كما أكد أنه بإمكانه الحصول على استقلال الجزائر. " (951) حزب (إ.د.ب.ج) يتنازل عن المشاركة في الانتخابات التشريعية، تلبية لطلب مصالي الحاج، هذا يؤكد جيدا بأن فرحات عباس لم تكن تهمه المناصب الحكومية، ولا التقرب من المسؤولين الفرنسيين أو السقوط في المناورات التي كانت تسعى إدارة الاحتلال لتحقيقها، وليثبت كذلك لمصالي الحاج وجماعته بأنه لا يبحث عن الزعامة الشخصية، إنما همه الوحيد هو الدفاع عن الجزائريين المسلمين، حسب مشروع سياسي تبناه، ويقول عن ذلك: " تركت لهم المجال لكي يأخذوا التجارب بأنفسهم. " (952) أما أنصار مصالي الحاج فقد أصيبوا بالغرور واعتبروا أنفسهم الممثلين الوحيدين للشعب الجزائري، وباقي التيارات الأخرى عميلة للاحتلال، تؤكد فرحات عباس بأن (ح.إ.ح.د.) وزعيمه مصالي الحاج، هو حزب معادي للديمقراطية، إنها مرحلة تجذر الرأي الواحد الذي يرفضه فرحات عباس رفضا مطلقا، وناضل طوال حياته ضده، فهو رجل يؤمن بالديمقراطية،⁽⁹⁵³⁾ و اختلاف الآراء وعدم إقصاء الآخر، فثقافته الواسعة، وتجاربه الطويلة علمته أن فرض الرأي الواحد لا يمكن أن تبني وطنا متماسكا تسوده العدالة الاجتماعية.

(948) ibid. p : 138

(949) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 174

(950) ibid. p: 175

(951) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 172-173

(952) ibid.

(953) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 114

أثناء عقده للمؤتمر الأول لحزب (إ.د.ب.ج) دعا فرحات عباس كل الحركة الوطنية لتكوين تجمع واحد من أجل سد الطريق أمام قوى الاحتلال مع التمسك بمبادئ الديمقراطية والتعددية.⁽⁹⁵⁴⁾ تجمع يضم عناصر وطنية مختلفة في الأساليب، ومتحدة في الهدف، وهذه الرأي وافق عليه العلماء لكن المصاليين انفردوا بالتعصب والرأي الواحد، ورفض أي اختلاف لفكرتهم، ليس هذا فقط إنما صنعوا أكاذيب حول فرحات عباس والعلماء، واهمهم بالتعاون مع إدارة الاحتلال، و بميولهم البرجوازية، والدفاع عن مصالحهم الشخصية، ويذكر أحمد مهساس، وهو أحد مناضلي حزب الشعب " على النقيض مما ذهب إليه البعض؛ فإن محاولة تشكيل جبهة وطنية تضم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والعلماء، وحزب الشعب، والحزب الشيوعي لم تفشل لأن مصالي الحاج قد يفرض نفسه زعيماً لها، وإنما الفشل كان بسبب أرضية المطالب المعتدلة التي اقترحها الإصلاحيون." ⁽⁹⁵⁵⁾ هذا الرد ضعيف لأن فرحات عباس ليس من الرجال الذين يبحثون عن الزعامة. فنضاله السياسي وشهادة زملائه، وحتى أعدائه في المداورات البرلمانية وغيرها يشهدون له بقبول اختلاف الآراء، واحتكامه للديمقراطية، فكيف يخاف من مصالي الحاج إذا أصبح زعيماً للتجمع الكبير الذي دعا إليه فرحات عباس عن طريق الانتخاب، لم يعرف عنه أبداً طوال مراحل نضاله السياسي أنه حاول فرض رأيه بالقوة، أو بطرق غير شريفة، فهو آمن بالديمقراطية إيماناً قاطعاً، وجعلها منهجاً في حياته.

لقد دخل مصالي الحاج وحزبه الجديد (ح.إ.ح.د) الانتخابات البرلمانية، وكان بإمكانه أن يحقق انتصاراً كبيراً نظراً لامتداده الواسع في الجزائر، لكن إدارة الاحتلال كانت له بالمرصاد، رفضت الإدارة ترشح مصالي الحاج في ولاية الجزائر بأمر من الوالي برغم الوعود التي تحصل عليها كما رفضت كذلك قوائم مرشحي حزبه في وهران و سطيف، ولم يعلم بذلك إلا بعد نهاية المدة القانونية للترشيحات ولهذا تحصل حزبه على 5* مقاعد فقط،⁽⁹⁵⁶⁾ والمقاعد 10 الباقية تحصل عليها 8 مرشحين عن الإدارة، و مرشحين عن الشيوعيين).⁽⁹⁵⁷⁾

وعلق مصالي الحاج آمالاً كبيرة على هذه الانتخابات التشريعية معتقداً أنها ستؤدي إلى استقلال الجزائر كما كان يعتقد فرحات عباس قبله، وقد كان حزب مصالي الحاج في هذه الفترة في أوج توسعه ونشاطه عبر التراب الوطني ولذلك فإن أي خلل يطرأ على هذا الحزب يكون تأثيره خطيراً على المستوى الشعبي، " ومن هنا كان أكثر من غيره عرضة للتأثر بمشاكل كثيرة قد تطرحها السياسة الانتخابية. لم يكن بد من التحلي باليقظة

⁽⁹⁵⁴⁾ Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p : 175

⁽⁹⁵⁵⁾ أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 274

* 3 عن قسنطينة: الدكتور لمن دباغين، دردور جمال، و بوقادوم مسعود. و 2 عن الجزائر: أحمد مزغنة، ومحمد خيضر (Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 173)

⁽⁹⁵⁶⁾ Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 173

⁽⁹⁵⁷⁾ نفس المرجع، ص: 275

لتفادي الوقوع في الفخ الذي تتضمنه تلك السياسة الانتخابية، ألا وهو فصل قمة الحزب عن قاعدته وإبعادها عن اهتمامات الجماهير، يضم حزب الشعب الجزائري بين صفوفه كأي تنظيم بشري، رجالا تتفاوت درجة الالتزام الفردي بينهم من شخص لآخر. " (958)

وهذا ما أدى فيما بعد إلى تصدع هذا الحزب وانقسامه، بينما المشاكل بين مناضلي حزب (إ.د.ب. ج) أو العلماء كانت تحل عن طريق الإقناع، والحجة، وليس عن طريق إقصاء الرأي الآخر أو اتهامه بما ليس فيه. وفي البرلمان الفرنسي جدد النواب (ح. إ. ح. د) مطالب نواب حزب (إ.د.ب. ج)، ولكن كانوا أقل مهارة منهم في إدارة النقاش داخل البرلمان، وأكثر عنفا، رفضوا مطلقا أن يتم حل المشكل الجزائري عن طريق البرلمان الفرنسي، هذه القضية في نظرهم تخص الجزائريين وحدهم. (959) ولا دخل لفرنسا فيها.

وشارك (إ. د. ب. ج) في ديسمبر 1946 في انتخابات مجلس الحكومة وتحصل على 4*مقاعد من أصل 7 مقاعد. (960)

كما شارك في هذه الانتخابات، مستشارو البلديات الكاملة السلطات، ورؤساء الجماعة في البلديات المختلطة، وتنازل عن المشاركة حزب (ح. إ. ح. د) (961) حيث اكتفى بالتمثيل في البرلمان الفرنسي. تحصل (إ. د. ب. ج) في الهيئة الانتخابية الثانية على 385 صوتا من مجموع 750 صوتا، وعلق فرحات عباس على ذلك بأن معظم الناخبين اختاروا في السرية الوطنيين المعتدلين. (962)

عقد المجلس العام لولاية قسنطينة في أبريل 1947 دورته الربيعية، وفي إحدى جلساته ليوم 3 ماي 1947 تمت فيها مناقشة قانون الجزائر، وتدخل فرحات عباس طالبا الموافقة عليه ومعترضا على " غراتيان فور " (Gratien Faure) الذي اتهم فرحات عباس بمعاداة فرنسا، ونكرانه لما قدمته للجزائريين المسلمين من خير! ومما جاء في تدخل فرحات عباس ما يلي: " إنني لا أساير السيد (غراتيان فور) خلال تعرضه للماضي، لأنني سأكون سيئا إذا كذبت على كل ما فعلته فرنسا، ولكننا نعيش الآن في وضع مضطرب... الماضي كان كما كان... يجب أن لا ننسى أنه منذ 10 أيام، ومنذ قرن الجندي الجزائري محمد بن علي، ذهب للدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية العظيمة في المكسيك، وفي طونكان، وفي مدغشقر (تصفيقات) إذا رجعنا إلى الماضي دائما سنكون حتما غير عادلين... الحرب لم تنته، إننا مهددون بما كل يوم... فرنسا كانت دائما أنوارا لأوروبا، وعليها أن تمنحنا دستورا

(958) نفس المرجع، ص: 275-276

(959) الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 90

(960) ibid. p : 174

* عن قسنطينة مقعدين (2) هما: مصطفى، والدكتور ابن خليل، وفي الجزائر، (1) مقعد: الدكتور سعدان، وفي وهران (1) مقعد، الأستاذ محمدا.

(Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 174)

(961) Mahfoud Kaddache, op.cit, pp :760,761

(962) Ferhat Abbas, La nuit coloniale, op.cit, p : 174

لوطننا... "ومعلنا بأنه سينتخب باسمه، واسم (إ.د.ب.ج) على منح الجزائر دستور خاص بها، وتمت الموافقة بالأغلبية على تقديم طلبا للحكومة الفرنسية لمنح قانون خاص بالجزائر. (963)

لقد استطاع فرحات عباس أن يقنع مجلس ولاية قسنطينة على الموافقة على منح الجزائر دستورا خاص بها، هذه الموافقة حملها مستشارو الجمهورية، ووضعها أمام البرلمان الفرنسي تحمل اسم مشروع " دستور الجمهورية الجزائرية " يطالب باستقلال الجزائر ضمن إتحد فيدرالي فرنسي. (964)

ظهرت معارضة شديدة في المجلس الوطني الفرنسي، حيث راح ممثلو المحتلين يهددون بالانفصال عن فرنسا، في حالة قبول اقتراح فرحات عباس، وهددوا باللجوء إلى الأمم المتحدة بتهمة " إهمال فرنسا لهم " (965) و قبل المصادقة على القانون الأساسي الجديد للجزائر، التقى السيد فرحات عباس برئيس المجلس الوطني الفرنسي "بول رماديه" (Paul Ramadier) بباريس وقال له: " إن اللباس الذي فرضتموه على الجزائر، بحاجة للتنفس، فهو ضيق عليها، حاولوا أن تخططوا لها لباسا جديدا يتماشى مع العصر. " فرد عليه " رماديه " بسخرية، لأنه يكره فرحات عباس، قائلا: " سيدي عباس سنفصل لكم لباسا جديدا بدون شك، ولكنه سيأخذ شكلا صارما على الطريقة الفرنسية. " (966) قدم فرحات عباس في شهر أوت 1947، مذكرة للمجلس المالي الجزائري باسم (إ. د. ب. ج) طالب فيها بوضع حد نهائي لسياسة الاندماج لأن الزمن تجاوزها، ورفضها الجزائريون المسلمون، والدستور الفرنسي نفسه، ملحا فيها على تأسيس جمهورية جزائرية تتكون من مجموعات، عرب، وبربر، وأوربيين، يصبحون كلهم جزائريون في إطار الإخاء، و الوفاق. (967)

تدخل الجنرال " دي غول " في 18 أوت 1947 خلال مناقشة جرت داخل البرلمان، مقترحا منح قانون خاص بالجزائر، وتأسيس جمعية جزائرية مختلطة ومتساوية. (968) وبذلك رجع " دي غول " إلى النظام القديم الذي كانت عليه المندوبيات المالية، فعارض اقتراحه النواب الجزائريون، وكذلك نواب المحتلين، وبعد مناقشات حادة داخل المجلس الوطني الفرنسي تمت الموافقة على اقتراح " دي غول " بـ 319 صوتا، مقابل 89 معارضا، و 184 امتنعوا عن التصويت. (969) تمت الموافقة في يوم 20 سبتمبر 1947 في المجلس الوطني الفرنسي على " القانون العضوي للجزائر " (قانون رقم: 47.1853 ليوم 20 سبتمبر 1947 الخاص بالقانون العضوي للجزائر). (970)

(963) Procès – Verbaux des Délibération du Conseil Général de Département de Constantine, Session D'avril 1947, T 2, édition, Imp. P Braham, Constantine 1947, pp : 169, 182

(964) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 174

(965) André Noushi, op.cit, p :147

(966) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :179 d 'après Claude Paillat, dossiers secrets de l'Algérie, Paris, Presses de la Cité, 1962, p :233

(967) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p p : 174-175

(968) André Noushi, op.cit, p :148

(969) ibid. p : 149

(970) Paul Emile Sarrasin, op.cit, p : 224

هذا القانون وضع الجزائر وسطا بين الاندماج والفيدرالية. (971) وقد حدد هذا القانون الجزائر كمجموعة ولايات ذات الشخصية المدنية تتمتع بالاستقلال الذاتي المالي، وتنظيم خاص بالجزائر، وأصبح بذلك للجزائر وجود قانوني، أما القوانين الفرنسية فإنها لا تطبق بها بصفة آلية ما عدا الحالات التي ذكرها القانون، وأصبح بذلك للجزائر قانونا ماليا خاصا وبميزانيتها، ويكلف مجلس جزائري يتكون من 120 نائبا (60 من الجزائريين المسلمين، و60 من الأوروبيين المحتلين)، بإدارة المصالح الخاصة بالجزائر بالاتفاق مع الحاكم العام بالجزائر. (972) والمساواة بين جميع المواطنين الجزائريين في الحقوق والواجبات، إلغاء النظام الخاص بمقاطعة الجنوب وضمها إلى الولايات، وإلغاء البلديات المختلطة، ومنح حق التصويت للنساء المسلمات، وفصل الدين عن الدولة، وجعل اللغة العربية لغة رسمية ثانية إلى جانب الفرنسية. (973) هذا القانون جاء في وقت تجاوزه الزمن، ولم يستطع أن يتخلص واضعوه من عقدة التفوق، فقد وضع تمييزا بين المواطنين الفرنسيين (الهيئة الانتخابية الأولى) والمسلمون (في الهيئة الانتخابية الثانية)، فالأقلية الأوروبية المحتلة ممثلة في المجلس الجزائري بنفس عدد ممثلي السكان المسلمين، ومهمة المجلس الجزائري محددة في الميزانية مشاريع اجتماعية، واقتصادية، لكن الجانب السياسي لا يسمح لهذا المجلس بالخوض فيه.

أما هذا القانون العضوي الأساسي للجزائر رفضه فرحات عباس، وكل نواب (ح. إ. ح. د) والعلماء. قدم مستشارو الجمهورية من حزب (إ. د. ب. ج) استقالتهم، ويقول فرحات عباس: " هذا القانون لم يستشر فيه الشعب الجزائري، وهو نتيجة اتفاق بين الفرنسيين في فرنسا، والفرنسيين المحتلين. " (974) ويقول عن الذين وافقوا عن هذا القانون الأساسي: " هناك رجال عبيد ولكنهم أحرار، وهناك رجال أحرار ولكنهم عبيد، وفي الحقيقة إن الرجال الذين وافقوا على قانون الجزائر ليسوا أحرارا إنهم عبيدا... " (975) ويتهم كبار المحتلين الإقطاعيين بأنهم هم الذين كانوا وراء هذا القانون لإبقاء الجزائر تابعة لنفوذهم وسلطتهم، ويضيف قائلا: " الجزائر ليست مزرعة، ولكنها وطن، إننا رجال ولسنا أبقانا، إننا رجالا مثلكم. " (976) ويبرر قبول نواب المحتلين لقانون الجزائر في المجلس الفرنسي بقوله: " يكفي فقط وضع قانون الجزائر تحت مجلس جزائري طيع ولين، تكفيه كلمة شكرا. " (977) و بإمكان إدارة الاحتلال صنع نواب على مقاسها أو نواب جزائريون تحت الطلب. المحتلون في الجزائر رفضوه وأسسوا " جمعية الدفاع عن الجزائر الفرنسية " وقاموا بحرب إعلامية واسعة ضده، ولكنهم لم يلجأوا للعنف، كانوا ينتظرون تطبيق أهم بند فيه وهو انتخاب المجلس الجزائري. (978)

(971) Amar Naroun, op.cit, p : 116

(972) Mahfoud Kaddache, op.cit, p p : 770-771

(973) André Noushi, op.cit, p p : 150-151

(974) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 178

(975) Amar Naroun, op.cit, p : 170

(976) ibid. p : 171

(977) Ferhat Abbas, la nuit coloniale, op.cit, p : 180

(978) Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p : 181

وقبل إجراء الانتخابات الخاصة بهذا المجلس الجزائري، لجأت إدارة الاحتلال في الجزائر إلى إجراء الانتخابات البلدية في أكتوبر 1947، لمعرفة مدى تأثير الحركة الوطنية على الجماهير، فتحصل (إ. د. ب. ج) على 18% من الأصوات المعبر عنها، و (ح. إ. ح. د) على 33% من الأصوات، و (ح. ش. ج) على 4% أما الأحرار (عملاء الاحتلال، ومرشحي الإدارة) تحصلوا على 45% من الأصوات،⁽⁹⁷⁹⁾ ويظهر أن هذه هي النتيجة المنتظرة، تقزيم الحركة الوطنية، وفسح المجال للعملاء.

كما جرت في نوفمبر 1947 الانتخابات الأولى لجمعية الإتحاد الفرنسي، وفاز فيها فرحات عباس، والدكتور سعدان، ومحمد، ومصطفى، وابن خليل.⁽⁹⁸⁰⁾ ومن خلال تجربته الواسعة في الانتخابات، يتأكد فرحات عباس يوما بعد يوم بأن المظاهر الديمقراطية الفرنسية تجاه الجزائريين المسلمين، ما هي إلا مظاهر خداعة مبنية على الدسائس والمكر، والخدعة، إدارة الاحتلال، تدعو إلى إجراء الانتخابات مدعية أنها ستكون حرة ونزيهة، ولكن الحقيقة غير ذلك، ما هي إلا ذر الرماد في العيون، ومعظم النواب الجزائريين المسلمين الذين عينتهم الإدارة تحولوا بطبيعتهم الخبيثة إلى مدافعين عن الاحتلال، وتبرير جرائمه.

ولذلك رأى بعض مناضلي حزب (ح. إ. ح. د) الابتعاد عن مهزلة الانتخابات، وتأسست على إثر ذلك المنظمة الخاصة يوم 13 نوفمبر 1947 للتحضير للكفاح المسلح.⁽⁹⁸¹⁾

ولإجراء انتخابات المجلس الجزائري، تكون نتائجها حسب رغبة إدارة الاحتلال، تم عزل الحاكم العام في الجزائر " شاتينيو " (Chtaigneau) وهو رجل صلب وليبرالي، وعُوض بحاكم عام اشتراكي " مارسيل إدموند نيجيلان " (Marcel Edmond Naegelen) وضع نفسه تحت تصرف المحتلين وفي خدمة الاحتلال.⁽⁹⁸²⁾

وقبيل إجراء انتخابات المجلس الجزائري في 2 أبريل 1948، قام مناضلو (ح. إ. ح. د) بحملة واسعة بالجزائر مهددين الفرنسيين بطردهم في حالة فوزهم في الانتخابات، ولذلك وجدت الشرطة الفرنسية مبررا قويا، ومناسبا لها حيث قامت باعتقال 660 مناضلا منهم أي الثلث من المرشحين، وأمام ازدياد الاحتجاجات أثناء إجراء الانتخابات يوم 2 أبريل 1948 قامت شرطة الاحتلال بإطلاق النار وقتلت 12 جزائريا، وجرحت المئات، واعتقلت العشرات وذلك عبر كامل التراب الوطني، ورغم كل هذا التهيب، والمكر، تحصل حزب (ح. إ. ح. د) على 30.6% من الأصوات المعبر عنها، وفاز بـ 9 مقاعد، وحصل حزب فرحات عباس (إ. د. ب. ج) على 17.5% من الأصوات المعبر عنها، وفاز بـ 8 مقاعد، وتحصل الأحرار على 45% من الأصوات المعبر عنها وفازوا بـ 41 مقعدا، هؤلاء

⁽⁹⁷⁹⁾ ibid.

⁽⁹⁸⁰⁾ ibid. p : 182

⁽⁹⁸¹⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 119

⁽⁹⁸²⁾ Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 180

الأحرار هم مرشحو الإدارة كانوا يحملون معهم رشاشات أثناء يوم الاقتراع.⁽⁹⁸³⁾ وحققت بذلك إدارة الاحتلال رغبتها عن طريق التزوير واستعمال العنف، والقتل، والاعتقال، ويذكر فرحات عباس حتى أنه في حالة عدم لجوء إدارة الاحتلال إلى هذه الأساليب الدنيئة، فإن المجلس الجزائري ليس له تأثير على سياسة المحتلين، لأن المادة 39 منه تسمح لـ ¼ فقط من أعضائه إلغاء إي مشروع قانوني يعرض عليه (أي 30 نائبا فقط، وللمحتلين 60 نائبا فيه بالإضافة إلى ذيوهم من الأحرار الجزائريين)، وقبول أي مشروع تحدد هذه المادة كذلك موافقة ⅔ أعضائه (أي 80 نائبا على الأقل) ويعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: "أقلية من نواب المحتلين داخل المجلس الجزائري بإمكانهم تعطيل كل الجزائر." (984)

إن لجوء إدارة الاحتلال إلى إطلاق النار على الناخبين والاعتقالات الواسعة التي قامت بها ضد مرشحي حزب (ح.إ.ح.د)، لم يكن هدفها الأساسي البحث عن نواب طيعين من الأحرار، لأن النواب الجزائريين، وحتى إن كانوا وطنيين، وكلهم من حزب مصالي الحاج فإن تأثيرهم محدود داخل المجلس وفقا للمادة 39 من قانون الجزائر، إنما اللجوء إلى التهيب كان يهدف بث الرعب في نفوس الجزائريين عامة، وإظهار إدارة الاحتلال بمظهر القوة وعدم التردد في استعمال الرصاص ضد الجزائريين المسلمين الذين أصبحوا في هذه الفترة متشبعين بفكرة الاستقلال الوطني. عقد حزب (إ.د.ب.ج) ما بين 25 و 27 سبتمبر 1948 أول مؤتمر وطني له بمدينة سطيف، وقدم أمينه العام فرحات عباس مداخلة بعنوان "تطلعات حول حاضر و مستقبل الجزائر" (985) طالب فيه بالوحدة المغاربية في إطار اتحاد شمال إفريقيا، وإدخال الديمقراطية إلى المجلس الجزائري، وتحويل الحكومة العامة إلى حكومة جزائرية، وأكد على ضرورة إلغاء القوانين المفروضة بالسيف على الجزائريين المسلمين.

وفي الاحتتام وجه المؤتمرون رسالة شكر إلى منظمة الأمم المتحدة المجتمعة في باريس، طالبين منها مساعدة كل الشعوب الكبيرة أو الصغيرة على منحها حق تقرير المصير، وإلغاء نظام الاحتلال، أما من الحكومة الفرنسية فقد طلبوا منها ما يلي:

1- إرسال لجنة تحقيق حول أحداث 8 ماي 1945، وتقديم تعويضات لضحاياها.

2- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

3- إلغاء انتخابات المجلس الجزائري.

4- التعليم لجميع الأطفال المسلمين.

⁽⁹⁸³⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 183

⁽⁹⁸⁴⁾ Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 180

⁽⁹⁸⁵⁾ Ferhat Abbas, Regards sur le présent et l' avenir de l' Algérie, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1^{er} congrès de l' « U.D.M.A » édition, libération, Alger, 1948, pp : 1,32

5- التثبيت الرسمي والإجباري للغة العربية.

6- إلغاء البلديات المختلطة، ومناطق الجنوب، وتثبيت الرحل عن طريق توزيع نقاط الماء عليهم، و إنشاء موارد إنتاجية.

7- فصل الدين عن الدولة، ورد أملاك الأوقاف إلى الجمعيات الإسلامية.
-وتطبيق مخطط الأمن الاجتماعي، وتسوية الرواتب حسب ارتفاع الأسعار.
-إصلاح زراعي.

-إنشاء سياسة سكنية، و الصحة العمومية.
-تصنيع الجزائر. (986)

كما دعا المؤتمرون إلى تكوين جبهة ديمقراطية لمواجهة الاحتلال، ولكن دون السير في سياسة (ح. إ. ح. د) بالرغم من التقاء هذين الحزبين في عدة نقاط، ففي جوان 1948 في باريس نددا هذان الحزبان بالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، وكونا هنالك جمعية الديمقراطيين المنتخبين ضد الاحتلال. (987) مقترحات فرحات عباس، لم تجد صدى لها داخل المجلس الجزائري، وكانت لغة القوة والعنف هي المسيطرة على عقلية المحتلين، أما المجالس النيابية، فهي جسم بلا روح وضع معظم نوابها من الجزائريين لخدمة الاحتلال، مع إعطائها مظهرا ديمقراطيا مزيفا.

عقد حزب (إ. د. ب. ج) ما بين 16 و 18 سبتمبر 1949 مؤتمره الثاني بمدينة تلمسان، وقدم فرحات مداخلة له بعنوان " نظام الاحتلال، و رفضه للعدالة والتقدم " (988) هذا المؤتمر الوطني ترأسه الأستاذ محداد، وقبل إعلانه عن الافتتاح طلب من الحاضرين الوقوف دقيقة صمت ترحما على روح الفقيه الدكتور سعدان، أما أسباب اختيار مدينة تلمسان، فلكونها العاصمة القديمة للمغرب الأوسط، وكانت دارا للإسلام. (989)

وفي مداخلة فرحات عباس أكد على بقاء حزبه مخلصا لمبادئه، ورفضه للاحتلال، ووجه نداء إلى منظمة الأمم المتحدة عن طريق المؤتمرين شارحا فيها وضعية الجزائر منذ 1830 إلى سنة 1949، ومذكرا بالأهداف التي تأسست من أجلها منظمة الأمم المتحدة، طالبا من هذه المنظمة التدخل لوضع حد للاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي شمال إفريقيا (تونس، والمغرب)، والعمل على إقامة اتحاد مغربي بعد التحرر من الاحتلال، وطالب بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وفضح في تدخله القمع الذين يتعرض له المصاليون. (990)

(986) ibid. p p : 30-32

(987) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 185

(988) Ferhat Abbas, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, rapport présenté par Ferhat Abbas au 2^{ème} congrès national de l' « U.D.M.A » Tlemcen les 16.17 et 18 septembre 1949, p p : 1-

39
(989) ibid. p : 5

(990) ibid. p p : 12-20

انتهت فترة الأربعينات من القرن العشرين بفشل الحركة الوطنية في التصدي لقوى الاحتلال، من تزوير للانتخابات، وملاحقة الوطنيين إما بالسجن، أو بالتهديد خاصة بعد أن شهدت هذه المرحلة نمو الوعي الوطني التحرري في الجزائر وفي العالم، ولذلك لم يتردد الاحتلال في ارتكاب جرائم إنسانية ضد الجزائريين، في حوادث 8 ماي 1945 فقتل الآلاف من الجزائريين، متحديا بذلك كل القوانين الدولية.

وقد استنكر فرحات عباس سياسة الاحتلال العنصرية الممارسة من طرف الجمهورية الفرنسية الرابعة في حق الجزائريين المسلمين، ودعا كل التيارات الوطنية إلى الالتفاف حول حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لتكوين جبهة وطنية قادرة على وضع حد للاحتلال الفرنسي، وإنشاء حكومة جزائرية في إطار الوحدة المغاربية، متحدة فيدراليا مع فرنسا، وطالبا من الأمم المتحدة تقديم المساعدة للجزائر (وفق مبادئها التي أسست من أجلها) وتونس، والمغرب، من أجل إلغاء الاحتلال.

الفصل السادس:

مواقفه خلال الخمسينات.

المبحث الأول: دخوله في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية.

المبحث الثاني: موقفه من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954.

المبحث الثالث: انضمامه إلى الثورة.

المبحث الرابع: موقفه من اتفاقية إيفيان.

الفصل السادس

مواقفه خلال الخمسينات

بدأت الخمسينات بثقل همومها على الحركة الوطنية بصفة خاصة، و الجزائريين بصفة عامة، فحكومات الجمهورية الرابعة، وممثلي إدارة الاحتلال في الجزائر استعملوا كل الوسائل المنافية للأخلاق، وقوانين فرنسا الديمقراطية من أجل منع الوطنيين الجزائريين من حرية الرأي والتعبير عن أفكارهم ومبادئهم المهادفة إلى التحرر وقد عرقل الحاكم العام " نيجلان " السير الحسن للانتخابات، ورسم تزويرها في الجزائر مستعملا كل الوسائل الإرهابية ضد الوطنيين لمنعهم من الترشح، وتزوير محاضر الانتخابات لصالح مرشحي الإدارة، وأغلقت الأبواب في وجه الوطنيين المخلصين في المجالس المنتخبة حيث أصبحوا أقلية لا تأثير لهم في المجلس الجزائري، وأصبح هذا المجلس عبارة عن غرفة لتسجيل إرادة المحتلين، ونفس الشيء في المجالس البلدية والولائية، ولم يقبل المحتلون أسلوب الحوار مع زعماء الحركة الوطنية الذين اختاروا السيادة الجزائرية، أمثال فرحات عباس ومصالي الحاج، ولم يبق أمامهم أي حل سلمي لتحقيق هدفهم سوى طريقا واحدا وهو طريق الكفاح المسلح، الذي كان نتيجة حتمية لسياسة الاحتلال القمعية، وجرائمه الإنسانية التي ارتكبتها ضد الجزائريين الأبرياء في حوادث 8 ماي 1945.

المبحث الأول

دخوله في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية

مع بداية سنة 1950 في الجزائر أصبح الاحتلال متحكما في كل الأمور تحكما جيدا، زور الانتخابات، عطل القوانين التي سنها للجزائر، أفقر الشعب الجزائري، وأرهبه بشرطته ورجال الدرك وعساكره الذين راحوا يلاحقون مناضلي الحركة الوطنية خاصة من حزب (ح.إ.ح.د) كانت بداية الخمسينات قاسية على الجزائريين المسلمين، وأصبح وضعهم المعيشي أشبه بوضعية العصور الوسطى، فقر، وجهل، ومرض، وسوط مسلط عليهم بدون رحمة. وسنرى في هذا المبحث موقف فرحات عباس من هذه الوضعية، والحلول التي اقترحها للخروج منها من أجل تكوين جمهورية جزائرية. هل أسلوب الحوار الذي اتبعه فرحات عباس كان كافيا للوصول إلى هدفه، وإنقاذ الشعب الجزائري المسلم من الاحتلال؟

أم أنه بقي يأمل من الاحتلال أن يتجاوب مع التطورات و الظروف الداخلية و العالمية؟

صرح فرحات عباس في 20 جانفي 1950 قائلا: " أن الاحتلال عندما يريد تغطية اسمه، فإنه يقول الإتحاد الفرنسي. " (991) وذلك بهدف وضع حد للوطنيين الذين يطالبون بإقامة جمهورية جزائرية، وإلغاء الاحتلال الفرنسي، لذلك راح الاحتلال يستعمل مصطلحات براقية لإيهام العامة بإنهاء الاحتلال وارتباطهم بفرنسا، أما واقع الشعوب الخاضعة له بالقوة فإن وضعها في هذه الفترة كان مأساويا في كل جوانبه السياسية، والثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، ومنها الشعب الجزائري.

وجه فرحات عباس في إحدى مداخلاته في المجلس الجزائري، تهمة للحاكم العام " نيجلان " بتزوير الانتخابات، والعمل لصالح المحتلين، فأمر الحاكم العام منع فرحات عباس من مواصلة حضور جلسات المجلس الجزائري، وهذا خلال الدورة الربيعية للمجلس الجزائري لسنة 1950. (992) لكي لا يقلقه ويحرض الباقي على المطالبة بفتح تحقيق حول تزوير الانتخابات، وتلاعب إدارة الاحتلال بالقوانين لصالح المحتلين، يلاحظ أن النواب الوطنيين غير مرغوب فيهم في المجلس الجزائري.

وقعت المنظمة الخاصة في 18 مارس 1950 في مؤامرة خطيرة، بسبب كشف أحد إطاراتها عبد القادر خيارى " المدعو " رحيم " أعضاء المنظمة الخاصة للشرطة بسبب اتهام أصدقائه له بالتعاون مع الشرطة، وتعرض للحجز والتعذيب من طرفهم، ولكنه تمكن من الهروب، وكان خائفا من الاغتيال، فتوجه إلى محافظة الشرطة بتبسة يوم 18 مارس 1950 على الساعة 7:00 مساء، وقدم معلومات مهمة للشرطة عن المنظمة الخاصة، (993) وكانت تلك فرصة ثمينة للشرطة للقيام بحملة اعتقالات واسعة لعناصر المنظمة الخاصة، عبر كامل التراب الوطني، ولم تتدخل قيادة الحزب للدفاع عنهم، تركت المعتقلين يواجهون مصيرهم وحدهم، وأصبحت معلومات المنظمة الخاصة غير مخفية على الشرطة، فقد استطاعت شرطة الاحتلال أن تلقي القبض على 400 مناضلا منها من مجموع 3000 مناضل، وعرضتهم لكل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، وتمكنت من استعمال أحد قادة المنظمة الخاصة (994) " بالحاج جيلالي " لإقناع جماعته بالعدول عن العمل المسلح (995)

ويذكر محفوظ قداش، بأن الشرطة تمكنت من إلقاء القبض على 28 إطارا في المنظمة الخاصة من بين 45 مناضلا مسجلا عندها، اكتشفت الأسلحة في كل من واد زناتي، قالمة، وسوق أهراس، قسنطينة، وجيجل. (996)

(991) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187

(992) ibid.

(993) Mahfoud Kaddache, op.cit, p :854

(994) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 333

(995) نفس المرجع، ص: 343

(996) ibid. p : 855

يقول فرحات عباس عن ذلك: "أن اكتشاف أعضاء المنظمة الخاصة أخر ساعة قيام الثورة الجزائرية."⁽⁹⁹⁷⁾ و شكر المحتلون إدارتهم على قمعها للجزائريين واكتشافها للمنظمة الخاصة، مؤيدين أسلوب العنف تجاه الوطنيين الجزائري ففي نظرهم أنه لا يصلح لهم سوى العنف لإخضاعهم.⁽⁹⁹⁸⁾ فكّر المحتلين لم يستطع إدراك نمو الفكر التحرري الذي ظهر بعد الحرب الكونية الثانية، حيث بقي متأخرا لعشرات السنين للوراء.

استطاع فرحات عباس أثناء مداوات المجلس العام لولاية قسنطينة يوم 26 أبريل 1950 أن يقنع المنتخبين على الموافقة على رفض عمليات القمع التي تقوم بها الشرطة ضد الوطنيين الجزائريين.⁽⁹⁹⁹⁾

وصرح فرحات عباس في سطيف حول تلك الأعمال والتجاوزات البوليسية في حق الجزائريين المسلمين، قائلاً: " نريد جمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية، لها علمها، وحكومة تتكلم باسم شعب حر، في إطار تعاون مخلص مع الجمهورية الفرنسية."⁽¹⁰⁰⁰⁾ لأن الجزائريين المسلمين لا يمكن أن يكونوا محترمين إلا في إطار حكومة جزائرية، وبرلمان منتخب، مع إلغاء الاحتلال نهائياً.

في شهر فيفري 1951 تجرى انتخابات لإعادة انتخاب نصف نواب المجلس الجزائري، ولم يحصل (إ. د. ب. ج) سوى على 11% من مجموع الأصوات المعبر عنها، بينما الأحرار (مرشحو الإدارة) تحصلوا على 84.50% عن طريق التزوير دائماً، ولم تشارك في هذه الانتخابات (ح. إ. ح. د) بسبب المشاكل التي كان يعيش فيها الحزب، وتعرض مناضليه للاعتقال، والسجن، الحاكم العام " نيجلان " يستمر في الخبث، والتزوير، وإعطاء مظهر حقيقي لوجه الاحتلال.

جرت الانتخابات النيابية في 17 جوان 1951 وقدم حزب (إ. د. ب. ج) مرشحيه في 16 دائرة انتخابية، ولكنه لم يتحصل إلا على 9% من الأصوات المعبر عنها، بينما تحصل حزب (ح. إ. ح. د) على 8% من الأصوات، والوحيد الذي فاز من هذين الحزبين هو فرحات عباس عن الدائرة الانتخابية لسطيف.⁽¹⁰⁰¹⁾ وباقي المقاعد الأخرى كانت من نصيب عملاء الإدارة، ويصف فرحات عباس تلك الانتخابات بـ " التزوير، والفضيحة "⁽¹⁰⁰²⁾ لأنه من المستحيل أن تكون هذه النتائج حقيقية نظراً لتوسع هذين الحزبين في الجزائر، إدارة الاحتلال كعادتها لم تنس القمع وتزوير الانتخابات، واطاعة صعوبات أمام زعماء و مناضلي الحركة الوطنية أثناء ممارستهم العمل السياسي، وصلت الأمور إلى طريق مسدود أمام الجزائريين، وأصبحت الانتخابات مهزلة، والتزوير أساسها وقاعدتها، ولم يعد يخفى على أحد من الجزائريين البسطاء عن أساليب

⁽⁹⁹⁷⁾ Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 212

⁽⁹⁹⁸⁾ ibid.

⁽⁹⁹⁹⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187

⁽¹⁰⁰⁰⁾ Cité par André Noushi, op.cit, p :155

⁽¹⁰⁰¹⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 187

⁽¹⁰⁰²⁾ Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 182

التزوير، فقدوا كل ثقتهم فيها، الأحزاب الوطنية منقسمة إلى اتجاهات، الشعب الجزائري حائر لم يحقق أي شيء منذ نهاية الحرب الكونية الثانية سوى الترهيب، والاعتقال، وزيادة عدد فقرائه، والضحك عليه من قبل إدارة الاحتلال. مشاريع بقيت حبرا على ورق، أما الشيء الوحيد والفعال والسريع التنفيذ والذي لا يتردد الاحتلال في استعماله لحظة هو اللجوء للقوة العسكرية لقهر الوطنيين الجزائريين لأنه كان يرى بأن ذلك هو الحل لإبقاء الجزائر خاضعة له، فكل هذه العوامل حتمت على الحركة الوطنية ضرورة توحيد نضالهم في إطار منظمة تجمعهم، وهذا ما كان ينتظره منهم الشعب الجزائري، وترك خلافاتهم جانبا والاهتمام بالمشكل الأساسي المتمثل في الاحتلال الفرنسي وأساليبه الجهنمية المفروضة على الشعب الجزائري.

وبالفعل استطاعت الحركة الوطنية بمختلف اتجاهاتها عقد اجتماع لها في قاعة السينما " دنيا زاد " بالجزائر يوم 5 أوت 1951 شارك في هذا الاجتماع ممثلون عن (إ. د. ب. ج)، وممثلون عن (ح. إ. ح. د)، والعلماء، و ممثلون عن (ح. ش. ج)، وبعض الشخصيات، وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على تأسيس " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها." (1003) واتفقوا على 5 مطالب أساسية هي:

" 1- إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت يوم 17 جوان 1951، والتي أدت في الحقيقة بالإدارة إلى تعيين رجال لم يمنحهم الشعب الجزائري أي تفويض، ويفرض أن يتحدثوا باسمه.

2- احترام حرية التصويت في الهيئة الانتخابية الثانية.

3- احترام الحريات الأساسية، حرية الضمير، وحرية الرأي، وحرية الصحافة، وحرية التجمع

4- رفض القمع بجميع أشكاله، وتحرير المساجين السياسيين، ورفض الإجراءات الاستثنائية التي ألت بمصالي الحاج.

5- إنهاء تدخل الإدارة في شؤون ديانة المسلمين." (1004)

من خلال المطالب الخمس التي اتفقت عليها الأحزاب الوطنية الجزائرية، والعلماء، يظهر بأنهم كانوا في حالة نفسية سيئة لأن الأوضاع الأمنية لم تكن في حالة اطمئنان، فهذه المطالب متواضعة، وبسيطة، ولا تعبر عن تطلعات الشعب الجزائري، ولا حتى عن مطالب الأحزاب الوطنية الحقيقية، المطالبة بـ " استقلال الجزائر " فلم يرد هذا المطلب الأساسي في المطالب الخمس، لقد استطاع الاحتلال بقمعه ودسائسه أن يؤثر عليهم من خلال عمليات القمع الواسعة التي شنّها على مناضلي المنظمة الخاصة، ومبالغته في إهانة المواطنين وتهديدهم، وبث

(1003) الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 106

(1004) ibid. p p : 228-229

الرعب فيهم عن طريق الدرك، والشرطة. فتنازل مطالب (ح. إ. ح. د) إلى هذا المستوى المتواضع، وإهمالها لمطلبها الأساسي المتمثل في الاستقلال التام للجزائر كان بهدف وضع حد للقمع فقط. (1005) وحتى أن فرحات عباس لا نرى مطلبه المتمثل في إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، والذي دافع عنه منذ كتابته البيان وملحقه. تمكن المحتلون من جعل الأحزاب الوطنية الجزائرية تحصر مطالبها في أمور متواضعة، وهذا ربما ما كانت تخطط له إدارة الاحتلال من خلال عمليات القمع المبالغ فيه ضد الجزائريين المسلمين، للضغط على الأحزاب الوطنية، وتحريف اتجاهها عن مطالبها الأساسية، وجعلها تطالب بأبسط الحقوق، أو كظمان في الصحراء يطلب شربة ماء. هل استطاع الاحتلال ترويض الحركة الوطنية الجزائرية؟ ظاهريا تمكن من ذلك، ولكن الحقيقة هي العكس تماما لأن من طبيعة الجزائريين إذا لم يستطيعوا التعبير بحرية عن آرائهم فإنهم يتجهون إلى السرية.

وعلق فرحات عباس على تكوين الجبهة الجزائرية بقوله: "إن تشكيل الجبهة الجزائرية، أثار سخط الإدارة العليا وصحفتها اليومية... ورفضوا مطالبها المتواضعة." (1006) فهو يعلم بأن المطالب بسيطة ولا تسمو إلى ما يطمح إليه فرحات عباس والشعب الجزائري، ومع ذلك أثارت الرعب في المحتلين لكن يظهر أن الرعب ليس من المطالب المتواضعة، ولكن الخوف من تطور الأمور، وتكوين جبهة قوية متماسكة، ولذلك أضافت هذه الجبهة الجزائرية متاعب أخرى لإدارة الاحتلال، وشرطتها.

أما مصالي الحاج فقد علق على هذه المطالب بقوله: "أن الهدف المشترك الذي اتفقت حوله الأحزاب المختلفة، لا يشكل إلا أدنى برنامج عمل، إن الإتحاد المحقق ضمن الجبهة محدود، ويجب أن يمتد إلى أهداف أوسع، وليكون مثمرا، وينال الموافقة التامة للجماهير، وليس المقدرات الخلاقة يجب على الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها أن توسع برنامجها العلمي حتى الاستقلال والسيادة الوطنية لبلادنا." (1007) فهذه الجبهة الجزائرية لم تستطع أن تطور عملها ولا أن تتماشى مع الأوضاع الراهنة، أو تعبر تعبيرا حقيقيا عن رغبة الشعب الجزائري. (1008) لأن أهدافها المتفق عليها كانت بسيطة، لم تسمح للأحزاب الوطنية المعادية للاحتلال أن تقدم برنامجها العملي الموحد، ربما بسبب الاختلافات بينهم، من حيث نظرهم لاستقلال الجزائر، فالمصاليون يطالبون بالاستقلال التام للجزائر، و البيانون يطالبون باستقلال الجزائر في إطار فيدرالي، وكان العلماء مرتبطين

(1005) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 339

(1006) ibid. p : 229

(1007) الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 107

(1008) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 339

معهم ارتباطا وثيقا. (1009) وصحف هذه الأحزاب بعد إنشاء " الجبهة الجزائرية " بقيت متفرقة كل واحدة تدافع عن برنامجها الخاص بها، فلحزب (إ. د. ب. ج) جريدته " الجمهورية الجزائرية " ، وللعلماء جريدتهم " البصائر " ، ولحزب (ح. إ. ح. د) جريدتهم " الأمة الجزائرية " ، وللشيوعيين الجزائريين جريدتهم " الجزائر الحرة " كل جريدة من هذه الجرائد دافعت عن مبادئ حزبا، ولم تستطع أن تحمل فكرا موحدا للنضال ضد الاحتلال. (1010)

وفي شهر أكتوبر من تلك السنة (1951) وخلال مداولات الدورة الخريفية للمجلس العام لولاية قسنطينة، والي قسنطينة " لوكورنو " (Locornu) استدعى فرحات عباس لمقابلة المارشال " جوان " (Juin) الذي كان موجودا بمكتب الوالي، ويقول فرحات عباس: " سألني المارشال جوان عن رأبي في وضعية الجزائر. لم أخف الحقيقة عنه، وقلت له: لم يبق للجزائريين إلا أخذ رشاش والصعود إلى الجبل، أو ترك الوطن. " (1011) وضعية يائسة، وأفق مظلم، واحتلال ماكر، وقاهر، الجبهة الجزائرية غير قادرة على مواجهته أو التعبير على الأقل عن رغبة الشعب الجزائري، انشقاقات إيديولوجية بين الأحزاب الجزائرية بين مطالب بالاستقلال التام، ومطالب بالإتحاد الفيدرالي، إدارة الاحتلال لم تجد أية صعوبة في مواصلة سياستها القمعية، وتزوير الانتخابات، التي أصبحت سميتها.

في هذه الفترة مسؤولون حكوميون من فرنسا قاموا بدورة تفتيشية في الجزائر أكدوا في تقاريرهم بأن الجزائر جزء من فرنسا، وأن الأوضاع فيها تبعث عن الارتياح و الهدوء، الشرطة قائمة بعملها، المشوشون في السجون أسلحة المنظمة الخاصة معظمها صودرت، (1012) العملاء عيونهم لا تنام، إخلاص تام للاحتلال. سلطة الاحتلال موجودة بقوة في الجزائر، أعطت لنفسها الحق في قتل، أو إحياء الجزائريين المسلمين، تغني من تشاء، وتعذب من تشاء، لا رقيب، ولا حسيب عليها، أي أن الاحتلال الفرنسي تفرعن بأسلحته وجرائمه في الجزائر.

بسبب سياسة التجاهل التي يتبعها الاحتلال الفرنسي تجاه الجزائريين كتب فرحات عباس قائلا: " المسؤولية تقع كلها على فرنسا، أي على البرجوازية الفرنسية... إننا لسنا في الزمن الذي يقول: آه. لو يعلم الملك! إننا نعلم بأن الملك يعلم، والسادة الكبار هم ماكرون، فالملك هو الذي سمح لهم بذلك، فنظام الاحتلال خلد أعمال البرجوازية بتدعيم الجيش لها، منذ سنة 1948 إلى غاية 1954 ونحن نطرح المشكل الجزائري أمام مجلس الدولة، وأمام الحكومة، وأمام رئيس الجمهورية، وأمام البرلمان الفرنسي فوجدنا أنفسنا أمام مؤامرة الدولة الفرنسية

(1009) الجليلي صاري، محفوظ قداش، ص: 106

(1010) André Noushi, op.cit, p : 157

(1011) Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 229

(1012) André Noushi, op.cit, p : 157

كلها ضد شعب ضحى كثيرا من أجل تحرير فرنسا. " (1013) يعترف فرحات عباس بأن سياسة الثورة بالقانون فاشلة، وأن الاحتلال بالمرصاد لكل حركة يرى فيها تهديدا لمصالحه الضيقة، ويقدم فرحات عباس أمثلة عن أحداث تونس واعتقال الملك المغربي محمد الخامس يوم 20 أوت 1953 فهذا الأسلوب في نظره فتح الباب لميلاد العنف، ويضيف قائلا: " إن اعتقال صاحب الجلالة في عشية عيد الأضحى، أثر في الجزائر، وكان كصفعة لكل شمال إفريقيا، وإهانة للإسلام، وكان عيد الأضحى لنا يوم حزن وغضب. " (1014) يقدم أمثلة حقيقية عن رفض الاحتلال لأي حلول سلمية، لحل المشاكل الحقيقية المتمثلة في الاحتلال.

واجه (ح. إ. ح. د) في سنة 1953 أزمة حادة نتيجة للصراعات التي بدأت تظهر في صفوفه منذ 1949، بسبب زعيمه مصالي الحاج، وكرهه للديمقراطية، ووجه للزعامة، ومطالبته من أنصاره أن يكونوا تُبعاً له فقط. (1015) واشتد الصراع والعداوة بين أتباعه، والمركزيين إلى حد انفجار مشادات في جميع المدن الجزائرية بين الإخوة المتصارعين. (1016)

وصف فرحات عباس تلك الأزمة التي ظهرت داخل (ح. إ. ح. د): " بدأت الأزمة في هذه الحركة سنة 1949 باستقالة نائبين من الحزب الدكتور لمين دباغين، وجمال دردور، و في سنة 1951 استقال بعض المناضلين واشتدت الأزمة سنة 1953، وانفجرت في بداية 1954 وأصبح للحزب أسبوعيتان " الجزائر الحرة " تحت إدارة المصاليين (مزغنة، مولاي مباح، و قاضي بالهادي)، وأسبوعية " الأمة الجزائرية " يديرها المركزيون (حسين لحول، عبد الرحمان كيوان، ابن يوسف بن خدة)، وكان الصراع بينهما على وراثته الحزب وأمواله، المصاليون متطرفون هاجموا المركزيين في كل مكان، واستعملوا العنف. " (1017)

فالجبهة الجزائرية أصبحت عاجزة، عن الاستجابة لمطامح ورغبات الشعب الجزائري، بسبب اهتمام كل حزب بأيديولوجيته، حاول حزب (ح. إ. ح. د) و (ح. ش. ج) عن إعطاء دفع لهذه الجبهة، ولكنهما لم يتمكنوا من ذلك.

انتشرت دعاية عن هذه الجبهة لتقديم أعمالها لجمعية الأمم المتحدة، في أفريل 1952، وعلى إثر ذلك شكلت شبيبة حزب (ح. إ. ح. د) المتمثلة في الكشافة الإسلامية، والطلبة، مع شبيبة الحزب الشيوعي " جبهة وطنية للشبيبة الجزائرية " بهدف إحياء الجبهة الجزائرية، ولكنها فشلت في ذلك، وحاولت (ح. إ. ح. د) أن تجد طريقة فعالة لتحقيق اتحاد بين الأحزاب الوطنية، ففي شهر فيفري 1953 نشرت جريدة المنار نتائج استفتاء

(1013) Ferhat Abbas , la nuit coloniale, op.cit, p : 187

(1014) ibid.

(1015) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص: 369

(1016) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص: 211

(1017) ibid. p : 213

لتحقيق إتحاد الأحزاب الوطنية الجزائرية عن طريق عقد مؤتمر وطني، فوجدوا معظم مناضلي الأحزاب الوطنية، والعلماء متفقين على تشكيل جبهة مناهضة للاحتلال، و إنشاء حزب واحد للتحرير الوطني، ملحين على ضرورة إتحاد (ح.إ.ح.د)، و (إ.د.ب.ج) لكن (ح.ش.ج)، وقف ضد هذا الإتحاد، ورفض مبادئ الحزبين السابقين نظرا لارتباطه بالكتلة السوفيتية، والغربية.⁽¹⁰¹⁸⁾ وأن هدفه الاستراتيجي لم يكن يتمثل في استقلال الجزائر، وإنما في وضع حد للاستغلال العمال وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

صراع الأحزاب الوطنية الجزائرية، واختلافها في الأساليب، والمبادئ، أعطى ارتياحا كبيرا للمحتلين قبيل اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، بأن الزعماء السياسيين الجزائريين المسلمين غير قادرين على التفاهم حول كيفية مواجهة الاحتلال، أو تحقيق جبهة وطنية واحدة متفقة حول برنامج عمل واحد، ولكنه تجاهل غضب الشعب الجزائري ويأسه من الحلول السياسية، التي لم يجن من ورائها شيئا، كان ينتظر إشعال الشرارة الأولى لبدء الثورة التحريرية المسلحة التي كانت هي الحل الوحيد لتحقيق الاستقلال الوطني.

⁽¹⁰¹⁸⁾ الجليلي صاري، محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص : 107-108

المبحث الثاني

موقفه من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954

قامت الثورة في تونس والمغرب، وانتصرت الثورة المصرية في جويلية 1952 على النظام الملكي العميل، وقبل هذا نالت سوريا ولبنان استقلالهما سنة 1946 وليبيا سنة 1951، وانتشر الفكر التحرري عند عامة الشعوب العربية بعد الحرب الكونية الثانية، ومنها الشعب الجزائري، هذا الشعب الذي قدم تضحيات جسام خلال مقاوماته للاحتلال الفرنسي منذ 1830، فلماذا لم يكن سباقا كعادته لإعلان الثورة؟ هل أن ذلك راجع إلى زعماء الحركة الوطنية الذين تخلفوا عن إعلان الثورة كبقية الأشقاء العرب؟ أم أن الشعوب العربية الأخرى لم تكن أساليب الاحتلال فيها مثل ما هو موجود في الجزائر؟ احتلال استيطاني مبني أساسا على قهديم الشعب الجزائري في جميع الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية معتمدا على القوة العسكرية، والمكر، وذلك عكس أساليب الاحتلال الأخرى التي عرفها الوطن العربي، باستثناء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين الذي طبق نفس الأساليب التي طبقها الاحتلال الفرنسي في الجزائر (مع اختلاف بسيط، وهو بقاء المحتلين الفرنسيين في الجزائر مرتبطين بالوطن الأم - فرنسا -)

ففي هذا المبحث سنرى كيف وصل فرحات عباس إلى نتيجة سياسته الداعية إلى حل مشكل الاحتلال الفرنسي عن طريق الحوار، ونبذه لأسلوب العنف. هل نجحت إيديولوجيته " الثورة بالقانون " في تحقيق ما يتمناه الشعب الجزائري؟ فالظروف الجديدة، وقيام ثورة التحرير فرضت على فرحات عباس وضعا وموقفا جديدا. سنحاول معرفة أسباب ذلك في هذا المبحث.

وجه الجنرال نجيب، والعقيد جمال عبد الناصر بمناسبة إحياء الذكرى الأولى للثورة المصرية (جويلية 1953) دعوة لفرحات عباس للمشاركة في هذه المناسبة إلى جانب شخصيات أخرى، ذهب فرحات عباس إلى القاهرة مع صديقه أحمد بومنجل، ووجدا استقبالا حارا، وفتح مكتبا لحزبه (إ. د. ب. ج) بالقاهرة. (1019)

وشارك كذلك في احتفالات الذكرى الثانية لهذه المناسبة (جويلية 1954) والتقى بالأمين العام للجامعة العربية، والأمير عبد الكريم، والبشير الإبراهيمي، والشيخ المكّي، وغيرهم من الشخصيات العربية. (1020)

قدم فرحات عباس في 30 أوت 1954 تقريرا عن زيارته إلى فرنسا برفقة الدكتور أحمد فرنسيس، والحمامي بومنجل، حيث ذكر أنهم اتصلوا برئيس الوزراء الفرنسي " منديس فرانس " (Mendés France)، ووزير

(1019) Jean Lacouture, op.cit, p : 306

(1020) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 190

الداخلية الفرنسي " فرنسوا ميتيران " (François Mitterrand)، و " جاك شوفالييه " (Jacques Chevallier)، و قد صرح فرحات عباس أمام رئيس المجلس الوطني الفرنسي قاتلا: " الجزائر صامته، لأنها ساحطة، وليست لها الثقة في المسؤولين الذين لا يستطيعون حتى تطبيق القوانين الفرنسية، وندأونا بقي بدون صدى، فالجزائر ستتجه إلى موضع آخر. " (1021) وبالفعل اتجهت الجزائر إلى طريق الشرف والعزة، وأعلن أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل الثورة يوم أول نوفمبر 1954، باسم جبهة التحرير الوطني.

فرحات عباس لم يكن يعلم بقيام الثورة، ولكنه تنبأ بأن الأوضاع التي زادت تعفنا وسوءا في جميع النواحي، لا بد أن تؤدي إلى انفجار الأوضاع في الجزائر.

ويقول عند رجوعه إلى القاهرة في جويلية 1954 بأن محمد خيضر قد أعلمه بأن أحداثا ستعرفها الجزائر عما قريب، وستفرض وضعية جديدة على الجزائر، وسيكون كل الوطنيين الجزائريين مرتبطين بعمل واحد وفي حزب واحد. فيقول فرحات عباس سألته: " كما في زمن أحباب البيان والحرية ؟ " أجابني: " نعم، ولكن أحسن. " (1022) هل فاجأ قيام الثورة فرحات عباس ؟ كانت اللجنة المركزية لحزب (إ. د. ب. ج) في 1 و 2 نوفمبر 1954 مجتمعة في الجزائر العاصمة و خلال الاجتماع يقول فرحات عباس في مذكراته: " سمعنا بأحداث أول نوفمبر، فكانت كبرق أضاء سماء الجزائر. " (1023) فسماعه بقيام الثورة اعتبره أمرا حتميا حيث يقول: " ليست المرة الأولى التي يحمل فيها العرب، و البربر السلاح ضد الاحتلال الفرنسي. " (1024) رفض الاحتلال الفرنسي أمر طبعي بالنسبة للجزائريين المسلمين، فقد رفضوا الاحتلال الفرنسي منذ 1830، قيام ثورة أول نوفمبر ما هي إلا امتداد للمقاومات الجزائرية ضد الاحتلال. ويعلق فرحات عباس على الرصاصات الأولى التي أطلقت يوم أول نوفمبر بقوله: " الرصاصات الأولى التي أطلقت يوم 1 نوفمبر كانت تهدف بالدرجة الأولى دق ناقوس الخطر، وإيقاظ البلاد من سباتها. " (1025)

وجاء تعليقه على اندلاع ثورة أول نوفمبر في جريدته الجمهورية الجزائرية الصادرة يوم 12 نوفمبر وذلك من خلال مقال له في افتتاحيتها: " نداء إلى الهدوء: إن الاحتلال هو الذي غذى الاضطراب، والعنف، الجزائر الآن كما هي سنة 1945 على عتبة مأساة كبيرة، ومهددة في كل لحظة بالانقسام إلى فئتين متعاديتين، بكل ثمن يجب تجنب ذلك، الفرنسيون، والمسلمون، يجب عليهم أن يقتنعوا بأن شقاقهم يستفيد منه البعض، ولكنه قاتلا

(1021) Jean Lacouture, op.cit, p : 308

(1022) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 45-46

(1023) ibid. p : 44

(1024) ibid. p : 46

(1025) ibid. p : 47

لمجموع البلد... و تؤكد بكل اقتناع أن العنف لا يحل المشاكل... عهد الاحتلال قد أغلق بصفة نهائية، وإنه من غير المعقول أن نحاول الإبقاء على المكر أو القوة التي بنيت في الماضي فإنها بدأت تنهار الواحدة تلو الأخرى، الحكمة تتطلب منا أن لا نختبئ تحت أنقاض الماضي.⁽¹⁰²⁶⁾ فهو يعترف بأن الاحتلال هو السبب الرئيسي فيما حدث، ودعا إلى التعقل لأنه يعلم بأن الثمن الغالي سيدفعه البسطاء، سواء من الفرنسيين، أو من الجزائريين المسلمين، ويقارن ذلك بأحداث 8 ماي 1945، التي بنى عليها توقعاته، و معنى ذلك أن عشرات الآلاف من الجزائريين سوف يتعرضون للتعذيب، والموت، والنتيجة ستكون كارثة على الجزائريين المسلمين.

نستطيع أن نقول بأن تحليله هذا كان سطحيًا، وتنقصه النظرة الواقعية، معتقدا أن اللجوء للقوة لا يحل المشاكل بل يعقدها، لذلك بقي تقريبا سنة ونصف حتى اتضحت له الرؤية جيدا وتيقن بأن الثورة المسلحة ضرورة حتمية لتحرير الجزائر من الاحتلال، لأنه لا يوجد حل آخر أمام الجزائريين سواها، ليعلن انضمامه رسميا إلى جبهة التحرير الوطني بعد أن أعلن عن حل حزبه، لأن " الثورة بالقانون " لا تنفع مع احتلال بني مجده بالعنف والقهر وليس بالحق، والمنطق، وبالتالي لا يهاب إلا من أسلوبه الذي سار عليه وهو أسلوب العنف، والرصاص، والاعتقالات المفاجئة، وهذا ما لم يكن يفهمه فرحات عباس في بداية الثورة التحريرية، فتثقافته الواسعة واعتداله السياسي جعلته يتجاوز فكر المحتلين بدعوته إلى السلم ونبذ أسلوب العنف، ولكن نستطيع كذلك أن نعيب على فرحات عباس استعماله لكلمة " العنف " فالثورة الجزائرية كانت في حالة دفاع شرعي من أجل تحرير الجزائر، وهي لم تكن المعتدية، وإنما الذي استعمل العنف واعتدى على الجزائر فهو الاحتلال.

أما الشيوعيون الجزائريون فقد وصفوا ثورة أول نوفمبر بأنها اعتداءات أي بمعنى أعمال إجرامية يعاقب عليها القانون، و اقترحوا حولا سلمية لإنهاء تلك الاعتداءات.⁽¹⁰²⁷⁾ بتوفير الخبز والعمل للجزائريين المسلمين فتحليلهم لقيام الثورة لا يختلف عن أسلوب الشيوعيين الفرنسيين الذين يربطون الثورات الشعبية بالخبز (صراع الطبقات) وليس بكرامة الإنسان وحرية. وصف المركزيون ثورة أول نوفمبر 54 بأنها أعمال إرهابية قام بها إرهابيون.⁽¹⁰²⁸⁾ ويظهر من ذلك حقدهم الشديد على زملائهم من اللجنة الثورية للوحدة والعمل، الذين انفصلوا بسبب أزمة حزب (ح.إ.ح.د) عنهم واختاروا طريق الجهاد، لتحرير الجزائر من الاحتلال.

أما المصاليون فقد وقفوا هم الآخرون ضد الثورة، واعتبروها اعتداءات إرهابية.⁽¹⁰²⁹⁾ ورغم ذلك فقد تعرضوا إلى حملة اعتقالات واسعة ما بين ليلة 4 و 5 نوفمبر 1954. مست حوالي 2000 مناضلا من إطارهم حيث

⁽¹⁰²⁶⁾ Ferhat Abbas, éditorial de La république Algérienne N ° 464, du 12 novembre 1954

⁽¹⁰²⁷⁾ مولود قاسم نابت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة أول نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط 1، دار البعث، قسنطينة 1984، ص:

⁽¹⁰²⁸⁾ نفس المرجع، والصفحة.

⁽¹⁰²⁹⁾ نفس المرجع، والصفحة

اعتبرتهم سلطات بأنهم السبب فيما حدث، وحلت حزبهم يوم 4 نوفمبر. (1030)

إن مصالي الحاج لم يعلن عن موافقه من الثورة إلا يوم 8 نوفمبر 1954 قائلا: "بمجرد الإعلان عن الأحداث التي جرت في الجزائر في ليلة 31 أكتوبر إلى 1 نوفمبر، عززت على نحو خطير الرقابة المفروضة حول شخصي (...). لقد قلنا وفي وقت سابق ونكرره اليوم: إنه بإلغاء هذا النظام والاستجابة لطموحات شعبنا، يمكن وضع حد لهذه الانفجارات التي ليست في الحقيقة إلا أعمالا يائسة وهنا يكمن العلاج." (1031)

اعتبر مصالي الحاج قيام الثورة بأنها أعمالا يائسة ناتجة عن الاحتلال، ورفض الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني.

أعلن مصالي الحاج في نهاية ديسمبر 1954 عن تأسيس " الحركة الوطنية الجزائرية " محاولا إدماج أنصار أول نوفمبر فيها (جبهة التحرير الوطني)، (1032) ليتمكن من المحافظة على " الزعامة " ومع ذلك فإن جبهة التحرير الوطني لم تنتكر لنضاله الطويل من أجل القضية الوطنية، فمنحته الرئاسة الشرفية للحركة الثورية سنة 1955 ولكنه رفض ذلك الشرف. (1033)

وكان نتيجة ذلك حدوث أعمال عنف دموية بين الحركة الوطنية الجزائرية، وجبهة التحرير الوطني ذهب ضحيتها عدد كبير من الجزائريين، ولم يتدخل مصالي الحاج لإنقاذ الوضع، أو يعطي أمرا لجماعته بوقف العنف. أما العلماء فقد نشروا بيانا لهم في جريدة البصائر يوم 5 نوفمبر 1954، معلنين فيه بأنه لا يمكن التسرع في الحكم على الأحداث إلا أن تظهر لهم الحقيقة جلية. (1034)

وسنعود إلى فرحات عباس محاولين معرفة الأسباب الحقيقية التي منعتهم من الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني عند قيام الثورة التحريرية مباشرة. لماذا لم يعلن فرحات عباس التحاقه مباشرة بالثورة وبعد نشر جبهة التحرير الوطني بيان أول نوفمبر 1954؟ حيث وجه نداء يدعو فيه إلى التعقل، ونبذ العنف، أي أنه بقي مرتبطا بسياسته الداعية إلى حل مشاكل الاحتلال عن طريق الحلول السلمية، وواضعا لومه كله على سياسة الاحتلال فيما حدث.

هناك أسباب عديدة منعتهم من الانضمام مباشرة إلى الثورة يوم إعلانها، ونشرها لبيان أول نوفمبر، أولا أن فرحات عباس لم يكن يعلم ببداية الثورة، ولا بمفجريها، لأن جماعة اللجنة الثورية للوحدة والعمل كانوا يعتمدون في عملهم على السرية التامة خوفا من اكتشاف أمرهم، كما حدث للمنظمة الخاصة في بداية الخمسينات، ولم يعلنوا عن عملهم المتمثل في إشعال نار الثورة إلا بعد انطلاقها، ونشرهم لبيان أول نوفمبر، الذي حددوا فيه

(1030) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 199

(1031) بنيامين ستورا، المرجع السابق، ص: 228

(1032) نفس المرجع، والصفحة.

(1033) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 128

(1034) مولود قاسم نايث بلقاسم، المرجع السابق، ص: 65-66

أهدافهم، و تحمل مسؤوليتهم في الكفاح ضد الاحتلال، داعون كل القوى الوطنية الحية الالتحاق بالكفاح التحرري، وفرحات عباس إلى هذه اللحظة رأى بأن الإرادة الإنسانية قادرة على زعزعة جمود الاحتلال، و إيجاد حلول في إطار الشرعية الدستورية، فالمساواة في نظره هي وحدها القادرة على تكوين مجتمع جديد مبني على الأخوة والعدالة الاجتماعية، تلك هي نظريته، أما السلاح فإنه يرى بأنه لا يحل المشاكل المطروحة، وإنما يعقدها ويؤدي إلى سقوط ضحايا أبرياء من الجانبين كما حدث في 8 ماي 1945، فهو مازال مفزوعا منها، لذلك وقف معارضا لاستعمال أسلوب القوة.

والسبب الآخر الذي جعل فرحات عباس لا يلتحق بجمعة التحرير الوطني بعد قيام الثورة مباشرة، لأن له مشروع سياسي وطني كان يناضل من أجل تحقيقه، بدأه منذ الأربعينات، وبالتالي ليس من السهولة أن يتخلى عنه ويتحول إلى النضال من أجل مشروع سياسي وطني آخر يختلف معه في النهج، لذلك تطلب منه ذلك بعض الوقت لكي يراجع نفسه ومشروعه.

على كل حال لم يتهم المجاهدين الأوائل بأنهم إرهابيين، فقد اعتبر عملهم الثوري نتيجة حتمية. وقد صرح لأحد الصحفيين عن رأيه من اندلاع الثورة التحريرية بقوله: " نعم، الارتباط فكرة جيدة، وعظيمة، ولكن الآن فات الوقت، فرنسيوكم دائما يواجهوني في وجهي بجمليتي " سألت المقابر، لا يوجد وطن جزائري " كنت معكم، وضدكم. لماذا؟ لست رجل حرب، ولكن عندما أطلقت الرصاص الأولى في الجزائر قلت ممتاز، أنتم الذين تجيبون على هذا. " (1035) يقصد بذلك أن الفرنسيين المختلين هم السبب فيما حدث، ولكنه لم يقطع الأمل من مسؤولي الحكومة الفرنسية، فكان ينتظر أن يكون الحل على يد رئيس الحكومة الفرنسية " مندريس فرنس " الذي التقى به قبيل اندلاع الثورة حيث قال له رئيس الحكومة الفرنسية: " إن فرنسا موجودة في المغرب، وتونس ولا نريد أن ننفي جنسيتهم، ولا خصوصيتهم. " (1036) وفهم فرحات عباس كلام " مندريس فرنس " خطأ، كان يعتقد من ذلك أن الجزائر ستكون مثل تونس، والمغرب.

صرح " مندريس فرنس " عند اندلاع الثورة الجزائرية بقوله: " الجزائر فرنسية " (1037) وبذلك أعطى صفة قوية للذين مازالوا ينتظرون الخير من فرنسا، و كان على فرحات عباس أن يعيد حساباته، ويتخلى عن سياسته " القديمة " وينضم إلى جبهة التحرير الوطني لتحرير الجزائر من احتلال بغيض بنى مجده في الجزائر على جثث الشهداء، ولا يعترف إلا بأسلوب القوة، أما الأسلوب السياسي المسالم فلا يصلح مع هذا الاحتلال.

منع فرحات عباس خلال انعقاد جلسات المجلس الجزائري في 24 نوفمبر 1954 من إلقاء مداخلة التي

(1035) Cité par Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit , p :204-205 d' après Jaques Duchemin, « le F.L.N à huis clos » in Historia Magazine, la guerre d' Algérie N° 207,22 décembre 1971

(1036) Henri Alleg, la guerre d'Algérie, T, 1, édition, Messidor, temps actuels France, 1981, p : 366

(1037) ibid.

حضرتها لإعطاء رأيه في أول نوفمبر، وتكلم في هذه الجلسة مساعده الدكتور أحمد فرنسيس متهما سياسة الاحتلال فيما حدث، وعدم قدرة هذه السياسة على إيجاد الحلول التي يطالب بها الشعب الجزائري، ومقترحا الحلول التي وردت في مبادئ (إ. د. ب. ج)، وتمنى ألا يكون السلم الذي تحضر له الحكومة الفرنسية هو سلم المقابر. (1038)

فرد عليه أحد النواب الأوروبيين، وعلى مداخلات النواب الجزائريين الذين طالبوا بإيجاد حل سياسي للجزائريين، وهو "ألان سيريني" (Alain Sérigny) بأن المشاكل الأساسية في الجزائر هي مشاكل اقتصادية، واجتماعية تتطلب الحل أما المشاكل السياسية فهي غير موجودة في الجزائر. (1039) وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه المحتلون وحكامهم حيث اعتقدوا أن الثورة سببها الجوع، والفقير أي ثورة بطن وخبز فعندما تشبع البطن، ينتهي العنف، ويعم السلم في الجزائر كلها، ما أضيقت نظرهم وتحليلهم!

وعلى إثر ذلك النقاش حاول فرحات عباس أن يصعد إلى المنصة ليؤكد على أن المشكل في الجزائر هو سياسي بالدرجة الأولى، فقامت ضجة من النواب المحتلين، ومنعوه من التحدث فهاثيا عن المشاكل السياسية، وبعد ثمانية أيام بالضبط نشر في جريدته "الجمهورية الجزائرية" ما كان يريد أن يقوله في المجلس الجزائري حيث أوضح الفقرة التي مُنع من إلقائها وهي "أوضح السيد وزير الداخلية بعد خطبته، التدخل الخارجي في الشؤون الجزائرية، وخاصة من الدول العربية، بكل تأكيد هذا عمل جديد، يشير إلى التطور الحقيقي لأخلاقيات المحتلين في القرون الماضية، عندما منحت أوروبا الحق لنفسها في اقتسام آسيا وإفريقيا، بدون أي اشتزاز من ذلك الفعل، ولكن كان لهم دور ضد الإمبراطورية التركية في حربها في اليونان، فجعلوا أنفسهم أوصياء على اليونانيين، فالشاعر الفرنسي الكبير "فيكتور هيجو" (Victor Hugo) قال لطفل يوناني: أريد البارود، والرصاص. " (1040)

هذه الجملة "البارود والرصاص" هي التي مُنع فرحات عباس من إلقاء كلمته، أما مطالبته بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا أو المساواة فلم تكن تخيف كبار المتحليين ولا ممثلهم لأنهم اعتادوا عليها، أما البارود والرصاص فهو أسلوبهم الحقيقي ومبعث قوتهم، ومجدهم الزائف فسماعهم له يثير الرعب فيهم هذا الرجل المسالم والمعتدل يتكلم عن الرصاص إنها لغة جديدة ما كان المتحلون ينتظرونها من فرحات عباس. وأول اتصال لفرحات عباس بجهة التحرير الوطني كان في شهر جانفي 1955 حيث يقول: "في جانفي 1955 اتصلت لأول مرة بجهة التحرير الوطني عن طريق عمار القامة... وطلبت منه هل بالإمكان الاتصال، بكريم، أو، أو عمران لتزويدي بالمعلومات...؟ أجبني: حاليا مستحيل، وعندما تسمح الظروف سأصلك بهم، وافترق الرجلان. " (1041)

(1038) Jean Lacouture, op.cit, p p : 309-310

(1039) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 206

(1040) Jean Lacouture, op.cit, p: 310

(1041) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 73

فرحات عباس يريد الاتصال بقيادة جبهة التحرير الوطني، أما مصالي الحاج فقد أسس " الحركة الوطنية الجزائرية " التي كانت تضم نسبة كبيرة من المغتربين الجزائريين في فرنسا ومجموعات مسلحة في منطقة القبائل بضواحي العاصمة. (1042) باحثا عن الزعامة الضائعة عن طريق توجيه السلاح لإخوانه في جبهة التحرير الوطني، المهم أن يبقى زعيما (أبديا)، ما أوسع الفرق بين الرجلين، رجل أصابه الغرور واعتقد أن لا أحدا يستطيع أن يناقشه أو يعارضه، ورجل مثقف سياسي ليبرالي يؤمن بالتطور التاريخي، وبقدرة الأجيال الجديدة على التفاعل مع الأحداث، وإيجاد حل وطني مشرف للجزائر.

حاول " منديس فرنس " في جانفي 1955 الاتصال بجماعة جبهة التحرير الوطني عن طريق " جاك شوفالبيه " ولكن رئيس الحكومة الفرنسية عزل من الحكم يوم 5 فيفري 1955، وعوضه " إدغار فور " (Edgar Four) يوم 23 فيفري 1955، يعلق فرحات عباس على ذلك منتقدا سياسة الاندماج التي مازال ينادي بها " إدغار فور " ومقترحا عليه الحل وهو: إقامة جمهورية جزائرية، العفو العام ووضع حد للقمع... (1043) وأراد " جاك سوستيل " (Jaques Soustelle) الحاكم العام للجزائر، أن يكون " قوة ثالثة " مبنية على مطالب المؤتمر الإسلامي، وقانون الجزائر 1947، معتمدا على الزعماء السياسيين المعتدلين فالتقى بالشيخ خير الدين نائب رئيس العلماء وأحمد فرنسيس عن (إ. د. ب. ج)، وحاج شرشالي المنتمي للمركزيين، وذلك يوم 28 مارس 1955، جبهة التحرير الوطني أفلقها هذا اللقاء وما صاحبه من دعاية. (1044)

وقد التقى فرحات عباس بـ " بجاك سوستيل " يوم 2 أبريل 1955 ليلا، وتناقشا حول السياسة العامة في الجزائر، وكانت نظرتهم مختلفة تماما. (1045) حيث يقول فرحات عباس بأني قلت لجاك سوستيل: " كلنا فلاقة سيدي الحاكم، الشجعان منا حملوا السلاح، والأقل شجاعة إنهم في مكتبكم هذا وفي مواجعتكم. " (1046) وباءت هذه اللقاءات بالفشل.

ألقي فرحات عباس خطابا في جيجل يوم 15 أبريل 1955 أمام تجمع شعبي كبير باللغة الفرنسية، والعربية استعمل اللغة الفرنسية لإيصال أفكاره إلى محتلي جيجل، واللغة العربية الدارجة لأقاربه من الفلاحين الذين جاؤوا للقاءه* وأبناء منطقته، أوضح فيه بكل صراحة وشجاعة سياسته حيث عارض فكرة " الجزائر فرنسية "،

(1042) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p: 211

(1043) ibid.

(1044) ibid. p : 212

(1045) ibid. p : 213

(1046) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 74

* ذكر لي أحد أبناء أحواله، صالح معزة بن محمد عندما التقى بفرحات عباس في جيجل في هذا اليوم، بأن فرحات عباس قال له بالدارجة: " والله، يا الاحتلال ما زاد بقالوا في الجزائر ما عليها لَطَبَقُ حَوَايَجَه. " (الاحتلال لن يبقى في الجزائر، وما عليها إلا أن يستعد للرحيل.) وبعد هذا التجمع انتقل إلى زيارة أحواله، وأبناء أعمامه في منطقة بوحمدون (دوار تابع لقبيلة بين عمران، وتنتمي إليه عائلة فرحات عباس - ابن الضاوي - وهذا الدوار تابع لبلدية ستراسبورغ الكاملة السلطات، بلدية الأمير عبد القادر حاليا) حيث استقبل بحفاوة كبيرة، ومنها انتقل إلى الطاهير. (صاحب البحث)

قائلا: " لقد عرفنا منذ أول نوفمبر أحداثا خطيرة، وحدث وأن أطلق الاحتلال تسمية " الخارجون عن القانون " على رجال صعدوا إلى الجبال. إن نظام الاحتلال تحدى القانون، و اخترقه منذ سنة 1948، وهو الذي تعدى على القوانين التي منحتها الجمهورية الفرنسية للمسلمين الجزائريين، ويوجد اليوم من يقول أنه يوجد خارجون عن القانون، والحق أنه لا يوجد سوى شخص واحد خارج عن القانون في الجزائر، إنه نظام الاحتلال نفسه. إن الخارجين عن القانون هم الحكام الأوروبيين، من رؤساء البلديات، و إداريي البلديات المختلطة... " * (1047) ومصرحا بـ " الجزائري الجزائرية " لأول مرة يستعمل هذا المصطلح السياسي في الجزائر من طرف فرحات عباس، وهي التي نادى بها الجنرال "دي غول" فيما بعد. (1048)

وهذا الخطاب عبر فيه بصراحة عن ميله للثورة، ونبذه لأسلوب نظام الاحتلال، ودفاعه عن المجاهدين الذين لم يعتبرهم بأنهم " خارجون عن القانون " إنما الذي لم يحترم القانون، وخرج عنه فهو الاحتلال، دفاع صريح عن جبهة التحرير الوطني، وتبرير لجوئها إلى الثورة المسلحة.

وقد تيقن فرحات عباس جيدا بأن الأسلوب السلمي لا ينفع مع الاحتلال الفرنسي، ورفض اتهام المجاهدين بالإرهاب أو الخروج عن القانون، حاول عند قيام الثورة أن يقنع الحاكم العام و مسؤولي فرنسا بتطبيق مشروعه السياسي الوطني الداعي إلى إقامة جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا من أجل إحلال السلام بين الجزائري وفرنسا بطرق سلمية، لكن الاحتلال في هذه الفترة بقي فكره متخلفا عن فكر فرحات عباس والتطورات العالمية التي حدثت بعد الحرب الكونية الثانية، فكان على فرنسا أن تتلقى دروسا ميدانية تطبيقية على يد جبهة التحرير الوطني، والشعب الجزائري لكي تقبل مرغمة بالحوار مع جبهة التحرير الوطني.

* انظر خطابه الكامل في (Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p: 216-220)

(1047) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 131

(1048) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 220

المبحث الثالث

انضمامه إلى الثورة

جبهة التحرير الوطني لم تتصل بفرحات عباس أو تأخذ رأيه في إعلانها للجوء إلى الثورة المسلحة، وأن الأغلبية العظمى من مناضليها الأوائل كانوا شبابا رفضوا الطرق السياسية العقيمة التي فشلت في تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، فقد اكتفت جبهة التحرير الوطني بدعوة كل الوطنيين الأحرار بالانضمام إليها من خلال بيان أول نوفمبر. طريق الثورة المسلحة هو الطريق الوحيد في تلك الفترة الذي بقي أمام الوطنيين الجزائريين لتحرير الجزائر، هذا الطريق يتناقض مع الحل السلمي الذي كان يسير فيه فرحات عباس، كيف تحول من داع إلى إقامة جمهورية جزائرية عن طريق " الثورة بالقانون "؟ هل عن قناعة تامة، أم لأسباب أخرى؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث. كانت اتصالاته الأولى مع جبهة التحرير الوطني يوم 15 ماي 1955 وذلك بواسطة "عمار القامة" مسؤول فرع (إ. د. ب. ج) فرع القصبة السفلى بالجزائر، الذي أمره فرحات عباس بنقل رسالة إلى كريم بلقاسم، ومما جاء فيها " فرحات عباس رئيس (إ. د. ب. ج) يريد الاتصال بجبهة التحرير الوطني في أقرب الآجال. " (1049) ويتحدث عن ذلك اللقاء بقوله: " في نهاية ماي كنت في الجزائر، بعد رجوعي من سطيف حيث قضيت هناك عيد الفطر، وفي ليلة 26 ماي 1955 دق عمار القامة بابي، وكنت قد تناولت العشاء وذهبت للنوم فأخبرني بأن هنالك مسؤولين يريدان رؤيتي، وهما عبان، و أوعمران فأدخلتهما إلى بيتي، ودار نقاش بيننا حول كيفية دخولي إلى جبهة التحرير الوطني وطلبوا مني المال والأدوية، انتقلت بعدها إلى سطيف، وفي أوائل جوان عدت إلى الجزائر، وقدمت إلى جبهة التحرير الوطني عن طريق بوقادوم مسعود مبلغا من المال يقدر بـ 2 مليون فرنك، وحقيرة محملة بالأدوية المتخلفة. " (1050) وهذه هي البداية الأولى لفرحات عباس بالتعاون مع جبهة التحرير الوطني أي بعد مضي أكثر من سبعة شهور على قيام الثورة التحريرية.

طلب فرحات عباس من عبان رمضان أن يسمح له بالانتقال إلى باريس لإعطائه فرصة لوقف الحرب، فوافق له عبان، ولكن اشترط عليه بأن يكون ذلك عن طريق جبهة التحرير الوطني فقط، بعدها سافر فرحات عباس إلى باريس والتقى برئيس الحكومة " إدغار فور "، ورئيس المجلس، وتحدث عن دستور بإمكانه أن يجعل الجزائر دولة مشتركة مع فرنسا، وطلب من " إدغار فور " أن يرسل إلى الجزائر ممثلا له للتفاوض مع جبهة

(1049) ibid.

(1050) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 82-83

التحرير الوطني لتشكيل حكومة جزائرية مؤقتة... (1051) ولكن رئيس الحكومة الفرنسية لم يستجب لاقتراح فرحات عباس، لأن فرنسا في هذه اللحظة مازالت تعتقد كل الاعتقاد بأن قوتها العسكرية هي الحل الوحيد للقضاء على الثورة الجزائرية، ولم تلجأ لقبول مبدأ الحوار، إلا بعد فشلها عسكرياً في القضاء على الثورة الجزائرية.

واستمر فرحات عباس في صائفة 1955 في جمع المال والأدوية لجهة التحرير الوطني مدعياً أنها لـ (إ. د. ب. ج) وعاملاً على إقناع مناضليه بالانضمام إلى جبهة التحرير الوطني. (1052)

وكانت الثورة في هذه الفترة تمر بظروف صعبة، صراع على القيادة بين الأوراسيين في منطقة الأوراس بين السيدين: عجول عجول، وعباس لغرور، و السيد: شيهاني بشير، الذي وصل إلى القيادة بعد إلقاء القبض على مصطفى بن بوالعيد، حيث اتفقا عباس لغرور، وعجول عجول على اغتيال القائد شيهاني بشير، ولما فر مصطفى بن بوالعيد من السجن، والتحق بمنطقته وجد الأمور تسير نحو الفوضى فأعاد تنظيمها من جديد إلى يوم استشهاده في مارس 1956، وظهور صرع آخر بين عبان رمضان، وكريم بلقاسم من جهة، ومن جهة أخرى بين أحمد بن بلة، وأحمد مهساس حول مسألة قيادة الثورة " الزعامة " ولم تتوصل الثورة لوضع حل لهذه الخلافات إلا بعد انعقاد مؤتمر الصومام (1053)، وقبل هذا التاريخ استشهد ديدوش مراد قائد المنطقة الثانية، وقام زيغود يوسف بتنظيم هجوم الشمال القسنطيني يوم 20 أوت 1955 لإعطاء الثورة التحريرية أبعادا وطنية، و دولية. وفي هذا اليوم اغتيل " علاوة عباس " صيدلي بقسنطينة ابن أخ فرحات عباس، ويقول فرحات عباس أن مسؤولي جبهة التحرير الوطني في القاهرة سنة 1957 اعترفوا له بأن أخطأ قد ارتكبت خلال يوم 20 أوت 1955 ومن هذه الأخطاء اغتيال " علاوة عباس * " (1054) وقد قامت جبهة التحرير الوطني بتحقيق رسمي حول اغتياله، هو والشريف بالحاج السعيد، وأكدت أن رجال جيش التحرير الوطني أبرياء من دمائهما، وكانا يعملان ضد الاحتلال. (1055)

فهي مؤامرة من تدبير " جاك سوستيل " وقد أراد أن يثبت هذا الأخير بأن جبهة التحرير الوطني هي التي اغتالت علاوة عباس، مستشهدا بأمر القتل (تصفية علاوة عباس) الذي وجد عند أحد الفدائيين استشهدوا في هذا اليوم أورده في كتابه " محبوبة و متألمة، الجزائر " (1056)

وقد حاول هذا الحاكم العام " جاك سوستيل " اختراق صفوف جبهة التحرير الوطني بتقليده مناشيرها

(1051) ibid. p : 84

(1052) نفس المرجع، ص: 137

(1053) ibid. p : 107

(1054) Francis et Colette Jeanson, L' Algérie hors la loi, édition E.N.A.G, Alger 1993, p : 332

* أعاد له المجلس الأعلى لقدماء المجاهدين الاعتبار في سنة 1973. (Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 107)

(1056) Jacques Soustelle, Aimée et souffrante Algérie, édition, Plon, Paris, 1956, p : 302

وتوزيعها في الجزائر، من أجل التأثير على المجاهدين بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة " حقا إنه رجل سياسي غير كفاء، وعالم نفساني رديء، و غير نزيه. " (1057)

وفي 25 أوت 1955 قدم 61 نائبا استقالتهم من المجالس النيابية في قسنطينة. (1058)

وقد أورد فرحات عباس تبرير ذلك في كتابه " تشريح حرب " و مما جاء فيه: " هذا اليوم 26 سبتمبر 1955 ونظرا للأوضاع الخطيرة التي تعرفها الجزائر، منتخبو الهيئة الثانية التابعون للجمعية الوطنية، ومجلس الجمهورية، وجمعية الإتحاد الفرنسي، والجمعية الجزائرية، يطالبون بتوقيف العنف مباشرة والرجوع إلى الحياة العادية، وأعلنوا عن تكوين " جمعية دائمة للتنسيق والعمل " تتكون من المنتخبين في كل الهيئات لمتابعة التطورات السياسية في الجزائر، وكان لهذه الاستقالة تأثير كبير على سياسة " جاك سوستيل ". (1059)

التقى فرحات عباس في 8 ديسمبر 1955 وكان برفقة الدكتور أحمد فرنسيس، عبان رمضان بالجزائر العاصمة في حديقة غالوند (Parc Galland) ويقول فرحات عباس عن ذلك اللقاء: " حدث ذلك في خميس عند حوالي الساعة الثالثة مساء... كان عبان يحاول الاتصال بنا منذ أيام لكنه لم يفلح... ولما أخبرني ابن يحيى بالأمر ذهبت للقائه رفقة فرنسيس إلى حديقة غالوند. ذهبنا للموعد في سيارتي، وجاء عبان في سيارة يقودها عمارة رشيد، ومن الحديقة اتجهنا إلى القبة بأعلي العاصمة، فتوقفنا بالقرب من منزل الدكتور فرنسيس. طلبت من سائقي أن يذهب، وبقي عمارة بسيارته ليأخذنا. ولأنني لم ألتق بعبان منذ شهر جوان، تحدثت معه عن اغتيال ابن أخي علاوة، وعرفت أن عبان لم يكن على علم بما حدث، كان منقطعاً عن قسنطينة، هذا خطأ قال لي... لا يوجد أي تنسيق بين مختلف المقاطعات، وهكذا نحن كلنا موتى مؤجلين علينا أن ننظر عالياً، ونستمر. " (1060) الثورة الجزائرية كانت تعاني صعوبات كثيرة منها انعدام التنسيق بين المناطق عبر التراب الوطني، وصعوبة التنظيم، مما أدى بها إلى الوقوع في بعض الأخطاء.

وأثناء هذا اللقاء قدم عبان رمضان منشورات يطلب فيها من النواب الجزائريين تقديم استقالتهم من المجالس النيابية مع التهديد فيقول فرحات عباس قلت لعبان: " يجب أن تهتم بروح التضامن بدل أسلوب الترهيب. " (1061) مازال فرحات عباس يؤمن بضرورة الإقناع، وعدم اللجوء لاستعمال أساليب الترهيب، وذلك بحكم سنه في هذه الفترة (56 سنة)، ونضاله السياسي الطويل الداعي إلى التعقل ونبد العنف، وحل المشاكل بالطرق العقلانية السلمية، فمنطقه هذا يضر أحيانا الثورة عن حسن نية، فالثورات لا تترك للفرد حرية التفكير أو الاقتناع، فالفرد فيها خاضع لرأي الجماعة القيادية. بعد نهاية الحوار الذي دام إلى حوالي الساعة الثامنة والنصف،

(1057) Francis et Colette Jeanson, op.cit, p : 333

(1058) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 234

(1059) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 143-144

(1060) ibid. p : 151

(1061) ibid.

صعد فرحات عباس، وفرنسيس في السيارة التي يقودها عمارة رشيد، وكانت هذه السيارة محل بحث من طرف شرطة الاحتلال، وحينما وصلوا إلى وسط العاصمة أوقفتهم الشرطة، وأخذتهم إلى مركزها وكانت بعض المناشير في جيب رشيد عمارة، فوضعها في جيب معطف فرحات عباس. تم إطلاق فرنسيس و فرحات عباس، و أوقفت الشرطة رشيد عمارة، وبعودته إلى منزله في العاصمة اتصل مباشرة بالحاكم العام بواسطة الهاتف، طلب منه إطلاق سراح الطالب عمارة رشيد طالبا منه بأن لا يسمح للشرطة بتعذيبه، ويقول: في الغد أطلق سراحه دون تعذيبه، و اتصل عمارة رشيد مباشرة بالجبل حيث استشهد مع زميله لونيس. (1062)

في هذه الأثناء التحق المركزيون بالثورة. وفي 7 جانفي 1956 دعا الشيخ العربي التبسي الجزائريين للالتحاق بالثورة مما عرضه ذلك إلى الاختطاف والقتل من طرف قوات الاحتلال. (1063)

وترك فرحات عباس الجزائر في 7 أفريل 1956 و توجه إلى باريس، حيث ترك زوجته وابنه عبد الحليم في منزل صغير بـ " سان دونيس " (Saint - Denis) وفي باريس التقى بـ " إدغار فور " المعزول من الحكم، ورئيس المجلس، وبعض الشخصيات الفرنسية ثم توجه بعدها إلى سويسرا مع صديقه أحمد فرنسيس ويقول عن ذلك: " إن صفحة من حياتي قد طويت، وانتهت لغة الحوار بين الفرنسيين والمسلمين، ولم يبق إلا الجهاد مع إخواننا في جبهة التحرير الوطني من أجل شرف وطننا. " (1064)

هذا الوطن الجزائري الذي حاول منذ بداية نشاطه السياسي أن ينقذه بالإمكانات والوسائل التي كانت متوفرة بيده من كشف أساليب الاحتلال وفضحها داعيا إلى تحرر الجزائريين المسلمين، وإلغاء القوانين الاستثنائية عن طريق سياسة الاندماج، وفي الأربعينيات تخلى عن هذه السياسية لينتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة المطالبة بجمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، وأخيرا اقتنع بأن سياسته قد فشلت، ليعلن انضمامه إلى جبهة التحرير الوطني بكل قناعة وثقة كبيرة، لأنه تأكد جيدا بأنها تسير في الاتجاه الصحيح من أجل تحرير الجزائر من الاحتلال. ومن سويسرا توجه فرحات عباس إلى القاهرة يوم 26 أفريل 1956، وبوصوله إليها عقد ندوة صحفية بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أعلن فيها رسميا وعلنيا عن انضمامه لجبهة التحرير الوطني. (1065) لكن انضمامه السري لجبهة التحري الوطني كان في ماي 1955. (1066)

وفي القاهرة استقبال استقبال حارا، ويقول بأن أحمد بن بلة قال له: " إنه أسعد يوم في حياتي، ولأبرهن

(1062) ibid. p : 152

(1064) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :245

(1065) ibid. p : 250

(1066) Jean Lacouture, op.cit, p : 312

(1063) نفس المرجع، ص: 142

عن فرحتي سأظهر علنا لأول مرة معك أمام الجمهور. " وحضر الندوة الصحفية حسين آيت أحمد، و لمين دباغين، ومحمد خيضر، و أحمد يزيد، وأحمد توفيق المدني الذي كان يترجم له إلى العربية.⁽¹⁰⁶⁷⁾ و قد حرف صحفي أمريكي كلامه فكتب مدعيا أنه قال: " سنقوم بنقل الحرب إلى فرنسا. " (We shall bring war to France) (1068) ونقلتها صحافة باريس، ولندن، و واشنطن، أعلم فرحات عباس لمين دباغين بذلك التحريف فقام أحمد بن بلة بإعلان الصحفيين بقوله: " أن كل ما يقوله فرحات عباس كأني أنا الذي قلته إنه يتكلم ابتداء من اليوم باسمنا، النص باللغة الفرنسية وترجمته الحرفية إلى اللغة العربية يعبر عن صدقه. " (1069)

إنها بداية مؤامرة سيئة ضد فرحات عباس المعروف بدعوته إلى السلم والتعقل، وكذلك ضد جبهة التحرير الوطني لإظهارها. مظهر غير مشرف لها، وقد علق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إنهم يعلمون في باريس بأنني رجل نزيه، ولا أعمل إلا من أجل عودة السلم... لقد طرقت كل الأبواب، وتجاوزت مع كل الرجال السياسيين لكي يفهموني، ولكن لم يحدث شيء من ذلك، لا أستطيع أن أعطي ضمانا لوضعية استنكرتها مطلقا، ورحيلي على الأقل دليل على مواطني، ولقد انفصلت عن سياسة عقيمة، تؤدي إلى تحطيم وطني... لم آت إلى هنا لتكوين " حكومة حرة "، أو ربط (إ. د. ب. ج) بجبهة التحرير الوطني، إنه اليوم لا توجد أحزاب... أحمد فرنسيس، وأنا التحقنا بجبهة التحرير الوطني التي تكافح من أجل تحرير الجزائر، لأنه لا يوجد مخرج آخر غيرها... " (1070)

أما الصحافي الأمريكي فقد أكد على نقله بصدق للترجمة، التي قام بها بعض الطلبة،⁽¹⁰⁷¹⁾ هل هو خطأ عفوي؟ لا أظن، إنها بداية المؤامرة، ضد فرحات عباس، من دبرها؟ يبق الأمر مجهولا لحد الآن. بدأ فرحات عباس منذ ذلك الوقت يختاط من الصحفيين، ولم يكن يثق إلا بالصحفي الفرنسي " جون لاکوتير " الذي كان ينقل كلامه بصدق.⁽¹⁰⁷²⁾

إن التحاق فرحات عباس علنا بجبهة التحرير الوطني، إلى جانب العلماء قد أعطى دفعا قويا للثورة في الداخل، والخارج، حيث سارت وراءهم مجموعة كبيرة من الفئات الشعبية بانضمامها إلى الثورة. ذاع صيت فرحات عباس واسعا في العالم كرجل معتدل انضم إلى المجاهدين الذين كانت تصفهم فرنسا بـ "الإرهابيين" فانضمامه إليهم مع كبر سنه ودعوته للسلم ونبذ العنف ليس إلا دليلا قويا للعالم بأن هؤلاء المجاهدين على حق، وبأن فرنسا هي الإرهابية فمن غير المعقول أن يقف فرحات عباس إلى جانب الإرهابيين.

فهو رجل سلم وحوار لقد قام بثلاث رحلات إلى باريس، قبل انتقاله إلى القاهرة، الأولى في أبريل

⁽¹⁰⁶⁷⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 250

⁽¹⁰⁶⁸⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 316

⁽¹⁰⁶⁹⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 251

⁽¹⁰⁷⁰⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 318

⁽¹⁰⁷¹⁾ ibid.

⁽¹⁰⁷²⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 251

1955، والثانية في أوث من نفس السنة، والثالثة في أبريل 1956 باحثا عن الحل السلمي، ووضع حد لسفك الدماء ولكن الأبواب أوصدت في وجهه،⁽¹⁰⁷³⁾ هذه الرحلات تركت آثارا حسنة للثورة الجزائرية فيما بعد، فقد أظهرت همجية الفرنسيين، ورفضهم للسلم، والحوار، فرحات عباس سبق الأحداث بدعوته إلى الحوار والذي اضطرت فرنسا اللجوء إليه مرغمة بعد خسائر فادحة في الأرواح، والممتلكات. وفي القاهرة استقر في منزل مع صديقه الدكتور أحمد فرانسيس، وقد أدركت الثورة ضرورة العمل الدبلوماسي لكسب التأييد العالمي، ووضع حد للدعاية الفرنسية المغرضة، ووجدت الشخص المناسب لذلك العمل، وهو فرحات عباس.⁽¹⁰⁷⁴⁾

شرع في العمل الدبلوماسي، بجواز سفر سوري، فانتقل إلى طرابلس، ودمشق مع زميله أحمد فرانسيس، والتقى بممثل جبهة التحرير الوطني عبد الحميد مهري في دمشق، الذي أوصلهما إلى السلطات السورية حيث قدمت دعما كبيرا للثورة الجزائرية.⁽¹⁰⁷⁵⁾

وتوجه بعد ذلك إلى سويسرا حيث التقى هناك بمناضلي حركته الذين التحقوا بالثورة، وهم أحمد بومنجل، الهادي مصطفى، والدكتور ابن عبيد، و بن قطاط، وطالب الإبراهيمي، و جمام، و أونوغان، وحاج السعيد، و يعلاوي، و بوقلي عمر، والتونسي أحمد بن صالح، ثم اتجه إلى بلجيكا مع أحمد فرانسيس، ولكنه منع من عقد ندوة صحفية، وأُرْجِعَ إلى سويسرا ومنها عاد إلى القاهرة، كان يأمل من ذلك العمل الدبلوماسي إبراز عدالة الثورة الجزائرية، وكسب أكبر عدد من المؤيدين من أجل الضغط على فرنسا دبلوماسيا لكي ترضخ للاعتراف و التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، بداية محاولات المفاوضات الأولى كانت مع عبد الحفيظ بوالصوف في سنة 1956 عندما أرسل " غي مولي " (Guy Mollet) مبعوثا له " بيار قومين " (Pierre Commin)، ولكن المفاوضات فشلت، وشرع بعدها الحزب الاشتراكي الفرنسي في اتصالات مع جبهة التحرير الوطني ففي القاهرة التقى محمد خيضر بـ " جورج قورس " (George Gorse)، وذلك ما بين 12 و 30 أبريل 1956، وفي بلغراد في نفس السنة التقى خيضر، وبعض شخصيات جبهة التحرير الوطني مع " بيار قومين " كانت جبهة التحرير الوطني تريد من هذه اللقاءات الحصول على الاعتراف الفرنسي بها كممثل شرعي، و وحيد للشعب الجزائري.⁽¹⁰⁷⁶⁾

لم يشارك فرحات عباس في اللقاءات الأولى، وإنما كان ينتقل من بلغراد إلى دمشق إلى بيروت لدفع المنظمات الدولية للاهتمام بالثورة الجزائرية، وتدويلها.⁽¹⁰⁷⁷⁾ ثم انتقل إلى أمريكا اللاتينية، مع كيوان، ودامت

⁽¹⁰⁷³⁾ Jean Lacouture, op.cit, p : 312

⁽¹⁰⁷⁴⁾ Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p : 252

⁽¹⁰⁷⁵⁾ نفس المرجع، ص: 147

⁽¹⁰⁷⁶⁾ ibid. p p : 253-254

⁽¹⁰⁷⁷⁾ ibid. p : 254

مهمتهما فيها، من 10 سبتمبر إلى 15 نوفمبر 1956 زارا خلالها الأرجنتين، و أوروغواي، و باراغواي، و الشيلي، و البيرو، و بوليفيا، وقد وجدا تفاهما من طرف الطلبة، والصحافيين، والسياسيين.⁽¹⁰⁷⁸⁾ كسب المزيد من الأنصار للثورة الجزائرية.

لقد عمل بإخلاص من أجل إنقاذ الجزائر من محتتها مستعملا كل طاقته، وخبرته السياسية لخدمة الثورة الجزائرية، لكنه لاحظ أن الأمور لم تكن تسير على ما يرام في القاهرة فالصراع بين قادة (ج. ت. و) من أجل الزعامة بلغ ذروته، وحسب فرحات عباس فإن سبب هذا الصراع هو أحمد بن بلة، الذي أراد أن يجعل نفسه زعيم الثورة، بالتعاون مع الحكومة المصرية، وفتححي الديق رجل المخابرات المصري المكلف بشمال أفريقيا، ويذكر فرحات عباس خطأ فادحا وقع فيه أحمد بن بلة، إما عن جهل أو عن قصد، ولكن لا يمكن أبدا حسب رأيه أن يحدث ذلك، وهذا الخطأ يتمثل في قضية السفينة المصرية المحملة بالأسلحة لجيش التحرير الوطني، حيث وضع فيها أحمد بن بلة أحد رجال المخابرات الفرنسية، وكلفه بالراديو، فبحروج السفينة من الإسكندرية في اتجاه المغرب كان هذا العميل الفرنسي قد أعطى بواسطة الراديو كل المعلومات عن السفينة "أطوس" (Athos) للمخابرات الفرنسية التي احتجزت هذه السفينة، وعرض بذلك بن بلة العلاقات المصرية الفرنسية للخطر.⁽¹⁰⁷⁹⁾

وهذا العمل الذي قام به أحمد بن بلة ألقى كثيرا قادة الثورة، فالصراع الذي تسبب فيه أضعف الثورة في الداخل، وكاد أن يؤدي إلى مشاكل عويصة، في الأوراس صراع على القيادة، عبان رمضان والعربي بن مهيدي ينتقدان ممارسات بن بلة، فقد كان ابن مهيدي مكلف باستقبال السفينة المصرية "أطوس" في المغرب في المنطقة الأسبانية حيث عاد خائبا، فتوصل ابن مهيدي إلى اكتشاف الصراع على الزعامة بين قادة الثورة في القاهرة فطلب بضرورة عقد مؤتمر لوضع حد لذلك الصراع.⁽¹⁰⁸⁰⁾ الذي كان قائما في القاهرة بين قادة الثورة، ويقول فرحات عباس بعد انتقاله إلى القاهرة في سنة 1956: "اصطدمت بالصراع الموجود على مستوى القمة."⁽¹⁰⁸¹⁾ كان عبان رمضان يريد تخليص الثورة من مرض الزعامة، وأيده في ذلك العربي بن مهيدي، وكريم بلقاسم، و أوعمران، وتم الاتفاق بينهم على عقد مؤتمر الصومام يوم 20 أوت 1956، فجبهة التحرير الوطني إلى جانب الأعمال العسكرية الميدانية توسع نشاطها السياسي داخل الجزائر، وذلك بضغط من عبان رمضان، للمّ شمل كل العناصر الوطنية ذات الاتجاهات السياسية المختلفة، تحت لواء جبهة التحرير الوطني.⁽¹⁰⁸²⁾ أي إعطاء الثورة الجزائرية بُعدا وطنيا، وبدون إقصاء العناصر التي انضمت إليه من التيارات الأخرى (المركزيون، العلماء، الشيوعيون، و حزب "إ. د. ب. ج").

⁽¹⁰⁷⁸⁾ Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 184

⁽¹⁰⁷⁹⁾ ibid. p p : 184-185

⁽¹⁰⁸⁰⁾ نفس المرجع، ص ص: 148-149

⁽¹⁰⁸¹⁾ Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 44

⁽¹⁰⁸²⁾ Patrick Eveno et Jean Planchais, la guerre d' Algérie, édition, Laphomic, Alger, 1990, p :112

انعقد مؤتمر الصومام في منطقة إيفري يوم 20 أوت 1956، ودامت أشغاله إلى 19 سبتمبر 1956، وقد حضره، زيغود يوسف، بن طوبال، بن عودة، وعلي كافي، و رويح حسين، و مزهودي عن المنطقة الثانية، و بالقاسم كريم، و محمدي السعيد، و عميروش، و قاسي عن المنطقة الثالثة، و أو عمران، و دهيليس، و بوغرة عن المنطقة الرابعة، و العربي بن مهدي عن المنطقة الخامسة، وعلي ملاح عن المنطقة السادسة، 15 عضوا، أما 16 فهو الأمين السياسي للمؤتمر " عبان رمضان " (1083)

عرف مؤتمر الصومام صراعات كثيرة خاصة بين عبان رمضان الرجل السياسي المثقف، والقادة العسكريين، بن طوبال، كريم، بسبب إقدام العقيد عميروش على تصفية سكان قرية " داغن " بالقرب من وادي أميزور، بالقرب من بجاية، حيث حاصرها ليلا، وقام بقتل عددا كبيرا من سكانها، حوالي 1100 قتيل، (1084) بتهمة الانتماء للحركة المصالية " ليلة الصومام الحمراء " وفي اليوم الموالي لهذه المحزنة عاتب شيخ عجوز العقيد عميروش على ذلك، فرد عليه هذا الأخير بقوله: " لقد قمنا بمعاينة الخونة، إن الله معنا. " فأجابه الشيخ العجوز: " استمرارك على هذا الطريق لن يبق في الجزائر سوى أنت، والله. " (1085)

وعاتب عبان مسؤولي أحداث 20 أوت 1955، حيث اعترض على قتل المدنيين الأوروبيين، لأن هذا في نظره لا يتماشى مع روح الثورة، سانده في رأيه بن مهدي، وابن خدة، فاستاء ابن طوبال من السياسيين اللذين كانوا يريدون ثورة قائمة على الحرب المنظمة. (1086)

عبان كان يريد من الثورة أن تترفع عن بعض الممارسات، فمن الناحية النظرية رأيه صحيح، ولكن من الناحية التطبيقية رأيه خاطئ، لا يمكن القيام بثورة نظيفة بدون حدوث تجاوزات، وأعمال عنف أحيانا ضد الأبرياء. وفي الأخير تم الاتفاق على مقررات مؤتمر الصومام في جو متوتر. (1087)

ونصت وثيقة الصومام على أولوية العمل السياسي، على العمل العسكري، والداخل على الخارج (1088) وأنشأ مؤتمر الصومام لجنة التنسيق والتنفيذ، وتتكون من 5 أعضاء هم: عبان رمضان، و العربي بن مهدي، و كريم بلقاسم، و بن يوسف بن خدة، و سعد دحلب. (1089) ويعتبر فرحات عباس هذه اللجنة كـ " نواة لحكومة "، (1090) وتمثل هذا اللجنة قيادة الأركان العليا لـ (ج. ت. و) (1091)

(1083) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 264 - 265

(1084) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 155

(1085) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 264

(1086) نفس المرجع، ص: 151

(1087) ibid. p : 266

(1088) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154

(1089) Benyoucef Ben Khedda, Abane – Ben M' hidi: Leur apport à la révolution Algérienne, édition, Dahleb Alger, 2000, p :30

(1090) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154

(1091) Henri Alleg,t,2, op.cit, p :212

والجلس الوطني للثورة الجزائرية، ويتكون من 34 عضواً، 17 دائمين، و 17 احتياطيين.* (1092)

ويعتبر فرحات عباس هذا المجلس بمثابة (برلمان جزائري) (1093) وأصبح عضواً دائماً فيه إلى جانب العلماء، والمركزيين، و أعضاء المنظمة الخاصة (اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، وجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، الذين انضموا إلى جبهة التحرير الوطني

لم يرض أحمد بن بلة بقرارات مؤتمر الصومام، وبرر رفضه بعدم حضور ممثلي المنطقة الأولى، وممثلي الخارج، ومنطقة وهران، متهما القرارات بالتوجه اللائكي، ورفضاً وجود زعماء الحركات الأخرى في لجنة التنسيق والتنفيذ، والجلس الوطني للثورة الجزائرية. (1094) والحقيقة أن بن بلة كان خائفاً من انتقال الزعامة إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وفيه تزول الزعامة الفردية التي تبناها ابن بلة فلهذا المجلس الحق في اتخاذ جميع القرارات التي تم الثورة الجزائرية، وهذه هي إحدى العوامل الأساسية القوية للثورة الجزائرية حيث استطاعت أن تبعد القيادة الفردية لها، وذلك بجعلها قيادة جماعية. أما بالنسبة لفرحات عباس فإنه عرف كيف يترفع عن هذه الصراعات الشخصية، لم تكن تمه الزعامة بقدر ما كان يهيمه استقلال الجزائر، لم يدخل في لعبة المؤامرات بين الإخوة لأن ثقافته الليبرالية، ونضج فكره السياسي، وروحه المتسامحة، وقدرته على النظر بعيداً مكنته من تجنب الانضمام إلى دائرة معينة من دوائر الصراع، صحيح أنه أظهر تقاربه الفكري مع عبان، وبن مهدي، ليس لأسباب شخصية ذاتية، ولكن لقناعات سياسية، وهي أن الثورة عمل متكامل بين كل أبناء الجزائر بدون تمييز مع إعطاء الأولوية للفكر، والعقل، وهذا ما

(1092) Benyoucef Ben Khedda, Abane – Ben M' hidi: Leur apport à la révolution Algérienne, op.cit, p : 30

| * الأعضاء الدائمون | الأعضاء الاحتياطيون |
|------------------------|---|
| 1. عبان رمضان | 1. عيسى بن عطا الله |
| 2. فرحات عباس | 2. نائب بن بولعيد |
| 3. إيدير عيسات | 3. لخضر بن طوبال |
| 4. حسين آيت أحمد | 4. محمد بن يحي |
| 5. أحمد بن بلة | 5. عبد الحفيظ بالصوف |
| 6. مصطفى بن بو العيد | 6. سعد دحلب |
| 7. بن يوسف بن خدة | 7. سليمان دهيليس |
| 8. محمد العربي بن مهدي | 8. أحمد فرنسيس |
| 9. رابح بيطاط | 9. محمد لبحاوي |
| 10. محمد بوضياف | 10. محمد الصالح لعوانشي |
| 11. محمد لمين دباغين | 11. عبد الحميد مهري |
| 12. أحمد توفيق المدني | 12. علي ملاح |
| 13. محمد خيضر | 13. إبراهيم مزهودي |
| 14. بلقاسم كرم | 14. سعيد محمدي |
| 15. عمار أوعمران | 15. عبد المالك تمام |
| 16. احمد يزيد | 16. الطيب الثعالبي |
| 17. يوسف زيغود | 17. الإتحاد العام للعمال الجزائريين (يعين من طرف لجنة التنسيق والتنفيذ) |

(1093) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 154

(1094) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 266

كان ينادي به منذ تأسيسه لحزب إتحاد الشعب الجزائري سنة 1938، اتفق مع عبان رمضان في إعطاء الأولوية للعمل السياسي الفكري المنظر، على العمل العسكري الميداني.

" ويعتقد محمد حربي أن الصراعات التي ظهرت في مؤتمر الصومام تعبّر في العمق عن وجود تصورين مختلفين للثورة، الأول يدعمه عبان رمضان، و ابن مهدي اللذان أرادا الاعتماد على الفئات العمالية، والمدنية، والبرجوازية لنقل الثورة إلى المدينة، ويدعم التصور الثاني القادة العسكريون، وبالأخص بن طوبال الذي يرى أن فئات الفلاحين في الأرياف هي الوحيدة القادرة على تحمل مسؤولية الثورة، فلم يول أية أهمية للمسائل الأيديولوجية، بل اعتمد على العفوية و الارتباط بالتقاليد الثورية للفلاحين. " (1095) شهدت سنة 1956 التحاق الطلبة الجامعيين، والثانويين بالثورة.

قام السلاح الجوي الفرنسي في 22 أكتوبر 1956 بعملية قرصنة جوية باختطافه طائرة مغربية كان على متنها القادة الخمس للثورة الجزائرية، أحمد بن بلة، ومحمد خيضر، وحسين آيت أحمد، ومحمد بوضياف، ومصطفى الأشرف، كانوا متوجهين من المغرب إلى تونس لحضور ندوة مغربية. (1096) سجن ابن بلة قتل حدة الصراع على الزعامة بين قادة الثورة.

شهدت نهاية جانفي 1957 بداية معركة الجزائر وقام الجيش الفرنسي (المظليون) بمهام الشرطة مستعملين كل أنواع التعذيب، والتنكيل بالمدينين، وهذا بأمر من " غي مولي "، و " روبر لاكوست " (Robert Lacoste) وزير مقيم بالجزائر، اللذان منحا كامل السلطات للجنرال " ماسو " (Massu) باستعمال كل الوسائل للقضاء على معركة الجزائر. (1097) أي الوسائل التي تمنعها قوانين الحرب الدولية منها تعذيب الأسرى وقتل المدينين، والتي تدخل في إطار جرائم الحرب. وجه فرحات عباس نداء إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، شارحا له التجاوزات التي ارتكبتها المظليون الفرنسيون ضد المدينين الجزائريين المسلمين، وطالبا منه التدخل لوضع حد للجرائم، والمجازر التي يرتكبها الجيش الفرنسي. (1098) في الجزائر ضد المدينين.

تقرر في أوث 1957 خلال اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بالقاهرة توسيع لجنة التنسيق والتنفيذ إلى 9 أعضاء. وهم: عبان رمضان، فرحات عباس، لخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف، محمود الشريف، محمد ملين دباغين، كريم بلقاسم، عبد الحميد مهري، عمار أوعمران. (1099)

اغتيال عبان رمضان (غدرًا) في 22 ديسمبر 1957 في تيطوان بالمغرب علي يد رجال العقيد عبد الحفيظ

(1095) نفس المرجع، ص: 153

(1096) ibid. p : 268

(1097) Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p : 124

(1098) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 271

(1099) بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، و محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص: 50

بوالصوف الذي أعطى الأمر بقتله، بالاتفاق مع كريم بلقاسم. (1100)

أول رد فعل لفرحات عباس على اغتيال عبان رمضان الذي تأثر بذلك كثيرا هو محاولة وضع حد لمسؤولياته في لجنة التنسيق والتنفيذ، ولكن الشيخ البشير الإبراهيمي نصحه بالبقاء، وخلال اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ في 14 فيفري 1958 أكد له كريم بلقاسم بأن عبان رمضان خطر على الثورة، ولذلك وجب قتله فرد عليه فرحات عباس: " من أعطاك حق محاكمته؟ ألا تخاف أن يحدث لك يوما، أو لأبنائك مثل ما حدث لعبان رمضان. " (1101) (وبالفعل حدث لكريم بلقاسم ما حدث لعبان رمضان، حيث اغتيل في ألمانيا سنة 1970)

ويصف فرحات عباس عبان رمضان بأنه رجل صريح، وصادق، و موضوعي، حيث أعطى للثورة بعدا شعبيا فقد أخرجها من ملكية الثوريين إلى ملكية عامة للجزائر. (1102) بعد اغتيال عبان رمضان، واستشهاد العربي بن مهدي، وهما رجلان مخلصان وصريحان في أقوالهما و أفعالهما نظرة واقعية وعميقة للثورة، و باستشهادهما فقدت الثورة الجزائرية بعض رجالها العظماء.

وقد استطاع فرحات عباس أن يتجاوز هذه الصراعات، كان هدفه السمو بالثورة إلى مرتبة الثورة الشعبية الوطنية فترفع عن الصراعات الداخلية بين القادة، وكثيرا ما كان يتدخل للإصلاح بين المتصارعين. و فرض العسكريون نفوذهم على قيادة الثورة وهم: كريم بلقاسم، وبن طوبال، و بوالصوف، حيث استطاعوا أن يتخلصوا من منافس مثقف، وسياسي عنيد، وهو عبان رمضان، أما السياسيون الذين استمروا في لجنة التنسيق والتنفيذ فكانوا قليلا ما يواجهون العقداء الثلاث، استطاع عبد الحفيظ بوالصوف أن يكسب ود الرئيس جمال عبد الناصر بعد سجن أحمد بن بلة لأن جمال عبد الناصر لم يكن يرتاح لفرحات عباس، و عبان رمضان اللذان كانت لهما شخصيتان قويتان، ورافضان الدكتاتوريات الشرقية، ومتأثران بالديمقراطية الفرنسية، وهذه التوجهات رفضها جمال عبد الناصر، وخلال انعقاد اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ في القاهرة في 13 مارس 1958 وفي الجلسة الأولى اعترض فرحات عباس على سلوك العقداء بقوله: " نصبوا أنفسهم قضاة وليس من حقهم قتل أو إحياء رجال (ج. ت. و) " (1103) علق فرحات عباس على ذلك بأن الحياة الجماعية مستحيلة، ففي نظره أن العقلية القبلية ما زالت مسيطرة على عقول بعض العقداء، ويذكر حادثة وقعت خلال اجتماع 14 أبريل 1958 بين كريم، و بوالصوف وصلت إلى حد التهديد، حيث يقول تدخلت بقوة فائلا لهما: " لا أستطيع تحمل خصامكما، لو يحدث أي شيء لأحد منكما سأنسحب، وأنتقل إلى أوروبا، وسأفضحكما علانية لكي تعرف الجزائر بمدتها، و دواويرها، وجبالها

(1100) ibid. p : 283

(1101) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 228-229

(1102) ibid. p : 229

(1103) ibid. p: 230

سلوككما أنسيتهما بأن الدماء تسفك في الجزائر؟ ماذا يمثل صراعكما بالنسبة لتضحيات شعبنا. " (1104)

الشيء الجيد بالنسبة للشعب الجزائري، ومعظم مجاهدي الداخل أنهم كانوا لا يعلمون بهذا الصراع القائم بين القادة وكان شغلهم تحرير الجزائر، وهذا شيء إيجابي جدا للثورة الجزائرية، حيث بقيت متماسكة ولم تنقسم على نفسها، لأنهم عرفوا كيف يحافظون على سرية صراعهم، الذي بقي محصورا في القمة ولم ينزل إلى القاعدة، فمثلا اغتيال عبان رمضان لم تعلن عنه (ج. ت. و) إلا يوم 29 ماي 1958، عندما كتبت جريدة المجاهد في صفحتها الأولى "عبان استشهد في معركة الشرف".* (1105)

أما داخليا فإن المخابرات الفرنسية تحاول اختراق صفوف المجاهدين، عن طريق تدبير المؤامرات الدنيئة كما حدث في قضية "الأزرقية" حيث استطاعت أن تنجح مع العقيد عميروش، ونائبه الرائد محيوز، وكانت نتيجتها إعدام حوالي 3000 مجاهدا** (1106).

عندما زار "دي غول" الجزائر في 4 جوان 1958 حاملا معه سياسة الاندماج "تحيا الجزائر الفرنسية"، رد فرحات عباس عليه من جنيف قائلا: "ما زال الجنرال دي غول يرفض التخلي عن أسطورة الجزائر فرنسية، ودعاه إلى التفاوض مع (ج. ت. و) حول الاستقلال الوطني." (1107)

و في نهاية جوان 1958 لجنة التنسيق والتنفيذ عملت لكي تتحول إلى حكومة جزائرية تتكون من أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ. (1108) وذلك بعد مجيء الجنرال "دي غول"، و زوال الجمهورية الفرنسية الرابعة، وقيام الجمهورية الخامسة.

لقد تم الإعلان في 19 سبتمبر 1958 عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالقاهرة، التي حلت محل لجنة التنسيق والتنفيذ. (1109) وضمت كل التيارات السياسية الجزائرية القديمة (اللجنة الثورية للوحدة والعمل، جبهة التحرير الوطني، الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية،

(1104) ibid. p : 231

* " في أوائل النصف الأول من شهر أفريل وقع اشتباك عنيف بين قواتنا، وقوات العدو... وخلال المعركة التي دامت عدة ساعات، أصيب عبان رمضان، وحدث له نزيف حاد... معلومة سيئة وصلتنا... شجاعة وإرادة عبان رمضان تمثل مرحلة هامة من كفاح الشعب الجزائري... نبكي أخوا منا ضلوا، وذكره سيبقي دليلنا. " El Moudjahid, du 29 mai 1958 (1105) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 161

(1106) ibid. p p : 220-221

** هذا الرقم يظهر أنه مبالغ فيه كثيرا، ولا نشك في وطنية العقيد عميروش، ربما يكون قد ارتكب أخطاء ولكن ليست بهذه الدرجة. وهذه القضية قد أسالت الكثير من الحبر، وهي تحتاج إلى دراسة موثقة لكشف حقيقتها، وتقديم الاعتراف للشهداء الذين سقطوا عن طريق الخطأ من طرف إخوانهم.

(1107) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 292-293

(1108) Mohammed Harbi, Une vie debout, Mémoire politique, T 1: 1954 - 1962, édition, Casba, Alger, 2001, p: 238

(1109) بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 52

والعلماء)، وتم الاتفاق بالإجماع على تعيين فرحات عباس رئيسا لها. (1110)، وهو أكثر المعتدلين من بين أعضائها. (1111) وتشكلت هذه الحكومة (1112) من:

رئيس المجلس الوزاري.....فرحات عباس
نائب رئيس المجلس الوزاري، ووزير القوات المسلحة.....بلقاسم كريم
نائب رئيس المجلس.....أحمد بن بلة
وزراء دولة.....حسين آيت أحمد
.....رايح بيطات
.....محمد بوضياف
.....محمد خيضر (هؤلاء الأعضاء الخمس كانوا
معتقلين في فرنسا)
وزير الشؤون الخارجية.....محمد أمين دباغين
وزير التسليح والتموين.....محمود الشريف
وزير الداخلية.....لخضر بن طوبال
وزير الاتصالات العامة والمواصلات.....عبد الحفيظ بوالصوف
وزير شؤون شمال إفريقيا.....عبد الحميد مهري
وزير المالية.....أحمد فرنسيس
وزير الإعلام.....محمد يزيد
وزير الشؤون الاجتماعية.....بن يوسف بن خدة
وزير الشؤون الثقافية.....أحمد توفيق المدني
وزراء دولة مقيمين في الداخل.....لمين خان (الولاية الثانية)
.....عمر اوصديق (الولاية الرابعة)
.....مصطفى اسطنبولي (الولاية الخامسة)

لم يكن فرحات عباس يرغب في الرئاسة، فخلال اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 17 سبتمبر 1958 لمناقشة تأسيس الحكومة المؤقتة، وتشكيل أعضائها يقول: " اقترحت لمنصب رئاستها كريم، أو الدكتور لمين دباغين، الأول (تاريخي)، والثاني ترأس بعثة الخارج، ولكنهما وجدا معارضة كريم جاءت من ابن طوبال، و بوالصوف، فلا أحد منهما أراد أن يكون كريم فوقهما، وذلك من أجل السير الحسن للثورة حيث صرحا بأنه يجب أن يبقى الثلاثة متساوون، (الباءات الثلاث)، أما رفض رئاسة لمين دباغين فقد جاء من أحمد بن بلة، وفي هذه الظروف عيني الإخوة بالإجماع رئيسا لأول حكومة جزائرية. " (1113)

اختار أعضاء اللجنة فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة لاعتداله، وكبر سنه (59 سنة) وخبرته الطويلة في النضال السياسي، وعدم ميله لأي تكتل من التكتلات التي كانت موجودة داخل القيادة العليا، فقد حاول

(1110) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p :298

(1111) Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p :220

(1112) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p :244-245

(1113) ibid. p : 244

كريم بكل الطرق أن يكون رئيسا للحكومة المؤقتة، ولكن زملاءه العقداة (بوالصوف، وبن طوبال) وقفوا ضده، ورفضوا أن يكون رئيسا عليهم، أما فرحات عباس فكان يميل للتعقل، وعدم التسرع في اتخاذ القرارات وكان سلوكه يبعث على الاطمئنان بين معظم القادة، وقد عاب عليه رضا مالك ذلك السلوك بقوله: " فرحات عباس رئيس يترأس، ولكن لا يحكم. " (1114) لأن فرحات عباس لم يكن هدفة البحث عن الزعامة الشخصية، إنما كان هدفة أوسع بكثير من ذلك فكان يسعى بكل طاقته من أجل استقلال الجزائر.

لكن فرحات عباس يقول: " عندما أصبحت رئيسا للحكومة المؤقتة، فكرت دائما فيما يجب أن أقدمه للشعب، والله. " (1115) اهتماماته كلها للثورة الجزائرية، لذلك نظر إليه البعض بنظرة ضعف، يعترف بأن كل ما فعله لم يكن لوجه أحد من الوجوه التي كانت بجانبه، وإنما فعل كل ما فعل لأجل الله و الوطن، " عندما عينت كرئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سبتمبر 1958، أحد المركزيين (بومعزة) كان مسجوننا في "فريسناس" (Fresnes) تعجب عندما سمع بذلك قائلاً: عباس سنعصره كما نعصر ليمونة ثم سنرميه، ويضيف فرحات عباس قائلاً: لم أكن مخدوعا في حسابات الآخرين، ولم أكن في خدمتهم، ولا في خدمة (ح. إ. ح. د)، وإنما كنت في خدمة وطني فقط. " (1116) أما " ألبير لوبرين " (Albert Lebrun) فقد صرح من مكتبه في الإليزي عند اختيار فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة قائلاً: " إن طريق فرحات عباس فريد من نوعه " (1117)

وقد نشر فرحات عباس تقريرا باسم جبهة التحرير الوطني يوضح فيه الأسباب العميقة لتأسيس الحكومة المؤقتة ومما جاء فيه: " إن تأسيس حكومتنا يستجيب للرغبات العميقة التي عبر عنها مقاتلو جيش التحرير الوطني البواسل، وكذلك عامة الشعب الجزائري، إنها تؤدي إلى تقوية فكرة الاستقلال عند الجميع... و باقتراب الاستفتاء سوف يتشجع الشعب الجزائري لكي يهزم سياسة الارتباط، وأبوة دي غول... " (1118) والدول الأولى التي اعترفت بـ (ح. م. ج. ج) هي العراق، ومصر، باكستان، وليبيا، واليمن، والعربية السعودية، والأردن، والسودان، ثم توالى الاعترافات بها من الدول العربية، والإسلامية، والآسيوية، وقد رفض فرحات عباس زيارة عرضتها عليه فرنسا إلى باريس قائلاً: " لماذا، هل انهزمتنا؟ جيشنا هو القوي دائما، ولا يجب جلب الإساءة إليه، ولكن يجب أن نتحدث، (1119) واجهت الحكومة المؤقتة مؤامرة أخرى بعد تأسيسها بالتواطؤ مع النظام المصري، قام بها فتحي الديب

(1114) Rédha Malek, L'Algérie à Evian, histoire des négociation secrètes 1956, 1962, édition, A.N.E.P, Alger, 2001, p : 42

(1115) Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 21

(1116) ibid. p p : 49-50

(1117) Jean Lacouture, op.cit, p : 321

(1118) Henri Alleg, t 3, op.cit, p :70

(1119) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 301

الذي شجع العقيد العموري، مسؤول الولاية الأولى (أوراس النمامشة) ومجموعة من الضباط على الإطاحة بالحكومة المؤقتة.⁽¹¹²⁰⁾ لأن هذه الحكومة أقلقت النظام المصري لوجود بعض العناصر فيها رفضهم النظام المصري مثل فرحات عباس، الراض للكتاتوريات العربية، والمتأثر بالديمقراطية الغربية وقد اتهم بميولاته الغربية. أعلم فتححي الديب العقيد العموري بأن مصر ستقدم له كل الوسائل للإطاحة بها.⁽¹¹²¹⁾، وتم اكتشاف تلك المؤامرة بمساعدة المخابرات التونسية، وأقيمت محكمة عسكرية لذلك الغرض ترأسها العقيد الهواري بومدين، وتم الحكم بالإعدام على العقيد العموري، و نفذ فيه في شهر مارس 1959.⁽¹¹²²⁾ مع العقيد نواورة، والرائد عواشيرة، ومصطفى لكحل.⁽¹¹²³⁾

إن الثورة الجزائرية المسلحة لم تهمل الجانب الدبلوماسي وإنما جعلته من أولوياتها، وأعطت بذلك دليلاً قوياً للعالم بأن هدفها يتمثل في تحرير الجزائر من الاحتلال، باحثة على أكبر عدد من الدول والمنظمات العالمية، لتأييد الثورة، والضغط على فرنسا من أجل اللجوء إلى الاعتراف بجمبهة التحرير الوطني كمثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، وقبول التفاوض معها فقط. صرح فرحات عباس في 19 أكتوبر 1958 من تونس أمام الصحافة الدولية بأن الجزائر لن تضع أي شرط مسبق للحوار مع فرنسا.⁽¹¹²⁴⁾

ويعتبر هذا التصريح حدثاً هاماً في الدبلوماسية الجزائرية التي فتحت رسمياً باب الحوار مع الحكومة الفرنسية، وأثبتت رغبتها في الوصول إلى حل عن طريق التفاوض، و يرد "دي غول" على ذلك بمشروع "سلم الشجعان" يوم 23 أكتوبر 1958.⁽¹¹²⁵⁾ رفضت الحكومة المؤقتة مشروع "دي غول" لأنه لا يستجيب لأهداف الثورة. أراد "دي غول" ربطه بمشروع قسنطينة (3 أكتوبر 1958) مستعملاً بذلك أسلوب التهريب، والترغيب للقضاء على الثورة الجزائرية، وغير معترف في ذلك بجمبهة التحرير الوطني. واجه فرحات عباس مشاكل أخرى من العقيد عميروش قائد الولاية الثالثة الذي انتقد سياسية الحكومة المؤقتة، واتهمها بإهمالها للداخل.⁽¹¹²⁶⁾ ولكن محاولة العقيد عميروش فشلت في تنظيم قادة الداخل ضد الحكومة المؤقتة.

في جانفي 1959 تضاف مؤامرة أخرى ضد فرحات عباس، حيث حاول علاوة عميرة أن يتخلص منه شخصياً، وتكشف خطته، ويغتال بالقرب من مقر الحكومة المؤقتة بالقاهرة لتتحرك من جديد حرب الكتل،

⁽¹¹²⁰⁾ Rédha Malek, op.cit, p : 42

⁽¹¹²¹⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 178

⁽¹¹²²⁾ Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 248

⁽¹¹²³⁾ نفس المرجع، ص: 179

⁽¹¹²⁴⁾ Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 307-308

⁽¹¹²⁵⁾ نفس المرجع، ص: 184

⁽¹¹²⁶⁾ نفس المرجع، ص: 188

واستغل النظام المصري ذلك الاغتيال لاتهم فرحات عباس والحكومة المؤقتة بتدبير عملية الاغتيال، كما استغل كريم ذلك لإبعاد فرحات عباس من رئاسة الحكومة، ولكن خوفه من بوالصوف، وابن طوبال اللذين رفضا أن يكون زميلهما بنفس رتبتهما العسكرية رئيسا عليهما، لم يتمكن من الإطاحة بفرحات عباس، ولكن العقداء الثلاثة (كريم، بوالصوف، وابن طوبال) اتفقوا على تمهيش الحكومة المؤقتة، واستحوذوا على سلطة القرار. (1127)

ألقى الجنرال " دي غول " في ليلة 16 سبتمبر 1959 على الساعة 8:00 مساء، خطابا خلال نشرة الأخبار المتلفزة أعلن فيه عن إعطاء الجزائر حق تقرير مصيرها، و واضعا لذلك جملة من الشروط منها توقيف القتال. (1128)

ويعتبر هذا الخطاب نقطة تحول حقيقية في السياسة الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، حيث فتح باب المفاوضات، و وجد " دي غول " معارضة شديدة من المحتلين، وبعض ضباط الجيش الذين رفضوا المفاوضات وأصروا على مواصلة الحرب إلى غاية تحقيق القضاء على الثورة الجزائرية، ومن جهتها اشترطت الحكومة المؤقتة الاستقلال المسبق على المفاوضات، ورد فرحات عباس يوم 29 سبتمبر 1959 من تونس على اقتراح الجنرال " دي غول " بقوله: " إن رئيس الجمهورية الفرنسية اعترف علنيا باسم فرنسا، بتصريحه يوم 16 سبتمبر 1959 بإعطاء الحق للجزائريين في تقرير مصيرهم بكل حرية... هذا التطور لم يكن ممكنا قبل خمس سنوات وقد جاء نتيجة للكفاح الذي انتصر فيه الشعب الجزائري في حرب تعتبر من أشد الحروب الدامية ضد الاحتلال " وقد أعلن عن استعداداته للتفاوض لكن بشرط أن يكون ذلك من " أجل الحصول على استقلال الجزائر. " و واضعا شروطا منها ذهاب القوات الفرنسية (500 ألف عسكري)، وإجراء استفتاء بدون ضغوط عسكرية مؤكدا على بقاء الصحراء جزءا من الجزائر المستقلة... (1129)

أما شروط المفاوضات فإنها غير متوفرة، وباءت بالفشل. ويعلق فرحات عباس على ذلك الفشل بكون المسألة الجزائرية تتحكم فيها أربعة اتجاهات:

- 1- فرنسا مع 50 مليون نسمة من سكانها.
- 2- الشعب الجزائري بـ 10 ملايين نسمة، والذي أعلن الثورة ضد الاحتلال.
- 3- مليون فرنسي (محتل) في الجزائر، هدفهم بقاء الجزائر فرنسية.
- 4- الضباط الفرنسيون الضائعون (الثأر من الشعب الجزائري بسبب هزيمتهم في الهند الصينية) (1130)

كما اقترح العقيد بوالصوف في أكتوبر 1959 تعيين مجلس وطني جديد للثورة الجزائرية بسبب انتقادات

(1127) Mohamed Harbi, F.L.N, mirage et réalité, op. cit, p p : 224-225

(1128) نفس المرجع، ص: 188

(1129) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 318

(1130) ibid. p p : 321-322

العقداء الثلاث لفرحات عباس ومعهم بن يوسف بن خدة، وعمر أوصديق، ورغبة كريم الشديدة في تولي الرئاسة، ولكن بالصوف، وبن طوبال، تركوا كريم بلقاسم في مواجهة المركزين السابقين. (1131)

وخلال المؤتمر المنعقد بطرابلس ما بين 16 ديسمبر 1959، و 18 جانفي 1960، دافع فرحات عباس في مداخلة له يوم 3 جانفي 1960 عن المنجزات التي حققتها الحكومة المؤقتة قائلا: " حافظت على الوفاق بين الوزراء داخل الحكومة المؤقتة... وتحملت مسؤوليتي كاملة أمام المجالس الولائية، و حافظت على شرف بلدي أمام الأجانب، وكذلك وحدة الثورة، وأصبح لجبهة التحرير الوطني المال، ولجيش التحرير الوطني السلاح، وعلى الصعيد الدبلوماسي فإن سمعة الجزائر في تطور مستمر حتى في فرنسا، وحق تقرير المصير هو دليل على ذلك، وبدون الاتحاد، والأخوة بيننا فإن ذلك سيؤدي إلى انقسامنا، نبقى متحدين لنتصر. " (1132)

وتم الاتفاق على تكوين حكومة مؤقتة جديدة، وتتكون من:

رئيس المجلس.....فرحات عباس
نائب رئيس المجلس ووزير الشؤون الداخلية.....بلقاسم كريم
.....حسين آيت أحمد
.....رايح بيطاط
وزراء دولة.....محمد بوضياف
.....محمد خيضر
وزير الدولة.....السعيد محمدي
وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية.....عبد الحميد مهري
وزير التسليح و الاتصالات العامة.....عبد الحفيظ بالصوف
وزير المالية و الشؤون الاقتصادية.....أحمد فرنسيس
وزير الإعلام.....أحمد يزيد
وزير الداخلية.....الاخضر بن طوبال (1133)

وتولت الحكومة المؤقتة تعيين هيئة الأركان العامة، تحت قيادة العقيد هواري بومدين، وتعيين أحمد قايد، وعلي منجلي مساعدين له. (1134) بقي فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة الثانية، ليتولى مهمة التفاوض مع الحكومة الفرنسية على أساس مبدأ أولوية الاتفاق السياسي على الاتفاق العسكري. (1135) وضع فرحات عباس كل طاقته من أجل تحقيق الاتصال بين الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية، وأرسل يوم 20 جوان 1960 إلى "مولان" (Melun) وفدا يتكون من: محمد الصديق بن يحيى، وحكيمي بن عمار، وأحمد بومنجل للشروع في المفاوضات مع الوفد الفرنسي الذي يمثلته الجنرال " روبر دي فاستين " (Robert de Gastines)، والعقيد " ماتون " (Mathon)، و " روجي

(1131) ibid. p: 322

(1132) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 280

(1133) بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 53

(1134) نفس المرجع، والصفحة.

(1135) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 198

موريس " (Roger Moris)، وذلك بهدف تحضير لقاءات مستقبلية بين عباس و الجنرال " دي غول "، وطلبوا لقاء مساحين " إيكس " (Aix) خاصة ابن بلة، كل اقتراحاتهم رفضها " دي غول " لأن التفاوض مع الحكومة المؤقتة يعني اعترافه بالجمهورية الجزائرية، وصرح " دي غول " لـ " محمد مصمودي " وزير تونسي بقوله: " تعلمون سيدي الوزير، بأن الجزائر لم تكن أبدا دولة، ولا أمة. " وعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إن مسار المفاوضات قد انطلق، ولا أحد يستطيع إيقافه، و مولان بدايته. " (1136)

فرحات عباس في جولاته عبر الدول حقق انتصارات دبلوماسية عظيمة للجزائر في الصين، و روسيا، وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث ساند السيناتور الأمريكي " جون كيندي " الثورة الجزائرية. (1137) وأصبحت فرنسا في موقف حرج أمام ازدياد انتصارات جيش التحرير الوطني عسكريا، وازدياد تلاحم الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني وتمسكه بها، كمثل وحيد له، وكان كذلك دور كبير للنشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة في كشف سياسة الجنرال " دي غول " الجهنمية تجاه الثورة الجزائرية من قتل المدنيين الأبرياء، إقامة المحتشدات، إنشاء مناطق محرمة، إتباع سياسة الأرض المحروقة...

لقد أعطت مظاهرات 11 ديسمبر دعما شعبيا قويا لجبهة التحرير الوطني للتفاوض من مركز قوة، لكن المشاكل تظهر مرة أخرى بين قادة الثورة، وهذه المرة بين هيئة الأركان العامة برئاسة العقيد هواري بومدين، والحكومة المؤقتة بسبب قضية الطيار الفرنسي الذي أسقطت طائرته من قبل جيش التحرير الوطني في جوان 1961 على التراب التونسي، ووقع طيارها أسيرا عند جيش الحدود، تدخل الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وفرحات عباس لدى هيئة الأركان العامة لإطلاق الطيار الفرنسي الأسير، رفض هواري بومدين ذلك الطلب، وأمام إصرار فرحات عباس وتدخل العقيدين بوالصوف، وبن طوبال من أجل تنفيذ قرار الحكومة المؤقتة العقيد بومدين قدم استقالته من قيادة هيئة الأركان العامة، وتبعه نوابه الرائد عزالدين، علي مجلي، والرائد سليمان (قايد أحمد)، اتهم بومدين في استقالته الحكومة المؤقتة بخروجها عن مبادئ الثورة، وتخلي فرحات عباس عن تلك المبادئ، وأرسل العقيد بومدين شابا، ذكيا (1138) إلى فرنسا هو " عبد العزيز بوتفليقة باسم مستعار " إدريس بوخرطة " (1139) للبحث عن حليف من المساحين الخمسة، وتوجه أولا إلى بوضياف، ولكنه رفض مساندة هيئة الأركان العامة، وأدان عصيانها، فتوجه بوتفليقة إلى بن بلة الذي قبل العرض مباشرة ليكون تحت مسؤولية قيادة هيئة الأركان العامة. (1140)

(1136) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 331

(1137) نفس المرجع، ص: 201

(1138) نفس المرجع، ص: 206

(1139) علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999، ص: 282

(1140) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 355-356

" كان بومدين ميالا إلى بوضياف، ولكن مرسوله، عبد العزيز بوتفليقة نصحه بتبديل "الفرس"، والمراهنة على ابن بلة، لأن الأول عنيد، وصارم. " (1141)

يقول فرحات عباس عن ذلك: " هذا التحالف بقي سرياً، وفرض ثقله على مستقبل الوطن." (1142)
مع بداية ظهور فكرة قبول التفاوض، ازدادت حمى الصراع على السلطة، ودخل بومدين في صراع ضد كريم بلقاسم وسانده في ذلك العقيدين بوالصوف، وبن طوبال، مؤامرات، اتهامات، فرحات عباس رفض منذ البداية الدخول في هذا الصراع، كان هدفه استقلال الجزائر، وقد فرض العقدا نفوذهم على الحكومة المؤقتة، وفي اجتماع المجلس الجزائري المنعقد ما بين 9 و 27 أوت 1961 بطرابلس اتمم قايد أحمد، ومنجلي المفاوضون في إيفيان. محاولة (تصفية الجزائر)، ودافع كريم بلقاسم بقوة عن رأيه ومعهم بقية الوفد المفاوض، فقدّم قايد أحمد، ومنجلي استقالتهما من الوفد، وتعقدت الأمور داخل الاجتماع، واتفق الجميع على تعيين كريم بلقاسم مكان فرحات عباس، لكن بومدين رفض بشدة تعيين كريم بلقاسم في ذلك المنصب، وأيده في ذلك بوالصوف، وتم الاتفاق على تعيين بن يوسف بن خدة، مكان فرحات عباس. (1143) وتأسست بذلك الحكومة المؤقتة للجمهورية الثالثة * (1144) بعزل فرحات عباس منها.

يقول فرحات عباس: " عرض علي منصب وزير دولة، ولكنني رفضته... وتم عزل العلماء، وقدماء (إ. د. ب. ج) ... عند اقتراب الاستقلال... وخرجت جبهة التحرير الوطني من هذا المؤتمر الرابع مقسمة، و مجزأة، و أصبح الطريق من جديد مفتوح على الصراع... تحررت من مهمتي، واستجبت لدعوة صاحب الجلالة

(1141) نفس المرجع والصفحة.

(1142) Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 45

(1143) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 209

* رئيس المجلس الوزاري وزير المالية والشؤون الاقتصادية

نائبا للرئيس ووزيرا للدخلية

نائبا لرئيس المجلس

نائبا لرئيس المجلس

وزير دولة

وزير دولة

وزير دولة

وزير دولة

وزير دولة

وزير الشؤون الخارجية

وزير التسليح والاتصالات العامة

وزير الإعلام

بن يوسف بن خدة

بلقاسم كريم

أحمد بن بلة

محمد بوضياف

حسين آيت أحمد

رابح بيطاط

محمد خيضر

لخضر بن طوبال

السعيد محمدي

سعد دحلب

عبد الحفيظ بوالصوف

محمد يزيد (بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 54)

(1144) بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 54

المغربي، وأقمتُ بالرباط ابتعدت بفرح عن تونس، ومركز الحكومة المؤقتة، والمؤامرات... ووضعت نقطة شرف بأن لا أعطل مهامها مهما كانت الظروف. " (1145)

فهو رجل لا يحب الانتقام وليس من طبعه ذلك، وأقسم على نفسه بأن لا يلجأ إلى طرق غير شريفة لتعطيل مهام الحكومة المؤقتة الثالثة، ولكن ما أقلقه أكثر ليس عزله من الرئاسة ولكن تهمة ابن يوسف بن خدة لفرحات عباس، والعلماء بـ " الانتهازية " (1146) وعاد ابن خدة إلى عاداته القديمة التي تعلمها من المركزيين قبل انضمامه إلى الثورة، إلقاء التهم على الرجال المخلصين من أجل منافع شخصية.

انضم فرحات عباس إلى الثورة عن قناعة تامة كان هدفه يتمثل، في فضح الأساليب الجهنمية التي كان يقوم بها الجيش الفرنسي في الجزائر للعالم، باحثا عن الدعم والمساندة العالمية للثورة الجزائرية، وممثلا دبلوماسيا مخلصا لجبهة التحرير الوطني، تحمل مسؤوليته كاملة تجاه الثورة الجزائرية.

(1145) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 318

(1146) Ferhat Abbas, L' indépendance confisquée, op.cit, p : 49

المبحث الرابع

موقفه من اتفاقية إيفيان

اعتقدت فرنسا بأن قوتها العسكرية الضخمة قادرة على سحق الثورة الجزائرية، ولم تعترف بجهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري، فكان على فرنسا أن تتكبد خسائر فادحة سياسيا واقتصاديا و اجتماعيا، وحتى عسكريا، فجيوشها ذات العناد العسكري المتطور لم تستطع القضاء على الثورة بعد كل هذه الخسائر، واستمرارية الثورة، والتفاف الشعب الجزائري حولها اضطرت فرنسا مجبرة بقبول مبدأ التفاوض مع جبهة التحرير الوطني.

في هذا المبحث سنتعرف على المفاوضات التي بدأتها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأولى، والحكومة المؤقتة الثانية في عهد رئاسة فرحات عباس لهما.

كيف كان موقف فرحات عباس من المفاوضات، و رد فعله من محاولة فرنسا فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر؟ وما هو موقفه من اتفاقية إيفيان التي جرت في عهد الحكومة المؤقتة الثالثة برئاسة ابن يوسف بن خدة؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا المبحث.

صرح فرحات عباس بعد تأسيس الحكومة المؤقتة بشهر واحد فقط بقبول مبدأ التفاوض مع فرنسا بدون شروط مسبقة لإعطاء الدليل لفرنسا والعالم بأن هدف جبهة التحرير الوطني هو تحرير الجزائر من الاحتلال والكفاح المسلح الذي تخوضه الجزائر ما هو إلا وسيلة لتحقيق الاستقلال، أما الجنرال " دي غول " فقد ناور مستعملا كل الوسائل الجهنمية للقضاء على الثورة الجزائرية، مع استمراره في سياسة عدم الاعتراف بجهة التحرير الوطني، والتفاوض معها باحثا عن مفاوضين جزائريين لا ينتمون لجبهة التحرير الوطني، بعد مضي أكثر من سنة ونصف من إعلان فرحات عباس عن قبول مبدأ التفاوض مع الحكومة الفرنسية، وقد تم لقاء بين وفد عن الحكومة المؤقتة، والحكومة الفرنسية بمولان في 20 جوان 1960، ولكن المفاوضات باءت بالفشل بسبب تعنت الحكومة الفرنسية كما مر علينا معتقدة بأنها ما زالت قوية ولن تقبل بالرضوخ لجبهة التحرير الوطني.

أما المظاهرات الشعبية ليومي 10 و 11 ديسمبر 1960 في الجزائر، والشعارات التي حملتها " يجيا عباس"، " تحيا الحكومة المؤقتة"، " الجزائر مسلمة" وحاملة العلم الجزائري، لكن الجيش الفرنسي أطلق النار على المدنيين

العزل، واستشهد 112 من المتظاهرين. (1147)

كان لهذه المظاهرات تأثير عالمي كبير، استغله فرحات عباس ووجه رسائل إلى معظم الشخصيات الدولية، والمنظمات الدولية الفاعلة في السياسة العالمية منها منظمة الأمم المتحدة، واللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي، ورئيس وزراء الهند، و الرئيس السوفيتي، والرئيس اليوغوسلافي... طالبا منهم التدخل بقوة لوضع حد للإبادة التي يتعرض لها الشعب الجزائري من قبل الجيش الفرنسي، كما وجه نداء للشعب الجزائري مطالبا منه مقاطعة الاستفتاء الذي سيجرى يوم 8 جانفي 1961. (1148)

وفي المؤتمر الأفريقي المنعقد بالدار البيضاء بالمغرب ما بين 3 و 6 جانفي 1961. (1149) دعا فرحات عباس المؤتمرين إلى قطع علاقاتهم مع فرنسا، ووجهه نداء إلى الدول الأفروآسيوية طالبا منهم إزالة القواعد العسكرية الأجنبية الموجودة فوق أراضي دولهم، والاعتراف بالحكومة المؤقتة، والسماح بمرور الأسلحة إلى الجزائر على أراضيها، وسحب الجنود الأفارقة الذين مازالوا في الجيش الفرنسي منددا بسياسة تقسيم الجزائر " لا وجود لصحراء فارغة " هنالك صحراء جزائرية، ومغربية، ومالية... وندد كذلك بالحلف الأطلسي، وبسياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الثورة الجزائرية، والاستفتاء الفرنسي، وقدم شكوى لدى المحكمة الدولية بلاهاي فيما يتعلق بقضية تحويل الطائرة التي كان على متنها القادة الجزائريون الخمس (1150) ويذكر الصحفي الفرنسي " جون لاكوتير " أن فرحات عباس قال له فيما يخص المفاوضات مع فرنسا: " إن مطالب المجاهدين في الجبال كثيرة، فهؤلاء عانوا كثيرا، أتريدون مني أن أخدعهم ؟ و أجري مفاوضات بدون ضمانات كافية، لكي يقولوا علي هناك: انتهى عباس العجز، ها هو قد عاد إلى أفكاره الأولى، وهي الوفاق مع فرنسا بأي ثمن. " (1151) فهذه الأفكار قد تجاوزها فرحات عباس، وأصبح في هذه الفترة لا يعبر عن مشروع سياسته القديمة، وإنما يتكلم باسم جبهة التحرير الوطني.

هل يتنازل فرحات عباس لإرضاء " دي غول "، ويعود إلى مطالبه خلال الثلاثينات بدمج الجزائر بفرنسا؟ فهو في تعليقه هذا عبّر عن ارتباطه الوثيق بالمجاهدين، وليس بفرنسا فالمفاوضات في نظره يجب أن تلي مطالب المجاهدين، والشعب الجزائري، وتحرير كل التراب الجزائري من الاحتلال، وتأسيس جمهورية جزائرية ذات سيادة. وقد وجه نداء إلى سكان الجزائر كلهم بدون تمييز يوم 17 فيفري 1960 يطلب منهم التعاون من أجل بناء

(1147) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 338

(1148) ibid.

(1149) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 205

(1150) ibid. p : 340

(1151) Jean Lacouture, op.cit, p p :322-323

الجمهورية الجزائرية فانتصار الثورة الجزائرية هو انتصار وسلام لكل الجزائريين بدون استثناء. (1152) أما نشاطه الدبلوماسي في كل القارات (ماعدا القارة الأوقيانوسية) حيث زار تقريبا كل دول العالم، وتمكن من كسب العديد من الدول إلى جانب الثورة الجزائرية، ومظاهرات 11 ديسمبر 1960 والشعارات التي حملتها وقوة جيش التحرير الوطني وانتصاراته الكثيرة على الجيش الفرنسي أعطت كل هذه العوامل دعما قويا لفرحات عباس لكي يتفاوض من مركز قوة، وأصبح و هو في سن 62 من عمره الشخصية السياسية الجزائرية الأولى، فهذا الدعم القوي جعله قويا أمام أعدائه بالإضافة إلى كونه " سياسيا محنكا ". (1153) قادرا على التفاوض مع الحكومة الفرنسية بكل ثقة وحزم. فبعد عودته إلى القاهرة من جولة دبلوماسية زار خلالها جاكارتا، و سنغافورة، و ماليزيا، و سيلان، اتصل بالشيخ إبراهيمي، وتجاوز معه حول المفاوضات مع الحكومة الفرنسية، فنصحته الشيخ بمباشرتها، وبناء على تلك النصيحة، كلف فرحات عباس، سعد دحلب، والطيب بولحروف، للاتصال بممثلي الحكومة الفرنسية من أجل إجراء مفاوضات. (1154) كان يريد فرحات عباس أن يضع حدا لوقف الحرب وسفك الدماء لكن بشرط تطبيق مبادئ بيان أول نوفمبر 1954، وعدم الخروج عنها. بدأت يوم 20 فيفري 1961 المفاوضات في " لوسرن " * (Lucerne) بسويسرا، ومثل الجزائر الطيب بولحروف، وأحمد بومنجل، ومن الجانب الفرنسي " جورج بومبيدو " (Georges Pompidou) ممثل " دي غول "، و " لويس جوكس " (Louis Joxe)، و " برونو دي لوس " (Bruno de Leusse) (1155) ملفات المفاوضات حضرت بعناية ودقة تناولت شروط إجراء الاستفتاء، والضمانات التي ستقدم للأوروبيين في الجزائر بعد استقلالها، وجود الجيش الفرنسي في الجزائر، التعاون بين الدولتين، المرسى الكبير، ومشكل الصحراء. (1156) كان " جورج بومبيدو " متشددا، و بقي متمسكا بأطروحة أن فرنسا قوية وأن معركة " ديان بيان فو " لن تكون في الجزائر، ومتسائلا عن الضمانات التي ستمنح للأوروبيين والمسلمين الموالين لهم (الحركة) متتهما الجزائريين بعدم قدرتهم على حمايتهم، وأن هؤلاء سوف يتعرضون إلى التصفية، وقد اعترض بومنجل بشدة على الجملة الأخيرة، (يتعرضون إلى التصفية) وأشعل بولحروف سيجارة (كان ذلك شهر رمضان) موضحا بأن الإسلام متسامح، وليس كما يراه الفرنسيون، رفض " جورج بومبيدو " طرح مشكل الصحراء الجزائرية في المفاوضات قائلا: " الصحراء بحر داخلي، و على ضفافه سكان كثيرون، والجزائر ليست وحدها في ذلك. " (1157)

(1152) Rédha Malek, op.cit, p : 56

(1153) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 340

(1154) ibid. p : 341

(1155) Rédha Malek, op.cit, p p : 90- 91

(1156) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 341

* انظر التوصيات التي قدمها فرحات عباس للمفاوضين الجزائريين عشية لقائهم بممثلي الحكومة الفرنسية في ملحق الوثائق رقم: 05

(1157) Rédha Malek, op.cit, p p : 93-94

وتوقفت المفاوضات بسبب تمسك الوفد الفرنسي بالصحراء الجزائرية ورفض الوفد الجزائري ذلك، وهذا التصريح الأخير لـ " جورج بومبيدو " فتح جشع وطمع جارنا الحبيب بورقيبة، الذي طالب بتوسيع الحدود التونسية على حساب صحرائنا مستغلا بذلك الظرف العصيب الذي كانت تمر به بلادنا. (1158)

أما الملك المغربي الحسن الثاني فقد أكد لفرحات عباس بأن قضية الحدود بين الجزائر والمغرب لا تخص فرنسا وإنما هي من اختصاص الجزائر والمغرب فقط. (1159) هل كان " جورج بومبيدو " من وراء ذلك التصريح يريد إدخال الجزائر عند حصولها على استقلالها في مشاكل مع جيرانها في حالة ما إذا لم تستطع فرنسا إبقاء الصحراء تابعة لها؟ هل هي بداية التخطيط لزراعة بذور الصراع على الحدود مع جيراننا؟

عادت المفاوضات من جديد بين الوفدين الجزائري والفرنسي يوم 5 مارس 1961، وتحصل المفاوضات الجزائرية على تسهيلات حيث سمح لهم بمشاوره أحمد بن بلة، أما فرحات عباس في هذا اليوم فكان في المغرب للمشاركة في تشييع جنازة الملك محمد الخامس، وكان معه كريم بلقاسم. (1160)

وقد ألح الوفد الفرنسي على وقف القتال لإجراء المفاوضات، لكن الوفد الجزائري رفض ذلك الطلب، فتوقفت المفاوضات. (1161)

أمام مناورات الحكومة الفرنسية من أجل الضغط على الحكومة المؤقتة ومحاولة كسبها التأييد العالمي باقحام الحكومة المؤقتة بأنها هي الراضية للسلم، يصرح فرحات عباس قائلا: " الحكومة المؤقتة بقيت متمسكة بالسلم، وتعمل من أجل إيقاف الحرب، وكذلك جرائم منظمة الجيش السري، و إنقاذ شعبنا في الجزائر كله، فالعودة إلى الحوار هي حل لهذه المشاكل، وحكومتنا قبلت بمبدأ التفاوض. " (1162) لقد ألقى اللوم على الحكومة الفرنسية، متهما إياها برفضها لإيجاد حل.

وفي عهد رئاسة فرحات عباس للحكومة المؤقتة الأولى والثانية جرت مفاوضات إيفيان الأولى ما بين 20 ماي و 13 جوان 1961 في مدينة إيفيان (Evian) وتوقفت لمدة خمسة أسابيع لتنتقل مرة أخرى ما بين 20 و 28 جويلية 1961 بـ " لوغران " (Lugrin)، ثم استمرت المفاوضات في عهد الحكومة المؤقتة الثالثة في عهد رئاسة ابن يوسف بن خدة، وكانت سرية في نهاية 1961 وبداية 1962، تبعثها فيما بعد مفاوضات سرية أخرى في " روس " (Rousses) ما بين 2 و 12 فيفري 1962، أما الجزء الثاني من مفاوضات إيفيان فكان ما بين 7 و 18 مارس بـ " إيفيان " وانتهى بالاتفاق على وقف إطلاق النار. (1163)

(1158) ibid. p : 152

(1159) ibid. p : 158

(1160) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 341

(1161) Rédha Malek, op.cit, p : 98

(1162) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 315

(1163) Rédha Malek, op.cit, p : 120

و عن اتفاقيات إيفيان الأولى يقول فرحات عباس: " لم تؤد إلى شيء إيجابي، الحكومة المؤقتة بقيت متمسكة بصفة قطعية بأربعة مطالب هي:

1- لا وقف للحرب، قبل الاتفاق السياسي.

2- الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر.

3- المرسي الكبير، و رقان، وكل ما يمس بأمن فرنسا، يكون موضوعا خاصا، ومحددا في الزمن.

4- ضمان وحدة الشعب الجزائري بكل عناصره، مع إعطاء الضمانات لفرنسيي الجزائر. " (1164)

في الظروف الصعبة التي كانت تجري فيها المفاوضات كثفت منظمة الجيش السري من عملياتها الإجرامية في الجزائر. (1165) لكي تضغط على الجنرال "دي غول" لوقف المفاوضات. أما قيادة الأركان العامة برئاسة العقيد هواري بومدين عملت ضد الحكومة المؤقتة لعزل فرحات عباس من الرئاسة، ومحاولة العقيد بومدين قائد الأركان جمع السلطات العسكرية والسياسية بيده، حيث قدم استقالته كما مر علينا بسبب إعطاء الحكومة المؤقتة أمرا له بإطلاق سراح الطيار الفرنسي الأسير، يقول فرحات عباس: "حينما التقيت بالرائد سليمان ذكرته بالمثل العربي: عندما لا يجد الراعي ماذا يفعل، يكسّر عصاه" (1166) لقد تمكن معارضو فرحات عباس من عزله عن الحكم، ولم يستطع إتمام المفاوضات التي بدأتها حكومته وتأتي بعده الحكومة المؤقتة الثالثة برئاسة ابن يوسف بن خدة، ويستمر في نفس الخطة التي وضعتها حكومة فرحات عباس للتفاوض، حيث تم التوصل يوم 18 مارس 1962 إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، يوم 19 مارس على الساعة 12:00 نهارا، وبذلك تنتهي الحرب رسميا في الجزائر، ويعبر فرحات عباس عن ذلك بقوله: " ليل الاحتلال انتهى، وغدا الفجر، والحرية. " (1167) كيف كان موقف فرحات عباس من اتفاقية إيفيان ؟

عرضت الحكومة المؤقتة نص اتفاقية إيفيان على القادة السياسيين والعسكريين للمصادقة عليها، وتقديم اقتراحاتهم حولها، وقد وقع فرحات عباس لصالح اتفاقية إيفيان، مع إبداء ملاحظة له وهي: "مولان، و إيفيان، و لوغران" (جرت في عهد رئاسته للحكومة المؤقتة) لم تكن مفاوضات، لكن لقاءات لتمكين ثورتنا من فرض شروطها، وتحضير الشعب الفرنسي للمفاوضات... الحكومة كان أمامها كل الوقت من أجل ربح معركة البساط الأخضر... درست الملف جيدا، ولم أجد فيه سوى إصلاحات، و وعود... وعود تعطينا الاستقلال بصفة قطعية، و وعود معلقة حسب إرادة الجنرال "دي غول" ! " (1168) يظهر من تصريحه أنه يوجه انتقادا لادعا لابن خدة

(1164) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p p : 315-316

(1165) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 345

(1166) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre, op.cit, p : 316

(1167) ibid. p : 321

(1168) Rédha Malek, op.cit, p p : 227-228

الذي لم يستطع إضافة شيء للمفاوضات التي بدأها فرحات عباس، وكانت كل الظروف الداخلية والخارجية مناسبة للضغط على فرنسا من أجل تقديم تعويضات مادية للجزائريين لتجاوز الصعوبات والمشاكل الناتجة عن الاحتلال والثورة.

وقد ألح فرحات عباس في ملاحظاته حول اتفاقية إيفيان على الاستقلال الاقتصادي قائلا: " ليس لنا الحق أن نقول أن لنا راية، وحكومة، وبرلمان، بالنسبة للفلاح يجب أن يكون الاستقلال الاقتصادي لقد سمعت فقراء تونس يقولون بأن زمن فرنسا أحس مما نحن فيه الآن، لا نستطيع أن نحكم شعبا بواسطة الشعارات، يجب ألا يحدث ذلك، غدا حكومتنا تجلس على الأرائك، وشعبنا يموت بالجوع، أتمنى، وأرجو أن يكون في هذا النص (نص اتفاقية إيفيان) بذرة الثورة الاجتماعية. " (1169)

كما رفض أربع شخصيات التوقيع على اتفاقية إيفيان وهم: بومدين، و قايد، و منجلي، من هيئة الأركان العامة، وعضو من مجلس الولاية الخامسة الرائد ناصر (اسمه الحقيقي بوزيام)، وعبر بومدين عن رفضه الموافقة على اتفاقية إيفيان بقوله: " إن نتائج سبع سنوات من الحرب لا توجد في النص الذي قدم لنا، هدف الاستقلال لم نصل إليه. " (1170)

عارض بومدين اتفاقية إيفيان حملة وتفصيلا، وفرحات عباس وافق عليها، لكنه قدم اقتراحات إضافية لنص اتفاقية إيفيان، معترفا بالاستقلال السياسي للجزائر الذي نصت عليه، ومنتقدا السياسية الاقتصادية والاجتماعية التي وردت في اتفاقية إيفيان.*

الاستقلال السياسي في نظره إذا لم ينهض بالفقراء ويهتم بتحررهم من ظلم الإقطاعيين، و تعليمهم، وتكوينهم... هو استقلال منقوص السيادة، فهو لم يستطع أن يتخلى عن الفلاحين والفقراء منذ بداية نضاله السياسي، و لم يكن يهدف من وراء ذلك الوصول إلى مناصب سياسية بواسطة هؤلاء الفلاحين، فتلك قناعته التي آمن بها، ودافع عنها طوال نضاله السياسي، وهذه القناعة هي التي جعلته يتخلى عن مشروعه السياسي، وينضم إلى جبهة التحرير الوطني من أجل تحقيق استقلال الجزائر، وبناء دولة جزائرية ذات سيادة قائمة على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية طبقا لما نص عليه بيان أول نوفمبر 1954.

(1169) ibid. p: 228

(1170) ibid. p : 230

* للإطلاع على نصوص اتفاقية إيفيان انظر ابن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص: 85-128

الفصل السابع:

فترات عباس في ظل الاستقلال الوطني.

المبحث الأول: موقفه من صراع صائفة 1962.

المبحث الثاني: فترات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني

التأسيسي.

المبحث الثالث: موقفه من النظام الاشتراكي.

المبحث الرابع: موقفه من الميثاق الوطني 1976.

المبحث الخامس: وفاته.

الفصل السابع

فروحات محباس في ظل الاستقلال الوطني

تعتبر الثورة الجزائرية من أعظم الثورات في العالم التي عرفها القرن العشرين فهي فريدة في عصرها سواء من حيث حسن تنظيمها وعدم انقسامها، أو من حيث مواجهتها لاحتلال استيطاني، أو من حيث نسبة عدد الشهداء الذين قدموا أنفسهم من أجل أن تحيا الجزائر مستقلة، فقد بلغت نسبتهم 15% من مجموع الشعب الجزائري (10 ملايين نسمة في تلك الفترة) وهذه النسبة المرتفعة من الشهداء لم تصل إليها أية دولة في العالم خلال حروبها وثوراتها. وقد عرفت ثورتنا صورا خالدة من البطولات، و التضحيات العظيمة، والفريدة من نوعها، لقد بقيت متماسكة منذ بدايتها إلى نهايتها لم تحدث فيها انقسامات برغم محاولات المخابرات الفرنسية اختراق صفوفها، ومحاوله السياسيين الفرنسيين كذلك خلق جبهة ثالثة مضادة للثورة، واعتماد الجيش الفرنسي على جنرالات كبار تخرجوا من المعاهد العسكرية النظرية، ومن الميادين التطبيقية القتالية الحرب الكونية الثانية، و معركة " ديان بيان فو " ، وامتلاكهم ترسانة كبيرة من الأسلحة المتطورة والمساعدات العسكرية التي قدمها الحلف الأطلسي للجيش الفرنسي، واستعماله الأسلحة المحرمة دوليا ضد الشعب الجزائري (الأسلحة الكيماوية- النابالم، مازالت آثارها باقية لحد الآن في بعض الجهات من الوطن)، ولكن كل ذلك باء بالفشل الذريع أمام شعب سلاحه القوى إيمانه بالله، و الوطن، فكل الأسلحة الفرنسية، وجيشها و دي غولها، انكسرت أمام إرادة الشعب الجزائري.

ومن عظمة الثورة الجزائرية أن الخلافات التي كانت موجودة بين قادة الثورة، بقيت طوال مدتها سرا على الجنود البسطاء، وعلى الشعب الجزائري، وهذا شيء عظيم تصارعوا، واختلفوا، وحدثت حتى اغتيالات، ولكن الهدف لم يختلف أي أحد منهم عليه، وهو استقلال الجزائر. فالأخطاء التي وجدت أثناء الثورة بين القادة كان لها ربما ما يبررها فالمسؤولية التي تحملوها عظيمة جدا فهم مسؤولون أولا أمام ضمائرهم، وأمام الله، وأمام الشعب الجزائري، والتاريخ، والإنسان أحيانا ضعيف متسرع، فكان من نتيجة ذلك حدوث اختلافات وهو شيء طبيعي في مثل ثورة مثل الثورة الجزائرية. هذه الاختلافات كان لها أن تنتهي باستقلال الجزائر مباشرة لأنها حدثت بين إخوة اشتركوا في هدف واحد، ولكن بعض الأشخاص من القادة أغوهم السلطة، فاستمروا في صراعهم إلى ما بعد الاستقلال، وكاد أن يؤدي إلى حدوث حرب أهلية لو لا وجود بعض العقلاء، ورفض الشعب الجزائري السير وراءهم، فهدفه قد حققه، وهو خروج الاحتلال، واستقلال الجزائر، أما الصراع بين القادة فنظر إليه الشعب الجزائري في تلك الفترة نظرة احتقار وخرج في مظاهرات مناديا بـ " سبع سنين بركات " ، ولم ينضم إلى أي فريق متصارع على السلطة، فبقي هذا الصراع كما كان في الثورة محصورا بين القادة، لكن هذه المرة مختلف في الهدف .

المبحث الأول

موقفه من صراخ صائفة 1962

انتقل الصراع بين القادة إلى ما بعد الاستقلال، ولم يستطع بعض الأشخاص التخلص من خلفيتهم التاريخية، ولا من أنانيتهم، وحبهم للسلطة هذا الصراع المأساوي الذي حدث بين الإخوة المتصارعين على السلطة، كاد أن يؤدي بإدخال الجزائر في حرب أهلية.

وفي هذا الفصل نتعرض إلى بعض خلفيات ذلك الصراع، وموقف فرحات عباس منه، وسنعرف إلى أي طرف مال، ومبرراته في ذلك.

يفسر فرحات عباس ذلك الصراع الذي حدث في صائفة 1962 بقوله: " إن ثورتنا ارتكبت أخطاء جسيمة، واستمرت إلى ما بعد الاستقلال، ويرجع ذلك إلى نفسية بعض المقاتلين وقادتهم التي كانت في غالبيتها نفسية الأميين، وعندما أصبحت السلطة تمارس من هؤلاء الأميين الذين لا يعرفون القراءة، والكتابة، خافوا زوال السلطة من أيديهم، وعندما تأتي الأوامر للمقاتلين من هؤلاء الأميين، نجد تفسيراً لبعض الحوادث.⁽¹¹⁷¹⁾ فهو يُرجع ذلك الصراع إلى الجهل الذي يجعل الإنسان متعصبا لرأيه ولو كان على خطأ، والثورة الجزائرية مكنت بعض الأميين من الوصول إلى مراكز هامة في القيادة بسبب وطنيتهم، لكن ثورة البناء والتشييد، وإدارة وتسيير الموارد البشرية فإنها تحتاج إلى رجال مثقفين ومخلصين للوطن، فالإخلاص والثورية وحدهما غير كافيان لمرحلة البناء والتشييد.

ويُرجع خلفية الصراع الذي ظهر بعد الاستقلال إلى مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد بطرابلس، ما بين 25 ماي و 7 جوان 1962.⁽¹¹⁷²⁾ وفي هذا المؤتمر اشتدت الخلافات بين المساجين الخمسة بعد الزيارة التي قام بها أحمد بن بلة إلى القاهرة، و لقاؤه بجمال عبد الناصر، فنتج عن ذلك صراع حاد بينه وبين كريم بلقاسم، ومحمد بوضياف، و آيت أحمد، الذين رفضوا سلوك أحمد بن بلة، ولم يتفق معه سوى محمد خيضر.⁽¹¹⁷³⁾ فالصراع كان من أجل السلطة و الزعامة، وفتح بذلك المجال " للمطامح الشرسة ".⁽¹¹⁷⁴⁾

يقول فرحات عباس عن هذا المؤتمر: " كنت مشاركا في مؤتمر طرابلس، وكان مؤتمرا لتصفية الحسابات،

⁽¹¹⁷¹⁾ Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit , p : 41

⁽¹¹⁷²⁾ علي كافي، المرجع السابق، ص: 288

⁽¹¹⁷³⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 213

⁽¹¹⁷⁴⁾ علي كافي، المرجع السابق، ص: 289

فهو بدون شرف، ولا عظمة، انحطت المداخلات فيه إلى الشتم، والكلام البديع، في وقت كانت فيه منظمات الجيش السري تكثف من عملياتها الإجرامية في الجزائر، ابن خدة رئيس الحكومة المؤقتة، ووزرائه تركوا طرابلس، وتوجهوا إلى تونس، في نظرهم ذلك هو الحل الوحيد لوقف قرارات المجلس الوطني للثورة الجزائرية.⁽¹¹⁷⁵⁾ ولم يكن قادرا على اتخاذ موقف لوضع حد لذلك الصراع وشتتم أحمد بن بلة له أمام المجتمعين⁽¹¹⁷⁶⁾

و يتساءل فرحات عباس عن عدم لجوء المؤتمرين إلى بيان أول نوفمبر الذي حدد أهداف الثورة الجزائرية؟⁽¹¹⁷⁷⁾ ولو رجعوا إليه لجنبا أنفسهم والجزائر من ذلك الصراع، لأن بيان أول نوفمبر نص على تأسيس جمهورية جزائرية ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية.

رجع فرحات عباس ليسأل بوضياف عن أسباب خلافه مع ابن بلة في ذلك المؤتمر، فيقول: "أجابني بوضياف: إن ابن بلة رجل مستحيل، يريد أن يبقى وحده، وسيبقى، وأنت أيضا ستتخلى عنه." ⁽¹¹⁷⁸⁾ يظهر من خلال إجابة بوضياف أن فرحات عباس كان إلى جانب ابن بلة، ولم يعلن عن ذلك في مذكراته، إلا بعد انتقاله إلى تلمسان مبررا ذلك الميل بهدف وضع حد للحرب الأهلية التي بدأت ملامحها بارزة.

وفي مؤتمر طرابلس تمت المصادقة على البرنامج السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بالإجماع دون أية مناقشة أو معارضة الذي يحمل طابعا إيديولوجيا ماركسيا، ولكن حدث خلاف كبير في هذا المؤتمر عندما حان موعد انتخاب المكتب السياسي الذي سيشرف على تسيير البلاد، حيث فتح الأبواب على مصراعها أمام الأطماع الشخصية حيث وسادت الفوضى والاتهامات و الشتم... وغادر الكثير من المشاركين المؤتمر دون التوقيع على محضر انتخاب المكتب السياسي.⁽¹¹⁷⁹⁾

بعد هذا الاجتماع، أذاع الراديو التابع لهيئة الأركان العامة من الحدود التونسية معلومات خاطئة ومتحيزة، وذلك يوم 30 جوان 1962.⁽¹¹⁸⁰⁾ تهدف إلى تطبيق إستراتيجية أحمد بن بلة حول ضرورة تحطيم الحكومة المؤقتة.⁽¹¹⁸¹⁾

إن المعلومات التي أذاعها الراديو أزعجت الحكومة المؤقتة، وأعلن بن خدة عن حل قيادة الأركان العامة، ولكن قراره جاء متأخرا وانقسمت (ج. ت. و) إلى فئتين متصارعتين، ولكل فئة مناصروها من المجاهدين وهما:

⁽¹¹⁷⁵⁾ ibid. p : 48

⁽¹¹⁷⁶⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 215

⁽¹¹⁷⁷⁾ ibid. p : 45

⁽¹¹⁷⁸⁾ ibid. p : 49

⁽¹¹⁷⁹⁾ رايح لونيسي، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين، والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، 1999، ص: 59-60

⁽¹¹⁸⁰⁾ ibid. p : 49

⁽¹¹⁸¹⁾ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 216

- الفئة الأولى: وتضم الحكومة المؤقتة برئاسة ابن يوسف بن خدة، ومعها الولاية الثانية، والثالثة، والرابعة، وفيدرالية فرنسا لـ (ج. ت. و)

- الفئة الثانية: وتضم قيادة الأركان العامة بقيادة العقيد هواري بومدين، وابن بلة، ومعها الولاية الأولى، والخامسة، والسادسة، و جيش الحدود بأسلحته القوية. (1182)

كان بومدين يثق ثقة كاملة في جيش الحدود الذي بدأ في تحضيره لهذا الغرض قبل انفجار الأزمة في مؤتمر طرابلس، لأنه يعرف بأن الكلمة الأخيرة تكون دائما للجيش، وليس للسياسيين.

ويقول فرحات عباس: " أمام انقسام جيش التحرير الوطني، والصراع الذي قام بين قدماء مناضلي (ح. إ. ح. د) وضعيتي أصبحت صعبة، لم أكن أتصور أن يحدث ذلك الصراع عشية انتصارنا، فالحقد، والطمع الشخصي بدأ خلال مؤتمر طرابلس سنة 1961 بعد انتخاب ابن خدة للرئاسة، فقدماء (إ. د. ب. ج)، والعلماء أبعدوا من تلك الحكومة. " (1183)

إبعاد الشخصيات المعتدلة من دائرة الحكم المؤمنة بالتسامح، والديمقراطية، واحترام الحريات الفردية والجماعية، وقيم المجتمع الجزائري العربي الأمازيغي الإسلامي، فقد أجاب أحد الموالين لبومدين وهو منجلي فرحات عباس بقوله: " إنني فاشي، والديمقراطية هي قانون المتواضعين، بينما الفاشية هي حكومة النخبة. " (1184) فهؤلاء يرون أن استشارة الشعب الجزائري لاختيار ممثليه عن طريق الديمقراطية أمر مرفوض عندهم.

ترك فرحات عباس تونس في 29 جوان 1962 وتوجه إلى الجزائر مع عائلته (ابنه عبد الحليم وزوجته مارسيل) لكي يكون في الجزائر يوم 1 جويلية وذلك للمشاركة في الاستفتاء حول تقرير المصير، وقد اتصل به منجلي من قيادة الأركان العامة قبل مغادرته التراب التونسي لإعطائه خطة الطريق التي سيسلكها، حيث قضى ليلته في الكاف بتونس بين الحدود الجزائرية التونسية، وهناك اتصل به الدكتور بودرية حاملا رسالة له من قائد هيئة الأركان العامة العقيد هواري بومدين * (1185) و مما جاء في هذه الرسالة اعتذار هواري بومدين عن عدم استطاعته الاتصال بفرحات عباس أثناء مغادرته التراب التونسي باتجاه الجزائر، وحذر فيها فرحات عباس من الولاية الثانية بسبب دعاية انتشرت فيها حسب قوله يتهمون فيها فرحات عباس بولائه لأحمد بن بلة، وقيادة الأركان العامة. (1186)

(1182) ibid.

(1183) ibid.

(1184) Ferhat Abbas, Autopsie d' une guerre , op.cit, p : 316

* انظر ملحق الوثائق، رقم: 06

(1185) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit , p : 51

(1186) ibid. p : 52

وفي الغد عندما اتجه فرحات عباس نحو الحدود الجزائرية وجد صديقا عزيزا عليه في انتظاره وهو محمود حكيمي أحد مسؤولي (ج. ت. و) الأوائل الذي تعرض إلى التعذيب من طرف المظليين الفرنسيين، وفرح كثيرا بهذا اللقاء. (1187)

وصل فرحات عباس يوم 30 جون 1962 إلى الجزائر بعد نفي دام 6 سنوات من الغياب، وبكى طويلا عندما وطعت قدماه أرض الجزائر، واستقبل استقبال الأبطال في الولاية الأولى. (1188) وخلال مسيرته من الحدود الجزائرية التونسية إلى سطيف التقى بعدد كبير من قادة جيش التحرير الوطني، وعلى رأسهم العقيد الطاهر الزبيري بباتنة حيث قدمت له فرقة عسكرية من جيش التحرير الوطني السلاح، وأثناء وصوله إلى خنشلة قبل دخوله إلى باتنة استقبله سكانها بحفاوة كبيرة وبالزغاريد، وومنادين بـ " يجيا فرحات عباس "، " تحيا الجزائر "، وفي هذه المدينة استقبله يهودي بجرارة قائلا له: " الآن يا فرحات ستبني جزائرنا الجديدة. " (1189) وعلى الساعة 22:00 وصل إلى مدينة سطيف، ووجد عشرات الآلاف من سكانها في انتظاره، وكادوا من الفرح أن يرفعوا سيارته فوق رؤوسهم، وتولى الرائد حميمي من الولاية الثالثة حمايته حيث كلف فرقة عسكرية لذلك وفي سطيف اتصل به أقاربه، وأصدقائه من الجزائر، وبجاية، وجيجل، وقسنطينة، وباتنة، وخنشلة، و برج بوعريرج... إلخ وكانت الزيارات متواصلة نهارا وليلا، أما صيدليته فقد خربها جيش الاحتلال، وأغلقت منذ سنة 1957، ومن شرفة بيته الذي منحته له بلدية سطيف خاطب جمهور السطايفية، و الجزائريين بصفة عامة بأن زمن الخصام قد انتهى وبدأت مسؤولية المواطنين، وطلب من فرنسي الجزائر البقاء مؤكدا لهم على ضمان أمنهم وسلامتهم. (1190) وذلك حسب ما نصت عليه اتفاقية إيفيان، وكانت كذلك رغبة فرحات عباس في إبقاء الأقدام السوداء في الجزائر من أجل مشاركة الجميع في البناء والتشييد.

أما الرئيس ابن خدة فقد دخل مع وزرائه إلى الجزائر يوم 7 جويلية 1962، واستقبل بحفاوة كبيرة من قبل سكان العاصمة. (1191)

ومن جهته دخل ابن بلة الجزائر يوم 11 جويلية، ونزل بمدينة تلمسان في فيلا " ريفو " (Rivaud)، واتصل به هناك مصطفى الأشرف، ورضا مالك، وكان معه خيضر، وبومنجل حيث أعلن هذا الأخير عن تأسيس المكتب السياسي الذي اقترحه ابن بلة يوم 6 جوان 1962 بطرابلس، لكن آيت أحمد رفض ذلك، وأعلن بوضياف، وكريم في تيزي وزو عن تأسيس " لجنة الدفاع والتنسيق الثوري "، وعينا الحامي بوزيدا ناطقها. (1192)

(1187) ibid. p : 53

(1188) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 359

(1189) ibid. p : 360

(1190) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit .p p : 53-54

(1192) Rédha Malek, op.cit, p : 266

(1191) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 217

طلب العقيد بومدين من فرحات عباس أن يتصل مباشرة بتلمسان للتعاون مع جماعة ابن بلة (جماعة تلمسان) بسبب تطور الأحداث، وتعرض الراحل سليمان (نائب بومدين، في قيادة الأركان العامة) في قسنطينة إلى التوقيف والسجن بأمر من العقيد صالح بوبنيدر (صوت العرب) قائد الولاية الثانية، وأعلم بومدين فرحات عباس بقوله: " لو مررت على ولايته لسجنك هذا العقيد مثل ما فعل مع الراحل سليمان. " (1193)

وفي هذه الأيام نفسها دخل جيش الحدود القادم من غار " ديمو " بتونس تمكنت القوات التي كانت تحت قيادة الراحل العربي براجم من تحرير الراحل سليمان، ووضع رئيسه العقيد صالح بوبنيدر، ولخضر بن طوبال في السجن، بعد معركة مع جيش الولاية الثانية، وذلك باسم جماعة تلمسان (ابن بلة، وبومدين) وتأكد جيدا بأن الأمور لم تعد تقبل أي تراجع. (1194)

وتعددت الأمور وأصبحت الجزائر مقبلة على حرب أهلية حقيقية، وعند وصول فرقة خالد نزار الموالي لبومدين إلى مدينة قسنطينة تظاهر القسنطينيون أمام قواته رافضين انقسام القيادة وهاتفين بالشعار المعروف في ذلك الوقت: " سبع سنين براكات ". (1195) أما الشعب الجزائري لم يدخل في الصراع، وهذا شيء إيجابي جدا يعبر عن ترفعه عن الصراعات الشخصية، وتقاتل الإخوة، وتعلقه بالوطن.

وقبل ذهاب فرحات عباس إلى تلمسان، وفي أجواء ملامح بروز الحرب الأهلية زاره الراحل حسان محيوز مع بعض الضباط من الولاية الثالثة، وكان في حالة مضطربة، وقد تكلم على الحرب الأهلية قائلاً لفرحات عباس: " إننا مستعدون للقتال ضد إخواننا، إذا كان هذا ضروريا " وفي نفس الوقت هدد الراحل حميمي بتخريب سد خراطة، يقول فرحات عباس: " نصحتهم بالاعتدال، فالحكم غير شرعي، ولن تكون له قيمة إلا إذا كان مضمونا من الشعب. " (1196) وفي هذه الظروف الصعبة قرر فرحات عباس الاتصال بجماعة تلمسان آملا في وضع حد للصراع الذي بدأ بين الإخوة مهددا بذلك الجزائر كلها بالحرب الأهلية، وانتقل إلى تلمسان مع العقيد أو عمران، ومعه عائلته، وصديقه محمود حكيمي، وقد مروا على ثلاث ولايات: الأولى، والرابعة، والخامسة، بدون مشاكل، ووصلوا إلى تلمسان، وتوجهوا مباشرة إلى فيلا " ريفو " مركز قيادة بن بلة، وبومدين، واستقبلوا استقبالا أخويا من طرفهما. (1197) وبوصول فرحات عباس إلى تلمسان أعطى دعما قويا لجماعة تلمسان. (1198) نظرا لسمعته الطيبة وحنكته السياسية، وكثرة مناصريه عبر الوطن من جماعة قداماء (إ. د. ب. ج) والشعب الجزائري.

(1193) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit p : 54

(1194) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 217

(1195) خالد نزار، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر، دار النشر الشهاب، باتنة، 1999، ص: 53

(1196) ibid. p : 55

(1197) ibid.

(1198) Ali Haroun, L' été de la discorde Algérie 1962, édition, Casbah, Alger, 2000, p : 108

ويصف فرحات عباس الوضع السياسي في فيلا " ريفو " بتلمسان بقوله: " الجو السياسي في فيلا " ريفو " لم يكن جيدا كانت كسوق، مساومات، مؤامرات، اختلافات متبوعة بالتفاهم، بالنسبة إلي عملت بكل إخلاص و بدون خلفيات، ولا حسابات، من أجل تحقيق التفاهم والحفاظة على الوحدة الوطنية... اليوم الذي وصل فيه فارس رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة إلى تلمسان كان كل شيء قد نظم. " (1199)

ودخل ابن بلة إلى الجزائر العاصمة يوم 25 جويلية 1962 ومكث في فيلا " جولي " (Joly) بالقرب من قصر الصيف (الذي أصبح يعرف فيما بعد ب " قصر الشعب ")، تم تحديد تاريخ 2 سبتمبر 1962 لإجراء انتخاب المجلس الوطني التأسيسي مع الدستور، وقوائم المرشحين تحددها المجالس الولائية لجيش التحرير الوطني، ويراقبها المكتب السياسي (الذي تأسس في تلمسان).⁽¹²⁰⁰⁾ لقد تدخل الجيش بقوة في وضع قائمة المرشحين للمجلس التأسيسي، أما الدور السياسي لجبهة التحرير الوطني فقد سلب منها.

وقد أعلن فرحات عباس عن أسباب وقوفه إلى جانب ابن بلة لمراسل جريدة لومند (Le monde) بتاريخ 20 جويلية 1962 بقوله: " إذا كنت بجانب ابن بلة، فأني أكون بذلك إلى جانب الشرعية. " (1201) هذا التأييد مكنته في ما بعد لكي يكون رئيسا للمجلس الوطني التأسيسي الذي لم يستمر طويلا فيه، لأن الشرعية التي وقف إلى جانبها خيبت أمله.

كما منحت رئاسة المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني إلى خيضر الذي لم يحصل عليه في مؤتمر طرابلس، وفي بداية أوث تم اتفاق بين كريم، و بوضياف، والعقيد محمد الحاج قائد الولاية الثالثة على الاعتراف بالمكتب السياسي، ولكن هذا الاتفاق لم يدم طويلا، وفي يوم 3 أوث جرت أحداث دامية بين جيش الحدود، بقيادة العقيد هواري بومدين، وجيش الولايتين الثالثة والرابعة، عند مداخل مدينة البويرة، و المدينة، والبليدة، وسقط أكثر من 1000 قتيل بين الإخوة، وخرج الشعب إلى الطرقات والشوارع في العاصمة والمدن المجاورة لها مناديا بإيقاف القتال، وهاتفا بـ " سبع سنين بركات " وقد رمى الشباب بأنفسهم أمام الشاحنات العسكرية من أجل تعطيلها وحتى لا تتقدم للاقتتال بين الإخوة، وفي يوم 13 أوث توصلت الجهتين المتقاتلتين (الولاية الثالثة والرابعة ضد ابن بلة وبومدين و معهما جيش الحدود) إلى وقف إطلاق النار. (1202) مع الملاحظة أن عددا كبيرا من الخونة انضموا إلى القوى المتصارعة وقد قدر عددهم ابن يوسف بن خدة بـ 180 ألف خائنا* (1203) كانوا مع الجيش الفرنسي، كما التحقت بالقوتين المتقاتلتين القوات المحلية والتي بلغت حوالي 400 ألف جندي شكلتها

(1199) Ferhat Abbas, l'indépendance confisquée, op.cit, p : 55

(1200) Rédha Malek, op.cit, p p : 268-269

(1201) Ali Haroun, op.cit, p : 108

(1202) لونسى رايح، المرجع السابق، ص: 66

(1203) Benyoucef Benkhedda, L' Algérie à l' indépendance – la crise de 1962-, édition, Dahleb, Alger, 1997, p : 43

* يظهر أن هذا العدد فيه مبالغة، وقد ضخمه ابن يوسف بن خدة لكي يثبت في نظره أن المتصارعين كان همهم الوصول إلى السلطة بأية وسيلة كانت.

فرنسا بعد توقيف القتال في 19 مارس 1962 للحفاظ على الأمن الداخلي، واختلطت الأمور بين المجاهدين الحقيقيين والمزييفين، وسمح بذلك للانتهازيين لإيجاد مكان لهم في جزائر الاستقلال في مناصب حكومة ابن بلة سواء في الجيش أو في الإدارة أو في حزب جبهة التحرير الوطني. (1204)

وقد تمكن جيش الحدود من السيطرة على الوضع نظرا لتسليحه الجيد، ويقول فرحات عباس عن ذلك: " استطاع بومدين أن يغزو العاصمة، إنها الحرب الوحيدة التي قام بها ". (1205) على كل حال تمكن بومدين من وضع حد للصراع بعد فشل السياسيين في تثبيت سلطتهم، وتوفير الأمن، وبذلك أنقذ الجزائر من شبح الحرب الأهلية.

إن انضمام فرحات عباس إلى جماعة تلمسان كانت له أسباب عديدة: فالسبب الرئيسي الذي ذكره، هو وضع حد للحرب الأهلية التي بدأت تلوح في الأفق وتهدد الجزائر، ووحدة تراثها فهو يدعو دائما إلى التفاهم، ونبذ الخلافات خاصة إذا كانت بين الإخوة، والرجوع إلى التشاور والأخذ برأي الأغلبية، أما عن أسباب عدم وقوفه إلى جانب الحكومة المؤقتة برئاسة ابن خدة، ربما يعود ذلك إلى دسائس، ومؤامرات هذا الأخير مع العقداء الثلاث (كريم، ابن طوبال، بوالصوف) لعزل فرحات عباس من رئاسة الحكومة المؤقتة، وكان لابن خدة دور كبير فيما حدث في صائفة 1962، فهو لم يستطع فرض شخصيته، ولا قانون حكومته على العقداء، فكان ضعيف الشخصية، غير قادر على مواجهة الجيش، الذي تمكن من فرض رأيه على السياسيين، وبذلك فتح المجال أمام الجيش لكي يأخذ السلطة الحقيقية.

وعند دخول ابن بلة إلى العاصمة مع فرحات عباس صرح الرئيس المخلوع ابن خدة: " إن هذه النظرة الخاطئة ستؤدي إلى احتقار دور الفئات الشعبية، وستخلق خطر ميلاد إقطاعية. " (1206) وفي فترة وجيزة اكتشف أن ابن بلة رجل معادي للديمقراطية.

على كل حال إن وقوف فرحات عباس إلى جانب جماعة تلمسان لم يكن هدفه الوقوف إلى جانب أي شخص، وإنما كان الوقوف إلى جانب الجزائر كلها من أجل وضع حد لقيام حرب أهلية، فهو في هذا السن المتقدم (63 سنة) لم يكن يبحث عن أمجاد تخلده، أو مناصب سياسية من أجل تحقيق منافع شخصية، أو تصفية حسابات، وحتى أن اختلافه في هذه المرحلة مع ابن خدة لم يكن لأسباب شخصية محضة، وإنما لعدم قدرة ابن يوسف بن خدة على التحكم في الأوضاع السياسية التي بدأت في زعزعة استقرار الجزائر.

(1204) نفس المرجع، ص: 64-65

(1205) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

(1206) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 218

المبحث الثاني

فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي

انتهت الثورة الجزائرية باستقلال الجزائر، وبدأ القادة السياسيون والعسكريون في العمل معا من أجل تأسيس مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة، وكان ذلك وسط صراع ومؤامرات، مع ما خلفته الثورة التحريرية من ظروف صعبة في جميع الميادين وخاصة الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا المبحث سنتعرض إلى الظروف التي جرت فيها عملية تنظيم وانتخاب نواب المجلس الوطني الجزائري، والطريقة التي وصل بها فرحات عباس إلى رئاسته للهيئة التشريعية.

بعد نهاية الاقتتال بين الإخوة تمكن جيش الحدود من دخول العاصمة يوم 13 أوت 1962 وتحول اسمه من جيش التحرير الوطني إلى "الجيش الوطني الشعبي"، واتحد بذلك جيش الداخل وجيش الحدود تحت اسم واحد على أمل أن يتم وضع حد للتفرقة بين الجيشين الداخلي والخارجي، وبدأ المكتب السياسي في تحضير انتخابات المجلس الوطني التأسيسي مبعدا في ذلك معارضي ابن بلة منه، ووضع قائمة تضم 196 مرشحا (يوجد بينهم 72 عسكريا).⁽¹²⁰⁷⁾

هذه القائمة أعدها المكتب السياسي رفضها الكثير، وحدث اقتتال يوم 20 أوت 1962 بين جيش الجزائر العاصمة (المنطقة المسيرة ذاتيا لولاية الجزائر)، وجيش الولاية الرابعة خلف قتلى وجرحى من الجانبين من بينهم مدينين سقطوا موتى.⁽¹²⁰⁸⁾ طريق الانتخابات أصبح مملوء بالخوف والرعب. محمد خيضر رئيس المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني يطالب بتأخير انتخابات المجلس الوطني بسبب الفوضى وصعوبة التحكم في الأوضاع التي سادت ولاية الجزائر، انتقل ابن بلة إلى وهران باحثا عن الدعم والمساندة، أما العقيد محمد أولحاج قائد الولاية الثالثة رفض تأخير الانتخابات وطالب بإجرائها في أسرع وقت لوضع حد للفوضى عن طريق المؤسسات الشرعية، أما العقيد حسان من الولاية الرابعة طلب عقد اجتماع للمجلس الوطني للثورة الجزائرية لإيجاد حل للمشاكل التي تتخبط فيها الجزائر.⁽¹²⁰⁹⁾ ولقد اختلفت الآراء حول طريقة إجراء الانتخابات وتوفير الظروف المناسبة لها. جرت انتخابات المجلس الوطني التأسيسي يوم 20 سبتمبر 1962. بمشاركة 196 مرشحا (تنازل مرشح واحد، وبقي 195 مرشحا).⁽¹²¹⁰⁾ يقول فرحات عباس عن هذه الانتخابات: "أنها جاءت بشيء من الهدوء، وقائمة المرشحين حضرها

⁽¹²⁰⁷⁾ رابع لونسى المرجع السابق، ص: 66

⁽¹²⁰⁸⁾ ibid. p : 58

⁽¹²⁰⁹⁾ Ali Haroun, op.cit, p : 182

⁽¹²¹⁰⁾ ibid. p : 198

المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني بدون مناقشة. " (1211)

وكان من مجموع 195 نائبا 16 نائبا من أصل فرنسي. (1212) وكانت مشاركة الشعب الجزائري في الانتخابات واسعة أملا منها الخروج من دوامة شبخ الحرب الأهلية، وقد أعلن عبد الرحمان فارس، عن نتائج الانتخابات وعدد المشاركين فيها وهي كما يلي: عدد الناخبين المسجلين: 6504033 ناخبا، الأصوات المعبر عنها هي: 5303661 صوتا، نسبة الامتناع قليلة: 18.46%. (1213) الشعب الجزائري عبر بصدق عن نيته في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة بطرق ديمقراطية.

وفي هذا اليوم الذي جرت فيه الانتخابات التشريعية، وُزِع منشور في الجزائر العاصمة، أُعلن فيه عن تأسيس حزب الثورة الاشتراكية، ويتهم المكتب السياسي بعدم قدرته على توفير الأمن، وأنه خرج عن الحركة الثورية. (1214) اتصل ابن بلة بفرحات عباس من أجل تحضير التنظيم الداخلي (القانون الداخلي) للمجلس الوطني التأسيسي، وفي هذه الفترة كان كريم بلقاسم موجودا في باريس، وأعلن عن قبوله بمنصب نائب لتيزي وزو، لكن بوضياف الذي لم يقدم ترشحه نهائيا لهذا المجلس وجد نفسه نائبا عن مدينة سطيف، ورغم ذلك فقد أعلن عن تقديم استقالته قائلا: " سأستقيل من النيابة، بالرغم من عدم مشاركتي في الترشح، لأنهم مازالوا يعتبروني نائبا." (1215)

هذه الانتخابات التشريعية الأولى التي جرت في الجزائر المستقلة لم تكن على أسس ديمقراطية، و منعت المعارضة من المشاركة في مؤسسات الدولة الرسمية، (تبقى بعض الحالات النادرة، مثل ما حدث مع بوضياف الهدف من ذلك إدخاله حديقة الترويض) لذلك فإن النواب في هذه الهيئة التشريعية الأولى لم يستطيعوا ممارسة مهامهم الحقيقية أو الوقوف في وجه السلطة التنفيذية التي سلبت منهم صلاحياتهم لأن الفضل يرجع إليها في وصولهم لتلك المناصب النيابية، أما انتخاب الشعب الجزائري لهم فكان مظهرا ديمقراطيا مزيفا (المظهر ديمقراطي، والباطن ديكتاتوري) والشيء الغريب في هذه الانتخابات هو قبول فرحات عباس بها، برغم من ثقافته واتجاهه الديمقراطي الليبرالي. هل كان يعتقد بأنه بإمكانه التأثير على السلطة التنفيذية، وممارسة مهامه التشريعية كرئيس لهذا المجلس ؟

انتخب فرحات عباس يوم 25 سبتمبر 1962 رئيس للمجلس الوطني التأسيسي حيث تحصل على 155

(1211) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

(1212) Rédha Malek, op.cit, p : 269

(1213) Ali Haroun, op.cit, p : 198

(1214) ibid.

(1215) ibid.

صوتا، و 36 ورقة بيضاء ولا صوت ضده. (1216) (مجموع النواب الذين انتخبوا 191 نائبا) (أول رئيس لبرلمان جزائري في عهد الاستقلال)، ونقلت إليه سلطة الحكومة المؤقتة، ومهام اللجنة التنفيذية المؤقتة. (1217)

" وفي هذا اليوم أعلن فرحات عباس خلال الجلسة الأولى للمجلس الوطني التأسيسي عن قيام:
الجمهورية الجزائرية " وطلب منه النواب إضافة " الديمقراطية " ثم بعدها كذلك " الشعبية " وأصبح اسم الجزائر حاملا
لثلاث خصوصيات، (جمهورية ديمقراطية شعبية) وطلب النائب محمدي السعيد إضافة خاصية رابعة للجزائر، وهي "
الإسلامية " لكن النواب اعتبروا أن ذلك كثيرا فالخصوصيات الثلاثة كافية، و بذلك ظهر الاختيار السياسي -
الأيديولوجي للدولة الجزائرية المستقلة وهو: " الجمهورية الجزائرية الديمقراطية و الشعبية" (1218) وهذا الاسم مستمد
من برنامج طرابلس الذي اتفق عليه المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالإجماع. (1219)

اتفق النواب خلال جلستهم في ليلة ما بين 28 و 29 سبتمبر على انتخاب ابن بلة (كمرشح وحيد
(لأول حكومة * جزائرية مستقلة انتخب عليه 159 نائبا ب " نعم " و 1 صوت بـ " لا " وامتنع 19 نائبا على
التصويت، الصوت المعارض كان للنائب حسين المهداوي (1220)، ليعاد انتخابه من جديد بعد سنة واحدة
يوم 15 سبتمبر 1963. (1221)

(1216) Ali Haroun, op.cit, p : 199

(1217) Rédha Malek, op.cit, p : 269

(1218) Ali Haroun, op.cit, p : 199

(1219) Rédha Malek, op.cit, p : 270

*تتكون هذه الحكومة من:

رئيس المجلس، ورئيس الحكومة..... أحمد بن بلة
نائب الرئيس..... رايح بيطاط
وزير العدل..... عمار بن تومي
وزير الداخلية..... أحمد مدغري
وزير الدفاع..... العقيد هواري بومدين
وزير الشؤون الخارجية..... محمد خميسي
وزير المالية..... الدكتور أحمد فرنسيس
وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي..... عمار أوزغان
وزير التجارة..... محمد خبزي
وزير إعادة البناء والأشغال العمومية، والنقل..... أحمد بوجنجل
وزير الصناعة والطاقة..... لعروسي خليفة
وزير العمل والشؤون الاجتماعية..... بشير بومعرة
وزير التربية الوطنية..... عبد الرحمان بن حميدة
وزير الصحة..... محمد الصغير نقاش
وزير البريد والمواصلات..... موسى حساني
وزير المجاهدين وضحايا الحرب..... السعيد محمدي
وزير الشبيبة والرياضة..... عبد العزيز بوتفليقة
وزير الأوقاف..... توفيق المدني
وزير الإعلام..... محمد حاج حمو

المرجع: (Ali Haroun, op.cit, p : 199)

(1220) ibid.

(1221) Rédha Malek, op.cit, p : 270

انتخب ابن بلة رئيسا للحكومة الجزائرية وعمل بكل الطرق على إبعاد معارضييه من السلطة، وقام بحملة اعتقالات ضدهم، أما صراعه مع الجيش فكان يخفيه، فهو يعلم أن السلطة الحقيقية في يد الجيش وبالأخص وزير الدفاع هواري بومدين فوزارة الدفاع الوطني هي المؤسسة الوطنية الوحيدة التي كان يحترمها ابن بلة.

أعلن ابن بلة في أول خطاب له بعد انتخابه رئيسا للجمهورية الجزائرية عن انتهاجه للاشتراكية، و يصفها فرحات عباس بأنها " اشتراكية فيدال كاسترو (Fidel Castro) أو بالأحرى الشيوعية الستالينية، ماذا يستطيع أن يفعل بن بلة ينقل أم يقلد؟ في هذه الظروف بدأت الجزائر تعرف (البنبلينية) بعد أن عرفت (المصايلية)، و لإحداث الوفاق بين الشيطان و الله راح يتكلم عن اشتراكية ذات خصوصية جزائرية." (1222) متحديا بذلك المجلس الوطني التأسيسي الذي جعله جسما بلا روح، أو كهيئة تسجيل فقط. يتهم فرحات عباس ابن بلة بأنه اخترق الشرعية الشعبية للمجلس التأسيسي، حينما وضع دستورا دون استشارة هذه الهيئة معتمدا على عناصر من الحزب موالية له، لذلك لم يستطع فرحات عباس السير في هذا الاتجاه، وأعلن عن تقديم استقالته * يوم 13 أوت 1963. (1223) (بقي تقريبا سنة كاملة رئيسا للمجلس التأسيسي) يرى فرحات عباس بأن ابن بلة أدخل الجزائر في طريق غير دستوري... حزب واحد مركزي يطلق عليه (الديمقراطية)، والسلطة الفردية... لم يستطع السير في هذا الاتجاه، وقبل تقديم استقالته كتب رسالة طويلة إلى النواب شرح لهم فيها موقفه (1224) من سياسة ابن بلة. هذه الرسالة مؤرخة في 12 أوت 1963 بعنوان: " لماذا لم اتفق مع مشروع الدستور المقدم من طرف الحكومة والمكتب السياسي... إعطاء دستور للجمهورية له أهمية كبرى... بعد معارك بطولية من اجل الاستقلال... فرض علينا قانون الصمت خلال سبع سنوات من الحرب، الآن ليس له أي مبرر لكي يستمر يجب أن يتكسر... قبل الخوض في مستقبل الوطن، مستقبل نساتنا، وأطفالنا، كل واحد منا يجب أن يكون واعيا بمسئوليته... في شبابنا كان يجمع علينا التفكير، فالاحتلال صنع أجهزة انتهازية... إن الديمقراطية هي الخلاص الوحيد الذي سيضع حدا للفوضى والسلطة الضعيفة، وتعني حكومة الشعب من أجل الشعب... دستور جيد يجب أن يمنح حرية التعبير للشعب... لا يمكن لأي جزائري مهما كانت قوته وطاقته ومعرفته أن يقود الجزائر بمفرده، فرييس الدولة ورئيس الحكومة في نفس الوقت لا يستطيع أن يفعل ذلك وحده، وسيلقي بحمولته على جزء من رجال غير منتخبين من الشعب، وأحيانا أجانب عن الوطن أصبحوا هم المسيرين الحقيقيين... نظام كهذا سينتهي بالزوال عن طريق الانقلابات، والمؤامرات. " (1225) وبالفعل أن الرئيس بن

(1222) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

* انظر نص الاستقالة في ملحق الوثائق رقم: 07

(1223) ibid. p : 61

(1224) ibid.

(1225) ibid. p p : 62-74

بله أبعد الرجال المخلصين من الحكم، وجاء برجال موالين له فلما جاءت الفرصة انقضوا عليه، لأنه لم ينصت لصوت الحق، ولم يطبق نصيحة الرجال المخلصين، فقد هددهم في حياتهم، ورمى فرحات عباس، وعمار بن تومي وزير العدل السابق، والرائد عزالدين، و الشيخ البشير الإبراهيمي وغيرهم في السجون و الإقامات الجبرية، فقد سجن فرحات عباس وأبعده إلى ناحية أدرار، فشل ابن بلة في إيجاد حل للوضع الاقتصادي و الاجتماعي المتردي، وكان من نتيجة ذلك حدوث اضطرابات اجتماعية في قسنطينة وتوسعت أعمال النهب والاعتداءات،⁽¹²²⁶⁾ والسرقه في المدن، و في الأرياف، فقد تكونت عصابات من اللصوص استعملت الأسلحة البيضاء، و بنادق الصيد لنهب الفلاحين وسرقه مواشيهم، ولم يستطع نظام ابن بلة توفير الأمن للسكان، إنما كان يوفر الأمن لنفسه، وجماعته، كان همه البحث عن العظمة، والشعبوية، وأصبحت الجزائر تتجه نحو الفوضى.

جرت مظاهرات شعبية عنيفة في وهران يوم 6 جوان 1964 (الولاية التي كانت يعتمد عليها كثيرا في تدعيمه، مدعيا أنه من الغرب الجزائري) هذه المظاهرات ضمت البطالين، والجنائين، هجموا على البلديات، وخرّبوا مكاتبها، وفي يوم 7 جوان توجهوا إلى مقر ولاية وهران منادين بـ "يجيا فرحات عباس" استعمل ابن بلة العنف، وأمر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين، وأنشأ بسرعة (المحكمة الثورية للجرائم)⁽¹²²⁷⁾ لمحكمة الجنائين! وكانهم حائنين واتهم فرحات عباس بأنه وراء هذه الأحداث، وذلك لإبعاد المسؤولية عن نظامه فكانت من إحدى الأسباب الرئيسية لسجن فرحات عباس يوم 3 جويلية 1964، ولم يطلق سراحه إلا يوم 8 جوان 1965، ليأتي دور بن بلة يوم 19 جوان 1965.⁽¹²²⁸⁾

قبل فرحات عباس برئاسة المجلس الوطني التأسيسي أملا من ذلك أن يحقق ولو شيئا من أفكاره المبنية على الاعتدال، والديمقراطية، واحترام الحريات الأساسية، ولكن لا شيء من ذلك تحقق، فهو لم يستطع العمل مع ابن بلة الذي لم يكن يؤمن بالديمقراطية، لذلك أدى هذا الاختلاف بينهما إلى رفض فرحات عباس السير مع نظام شمولي، ففي يوم 15 أفريل 1964 خلال انعقاد المؤتمر الوطني لجهة التحرير الوطني أتهم فرحات عباس بالميلوات البرجوازية و معارضة الاشتراكية، وحُذف اسمه من جبهة التحرير الوطني.

⁽¹²²⁶⁾ Benjamin Stora, Zaky Daoud, op.cit, p : 375

⁽¹²²⁷⁾ ibid.

⁽¹²²⁸⁾ Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p p : 9-13

المبحث الثالث

موقفه من النظام الاشتراكي

اختارت الجزائر المستقلة النهج الاشتراكي الذي أقره مؤتمر طرابلس على أساس أنه الحل الأنجع لتحقيق العدالة الاجتماعية، والنهوض بالجزائر، هذا النهج لا يتوافق مع إيديولوجية فرحات عباس فهو ذو اتجاه ليبرالي، فلماذا قبل فرحات عباس برئاسة المجلس الوطني التأسيسي، ما دام أن الجزائر قد اختارت النهج الاشتراكي؟ وكيف كان موقفه من النظام الاشتراكي سواء في عهد الرئيس ابن بلة أو في عهد الرئيس هواري بومدين؟

هذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المبحث

أقم مؤتمر جبهة التحرير الوطني المنعقد في 15 أبريل 1964 بالجزائر العاصمة فرحات عباس بالمليولات البرجوازية ومعارضة الاختيار الاشتراكي.⁽¹²²⁹⁾ وهذه هي إيديولوجية فرحات عباس الحقيقية، فهو منذ بداية الاستقلال عارض الاشتراكية السوفيتية فعند انتخاب المجلس التأسيسي يوم 20 سبتمبر 1962 وعند تنصيب هذا المجلس أحمد بن بلة صرح أمام هذه الهيئة التشريعية بأنه اختار نظاما اشتراكيا خاصا بالجزائر يجمع بين الماركسية والإسلام، هذه الإيديولوجية المزوجة والتي لا يمكن أبدا جمع إيديولوجيتين متناقضتين تمام التناقض، يرى فرحات عباس بأن هذا النهج أدى إلى شلل اقتصادي للجزائر من الناحية المادية، أما من الناحية الأخلاقية فقد أدى بالجزائر إلى انحطاط في الأخلاقيات، والعادات والتقاليد.⁽¹²³⁰⁾ هذا الخليط الإيديولوجي نتجت عنه مشاكل كثيرة في الجزائر لا أحد أصبح يهتم بالشعب ولا بمشاكله الاجتماعية، ولا بمحاربة البيروقراطية التي انتشرت في الإدارة الجزائرية، وما تبعها من رشوة وإهمال مصالح المواطنين، كان ابن بلة يجبر الجزائريين على إتباع نظامه عن طريق الإكراه، ولم يسمح نهائيا بحرية التعبير أو المعارضة، ويستشهد فرحات عباس بأية قرآنية عن الحرية التي منحها الله للإنسان « **من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر** » أقم ابن بلة معارضي النظام الاشتراكي بالرجعيين، " وأقام ابن بلة نظاما شموليا بوليسيا. " (1231) رافعا شعار الاشتراكية كغطاء إيديولوجي، وإيهام الشعب الجزائري بأنها تعني العدالة الاجتماعية.⁽¹²³²⁾ على كل حال في هذه الفترة كانت فكرة الاشتراكية كموضة العصر فابن بلة ومعه بومدين فيما بعد تحدث عن اشتراكية إسلامية، أو كما وصفها فرحات عباس (التوفيق بين الله و الشيطان)، وتكلم بوضياف و

(1229) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 375

(1230) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 59

(1231) ibid. p : 60

(1232) رايح لونيسي، المرجع السابق، ص ص: 69-70

آيت أحمد عن الاشتراكية العلمية، أما فرحات عباس فتكلم عن الاشتراكية الإنسانية، وتنوعت مفاهيم الاشتراكية في الجزائر فلم يعد بإمكان الشعب الجزائري فهم ماذا يقصد هؤلاء الأشخاص. (1233)

ويشرح فرحات عباس اشتراكيته التي سماها الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية. (1234) معلنا رفضه لقبول الاشتراكية السوفيتية في الجزائر. (1235) ووصفا الاشتراكية التي تبنتها حكومة ابن بلة بخداع الشعب الجزائري*. (1236)

وقد أوضح فرحات عباس: " إن مفهوم فلسفة الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية بأنها هي التي تنبع من أعماق الشعب الجزائري، يوجهها الدين الإسلامي وتمنح فيها حرية حق الملكية، وحق الميراث، وحق المساعدة الاجتماعية... وهي لا تتناقض مع أخلاقيات الإسلام، ولا تعتدي على أخلاقيات وتقاليد شعبنا، وبذلك نستطيع إدخال وطننا في ثورة من أجل تحقيق الأهداف التالية:

1. التصنيع وإقامة اقتصاد موجه ومخطط

2. تأميم الوسائل الكبرى للإنتاج، وتوابعها وتطوير التعاونيات الإنتاجية، والاستهلاكية

3. تحديد الثروات، ومراقبة رؤوس الأموال الوطنية، الخاصة من أجل الضريبة المخصصة لها من أجل المشاركة في تنمية القطاع الاشتراكي

4. الدفاع عن الحالة الاجتماعية بواسطة المنح العائلية، الضمان الاجتماعي، الأجر الأدنى... " (1237)

الاشتراكية التي تبناها نظام ابن بلة أدت إلى الفوضى، والشعب الجزائري لم يعد قادرا على التفاعل والتجاوب مع متطلبات تلك الفترة، وهذا نظرا لأسباب كثيرة منها تسرب العناصر الانتهازية إلى بعض مناصب الحكم، وإبعاد العديد من الإطارات القادرة على إعطاء دفع قوي للجزائر، بالإضافة إلى الصراع الذي حدث بين القادة، (1238) وعدم وجود برنامج تنموي شامل وواضح مبني على أسس علمية.

أما الميدان الاقتصادي والاجتماعي فإنه لم يعرف أي تحسن في عهد ابن بلة ففي سنة 1964 كان عدد

(1233) نفس المرجع، ص: 70

(1234) *ibid.* p : 68

(1235) Benjamin Stora, Zakya Daoud, *op.cit*, p : 374

(1236) *ibid.* p: 371

* كان الرئيس ابن بلة أثناء فترة حكمه يقوم أحيانا بجولات في العاصمة، ويتوقف عند بعض الحانات مع حراسه فينزل من السيارة متوجها إلى الحانة، شامتا صاحبها، و يقوم بكسر زجاجات الخمر، قائلا أن الإسلام حرم بيع الخمر (أها المهازل الحقيقية، في الجزائر المستقلة)، بإمكانه أن يصدر مرسوما بغلاق جميع مصانع الخمر عبر التراب الوطني. وكانت أكثر خطبه شتم الرجوازيين مهددا لهم بأنه سوف يعمل على إذابة الشحوم الموجودة في بطونهم.

(1237) Ferhat Abbas, *l' indépendance confisquée*, *op.cit*, p : 68

(1238) محمد العربي الزيري، المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة خميسية، الجزائر، 1989، ص: 103

البطالين قد ارتفع إلى 2 مليون بطل، و 2600000 جزائري بدون دخل، وفي البناء والأشغال العمومية انخفض الإنتاج بـ 55% ما بين 1962 و 1963، أما في قطاع المعادن والصناعة المعدنية انخفض الإنتاج بـ 20%، وانخفض كذلك الإنتاج الفلاحي بـ 15% ولم يعرف أي تطور في عهده، فإنتاج الحبوب لم يعد الإنتاج يتجاوز 17 مليون قنطار، بينما حاجيات الوطن منه تصل إلى 25 مليون قنطار في السنة، مع ارتفاع النمو الديموغرافي بـ 3% لكل سنة، وعدد المهاجرين إلى الخارج ازداد هو الآخر، فقد وصل عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا سنة 1965 إلى 450000 مهاجرا، بينما كان عددهم سنة 1962، 350000 مهاجرا. (1239) هذه الوضعية نتج عنها كما مر علينا اضطرابات اجتماعية، ومظاهرات وتخريب مؤسسات الدولة سنة 1964.

ففرحات عباس عارض بشدة النظام الاشتراكي الذي انتهجته الجزائر سواء في عهد ابن بلة، أو في عهد بومدين معتبرا إياه بأنه نظام اشتراكي ستاليني طوباوي. (1240) ويتساءل عن سبب اختيار ابن بلة، وبومدين لهذا النموذج الاجتماعي؟ فالإجابة في رأيه بسيطة لأن كل واحد منهما متعطش للسلطة الفردية* تحت ضمان النظام الشيوعي مثلها مثل فيدال كاسترو، و بريجنيف فهما كعاهلين غير قابلين للعزل، ويقول: " نصحت ابن بلة بالرجوع عن هذا الطريق من أجل مصلحة الجزائر المسلمة ولكنه لم ينصت لصوت العقل." (1241)

سمح ابن بلة للشيوعيين بتولي مناصب حساسة في الدولة الجزائرية من وسائل الإعلام، و المؤسسات الاقتصادية، وانحرف ابن بلة عن المبادئ الإسلامية، وأشار بيان 19 جوان 1965 إلى ذلك بقوله: " إن النهوض بمجتمعنا لا يمكن أن يتم إلا بتمسكنا بمعتقداتنا، واحترام تقاليد شعبنا وقيمه، ومثله العليا." (1242)

نظام اشتراكي قائم على الفوضى، ألغى القطاع الخاص، ومنح تسييره للبعض من أتباع الرئيس في إطار التسيير الاشتراكي للمؤسسات هؤلاء هبوا الأموال، وظهرت طبقة اجتماعية جديدة غنية هربت أموالها إلى الخارج وأضعفت العملة الوطنية، ويقول فرحات عباس عنهم: " أن أحد رجال الأعمال السويسريين باح لي بأن أصحاب الملايير الجدد الذين يملكون حسابات في البنوك السويسرية هم جزائريون، مضيفا بأن هؤلاء الجزائريين معظمهم أصدقاء شخصيين لرئيس الدولة." (1243)

(1239) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 374

(1240) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 130

* لا يمكن مقارنة فترة حكم بومدين، بفترة حكم ابن بلة هناك اختلافات جوهرية بينهما، فقد سعى هواري بومدين بكل ما يملك من طاقة أن يجعل من الجزائر دولة عصرية متطورة قائمة على أساس العدالة الاجتماعية.

(1241) ibid. p : 90

(1242) رابع لونسى، المرجع السابق، ص: 100

(1243) ibid. p : 131

ويضيف بأن المحاكم الجزائرية أصبحت غير قادرة على الوقوف أمام هؤلاء اللصوص الكبار، فهي لا تقدر إلا على الحمائم. (1244)

لهذه الأسباب وغيرها وقف فرحات عباس ضد النظام الاشتراكي الذي ألغى طبقة اجتماعية، وسمح بظهور طبقة انتهازية برجوازية مخربة للاقتصاد الوطني باسم النظام الاشتراكي، الذي سمح لهم بتسيير مؤسسات الدولة، المالية، والاقتصادية، فجعلوها كملكية خاصة بهم، نهبوا أموالها، وعطلوا التنمية الاقتصادية في الجزائر.

ويعلق فرحات عباس على ذلك بقوله: " إن جبهة التحرير الوطني هي رمز كل الفئات الاجتماعية، لم تستطع حوض كفاحها إلا بانضمام هذه الفئة غير المرغوب فيها « البرجوازية » والتي حملت الثورة على أكتافها، إنهم ملاك الأراضي، الفلاحون، التجار، أعضاء المهن الحرة الذين مولوا الثورة... ومعظمهم دفعوا حياتهم ثمنا لتدعيمهم لجيش التحرير الوطني. " (1245) هذه الفئة أهتمت بعد الاستقلال بالميولات البرجوازية، ومولاتها للاحتلال، وهُـمَّـتْ، وُـفُـتِحَ المجال لظهور فئة انتهازية، كسبت الأموال عن طريق نهب المال العام في إطار تسييرها للمؤسسات الاشتراكية.

وبالفعل فقد سادت الرشوة، والانتهازية، واللامبالاة، والمحسوبية في عهد الرئيس أحمد بن بلة، حيث كرسها نظامه الاشتراكي، فانعدمت الثقة بين الحاكم والمحكوم، وأصبح الإنسان الجزائري البسيط لا يؤمن بالقانون لأنه لا يطبق إلا عليه، أما الكبار فهم فوق القانون. وهذا ما كان يرفضه فرحات عباس، ولذلك عارض نظام ابن بلة، فأعيد إلى السجن، والنفي (الإبعاد) إلى الصحراء مثل ما حدث له في عهد الاحتلال.

فوقوفه ضد النظام الاشتراكي لم يكن معناه الوقوف ضد الطبقة الفقيرة فهو يعتقد بأن الطبقات الاجتماعية يجب أن تكون متعاونة، ومتماسكة مع بعضها، كما كانت في عهد الثورة التحريرية، مستمدة إيديولوجيتها من الدين الإسلامي، وليست من الإيديولوجية الماركسية، حيث يقول عن ذلك: " إن الإسلام هو الإيمان بالله، خالق الكون، واحترام الملكية، والحريات الأساسية للإنسان واحترام الكرامة الإنسانية، وهو يؤسس انسجاما اجتماعيا بين كل الطبقات عن طريق الزكاة، والتوزيع العادل للثروة الوطنية، إنه حرية الإنسان. أما الماركسية فهي نكران الله، ومحاربة ظاهرة الدين، وإلغاء الملكية الخاصة، ومصادرة وسائل الإنتاج، وإلغاء الحريات العمومية، إنها صراع الطبقات، وظهور ديكتاتورية البروليتاريا. " (1246) عارض فرحات عباس النظام الاشتراكي الذي انتهجته الجزائر بعد الاستقلال وأقره مؤتمر طرابلس بالإجماع، معتبرا إياه بأنه نظام مستمد من الماركسية الستالينية، وهو لا يتماشى مع الدين الإسلامي الذي يعتنقه الشعب الجزائري، فقد أدخل النظام الاقتصادي الاشتراكي الجزائر في الفوضى، وسوء التسيير.

(1244) ibid. p p : 131-132

(1245) ibid. p : 125

(1246) ibid. p : 124

دعا فرحات عباس إلى اشتراكية أخرى تختلف عن الاشتراكية التي تبنتها الجزائر بعد الاستقلال، وهذه الاشتراكية سماها " الاشتراكية الديمقراطية الإنسانية " وهنا نجد أنه قد حاول هو الآخر كذلك إعطاء الاشتراكية مفهوماً إيديولوجياً جديداً ومستمداً أسسها من الدين الإسلامي وعادات وتقاليد المجتمع الجزائري، أراد أن يكون منظراً لنظرية اقتصادية جديدة ولكن اختلطت الأمور عليه، فمن جهة يدعو إلى إقامة اقتصاد موجه ومخطط، وتأمين وسائل الإنتاج الكبرى، ومن جهة أخرى يدعو إلى الديمقراطية الإنسانية التي تسمح للفرد بحقوق الملكية والبيع والشراء... إلخ، وهذه التوجهات تتعارض مع النظام الاشتراكي، وإنما هي توجهات ليبرالية، ولكنه حاول أن يجعلها مطابقة للدين الإسلامي الذي أعطى للإنسان حرية الملكية وتتماشى مع عقلية الإنسان الجزائري النابعة أساساً من الإسلام، وحتى لا يتهم بذلك بالتوجه الليبرالي الغربي.

على كل حال قد حاول أن يكون منظراً لنظام اقتصادي جديد يمكن أن يتماشى مع الوضع الجزائري في تلك الفترة، ولكن نظريته هذه تحتاج إلى دراسة معمقة من علماء الاقتصاد، وليس عن طريق هذه النظرية المتواضعة التي جاء بها فرحات عباس يمكن بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي إنساني إسلامي، فالاشتراكية مبنية على أساس الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، تتعارض تماماً مع الدين الإسلامي الذي يحترم الملكية الفردية، ويظهر كذلك أن استعمال فرحات عباس لمصطلح الاشتراكية كان موضة ذلك الوقت، ولم يلجأ للتعبير الصادق عن اتجاهه الديمقراطي الليبرالي لأن الشعب الجزائري في هذه الفترة كانت تستهويه كلمة الاشتراكية.

المبحث الرابع

موقفه من الميثاق الوطني 1976

لقد جاء بومدين إلى السلطة في 19 جوان 1965 عن طريق انقلاب عسكري* ضد الرئيس أحمد بن بلة، وكانت الجزائر في تلك الفترة تعاني من مشاكل عديدة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولم يستطع ابن بلة فرض سلطته التنفيذية بالرغم من جمعه لجميع السلطات بيده، تميزت فترة حكمه بالارتجالية، وبالفوضى أحيانا، في هذه الظروف الصعبة استولى العقيد هواري بومدين على السلطة، وكان هدفه الأساسي يتمثل في بناء جزائر عصرية وقوية لها مكانتها العالمية.

ففي هذا المبحث نتعرض لموقف فرحات عباس من الرئيس هواري بومدين، وبالأخص موقفه من الميثاق الوطني لسنة 1976.

يقول فرحات عباس عن بومدين بأنه عند وصوله إلى السلطة حول مهمة الجيش الوطني الشعبي من الدفاع عن الدستور و الشرعية والوحدة الوطنية إلى مهمة أخرى، وهي الدفاع عن الدكتاتورية، و التكتلات واختراق الدستور،⁽¹²⁴⁷⁾ وحول كذلك صلاحيات المكتب السياسي لجهة التحرير الوطني واللجنة المركزية، و المجلس الوطني التأسيسي إلى مجلس الثورة.*⁽¹²⁴⁸⁾ الذي ضم 25 عضوا (منهم 12 عقيدا) ⁽¹²⁴⁹⁾

وقد حاول بومدين إيجاد مبرر لعمله الانقلابي ضد أحمد بن بلة، الذي استطاع بواسطة ديماغوجيته، أن يكتسب شعبية كبيرة.⁽¹²⁵⁰⁾ متهما ابن بلة بتحويله كل المؤسسات الوطنية، والحزب، والدولة لخدمته.⁽¹²⁵¹⁾

وفي مدة زمنية قليلة تمكن الرئيس هواري بومدين فرض سلطته والتحكم في جميع الأوضاع. لكن في أقل من عام واحد بدأ مجلس الثورة يتفكك بخروج بشير بومعزة، وعلي محساس منه، ففي خلال 8 سنوات انخفض العدد إلى 8 أعضاء فقط، وقد تعرض الذين خرجوا من مجلس الثورة إلى تهمة خطيرة، ومضايقات بما في ذلك عائلاتهم.⁽¹²⁵²⁾ فبومدين لم يكن يتسامح مع معارضيه لأنه كان يرى فيهم خطرا على الجزائر كلها وليس على شخصه فقط.

* أطلق عليه النظام الجزائري اسم " التصحيح الثوري " تجنبا لذكر الانقلاب العسكري.

⁽¹²⁴⁷⁾ ibid. p : 100

** يتكون مجلس الثورة من: الرئيس هواري بومدين

أعضاء مجلس الثورة هم: العقيد عبيد السعيد، العقيد بلهوشات عبد الله، العقيد محمد بن أحمد عبد الغني، العقيد ابن الشريف أحمد، العقيد ابن جديد الشاذلي، العقيد بومنيذر صالح، العقيد درايا أحمد، العقيد خطيب يوسف، العقيد محمدي السعيد، العقيد محمد أولود حاج، العقيد يحيوي محمد صالح، العقيد الزبيري الطاهر، بن حداو بوحجار، ابن سالم عبد الرحمان، بوجنان أحمد، بومعزة بشير، بوتفليقة عبد العزيز، الشريف بلقاسم، قايد أحمد، محساس علي، ميدغري أحمد، منجلي علي، مولاي عبد القادر، سوفي صالح، والطبي العربي (Ferhat Abbas, l indépendance confisquée, op.cit, p : 104)⁽¹²⁴⁸⁾ محمد الزبيري، المرجع السابق، ص: 51

⁽¹²⁴⁹⁾ ibid. p : 103

⁽¹²⁵⁰⁾ رايح لونييسي، المرجع السابق، ص: 107

⁽¹²⁵¹⁾ ibid.

⁽¹²⁵²⁾ محمد الزبيري، المرجع السابق، ص: 51-52

واستطاع بومدين في خلال سنتين فقط أن يكسب الشعب الجزائري إلى جانبه بسبب موقفه المشرف مع فلسطين، وإرساله وحدات من الجيش الوطني الشعبي لرد العدوان الإسرائيلي على الدول العربية المحاورة لفلسطين يوم 5 جوان 1967، وإعلانه صراحة الوقوف إلى جانب العرب والمسلمين، ومناصرة قضية الشعب الفلسطيني فهذا الموقف المشرف مكنه من كسب عواطف الشعب الجزائري، وبعدها بدأ في انتهاج سياسة خارجية قائمة على تحقيق مكانة دولية محترمة للجزائر، أما في الداخل فقد عمل على بناء دولة قوية من خلال التأميمات الوطنية التي شرع فيها، و الثورات الثلاث (الثورة الثقافية، والثورة الصناعية، والثورة الزراعية) وواضعا مخططات تنمية لكن عمله هذا لم يكن يخلو من الأخطاء، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر طريقة امتصاص البطالة عن طريق تضخيم المؤسسات الاقتصادية بالعمال بدون إنتاج، توزيع الأرباح على مؤسسات اشتراكية تعاني من الإفلاس، اتهام معارضيه بالخيانة... إلخ لقد صنع اقتصادا مصطنعا، وتمكن من اكتساب شعبية واسعة عن طريق خطبه الحاملة لإيديولوجية العروبة، الإسلام، والاشتراكية الإسلامية، والعدالة الاجتماعية، ومعتمدا في تثبيت سياسته على جهاز أمني عسكري قوي، والمنظمات الجماهيرية التي زرعتها في كل مدينة، وقرية، و دوار. (1253) لكنه تمكن من توفير الأمن والاستقرار داخل الجزائر، وأصبح للجزائر في عهده مكانة دولية محترمة.

المعارضة لأولى لبومدين بدأت من مجلس الثورة (من أصدقائه) الذين عارضوا سياسته واتهموه بالتسلط والديكتاتورية، منهم بشير بومعزة، فايد أحمد، الشريف بلقاسم... ولم يبق في هذا المجلس إلا أقلية وفيه له مثل عبد العزيز بوتفليقة، ومحمد الصالح يحيوي... يوم 19 جوان 1975 بمناسبة الذكرى العاشرة للانقلاب العسكري، ألقى بومدين خطابا أعلن فيه عن بداية تحضير ميثاق وطني، وانتخاب مجلس وطني (البرلمان)، ورئيس الجمهورية. (1254)

وأخيرا بومدين لجأ إلى الشعب الجزائري بعد أن ثبت حكمه وكسب شعبية واسعة، ليضع بذلك حدا لمعارضيه، ويبيّن دولة المؤسسات التي قال عنها بأنها لا تزول بزوال الرجال، مبادرة طيبة وشجاعة كبيرة من الرئيس هواري بومدين الذي أراد بعد حكم 10 سنوات أن يبيّن دولة قوية تستمد قوتها وفعاليتها ووجودها من الشعب الجزائري كله.

بدأت في الجزائر في بداية سنة 1976 حملة توعية واسعة لشرح المشروع التمهيدي للميثاق الوطني، وقد امتدت هذه الحملة إلى كل المدن، والأحياء، والقرى، والأرياف، وأماكن العمل، وفي المقاهي، والشوارع، وأعطيت الحرية للشعب للتعبير بصراحة عن آرائه في السياسة، والاقتصاد، والنظام الاشتراكي. (1255)

وقد أكد هذا المشروع على أن الاشتراكية في الجزائر اختيار لا رجعة فيه: " إن الاشتراكية في الجزائر

(1253) راجع لونيبي، المرجع السابق، ص ص: 108-110

(1254) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p : 381

(1255) ibid. p p : 381-382

حركة حتمية لا رجعة فيها، وكما كللت الثورة المسلحة بالنصر، فإن الاشتراكية ستتوج بالنجاح. " (1256)

إن بومدين اختار النظام الاشتراكي، وأكد على نجاحه حيث قارنه بالثورة التحريرية، وهذا خطأ كبير وقع فيه بومدين، فالثورة نابعة من أعماق الشعب الجزائري المسلم الراض للذل، والاحتلال، بينما النظام الاشتراكي مستمد من أفكار كارل ماركس، و لينين، فهو خارج عن قيم الشعب الجزائري، ومعتقداته، وبيئته... ونرى كذلك في الميثاق الوطني خلط بين الاشتراكية الماركسية والإسلام، أو كما يسميها فرحات عباس (الوفاق بين الله والشيطان)، وقد نص كذلك هذا المشروع على: " الدولة الاشتراكية تضمن مجموع الحريات العمومية، وبخاصة حرية التعبير، والرأي و التفكير، والتنقل. " (1257) وهنا نرى كذلك تناقض صارخ، فحرية التعبير، والرأي، والنشر، تتناقض تماما مع النظام الاشتراكي. اعتقد فرحات عباس بأن بومدين هذه المرة صادق حيث فتح مناقشة واسعة في كامل التراب الوطني حول مشروع الميثاق الوطني.

فخرج فرحات عباس من عزلته السياسية التي دامت 13 سنة، وحرر نداء إلى الشعب الجزائري * في مارس 1976، بمشاركة الشيخ خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء سابقا، و ابن يوسف بن خدة رئيس سابق للحكومة المؤقتة الثالثة، و لحول حسين الأمين العام لحركة انتصار للحريات الديمقراطية سابقا. (1258)

هل أراد فرحات عباس أن يكون جبهة واحدة ضد هواري بومدين متكونة من تيارات الحركة الوطنية؟

و مما جاء في هذه البيان ما يلي: " توجد الجزائر في أقل من 14 سنة وللمرة الثانية في صدام مع الشعب المغربي الشقيق، فمن بين جنودنا، وأبنائنا قتلى وجرحى، وأسرى، وذلك بدون أن يأخذ شعبنا أية مسؤولية في ذلك. إن أمواتنا وأموات المغاربة، والمعاملة السيئة التي عومل بها إخواننا المغاربة المطرودين من الجزائر، والمأساة التي يعاني منها السكان الرحل، وفي الساقية الحمراء ووادي الذهب، كل هذا يدل بأن الصدام قد أعطى بعض نتائج التخريبية... إن انقلاب 19 جوان 1965 كان عليه أن يرد لشعبنا سيادته الكاملة، لأن الذين قاموا به قد حكموا بدون التباس على الحكم الفردي... لكن هذا الانقلاب للأسف لم يغير شيئا فعبادة الشخصية لازالت قائمة، الحكم الفردي يمارس بدون رقابة، وحظوظ وطننا موضوعة بين يديه... " (1259)

لقد برر بومدين أسباب الانقلاب العسكري ضد ابن بلة من خلال بيان 19 جوان 1965 بالحكم الفردي

المتسلط، " وقد جاء بيان 19 من يونيو (جوان) 1965 فأكد هذه السمة الديمقراطية للدولة الجزائرية، المناهضة

(1256) الميثاق الوطني 1976، ص: 20

(1257) الميثاق الوطني 1976، ص: 79

* انظر ملحق الوثائق رقم : 08

(1258) Ferhat Abbas, l' indépendance confisquée, op.cit, p : 15

(1259) ibid. p p : 224 - 226

للإقطاعية، ونادى بإنشاء " دولة ديمقراطية جديدة " (1260) بومدين يرفض تسلط بن بلة، وحينما مارس السلطة فرض رقابة شديدة على حرية الرأي، والتعبير، وجمع السلطات العليا في البلاد بيديه، و يطلب هذا النداء من الشعب الجزائري النضال من أجل تحقيق ما يلي:

1. العمل من أجل انتخاب شعبي حر لجمعية وطنية تأسيسية ذات سيادة.
2. وضع حد للنظام الشمولي الحالي، والمطالبة بوضع حدود شرعية ضد كل التجاوزات من هذا النوع.
3. تأسيس حرية التعبير، والمعتقد للذات حارب الشعب الجزائري كثيرا من أجلهما.
4. العمل من أجل مغرب عربي موحد وإسلامي أخوي. " (1261)

هذه المطالب رفضها بومدين لأن النداء رفض تدخل الجزائر في الصحراء الغربية، وطالب النداء كذلك بفتح حرية التعبير لكل الجزائريين بدون تمييز، وفي نظرهم أن هذا لميثاق الوطني مفروض على الشعب، " لا يمكن أن يفرض على الوطن ميثاقا وطنيا كما فعل رئيس مجلس الثورة بهدف ترسيخ سلطته الفردية، الطريق الوحيد الذي بقي لتأسيس ميثاق هو فتح مناقشة عامة على المستوى الوطني، وانتخاب مجلس وطني تأسيسي ذو سيادة. " (1262)

بعد توقيع هذا النداء من الشخصيات الأربع نقلته المعارضة، ونشرته في الخارج متمثلة في حزب الثورة الاشتراكية الذي أسسه محمد بوضياف، و جبهة القوى الاشتراكية لآيت أحمد، ونشره قايد أحمد في الجزائر داعيا الشعب الجزائري إلى الوقوف إلى جانب هذا النداء، وأسس لجنة الدفاع والتضامن من أجل الدفاع عن الشخصيات الأربع، فتوبع هو الآخر كذلك، ولكنه استطاع الهروب إلى المغرب، أما الشخصيات الأربع فكان لهم حسابا عسيرا مع بومدين حيث يقول فرحات عباس: " عندما سمع بومدين بهذا النداء أعلن أمام وزرائه بأنه سوف يقتلنا لأنه لا يرغب أن يرى معارضين لنظامه. " (1263) ويرد فرحات عباس على ذلك التهديد: " إننا لم نقتل بكل بساطة، وأعتقد أن هؤلاء الشخصيات الأربع الموقعين على النداء دافعوا عن الجزائر قبل أن يولد بومدين، فالجزائر لم تخلق بانقلاب 19 جوان 1965، إنها بلد قديم وغني بقيمه. " (1264)

ويعلل فرحات عباس اللجوء إلى كتابة ذلك النداء قائلا: " إنه من حقنا، ومن واجبنا أن ننشر ذلك النداء، وزيادة على ذلك، فإن بومدين في أول نوفمبر 1975 أعلن أمام الشعب أنه سيتمح للجزائر ميثاقا جديدا - الميثاق الخامس منذ أول نوفمبر 1954 - ودستور جديد وكل فرد يستطيع أن يتكلم بحرية خلال هذه المرحلة، والمناقشة ستكون مفتوحة لكل الآراء، والأفكار في إطار حرية تامة. " (1265)

(1260) الميثاق الوطني 1976، ص: 74-75

(1261) ibid. p : 226

(1262) ibid.

(1263) ibid. p : 17

(1264) ibid. p : 17

(1265) ibid. p : 16

توجهت الشرطة صباحا يوم 10 مارس 1976 على الساعة 7:30 إلى بيت فرحات عباس بقيادة محافظ أمن القبة، وأعلموه بأنه وُضع تحت الإقامة الجبرية في منزله، وقطعوا عنه الهاتف، وكل الزيارات ما عدا العائلية، وجمدوا له حسابه البنكي، وصادروا صيدليته بسطيف. (1266)

كان بومدين يهدف من ذلك إلى تجويع فرحات عباس، وإذلاله، هل يمكن لشخص في مثل هذا السن (77 سنة) أن يؤثر على نظام بومدين؟ وبقي تحت الإقامة الجبرية 15 شهرا، لم يسمح له نهائيا بالخروج من منزله، وكان رجال الأمن يتناوبون فيما بينهم على حراسته، ولم يكن يسمح لأي أحد بزيارته، ما عدا أفراد عائلته بعد تحقيق مع الأمن، وانتظار أكثر من ساعة أمام داره، كانت معنوياته مرتفعة جدا،* لأنه كان يعلم بأنه على حق، و لم يقل سوى الحق في نظره من أجل مصلحة الجزائر كلها.

وألغيت حراسة الشرطة لمنزله يوم 13 جوان 1977 على الساعة 10:00 ليلا، وسمح له بالتحرك داخل الجزائر، ولكن جواز السفر لم يمنح له إلا بعد وفاة بومدين.

لقد رفض فرحات عباس مشروع الميثاق الوطني لأنه رأى أن الرئيس بومدين قد فرضه على الشعب الجزائري، وأن الاشتراكية التي لا رجعة فيها حسب تعبير السلطة في ذلك الوقت، كان رأيا من جانب واحد فقط، أما الشعب الجزائري فإنه لم يستشر في ذلك نهائيا، وهذا ما لم يقبله فرحات عباس لأن التجارب علمته بأن أي مشروع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي لا يستمد أصوله ومبادئه وأساسه من عمق وثقافة الشعب الجزائري، لا يمكن أن ينجح أبدا وسيكون مآله الفشل وهذا ما حدث بالفعل مع النظام الاشتراكي والميثاق الوطني، فبموت هواري بومدين اتجهت السلطة في الجزائر نحو الليبرالية، وأصبحت الاشتراكية في الجزائر ذات رجعة.

(1266) ibid. p p : 13-14

* زرتة في منزله، وبعد الترحيب جلست معه فكان كلامه موجها ضد سياسة بومدين، و عن إقامته الجبرية فقد أجابني: " بأنني لا أخاف من أحد في قول الحق، وإن شاء بومدين فليقتلني، فأنا لست راعيا، ولا انتهازيا، فسياسة بومدين ستؤدي بالجزائر إلى كارثة في المستقبل، لأن لا شيء مبني على أسس سليمة، فهو يرتحل في سياسته، يبحث عن العظمة يكذب على الشعب، ويعتقد أنه بواسطة قراراته يستطيع فرض سلطته، فليست بهذه الطرق نبي دولة عصرية قوية، فذلك يتطلب الرجوع إلى الشعب وفتح حرية الرأي و التعبير للجميع. فالجزائر لا يمكن لبومدين أن يبنها وحده." (صاحب البحث)

المبحث الخامس

وفاته

نتناول في هذا المبحث أسباب وفاة فرحات عباس ومواجهته للمرض بعد سن 80 من عمره، و كيف استقبلت الجزائر حكومة وشعبا وفاته.

محميء الرئيس الشاذلي بن جديد إلى الحكم، منح لفرحات عباس جواز سفره، لكن في هذه الظروف كان المرض قد أثر كثيرا على جسمه النحيل خاصة مرض ضيق التنفس (asthme) الذي كان يسبب له مشاكل صحية كبيرة، وهذا المرض بدأه عند إبعاد ابن بلة له إلى ناحية أدرار. (1267) زيادة إلى مرض السرطان والذي كان سببا في وفاته، كيف واجه فرحات عباس مرضه ؟

لم يكن يعطي اهتماما كبيرا لمرضه، وكانت زوجته تراقب صحته دائما إلى جانب أفراد عائلته من القيام بإجراء التحاليل ومراقبة تطور المرض، في هذه الظروف الصعبة تفرغ فرحات عباس لكتابة مذكراته، ولم يكن يهتم بأي شيء سوى بالكتابة، والابتعاد نهائيا عن السياسة ومشاكلها، وقبيل ذلك (نهاية 1978) حاول بعض الأشخاص توريطه في قضية " رأس سيغلي "*(1268)، ترفع فرحات عباس عن هذه التهم لأن ليس من طبعه، ولا من أخلاقه اللجوء للعنف.

تمكن من إعادة إصدار كتابه الشاب الجزائري سنة 1981، وتأليف كتابين آخرين هما كتاب " تشريح حرب " سنة 1980، و " الاستقلال المصادر " سنة 1984، وطبعت كتبه بفرنسا، وقد أرسل فرحات عباس كتابه الاستقلال المصادر مع رسالة إلى الرئيس الشاذلي بن جديد، يطلب منه السماح له بنشر كتابه في الجزائر لكنه لم يتلق أي رد، لأن ما جاء في هذا الكتاب كان قاسيا على الجزائر في تلك الفترة لأنه انتقد بشدة النظام الجزائري.

في 30 أكتوبر 1984 قلده وزير المجاهدين الذي انتقل إلى منزله بالقبة وسام الأثير. (1269) وهو أعلى

* اهمه مدبر هذه العملية الدنيئة (محمد بن يحيى) الذي أبعد بومدين من الحكم، فأثناء مرض هذا الشخص بالتعاون مع المخابرات العسكرية المغربية بجلب طائرة عسكرية محملة بالأسلحة الخفيفة، وأفرغت حمولتها في رأس سيغلي، في منطقة القبائل الكبرى الغابية بولاية بجاية، ولما اكتشف أمر هذا الشخص اقم فرحات عباس بأنه وراء هذه الأحداث، ولكن محاكمة محمد بن يحيى في المحكمة العسكرية بالبليدة سنة 1982 على جريمته لم يستطع أن يثبت تورط فرحات عباس، كان محمد بن يحيى يتصل أحيانا بفرحات عباس في منزله، وقبيل هذه العملية الدنيئة طلب من فرحات عباس أن يقدم له مساعدة من أصدقائه المغاربة، من أجل تمكنه من الإقامة في المغرب، فكتب له فرحات عباس رسالة طلب فيها من بعض أصدقائه تقديم المساعدة لهذا الشخص فاتخذ من هذه الرسالة دليلا لاثام فرحات عباس، ولكن المحكمة لم تجد ذلك مبررا لاثام فرحات عباس.

(اعتبر فرحات عباس تلك العملية من تدبير الأمن العسكري الجزائري من أجل مراقبة منطقة القبائل قبيل وفاة بومدين ببضعة أيام) (صاحب البحث)

(1267) Benjamin Stora, Zakya Daoud, op.cit, p p : 394

(1268) ibid. p p : 384-385

(1269) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 332

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

شهادة الميلاد

نسخة كاملة

ولاية جرجس
دائرة الطاهر
بلدية الطاهر

الحالة المدنية

رقم 0729

في يوم 17 الرابع والعشرين أوت عام ألف وتسعين وتسعة وسبعين
وُلد 2: عباس فرحات بكوي بالسنحة
الجنس ذكر ابن: المولود أحمد
و ابن: لعمرة عائشورة
الساكنين بالسنحة

حُرِّف في 17 الرابع والعشرين أوت عام ألف
وسبعين وتسعة وسبعين الساعة
بإعلان أذلي به السيد 3 الرب المدكور أعلاه

التاريخ 18/09/1947
مبارك بن
عبد الرحمن بن
عبد الرحمن بن
عبد الرحمن بن

حذرت من طرف المكونين

حزرت طبقة للسجل الأصلي
بلدية الطاهر المنطقة السابقة

الإقضاءات

1972-18-18
تاريخ 18-18-1972
امر رقم 81/78

نسخة مطابقة للأصل - 2004
حزرت الطاهر يوم 17 أوت 2004



عبد الرحمن بن
و بن
و بن

- 1 بكامل الحروف
- 2 اسم و لقب الولد
- 3 الابن، الطيب، أو الغالبة، أو غيره معن شهادة الولادة

الكتابة السابقة للإسم واللقب

ABBAS FERHAT

م. ج - 12 - النسخة الرسمية
PEKKI

وسام تمنحه الدولة الجزائرية للرجال المخلصين الذين قدموا خدمة عظيمة للوطن.

في هذه الفترة كان المرض قد أخذ منه مأخذا جديا خاصة السرطان وتوفي صباح يوم الثلاثاء 24 ديسمبر 1985 في منزله وقد أذاع تلفزيون الجزائر في نشرة الثامنة نبأ وفاة فرحات عباس.

وفي يوم 25 ديسمبر 1985 نقل جثمانه وهو مغطى بالعلم الوطني إلى مسجد القبة حيث أقيمت عليه صلاة الجنازة، ومنه نقل إلى مقبرة العالية حيث دفن في مربع الشهداء، وحضر جنازته وفدا رسميا من أعضاء اللجنة المركزية لجهة التحرير الوطني، ووزير المجاهدين، ونائب رئيس المجلس الوطني، والأمين العام لوزارة المجاهدين، وقدمت فرقة من الجيش الوطني الشعبي التحية الشرفية لجثمانه، وجمع غفير من المواطنين الذين جاؤوا من عدة جهات من الوطن لتوديعه، لكن معظمهم وصل متأخرا لأن الوقت كان ضيقا بين إعلان الوفاة وتشيع الجنازة.

أما كلمة التأبين فقد ألقاها علي شنتير رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وقد أشاد فيها بنضال الراحل فرحات عباس. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

وقد كتب عنه الصحافي الفرنسي الذي رافقه طويلا منذ انضمامه إلى الثورة وانتقاله إلى القاهرة، في جريدة "لومند" الفرنسية مقالا ومما جاء فيه: " سوف ننصف حتما هذا الرجل الشريف، الذي عاش كمواطن لا يملك أي ضغينة. " (1270)

(1270) حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص: 232-233

من خلال دراسي لنضال فرحات عباس السياسي لأكثر من ستة عقود، نستطيع تلخيصه في أربعة مراحل أساسية مر بها ذلك النضال وهي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة البحث عن وطن داخل فرنسا، أو نقل الجزائر من منطقة محتلة إلى مقاطعة فرنسية مباشرة، مثله في ذلك مقاطعتي الألزاس و اللورين أثناء احتلال ألمانيا لهما، حيث قامت هذه الأخيرة بتحويلهما إلى مقاطعتين ألمانيتين، ومنحت الجنسية الألمانية لكل سكانهما بدون شروط، وأصبحتا جزءا من التراب الألماني.

لقد أراد فرحات عباس أن يجعل جزءا من جغرافية الوطن العربي الإسلامي قطعة من أوروبا، وهدفه في ذلك إنقاذ الجزائريين المسلمين من الاحتلال والظلم والقهر والجهل والقوانين الاستثنائية، و إدماجهم في الحضارة الغربية أو بفرنسا مباشرة، وبالتالي يصبح كل سكان الجزائر المسلمين فرنسيين، مع حرصه دائما على محافظتهم على أحوالهم الشخصية الإسلامية.

ويمكن أن نقول أن نظرتة هذه كانت رومانسية بعيدة عن الواقع تماما، ولا يمكن لأفكار كهذه أن يتقبلها، لا المحتلون الذين جاؤوا إلى الجزائر بهدف استغلالها أرضا وشعبا، ولا الشعب الجزائري المسلم يريد أن يكون فرنسيا، فهو ليس كالهنود الحمر في القارة الأمريكية، ولا كمقاطعتي الألزاس و اللورين التابعتين للحضارة الأوروبية.

فحضارة الشعب الجزائري ضاربة في أعماق التاريخ البعيد، فله أرضه، وشخصيته، ومقوماته، وعاداته، و تقاليده وطموحه، وآماله، التي تختلف تماما عن الجهة الأخرى من البحر المتوسط.

ففرحات عباس في هذه المرحلة كانت تنقصه النظرة الواقعية، والتحليل التاريخي والسوسيولوجي العميقين، كان كسياسي مبتدئ مبهور بأنوار الحضارة الغربية، تصور أن نداءه، وأفكاره، وثقافته، وقدرته على المجادلة، قادرة على إنقاذ الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي، وأنه سوف يحقق معجزة كبرى بفصل الجزائر عن موقعها الجغرافي، وضمها إلى أوروبا.

فلا الجغرافيا ولا التاريخ يقبلان بذلك، ولا المنطق، وقد استمرت دعوته هذه مدة طويلة قاربت العشرين سنة من نضاله (أي منذ بداية العشرينات إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين).

كان طوال هذه المدة كمن يزرع في الرمل كما يقال، رجل أهدرته فلسفة الأنوار التي عرفتها فرنسا في القرن الثامن عشر الميلادي، وقيام حركة ثقافية تنويرية كبرى فيها، أعادت النظر في المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة في المجتمع الفرنسي بصفة خاصة، والمجتمع الأوروبي بصفة عامة، لكنها أفكار جاءت في بيئتها ومناخها المناسبين لها.

281

أراد فرحات عباس نقلها إلى الجزائر، لإنقاذ شعبه من احتلال بشع لاإنساني مجرد من العواطف، دعائمه الأساسية النهب، والقتل، والترهيب، وإقصاء الإنسان الآخر.

اعتقد فرحات عباس وهو خاطئ في ذلك أن لغة العقل بإمكانها تهدم تلك الدعائم، كم كان حالنا!

تلك هي مشكلة معظم النخبة الجزائرية المثقفة بالثقافة الفرنسية في تلك الفترة، اعتقدوا أن الثقافة الفرنسية هي المحور الأساسي الذي تبني عليه كل عوامل الحضارة العصرية، لكن الفرق بينهم وبين فرحات عباس، أنهم كانوا يطمحون لتحقيق منافع شخصية منفصلة عن مجتمعاتهم وأصلهم وتاريخهم، مثل الشريف بن حبيلس وغيره من الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية، وتركوا شعبهم يئن تحت نير الاحتلال والقهر.

أما فرحات عباس فكان يريد أن يكون منقذا لكل الجزائريين المسلمين، والأخذ بيدهم إلى الحياة العصرية، وكانت فرنسا نموذجها في ذلك، ولم يكن يطمح لتحقيق مآرب شخصية على حساب البؤساء والمقهورين من أبناء شعبه، لكنه أخطأ الطريق مع حسن النية.

هل كان الخطأ هنا مقبولا خاصة عندما يتعلق بمصير أمة بأكملها؟ اعتقد أن ذلك غير جائز، وحسن النية في هذه الأمور مرفوضة، وقد حاول فيما بعد في مذكراته تبرير سياسته الاندماجية في تلك المرحلة.

المرحلة الثانية: وتمثلت في البحث عن وطن مع فرنسا.

فبعد أن اصطدمت سياسة الاندماج التي دعا إليها فرحات عباس، وهلل لها كثيرا، وبحث عن مبرراتها واهدافها وسخر لها قلمه ولسانه و أحلامه، على أرض الواقع الحقيقي، ورأى أن سياسته الاندماجية لا يمكن تحقيقها أبدا على أرض الجزائر مهما طال الزمن.

وبوصوله سن الأربعين أو كما يسمى سن الحكمة و التعقل، كان ذلك في بداية الأربعينات من القرن الماضي استخلص نتائج سياسته الاندماجية، وعرف الواقع أكثر من خلال نشاطه السياسي داخل المجالس النيابية، واتصاله بغلاة المحتلين، وقدرته على تحليل نظرهم الضيقة، وفهم عمق فكرهم، وخيبة أمله في فرنسا الأنوار، فرنسا الليبرالية، والقوة البروليتاريا الفرنسية، التي كان يعتمد عليها كثيرا في الوقوف إلى جانبه في سياسته الاندماجية.

وجد أن اللوبي الكولونيالي في فرنسا هو اليد المحركة لسياسة فرنسا في الجزائر، اختلط عليه الأمر، وخاب أمله، وأظلمت الطريق أمامه إلى أين يتجه؟

أبحر الشعب الجزائري على الثورة، فهذا ليس مسلكه، فهو إنسان يكره العنف والظلم معا. توجه برسالة إلى المارشال بيتان، عساه أن يستجيب له في إلغاء الاحتلال وتحقيق المساواة لكل الجزائريين بدون تمييز، آملا في إنشاء جزائر جديدة، تسودها المحبة والإخاء والتعاون بين جميع سكانها، لكن دعوته ذهبت في مهب الريح، ولم يستجب لرجل تنظر إليه فرنسا على أساس أنه شرقي من الضفة الأخرى خاضع لها، وجزء من

شعب سخرته بسلاحها من أجل خدمة فرنسا.

وجد أمله في الميثاق الأطلسي، فوجد ضالته فيه، وحرر بيان 10 فيفري 1943 طالبا بإلغاء الاحتلال، وتأسيس جمهورية جزائرية متحدة فيدراليا مع فرنسا، مخالفا بذلك مطالب حزب الشعب الجزائري، ومرتبطا بمثله

الأعلى في الديمقراطية الفرنسية، و بتطورها التقني والعلمي، لأنه كان يعتقد بأن خروج فرنسا عن الجزائر معناه ضياع الشعب الجزائري في التخلف والجهل و الفقر، كان يرى ضرورة إبقاء الجزائر مرتبطة بفرنسا عن طريق اتحاد فيدرالي مبني على أساس العدالة الاجتماعية والتعاون المشترك بين الجزائر وفرنسا في جميع الميادين.

وجاءت مجازر 8 ماي 1945، ولم يشفع له اعتداله و لا دعوته للسلم و الإخاء بين المحتلين والجزائريين المسلمين فيلقى عليه القبض في قاعة الانتظار بالحكومة العامة، حينما كان ينتظر تقديم التهانى للحاكم العام بانتصار الحلفاء على النازية، ويلقى به في غياهب السجون كسائر مواطنيه الأحرار الذين امتلأت بهم السجون، والمعتقلات. ونستخلص من هذا بأن الاحتلال ينظر دائما إلى الشعب المهزوم نظرة احتقار ودونية مهما كانت ثقافة الشخص المهزوم ومهما قدم من ولاء وطاعة للمحتلين، فقاعدة الاحتلال مبنية أساسا على الظلم، وأن الاحتماء بالمحتلين يعتبر إما جهل بواقع الاحتلال وقصر النظر وسوء التحليل مهما كانت حسن نية الشخص، أو خيانة إذا كان عن قصد وانتظار من وراء ذلك تحقيق المنافع الشخصية، فالاحتلال لا يقدم للشخص المهزوم أي إمتيازات إلا من أجل تثبيت احتلاله، وفرض هيمنته على الشعب المهزوم.

المرحلة الثالثة: البحث عن وطن خارج فرنسا.

بعد أن يئس فرحات عباس من سياسته، ومن ألعاب المحتلين، وساستهم في فرنسا، وحرصهم على إمتيازاتهم، وإبقائهم على الشعب الجزائري في الفقر والجهل، ورفض منحه أية حقوق تعيد له كرامته وسعادته على أرضه وجد أمامه جماعة من شباب المنظمة الخاصة المنبثقة عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية تعلن عن اندلاع الثورة الجزائرية باسم جبهة التحرير الوطني، التي اتخذت من الثورة المسلحة وسيلة لتحقيق السيادة الجزائرية، وتحرير الجزائر من الاحتلال.

فكان على فرحات عباس إما أن يساير شعبه في الكفاح التحرري وإما أن يخرج عن مسيرة أمته. ففكر وراجع نفسه وسياسته، فتيقن بأن اللغة الوحيدة التي يفهمها المختلون المتطرفون هي لغة الرصاص، فاختر الانضمام إلى الثورة مقدما بذلك خبرته السياسية الطويلة، وحكمته كشيخ محنك.

لقد دافع عن الجزائر في المحافل الدولية، وزار تقريبا معظم دول العالم مُعَرِّفاً بالقضية الوطنية، وباحثا عن الدعم والمساندة للثورة، وفاضحا أساليب الاحتلال الجهنمية، وأكاذيبه، وجرائمه الإنسانية في حق شعب أراد أن يعيش حرا

على أرضه كبقية جميع الشعوب الحرة.

إن فرحات عباس زعيم النخبة الوطنية المثقفة ثقافة فرنسية واسعة، لم يستطع أن يتخلى عن شعبه، وإن كل ما فعله طوال نضاله السياسي خلال فترة الاحتلال هو من أجل إنقاذ الشعب الجزائري من محنته.

المرحلة الرابعة: البحث عن الديمقراطية في الجزائر المستقلة.

لقد استطاعت الثورة الجزائرية تحرير الجزائر من الاحتلال، وإقامة دولة جزائرية ذات سيادة، ترأس فيها فرحات عباس أول مجلس وطني تأسسي (البرلمان)، آملا أن يقدم خدمة لشعبه من خلال هذه الهيئة التشريعية ولكنه وجد نفسه مسؤولا بدون سلطة تشريعية، فالسلطة التنفيذية برئاسة أحمد بن بلة الذي جمع كل السلطات بيده، باحثا عن الزعامة الشخصية، منفردا برأيه متجاهلا للسلطة التشريعية، فما كان من فرحات عباس إلا أن قدم استقالته رافضا الأسلوب الاستبدادي.

إن فرحات عباس بقي وفيًا للمبادئ الديمقراطية، ونذر حياته كلها لخدمة الشعب الجزائري، رافضا الولاء للأشخاص، وإنما جعل ولاءه لكل الجزائر، مؤمنا كل الإيمان بالنهج الديمقراطي وهو الأسلوب الوحيد الذي يسمح ببناء جزائر تتسع لجميع أبنائها، ويكون ولاء الجميع للوطن كله.

فهو ذو شخصية قوية مؤمنة بالمبادئ الديمقراطية الليبرالية، لا يمكن أن يضحى بها من أجل مصالح شخصية، وقف ضد النظام الشمولي الذي اتبع في الجزائر بعد الاستقلال، متحديا بذلك كل الأخطار، التي قد تترتب عن مواقفه الراضية للحزب الواحد، أو الرأي الأوحده، وقد تعرض تاريخه وسمعته للتشويه بسبب مبادئه الديمقراطية التي آمن بها ودافع عنها، كما تعرضت صيدليته مصدره الوحيد في العيش بسبب مواقفه للمصادرة.

فلم يؤثر عليه ذلك بل زاده قوة وإيمانا بما يفعل، ورفض أن ينتقل إلى فرنسا برغم من امتلاكه لمنزل صغير فيها بمدينة نيس، التي كان يقيم فيها رفيقه القديم في النضال الدكتور محمد الصالح بن جلول.

تمنى أن يموت على أرض الجزائر وليس على أرض فرنسا، ووفقه الله لذلك ودفن على يد أبناء شعبه في الأرض الجزائرية الطاهرة.

أما اليوم فإن الجزائر ترفع اسمه عاليا على مؤسساتها الرسمية الكبرى كجامعة سطيف، ومطار جيجل الذي يحمل اسمه، ولقد أحييت ولاية جيجل الذكرى المثوية الأولى لميلاده في 24 أوت 1999 تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية الجزائرية عبد العزيز بوتفليقة، الذي حضر هذه الذكرى، وألقى خطابا هاما حول شخصية فرحات عباس، ودوره في الحركة الوطنية.

ملاحق البحث

1. شهادة ميلاد عباس فرحات المكي.
2. شهادة ميلاد أمه.
3. جدول يمثل هجرة الأكراسيين واللوريين إلى الجزائر.
4. وصيتي السياسية.
5. توجيهات فرحات عباس للمفاوضين الجزائريين عشية لقاء لوسارن مع جورج بومبيدو.
6. رسالة العقيد هواري بومدين إلى فرحات عباس عند مغادرته التراب التونسي في اتجاه الجزائر.
7. استقالة فرحات عباس من المجلس الوطني التأسيسي.
8. نداء إلى الشعب الجزائري.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

شهادة الميلاد

نسخة كاملة

ولاية جيجل
دائرة الطاهير
بلدية الطاهير

الحالة المدنية

رقم 0729

في يوم 17 الرابع والاربعون اوت عام الف وثمانمئة
وسبعمائة وتسعة وتسعين على الساعة الثامنة ليليا
وُلِدَ 2: عباس فرحات كوي بالسدحنة
الجنس ذكر ابن: الداعي بن احمد
و ابنا: لعزة عائشورة
الساكين بالسحنة

حُرِّفَ في 17 الرابع والاربعون اوت عام الف
وسبعمائة وتسعة وتسعين على الساعة
ياغلان اذلى به السيد 3 الرب المدكور اعلاه

التاريخ: 18 09 1947
مبارك بن عباس
مبارك بن عباس

حدرت من طرف المكونان: زياتي

محررات طبقا للسجل الاصل
لمدينة الطاهير المنطقة السابقة

الإفضاءات

17/09/47
امر رقم 81/70
بتاريخ 18-09-1947

نسخة مطابقة للأصل
حدرت بتاريخ 17 اوت 2004

ع ارنيس العاجل اعني
و يتوسطه
شهادة البلدية

- 1 بكامل الحروف
- 2 اثنى ولفب التولد
- 3 الاث، الطليب، او الغابلة، او غيرهم معن شهد الولادة.

الكتابة الشافقة للإسم واللقب
- ABBAS FERHAT -
ج. م. 12 - النسخة الرسمية
MEKKI

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

نسخة من الدفاتر الاضلي

الامير عبد القادر

المنعلق بعرش

فرقة

الاسم العائلي **معصرة**

الاسم (اللقب القديم) أو اسم الأسلاف أو الكنية إذا كانت

عاشورة ثبت علي بن مسعود

الرقم 1317 من الدفاتر الاضلي

المهنة **لاصبي**

العمر في سنة الف وتسعة وتسعين كان

ملاحظات: عمرها (25 سنة)

رقم تسجيل النسب: 183

نسخة استخراج طبقا للسجل الاملي

نسخة مطابقة للأصل

15 اوت 2004

في

الامير عبد القادر

حزرب

صاحب الحالة المدنية



Handwritten signature in blue ink.

الكتابة السابقة للاسم واللقب
MAZA - ACHOURA

ج. م. 16 - المطبعة الرسمية

ملحق رقم: 03

هجرة الألزاسيين واللوريين في نهاية القرن 19 الميلادي، وبداية القرن العشرين إلى الجزائر ومناطق استقرارهم.

| المنطقة | الاسم الحالي | اسم المنطقة خلال عهد الاحتلال |
|---------|--------------------|-------------------------------|
| قسنطينة | سيدي خليفة | Altkirch التكيرك |
| قسنطينة | عين التين | Belfort بلفور |
| بجاية | القصر | Bitche بيتش |
| جيجل | شادية | Chedia شادية |
| سطيف | عين تاقروت | Chevremont شوفروما |
| بجاية | وادي أميزور | Colmar كولمار |
| معسكر | الهاشم | Dombasle دومباسل |
| جيجل | قاوس | Duquesne دوكان |
| قسنطينة | بومالك | Eguisheim ايقيشم |
| الجزائر | برج الكيفان | Fort de l' eau فورد لو |
| باننة | عين توتة | Horbourg هوربورغ |
| قلمة | وادي توتة (فاجوجي) | Kellerman كيلرمان |
| سطيف | عين عباسة | Marsal مارسال |
| بجاية | أقبو | Metz ميتز |
| قلمة | سوق السبت | La Robertsau لاروبرتسو |
| قسنطينة | عين ملوك | Obernai اوبرناي |
| قسنطينة | وادي العثمانية | Ribeauvillé ريبوفيل |
| قسنطينة | ابن زياد | Rouffach روفاق |
| معسكر | عين فقان | Sainte Hyppolyte سانت هيبوليت |
| خنشلة | خنشلة | Sainte Marie سانت ماري |
| جيجل | الأمير عبد القادر | Strasbourg ستراسبورغ |
| جيجل | الطاهير | Taher الطاهير |

ملحق رقم: 04

وصيتي السياسية

" أوكد بشرفي، وأقسم أمام الله بأن " أحباب البيان " غرباء عن أحداث سطيف، وأن أيادينا نظيفة من أي دم إنساني "

فرحات عباس

أنني تعبت من السياسة، منذ 25 سنة وأنا أناضل من كل أعماق قلبي ضد قوات الاحتلال التي تضطهدنا، إن قلبي قد تعب، يجب أن أتوقف، لترك المجال لرجال جدد فالمجال هو للأجيال الصاعدة. ولكن مع انسحابي، أود أن أقول لوطني وللمرة الأخيرة أشياء أعتقد أنها بسيطة، ولكنها ضرورية. أنا لا أتنبأ، المستقبل بيد الله، ولا أحد يستطيع القيادة وبدقة مصير إنسانيتنا في ظل الفوضى التي يعرفها عالمنا المعاصر.

إن حرب 1939، قد فتحت عهدا تاريخيا، ثورة روحية ومادية، تجري تحت أنظارنا، إننا فوق فوهة بركان، حممه لا تنقذ أي وطن، عندما ينطفئ هذا البركان، نكون ربما قد توفينا. لا أحد يتمنى أو ينتظر منا تحليلا شاملا للمصالح، وتصالح القلوب... إلخ

تحرر الفلاحين

إننا في وطن " السعادة الفردية " فيه ممنوعة مؤقتا، لأن الفقر فيه مدقع. المشكل الرئيسي في الجزائر وهو الوحيد الذي يطرح نفسه، ويبقى هو مفتاح نجاح أو فشل نظام الحكومة، هو تحرر الفلاحين. أن تحرر الفلاحين ليس هو مشكلا جديدا، إن الوصاية على الجزائر، قد حررت الفلاحين الجزائريين بتكسيروها للإقطاع العربي والتركي، فإن فرنسا لم تستطع القيام بذلك منذ نزولها بسيدي فرج سنة 1830. لو كان الاحتلال الفرنسي قد حرر فلاحينا لما وقع سنة 1946 صدام حاد بين الإقطاعيين الزراعيين، والعامّة الكبيرة من الفلاحين.

إن كل المشاكل الموجود في الجزائر ترتبط بالحرية، الحرية من هذه العبودية الدنيئة والتي تعود إلى العهد الرماني القديم، حرية 5 أو 6 ملايين من المواطنين والعمال في الفلاحة و الحماسة هذه الجماهير لا تعرف القراءة و الكتابة هي لا تعرف اليوم لا العربية ولا الفرنسية، إنها أمية.

كل الغزاة، وكل الأنظمة كل على طريقتها الخاصة استطاعوا إخضاع هذه الجماهير واستعمالها، ولكن لا أحد منهم فكر أن يحكم من أجلها، وإيجاد الحلول الفعالة لمتابعها المعنوية والجسدية، وكسر موكب الفقر الذي يؤلمها لا يوجد نظام قام بتربيتها وتعليمها وتطويرها وتقدمها، الحضارة تكاد لم تصلها - بعد، ولا أحد سبَّح داخل جسمها، أو تجدر في بيتها. إن الكوخ الحالي كان هو نفسه المعروف في عهد قرطاج، وروما، وسيدي عقبة، والبربروس، وبيجو، لا شيء تغير.

أجل بعض الشيء قد تغير " الحي " القديم، والعصور الوسطى لم يعرفا قرن السرعة إنهما لا يقدمان مع الريف هذا الطابع المتناقض القائم على مغالطة التاريخ أصبح هو الطابع الخاص الذي يميز الجزائر. المدينة العصرية المبنية في وسط (لَبْلَادْ) الذي يعاني الجهل والفقر وهو مرتبط معها بالسيارة، والسكة الحديدية، والطائرة، والهاتف، والمذياع، والواجبات الإدارية أصبحت شاهد عصر في وسط عصر آخر، إننا نستطيع القول بأن النهضة المرتبطة بالمدينة العصرية بعيدة عن تقدم أي التقاء إنها معاناة خطيرة تربط عالمين منعزلين في الواقع بقرون، ويبقى العالمان غير متداخلين الأحد مع الآخر، وبالتالي نرى داخل حدائقنا العمومية وفي محطات القطر، والحافلات، وفي الإدارات الفلاح وسخ ومكمل (القمل) وثيابه رثة، وخجول وعنيف يرمي هيئته المعتادة كقطعة سوداء في وسط حضارة لامعة، ولا يعتبر هذا الفلاح ولا يعتبر هذا الفلاح أجنبيا مقرنة بالفرنسي فحسب بل يبقى غريبا على كل سكان المدن ولو كانوا مسلمين مثله، الطبيب، المحامي، الصيدلي الموظف، والتاجر، ونادل المقهى، والعامل في حمام العرب، والحُجَّاب عند الخواص، وفي الإدارات العمومية كل هذا العالم متحالف ضده يستغله، يسرقه، يعامله بقساوة يشتمه يرفضه كما لو كان من سلالة أخرى ومن دم آخر، بدون شك لهذا الرجل عيوب كثيرة بالتأكيد ولكن من أين له أن يحصل على الصفات الحسنة ؟ إن مصير هذا الإنسان، وسعادته، ومآسيه هي التي تحدد مستقبل الجزائر، ليس هناك مشكلة نخبة، لأن من السهولة حلها، ولكن هناك مشكل العامة غير، المثقفة، والفقيرة، والبائسة، وحلها مستعصي وهذه الجماهير سوف نعرف بأنها ستشق طريق انفجار الغضب، والكرهية.

هل يمكننا إدخال هذا العدد البشري، الهائل، رجل الجبل، ورجل السهل، ورجل الجنوب، لتغيير طبيعة وجوده، وأخلاقه دون حبه أولا ثم نريد له بعد ذلك الخير والسعادة ؟ ذلك غير مسموح.

هذه الجماهير ستتغير عندما تتغير السلطة التي كانت دائما ضدها، وتصبح تعمل لصالحها، سياسة مخصصة تعمل لصالح الجماهير المتعبة هي وحدها القادرة على تغيير الوجه الحقيقي لوطننا وإدخال هذه الجماهير في العصر الحاضر.

من إحدى ذكريات طفولتي، المؤكدة دخول جباة الضرائب، ففي ذلك الوقت كنت أذهب إلى المدرسة القرآنية حافي القدمين، مرتديا قميصا وقندورة، كباقي كل أطفال الدوار، ومن إحدى أكبر أفراحنا رؤيتنا لـ " الخزناجي " كل سنة في منتصف سبتمبر مصحوبا بفرسان البلدية المختلطة لجمع الضرائب، كنا نستقبله هو وعائلته ويمكثون عندنا (حوالي) عشرة أيام وكان ذلك مسليا لنا أن نرى هؤلاء الفرنسيين وكل أولئك الجماعة.

ولكن كان هناك منظر مؤلم كنت أشاهده بعيني الطفولة المفتوحتين، كان فقراء الفلاحين الذين لم يكن باستطاعتهم دفع ضرائبهم، يُعرضون إلى أشعة الشمس الرأس عريان، وأيديهم مكبلية وراء ظهورهم، كنت استفسر قادة المشاتي الذين كنت أعرفهم عن سبب ذلك فيشرحون لي وغالبا ما يضيفون: " إن أباك ليس قاسيا، القايد م... جاره يرشهم باللبن على رؤوسهم لكي يزعجهم الذباب." لقد وصل بي الأمر أن أسرق نقود أمي لتحرير هؤلاء السجناء، الذين كان يتقصمهم أحيانا فرنكين أو ثلاث فرنكات، كل ذلك أثارني وجعلني حزينا.

كان ذلك في سنوات 1909، 1910، 1911 أي ثلاث سنوات قبل الحرب الكبرى حرب الحق والحرية، وهي الحرب التي أظهر فيها هذا الفلاح شجاعته ومساهمته الكبيرة في انتصار فرنسا.

في هذا العهد بدأ تعلقي وحي للفلاح المسكين، ولقد أثبت له ذلك.

إن تعلقي به جلب لي ثقته وذلك حيثما توقفت كسبت هؤلاء الفلاحين الفقراء الذين التفوا حولي، إنني أعرف احتياجاتهم ومعاناتهم وأفراحهم لقد استمتعت في هذا الوسط حيث تتغلب حرارة الأنعام، وكذلك حرارة الأنعام وحفاوة الاستقبال.

منذ البداية ومنذ خطواتي الأولى في السياسة كان نضالي يتمثل في تحرر هذه الفئة الكبرى من الفلاحين الذي فرض نفسه علي كهدف أعلى لسياسة جدية. يجب أن نصب فيها، وكان طموحي الوحيد هو رؤية قبل وفاتي الفلاح ينام على سرير وهو مغطى بلحافين نظيفين بعد تناوله وجبة العشاء وقراءة الجريدة.

منذ 1910 تعلمت شيئا آخر، تعلمت بأن الفلاحين في كل العالم كانوا إخوة في الفقر، كلهم عرفوا ويعرفون نفس الحرمان، نفس السلاسل، نفس الاستغلال، ونفس السادة في كل مكان وحتى في ساعتنا الحالية هناك عدد كبير من الفلاحين مستغلون من قبل أقلية مستغلة (بكسر اللام)، فلاح فرنسا، فلاح أوروبا، فلاح الصين واليابان يقيمون في نفس المكان الذي يسكن فيه الفلاح الجزائري، ولا يفرقهم سوى ثروات التربة.

عند قراءتي لكتاب حول الصين لكاتب أمريكي وجدت عنوانه " الأم " وجدت فيه خصائص جدتي، همومها، وأفراحها، وانشغالاتها. يوجد عمق الإنسانية في كل مكان نفس تعلق الإنسان بالأرض، إنه هذا الفلاح الذي هو الشعب؛ الشعب الجيد هو الذي يعمل وينتج، ويدفع الثمن على سطح الأرض.

في الجزائر هو الذي أصبح المساهم الجيد، والعسكري الجيد، والعامل الجيد، ولا يكلف ذلك إلا القليل سواء للدولة أو الخواص.

إذا أردنا سياسة جيدة لا بد من ضبط مسيرتنا حول خطواته الضعيفة، خطوات الطفل الذي لا يستطيع تتبعنا، وما دام شعبنا باق في حالة الجهل الأولى بأقلية أخلاقية وثقافية، سيحتفظ عندنا بمكان الطفل في العائلة، إذن يجب علينا أن ندافع عن قضيتنا خارج نطاقه، التفكير من أجله والنضال من أجله، فالمسؤوليات الكبرى تقع على عاتقنا. إنه بسبب تحملي لهذه المسؤوليات، ووعيا بمصلحة هذا الشعب وحيي القوي له الذي حملته له دائما، أعتقد بأنني سوف أسمح لنفسي إطلاق صفارة إنذار أخيرة، متأكد بأن المناضل القديم، يسمعه الفلاح، والشبيبة المسلمة، والشبيبة الفرنسية.

استخدام العنف هو جريمة في حق الشعب

" بعد فشل عبد الكريم في الريف سنة 1925. هل يمكن أن يكون عندنا أحزاب سياسية، رجال سياسيون، الذين يفكرون بجدية في استخدام العنف لتحرير وطنهم من نظام الاحتلال؟ هل يمكن أن يكون هناك رجال يدفعون بقلوب ضعيفة فلاحينا البؤساء نحو الانتحار الجماعي؟

الأحزاب والرجال ذووا قصر النظر يجرضون على التمرد دون معرفة إلى أين يؤدي ذلك؟ السياسيون المحترفون الذين يتباهون بتحريك الغرائز التي يبندها العقل للحصول على الشعبية، والذين يعملون في الخفاء أو العلن واعون أو غير واعين بالقمع والتعذيب الذي يمارسه الاحتلال، إنهم يرتكبون بذلك جريمة كبرى ضد حرياتنا.

أفوله وأقرره، عندما تمثل شعبا ضعيفا، السلاح الوحيد والفعال هو الإخلاص للجزائر المسلمة التي هي بدون قوة فالقوة الوحيدة التي بقيت لها هي قوة الضعفاء بإيمانهم الجيد وإيمان الجزائر بهم.

من هم هؤلاء المجانين الذين يتصورون بأنهم يستطيعون بواسطة أحداث شعبية إعادة الهدوء الاجتماعي الذي حطمه الاحتلال منذ أكثر من قرن؟ ألا يرون بأن النتيجة العملية لمثل هذه السياسة هي إراقة أودية من دم المسلمين؟

صحيح أنه كانت لدينا الشجاعة عندما كتبنا بأننا نفضل الموت بالرصاص على الموت بالطاعون، ماذا نقول؟ هل أن حياة الفلاح الفقير أقل قيمة من حياة منظمي الحوادث؟ وهل لهذا كله في ساعة " البارود " هؤلاء " القادة " يدفنون أنفسهم في التراب كالفئران في جحورهم؟ إن حرب التحرير كانت بدون شك مدرسة للبطولة هناك رجال يريدون لعب دور المقاومين، إما إذا كانت هذه قناعتهم فعليهم أن يظهروا للعلن وأن يتسلحوا ويلتحقوا بالجبال لمواجهة الدركي ولكن عليهم أن لا يرتكبوا دناءة البطولة على حساب الآخرين، ودفع الفلاح إلى الجزرة.

أيها الفلاح استمع إلى صوت صديق إن الذين نصحوك بالثورة يخونونك، لقد دنسوا شقاءك، البارحة حرضوك ضد الفقراء من الفرنسيين الذين لم يكونوا أعداءك، وغدا، سيحرضونك ضد مسلمين آخرين، ضد الميزابيين ثم في ما بعد ضد سكان الجبل ثم سكان السهل ثم سيتجدد صراع قبيلة ضد قبيلة. الإقطاعية العربية ستأخذ كل حقوقها، وستعاني وحدك من الاضطهاد وضرائب أخرى تحت تعسف آخر. الفوضى ستعود، ووطنك سينفتح على احتلال آخر. لا أحد يجهد معاناتك، وكما أن آخرين يعيشون في الرفاهية، فإنك ستتلوى وحدك في الفقر، إذا كان منظمو الفوضى يستمعون إليك، إنهم يسمعونك مثلنا " تحمل وتعذب "، ولكن هل يفكرون في الاستماع إليك فقط

إن تحررك لا يتوقف على موت بعض المارة في الشارع أو على اغتصاب ولا على جريمة فضيحة. أترك هذا العمل الغوغائي لرجال بدون اعتراف! إن ذلك يعتمد على مؤسسات وهناك ثلاثة مواقف ممكنة ضد هذه المؤسسات:

1. الخضوع

2. الكفاح واللجوء إلى القوة

3. الكفاح واللجوء إلى العدالة والشرعية

لقد نددنا منذ مدة بالطريقة الأولى (الخضوع) بمعنى طريق بني - وبوية (بني وي - وي)، ندند، ونستنكر الطريقة الثانية إن الفكرة التي تقول بأن الفلاحين الجائعين، وبدون سلاح يمكنهم تحطيم نظام اجتماعي محمي بالسلاح إنه خطأ وشتم للطريق الجيد والبسيط.

يبقى لنا الطريق الثالث وهو الوحيد المعقول، إن استحقاقنا ليس في اختيارنا لها ولكن لنكن معتدلين تجاهها وضد الجميع.

إذا كنا نعتقد بضرورة " تغيير الطريقة " و إشراك الجزائريين المسلمين بطريقة ضيقة وفعالة لإدارة حكومة الوطن وتسيير البلد الذي عاش فيه أجدادنا على قدم المساواة مع الفرنسيين، إذا كنا من أنصار التغيير

التدريجي لنظام الاحتلال الحالي المبني على اندماج خاطئ، تعاون صادق حسب نظام فيدرالي، فإننا قد عارضنا دائما وبعنف محاولات الفوضى، وكل سياسة العنف وكم كنا محقين في ذلك !

فعلى شبيبة وطني الاستماع إلي ! وسيجدون رجالا أيضا في الخفاء لترير عملهم الإجرامي. هؤلاء الرجال سيقروون لي كالعادة وابتسامة لماعة وبوجه مغلق، وبهيئة مدافعة، لأنهم وحدهم " يعلمون " إستراتيجيتهم الكبرى، وهم وحدهم الذين لديهم " معلومات ". على شبيبتنا أن لا تنخدع وأن لا تكون ذنية أمام وطنية هؤلاء " المتكبرين " لتكن لهذه الوطنية بالوكالة الشجاعة لتقول " لا " هؤلاء الرعاة الرديئين، وبالتالي يكون لها الاستحقاق في تحرر وطننا.

لا لكرهية الجنس، لا لكرهية الدين

" لكي ندخل الجزائر في إطار العصر الحديث، لا يعقل أن نقوم بنشر عواطف الماضي لسكاننا، وليس من

العقل ترك زراعة مزدهرة عندنا ونقوم بما ندد به جارنا.

لن أتكلم أمام الفلاح على العنصرية، من الممكن ألا يفهم ذلك. نطلب منه فقط أن ينظر حوله ليرى بأن الفرنسيين واليهود هم أحسن من المسلمين، هذا يكفي، وسيفهم، وسيؤكد على ذلك.

إن الدين ناقل للحضارات وخدم عصره. القبيلة وحدة بيولوجية ناقلة للحضارة في عصرها إنهما الاتحاد الوطني المسكون بأناس من كل الأجناس والأديان، وهم الذين يدخلون في الطابع العام لتوازن العالم المعاصر الحالي، لتوحيد هؤلاء الناس، دين آخر قد وُلد، دين الديمقراطية والحرية لكل واحد إيمانه، ولكن للجميع الانضباط الجمهوري والدفاع عن الديمقراطية.

إنهم يلوموننا على أن لدينا أصدقاء فرنسيين، نعم، لدينا الكثير منهم ونحن متعلقون بهم لأننا نعرفهم. المعرفة هي الحب. ولو كنا نعرف تاريخ الصينيين، والروس، والإنجليز، والأمريكيين، كما نعرف تاريخ فرنسا، أكيد، سنحبهم بنفس المقدار.

إننا نناضل ضد القوانين الفاسدة، وليس ضد أشخاص. وكل الشعوب هي بصدد محاربة القوانين الفاسدة لأوطانها. هل يوجد في وقنا الحالي شعب واحد راض بمصيره؟ ألم تعاني أوروبا خلال أربع سنوات أكثر ما عنيته في 50 سنة؟ العالم ينتظر، والاحتلات تنتظر، وجيراننا المغرب، وتونس ينتظران، و" مقاتلونا " وحدهم يُؤلِّدون الجزائر قبل أجلها بالاعتماد على جهلنا.

في الوقت الذي فتح فيه " أحباب البيان والحرية " الباب للفرنسيين والإسرائيليين لتشكيل العائلة الجزائرية الكبيرة الموحدة مستقبلا. ها هو العنف يمارس ضد نفس الفرنسيين. أي دور يريد أن يلعبه هؤلاء الذين قبلوا السير

معنا ؟

السياسة قبل كل شيء هي قضية شرف وعلى من يمارسها أن يفني بالتزاماته ويعمل على مواجهة وعوده. ويتحكم في مستلزماته و أنانيته، وبذلك سنرتقي إلى صف خدام الشعب، وليس عن طريق الخداع، والنفاق، والنية السيئة، نربي شعبا، ونحضره للمستقبل.

أعترف إنني لا أفهم رجلا مثل الطبيب " كالبوا " (Calbois) الذي قام بحملة في قسنطينة ضد مرض السل في أوساط المسلمين أليس هو ضروري لوطننا وأحسن من خباز مسلم يبيع الخبز لبؤسائنا المواطنين بـ 40 فرنكا للكغ من الخبز؟ وأحد المحتلين مثل " فاسطون ليو " (Gaston Lieu) الذي يتغاضى الطرف عن سرقة قمحه، لأنه يعلم أن اللصوص هم من الجائعين، أليس هو أحسن من مسعود سالم الذي يترك خماسيه وحتى أحفاده يموتون جوعا، وقمحه يصاب بالسوس؟ رجل مثل صديقي الفقيد " دي لوكا " (Deluca) الذي ترك كل الأشياء المعنوية إلى أصدقائي مصطفاي، وعطار عيسى، وفتح كل الأبواب الكبيرة للبلدية في وجه المسلمين، أليس هو أفضل من والذي الحقيقي في ذلك الوقت الذي وقف معاقبا بشدة الفقراء الذين لا يستطيعون تسديد فرنكين للضرائب، وذلك من أجل الحفاظ على برنوسه الأحمر، موظف بالبريد، أصلا شريفا، مثل صديقي " دينيه " (Denier) هو ضحية بريئة لوغد أليس هو ضروري لوطننا أحسن من فايد يقوم بتحويل مؤونة دوراه إلى عائلته تاركا النساء والأطفال عراة ويموتون جوعا؟ والرئيس باسل؟ أليس بفضل نفوذ هذا القاضي تم تحرير عباس التركي، والشيخ العقبي سنة 1936 ما هو الضرر الذي قام به هذا الرجل لكي يقتل؟ أليس هو أحسن من الملاك المسلمين الكبار الذين يعذبون فقراءنا الفلاحين بالقتل حيث يبيعونهم القنطار من القمح ب 10000 فرنكا؟

إن الذين رموا بأنفسهم ككلاب مسعورة من أجل الدفاع عن كلمتين تافهتين: " لتسقط الشيوعية " أطلقوا سراح مصالي " في يوم الانتصار أين كان الجيش الأحمر والحلفاء داخلين إلى برلين، كل هؤلاء السفهاء أصحاب السوق السوداء و رواد مقاهي العرب لا أحد منهم يستطيع استعمال أصابعه العشرة، كل هؤلاء الأفاعي الذين وضعوا بيضهم المسموم في عش الجار وتحويل يوم الفرح الذي شارك فيه المسلمون إلى دموع هل يساوون اليدان المقطوعتان لصديقي " دينيه " الذي لم يتسبب أبدا في بكاء أحد؟

كفانا عنصرية، كفانا جهوية، أيها الشعب لا تسع إلى قضيتك العادلة بسيرك وراء جماعة بوعمارة الدينئة. حل المشكلة لا يكمن في القتل، وإنما في اتحاد كل الإيرادات الطيبة لكل الرجال المخلصين. مع هذا الاتحاد تنكسر كل القوى الرجعية المتخلفة. أيها الشعب اختر قادتك، وانتصارك أكيد.

لا ضد الشيوعية، لا ضد الاشتراكية

الاحتلال المنتصر قال يوما في قسنطينة: " الشيوعية إنها العدو. " ثم فيما بعد: " الهتلرية، والفاشية رفعت نفس الشعار من أجل مصلحتهم الخاصة: " الشيوعية هي عدوة الإنسانية. "

وها هم بدورهم، الديكتاتوريون يريدون أن يعلموا شعبنا كراهية الشيوعية، دون أن نتمكن من معرفة السبب، ولا اكتساب الكيفية لمواجهة هذا النظام السياسي الكبير، النظرية الاقتصادية والاجتماعية.

لست شيوعيا، وليست لدي النية لأكون في مكافهم ولا في مكان الجيش الأحمر للدفاع عن " وطن العامل " لقد سمحت لنفسي لكي أحتج ضد المعادين للشيوعية، وتحذير الفلاح. هناك 6 ملايين نسمة لا يشبعون: عمال الفلاحة، الخماسة، الشماس (البطالون)، وصغار الفلاحين. يجب أن يأكلوا جيدا، ويسكنون في قرى نظيفة، ونكوهم، ونكسيهم، ونعالجهم، وأغنياء المسلمين يفكرون بجدية في الزكاة، و 10/1 الإنتاج لتحقيق هذا البرنامج؟ سيغيرون وضعية الخماس، ويجعلون من ابنه إذا كان ذكيا، مهندسا، أو طبيبا، أو أستاذا، أو عاملا مؤهلا؟ شيء مضحك. في دولة عصرية، يجب أن يكون لها قوانين عصرية. إذا أرادت الجزائر ألا ترجع إلى الوراء وتزول، فإنها لا

تستطيع الهروب من تأثير نمو الإنتاج فهي ذاهبة إلى الاشتراكية، وإلى الشيوعية. القوانين الاجتماعية تفرض نفسها. على الأقل العامل الذي ليس له إلا يديه لكي يعيش، له الحق الكامل للدفاع عن حبه، وخبز أولاده، له الحق في التجمع، والانخراط في التنظيمات التي يختارها.

لا أقول للفلاح اذهب إلى الشيوعية. أقول له قبل أن تعرف القراءة والكتابة أن تحكم على نفسك، وألا تكون عدوا للشيوعية للفلاح أعداء كثيرون في هذا الوطن، كفاه عداوة للشيوعية.

في معظم الأحيان يستعملون الدين ضد موسكو، الدين له قوة جيدة، و الذين هم أقل معرفة بالدين هم أكثر تشبها به. من جهتي أعلم بأن الله والإنسان بينهما نفس المسافة التي تفصل الأرض عن السماء. رجل الدين كان دائما حليف الغني، وفضل مصاحبته على الفقير. أرى في أريافنا الطلبة يتسابقون لموت رجل غني لأن عنده غداء جيد وله النقود. وهم أقل عددا وأقل تسابقا حول جثة فقير.

الدين قضية ضمير، وحرية الإرادة، لا يجب أن يكون الدين قمعيا، ويجب أن يعلم بحرية ولكن هنا تتوقف حدوده. لا يجب أن يتدخل الدين في الصراع الطبقي لتكوين الحكومات، قضايا الدولة هي من صلاحيات الدولة.

في تاريخ الأمم وخلال السنوات الأخيرة، يحتم علينا ملاحظة هؤلاء الذين كونوا قاعدة ضد الشيوعية، هؤلاء انهاروا واحدا تلو الآخر بعد أن تسببوا في دمار كبير لشعبهم، إنه تاريخ ألمانيا، وإيطاليا، واليابان ومن الممكن أن يكون ذلك نفس مصير أسبانيا.

في دوازي الأصلي، صديق قديم لي في المدرسة القرآنية سألني يوما: ما هي الشيوعية؟ سؤال محرج هربت من الإجابة بحكايتي لقصة اسكافي.

كان اسكافي له خادم يصنعان معا زوجين من الأحذية يوميا، عامله يتقاضى على ذلك 150 فرنكا شهريا، ويحقق الاسكافي 400 فرنكا ربحا صافيا كل شهر، كان كل شيء يسير جيدا، وفي كثير من الأحيان كان الاسكافي وخادمه يتناولان القهوة معا، وكانت زوجة الخادم تزور زوجة الاسكافي، وكانت تجد منزلها وأثاثه لا يختلف عن منزلها، وكانت صديقتان، وذات يوم مهندس اخترع آلة يستطيع بواسطتها الخادم أن يصنع 100 زوج من الأحذية يوميا، الاسكافي اشترى تلك الآلة، وتعلم الخادم استعمالها، كل شيء تغيير، الخادم بقي يتقاضى نفس الأجر اليومي، ولكن أرباح الاسكافي ارتفعت، وأصبح ملكا - ملك الأحذية - اشترى قصرا، وضيعة أولى، وثانية، وثالثة، وبنى فيلات على الساحل، ومنازل للترهة والترفيه في الجبال. وأصبحت له سيارات خاصة، ولزوجته كذلك، وخادم يرتدون ملابس شبيهة بتلك التي يرتديها رجال السرك، وزوجة الاسكافي تملك الجواهر، ولم تعد تلتقي أو تتكلم مع زوجة الخادم، أولادها يرمون النقود من النوافذ.

الخادم اشكى، أطفاله جائعون بيته غير نظيف، يبذل جهدا قاتلا في عمله، طلب من الاسكافي أن يمنحه جزءا من الأرباح، ولكن الاسكافي رفض، وهكذا أصبح الصديقان عدوان. قال الخادم: كل هذا ليس عدلا، الذي لا يعمل لا يحق له أن يأكل، أموال الاسكافي كانت بعرق جبين، ويجب أن يعود هذا المال إلي، وإلى الدولة، إذا أراد الاسكافي أن يأكل فما عليه إلا يعمل مثلي.

وبجانب ملك الأحذية، يوجد ملك الحبوب، وملك الفوسفات، وملك الخمر، وملك البترول، وملك الأقمشة... إلخ

هذه هي الشيوعية. ماذا تعتقد من ذلك؟ أجابني الفلاح المتواضع بقوله: لو أن الاسكافي منح للعامل إحدى ضيعاته لكان ذلك أحسن.

آه! إن الذي يملك ضيعة لا يمنحها أبدا، ويفضل أن يتركها أرضا باثرة. الإنسان سواء كان عربيا، أو صينيا يهتم بأمواله أكثر من حياته.

والذي في سنة 1917 بجدة أثار استنكاره مظهرها شاهده فيها، فارس عربي، كان مارا بسرعة على فرسه، وخادمه يجري مع الحصان. لماذا؟ ببساطة حتى يكون الخادم على استعداد للحفاظ على حصان سيده عند نزوله. يا له من مثل للأخوة الإنسانية! نحن سعداء لأن هذه المظاهر أصبحت غريبة عندنا.

إن أنانية الغني، واستسلام الفقير، هما اللذان صنعا التفاوت الاجتماعي الكبير وذلك هو السبب الرئيسي لتلك الكارثة التي تسمى الحرب، حرب احتلال، حرب عالمية، الواحدة تغدي الأخرى.

لا أقول بأن الفلاح شيوعي ولا أقول له أن يكون كذلك، للأسف إنه متنازل جدا لكي يرى من أين تأتيه المآسي، ولكننا نرى بدله ونستطيع تشخيص ذلك، ليس العمل في محاربة الشيوعية من أجل إحياء " المملكة العربية " والتي ستعالج كل آلام وجراح فلاحينا.

يجب أن تكون قوانين اجتماعية عديدة، ووسائل إنتاج جديدة وأدوات جديدة. من يستطيع أن يحقق هذه الثورة الاقتصادية والاجتماعية، إهم الآلاف من المهندسين وبتصورات جديدة؟

لنكن جديين، ولنتكلم عن أشياء جديدة، على إمكانياتنا إننا نمثل وتكلم باسم 6 ملايين من البشر لا يملكون شيئا، ويتظنون كل شيء من غد غير أكيد. الشيوعية كسب الملايين من البشر لقصيتها، هزمت الهتلرية التي تسلحت لغزو العالم. هل المسلمون الجزائريون قادرون على إفشال ذلك؟

الصدق والحكمة تتطلب منا ألا نقوم بتلك المبادرة الغير الضرورية.

لا نقلد الفارس صاحب الوجه الحزين الذاهب إلى الغزو على خوذة حديدية. ولا نلعب دور "دون كيشوط"

إن العمل والعلم هما اللذان يمنحان الحرية للشعوب.

"الإيمان والمبادئ، الشعوب لا تحتاج شيئا آخر تضيفه لغزو الحرية سوى الطاقة في العمل وحب العلم. أيها الشعب تعلم العمل، تعلم أن تكون ملتزما في العمل. إنها الخطوة الأولى لطريق الحرية. الحقيقة الأولية، أن الشعب لن يكون قويا بالعدد، ولكن بعمله، و احتياطات عمله.

ولكن نحن لا نعرف حتى كيف نعمل، إذا كنا فلاحين، نضيع نصف الإنتاج بسبب الكسل وتنقصنا رغبة المبادرة. إذا كنا تجارا نجهد معنى الأعمال وميزانية آخر السنة. نعيش من يوم ليوم. لا نعرف كيف نواجه التزاماتنا.

نترك بمعامات توقعنا لدى مؤسسات القرض. لا نعمل أي شيء. بمنهجية، ولا بعزة، وليست لنا الثقة في أحد.

إذا كنا عمالا نمارس نفس الإهمال، لا نعمل بـ "جدية" ينقصنا الانضباط، ولا نحب عملنا.

أيها الطلبة، إنه ينقصنا الطموح، وحتى حب أنفسنا، لا أحد منا يفكر في الذهاب أكثر من مسار أجدادنا. لا أحد منا يفكر في غزو المرتبة الأولى. بعد نيل الدبلوم. إنه الاستقرار، إنه الروتين في الحياة والموت.

يقيم أي شعب بوثته الحيوية. ورغبته في المخاطرة والمبادرة. العالم العصري ورشة واسعة، مدرسة ضخمة حيث يتم فيها تعلم أفكار جديدة وغرس مناهج جديدة. من منا يفكر في الهجرة من أجل أن يغني وطننا بتجربة الشعوب الأخرى؟ لننظر ماذا يحدث في باريس، وفي موسكو، وفي أنقرة، وفي لندن، وفي نيويورك، وفي طوكيو، هكذا خلال ثلاثين سنة ونحن نخلط نفس الأفكار. فعندما يحاول أحدنا محاولة الابتعاد عن الدروب القديمة المهزومة معها تبدأ قضايا الأشخاص في اللعبة فوراً، لأنه تنقصنا "الروح الجماعية" والوعي الجماعي، ومن هنا فإن أحزابنا السياسية ما هي إلا نسخة من تلك الأفكار البالية.

أكثر من نصف قرن رجل دولة أجنبي لاحظ في باريس أن الطلبة المصريين يرتادون أماكن التسلية، بينما الطلبة اليابانيون يقضون وقت فراغهم في المكتبات، والعمل. وأضاف ذلك الرجل: اليوم اليابان حر ومصر مازالت تحت الاحتلال.

لا يجب أن نؤمن بالمعجزة. بل يجب أن نؤمن بشرف العمل. ونؤمن بالعلم. هذا العلم يستطيع أن يرفع جبالاتنا. شعب بدون علماء، وبدون تقنيين، وبدون مهندسين، هو شعب بلا روح، وبدون قاعدة، وحرته وهمية، فهي منعدمة ولا يمكن أن تكون.

غير معقول في فجر العالم الإسلامي الرسول (ﷺ) قال: "ابحثوا عن العلم ولو في الصين" نعم. ابحث عن العلم ولو في نهاية العالم، وهو كذلك. الإسلام في عصر الانحطاط اهتم بالعلوم الدينية، خطأ فادح، المعرفة الدينية الحقيقية كانت في المدينة ومكة وفي الصين كان البحث عن العلم هناك في مهده، وذلك يتعلق بالعلوم الإيجابية، والمعرفة التجريبية. مؤسسات لا تزول أمام عظمة الشعوب.

هذا العلم هو مصدر كل الاستقلال. العلم يضع الجسور فوق الأودية، يشق الجبال، يحجز المياه يحول السيول الجارفة إلى ضوء وثروة، والعلم يخرج ترسانة من السفن. والطائرة من الورشة. لا علم، لا حرية. المعادلة الجبرية، والقانون الفيزيائي، والمعادلة الكيميائية، هم أسلحة الشعوب العصرية.

عندما تكثر السبورة السوداء، ولوحة الكتابة في الأرياف والجبال الجزائرية، وعندما ابن الفلاح يكتب: $ax^2+6x=c=0$ ، الجوع، والكوخ، والثياب الرثة، والعبودية ستزول نهائياً.

ما هو تحرر الفلاح الذي حددناه كهدف؟ ما هي النهضة التي نطالب بها من أجله؟ أولا وقبل كل شيء هو تحسين الشروط المادية للوجود، التطور التقني، الآلة البخارية، الطائرة، اللاسلكي، الجرار، السد. إنها تطور العقول، والقلوب بين الأجيال في انسجام اجتماعي للمعتقدات، والإيمان، إنه السير نحو السعادة.

هذا هو العمل الذي أطلبه منك يا شباب وطني والانخراط فيه والتعاون. العلم ليس له وطن، العلم ليس له دين، العلم ليس له جنس، أيها الطالب المسلم خذ صديقك الطالب الفرنسي، والإسرائيلي من يدهم، وسير بهم إلى وسط الدوار في أريافنا المؤسفة. ليدخل هذا الثالوث إلى داخل الكوخ، ليعالج، ويربي، ويساعد الفلاح ويحبه، وتعطى بذلك روح جديدة للفلاح، وأنتم أيها الطلبة تكسبون أيضا روحا جديدة. أفضوا عطلتكم هناك، اذهبوا نحو الفلاح بإيمان قوي، ومن هنا تعرفون احتياجاته، وطموحاته. وهذه المعرفة تجعل منكم قادة جيدين للرجال.

بدون دماغوجية. ألا يمكن اعتبار فرقة جيدة من الطلبة مع ثلاثة أو أربعة من فلاسفة التربية (للرجال، السينما وسيلة مرجوة لم ترد الحكومة أبدا توظيفها)، صيدلية جيدة، طبيب جيد، في خلال شهرين من عطلتكما يستطيعان أن يعملوا من أجل تطوير المسلمين أكثر مما يقوم به قايد خلال مئة سنة؟ ولكن هنا من مكان آخر، لا يجب أن نهمل المراحل لكل شيء وقته. ليس عندنا " بيار الكبير " (Pierre le Grand) من أجل تغيير الأخلاق والتقاليد بضربة مقص.

ليس لدينا أتاتورك صاحب العمل الخالد، فهو المثال الوحيد والجيد للشعوب الإسلامية، ليس لنا إلا حسن إرادتنا واتحادنا، فهي كافية لنا في حالة ما إذا عملنا بمنهجية وصبر.

لا نعتز. إذا أردنا ترجمة طموحات وطننا، لا ننسى أبدا أنه يجب علينا أن نفكر من أجله، ونسير في مقدمته لتوجيهه، اخترنا مع البيان الفيدرالي طريقة حكيمة وحذرة. لتتوقف هنا. لنحقق هذه الشمولية، وهذا التوازن بين الذين يملكون، والذين لا يملكون شيئا. إذا وجد وطننا مستقبلا نفسه في الاستقلال. منهجيتنا لا ترعجه، لو كان في يوم آخر وجد نفسه عكس ذلك، توازنه الاقتصادي وانسجامه السياسي داخل وحدة ضيقة مع البلد الأم الليبرالي، منهجيتنا لا ترعجه أيضا. المهم اليوم ألا نضيع الوقت نريد أن نسير بسرعة، مثل دخول الباحث الجامعي اللامع إلى مخبره، نكتب على عتبة حركتنا التحررية: " هنا من أجل الذهاب، يجب أن نسير بهدوء "

آخر كلمة للشبيبة المسلمة

فعل الطريق يعطينا مثالين: استعمال الشعب الروسي العنف لإلغاء النظام القيصري السديكتاتوري، وثانيا المقاومة السلمية، و اللاعنف اللذان تبناهما المهاتما " غاندي " في الهند.

الحوادث لم تكن لا من هؤلاء، ولا من أولئك، ليس لها شجاعة وبطولة الثورة التي قام بها الشعب الروسي، وليس لها نبل وعظمة التضحية الجماعية للشعب الهندي. إنها وسيلة بدون هوية، خسيصة، أضرت البريء أكثر من المذنب فهي بلا شجاعة ولا عظمة. إذا نصحن بالحوادث تصبح استفزازاً، ويكون الشعب ضحيتها، وتمنح رد الفعل للدفاع الشرعي في غير محله، وتحيي أرمادة الكراهية والشك، لدى المستغل (بكسر الغين) ضد المستغل (بفتح الغين) الغازي ضد المعتدى عليه، والسيد ضد الرعية.

مهما تكن الصيغة التي ننظر بها إليها فإنها لا تخدم القضية الحقيقية للشعب بدل أن تكون في صالحه."

وأنت أيها الشاب الفرنسي الجزائري إلى أين ؟

" طيب فرنسي لأصدقائي من أصل جزائري فضولي جدا لمعرفة المشاكل السياسية والاجتماعية، وأثرهما على الأوساط المسلمة الجزائرية، وهو على علم بمختلف التيارات الفكرية، والتي تؤدي إلى تحريض عامة الفلاحين، والبرجوازيين. قال لي يوماً، عند عودته من تونس حيث جرح هناك: " أخطاء خطيرة ارتكبتها آباءنا في الماضي خلال مسيرتهم ضد جيلنا، الآن يجب علينا أن ندفع الثمن، ونحن لسنا سعداء بذلك، ولن ندفع أبداً عن إحسان، والحقيقة هنا، سوف ندفع بطريقة أو بأخرى. "

قرن من احتلال الجزائر واستيطان أوروبي، وفق المسلمين وصل إلى مأزق مأساوي. ولكن هل الأمر بالنسبة لفرنسيي جيلنا دفع الثمن، أو ببساطة التنازل ؟ إنه يتعلق فعلاً بالتنازل عن أفكار آباءنا، وعقلية الاحتلال، وموقف السيد من رعيته. المشكل كله هنا. وهنا تكمن الصعوبات. "

فرحات عباس

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 05

إخواني الأعزاء،

بولحروف سيتوجه إلى سويسرا بالتعليمات أدناه، في حالة ما إذا انتهت مهمته، وتمكن من الاتصال بكم قبل عودتنا إلى تونس.

نقدم له هذه المذكرة لكي يكون لكم رأيا حول وجهة نظرنا:

(1) - اللقاء الذي حضره السويسريون، يجب أن يكون في أقرب وقت ممكن، وألا نضيع الوقت، وأن يكون ذلك قبل انعقاد دورة الأمم المتحدة في مارس المقبل.

(2) - الإخوة بومنجل، و بولحروف، هما المكلفان باللقاء الأول، يقومان بتسجيل ومقارنة هذه المفاوضات، بمفاوضات مولان، ويحضران المفاوضات الحقيقية إذا سمحت هذه اللقاءات بذلك

(3) - هذا اللقاء يجب أن ينعقد في " برن " في حوالي 20 فيفري، ويجب أن تتم المحادثات في السرية التامة.

(4) - إذا كانت المفاوضات على مستوى الوزراء سوف تكون علنية مثل مفاوضات مولان.

ونعتقد بأن هذا المسار لا يخرجننا.

الإخوة يجب أن يسمحوا لمخاورهم بالجنيء، وطرح عليهم الأسئلة التي يرونها مفيدة، ويتركون للحكومة المؤقتة في اجتماعها المقبل سلطة أخذ القرار بالرد على هذا اللقاء الأول.

في هذه الظروف يجب أن نؤكد تصميمنا لهؤلاء الرجال الذين يعرفون ماذا يريدون وإلى أين يذهبون، ويجب أن يقتنع الخصم بأننا قد أغلقنا الباب لعدد من الحلول الخاطئة وحوار الطرشان.

ليس لدينا الوقت لإضاعته مثل ما حدث في مفاوضات مولان.

أخويا

رئيس المجلس: فرحات عباس

ملاحظة: أرسل هذه المذكرة يوم 9 فيفري 1961 من أسبانيا بعد سفره إليها بتاريخ 19 جانفي 1961.

(ترجمة صاحب البحث)

ملحق رقم: 06

القوات 29 جوان 1962

الجمهورية الجزائرية

ج. ت. و - ج. ت. و (جيش)

قيادة الأركان العامة

رقم: E.M.G /4.651

إلى الأخ عباس،

عشية دخولك إلى الجزائر، تمنيت لو التقينا من أجل دراسة القضية. كنت سأخذ طريق الكاف، ولكن حدثت مشاكل غير منتظرة منعتني من ترك منصبي. آسف جدا وأطلب منك العذر.

يجب علي الآن، في الوقت الذي تستعد فيه للعودة إلى أرض الوطن، أن أذكرك إذا كان ذلك ضروريا، شعبنا تنقصه المعلومات الصادقة، وكم كان مخدوعا، وكم أصبح العمل الضخم للتوضيح عاجلا. وجودك في الجزائر سيستقبل بحرارة، وأنا متأكد من ذلك، وذلك من قبل كل شعبنا الذي يعترف لهؤلاء الذين ضحوا من أجل حريته وزاول فقره، وسيطلب منك الشعب كباقي كل المسؤولين توضيحات. واجبنا توضيح عطشه للمعرفة، ضروريات الحرب منعتنا من ذلك إلى يومنا هذا.

أطلب منك أن تبقى على اتصال دائم بنا بواسطة أئينا قائد الولاية، وزيادة على ذلك لا أشك بأنك سوف ترفع من سلطة وسمعة هذه الولاية أغتنم هذه الفرصة التي أكتب فيها لك لأعلمك بالوضعية الغامضة التي تسود قسنطينة، عناصر غير واعية، وموجهة يقومون بحملة دعاية يتهمونك بأنك حليف ابن بلة، وقيادة الأركان العامة طمعا في السلطة، وهذا متبوع باغتياب وأكاذيب تهدف إلى مغالطة الشعب عن قصد، ومن هنا ضرورة القيام بحملة شرح ومضاعفة الاتصالات مع العناصر النزيهة للوطن.

أذكرك بالاتصالات الممكنة لك مع الإخوة في قسنطينة وهي ذات فائدة ومثمرة لنا لكي نلح على قضية الرائد سليمان، لتوضيح الطرق الخطيرة والديئة والغير مشرفة للوطن.

أهني رسالي بتمنياتي لك بعودة ميمونة لأرض الوطن بأن الشعب سيتقبل ذلك كخطوة ملموسة نحو إعادة كرامته.

أخويا

قيادة الأركان العامة لجيش التحرير الوطني

التوقيع: بومدين

(ترجمة صاحب البحث)

مطلق رقم: 07

الجزائر في 13 أوت 1963

إلى السيدات والسادة النواب.
أعضاء المجلس الوطني التأسيسي.

الجزائر

أعزائي الزملاء،

بسبب الخلاف في وجهات النظر حول الطريقة التنظيمية النهائية للسلطات العمومية في الجزائر، ورفضى الأساسى لطبيعة هذه السلطات. لي الشرف، والأسف لأقدم لكم استقالتي من رئاسة مجلسكم.
أشكركم مرة أخرى، على الثقة التي وضعتموها في، وقد حاولت استحقاقها. أرجو منكم أعزائي الزملاء قبول تحياتي الصادقة والأخوية.

التوقيع: فرحات عباس

(ترجمة صاحب البحث)

مطلق رقم: 08

نداء إلى الشعب الجزائري

توجد الجزائر في أقل من 14 سنة للمرة الثانية في صراع مع الشعب المغربي الشقيق. بعض جنودنا، وأبنائنا أسرى، وبعضهم جرحى، وآخرون قتلوا، وذلك بدون أخذ شعبنا مسؤولية في ذلك. موتانا، وموتى المغاربة، والمعاملة السيئة لأشقائنا المغاربة المطرودين من الجزائر، ومأساة واضطراب السكان الرحل للساقية الحمراء ووادي الذهب، كل ذلك يبين بوضوح بأن هذا الصراع قد حقق نتائجه الكارثية. غدا، هذا الصراع ممكن أن يتعمم ويدخل كل إفريقيا الشمالية في حمام من دم. الكراهية التي يسببها سوف تعرض اتحاد المغرب العربي الإسلامي للمجازفة، تمنيات شعبونا تأسيس ازدهارنا ورفاهيتنا.

لا للحرب !

نوجه نداء إلى المسؤولين الجزائريين و المسؤولين المغاربة في جميع مستويات، لكي لا يبقى بلدنا كجندي بسيط على الساحة الدولية.

لا للحرب !

باسم الأخوة الإسلامية، والتضامن الإنساني.

الحروب العصرية لا تستطيع أن تهدم في يوم واحد عمل أجيال متعددة، وهي لم تعد حلولا ملائمة لمشاكلنا، اللجوء إلى الحرب هو بمثابة اللجوء إلى الانتحار الجماعي، وتصبح إفريقيا الشمالية مكانا للقوتين العظميين على حساب مصالحنا والسلم في العالم.

الصورة التي أخذناها عن الشعب الأنغولي بين مؤيد لروسيا، و مؤيد للولايات المتحدة الأمريكية، هذه الصورة يجب أن تحثنا على التفكير.

سنضيق استقرارنا الوطني وسننفضل عن حركة عدم الانحياز التي هي مفتاح لسياستنا الدولية منذ أكثر من

20 سنة.

الشعبان المغربي والجزائري، وحدهما الكفاح من أجل الاستقلال، وهما لا يستطيعان التنازل إلى سياسة أسوأ، لأكثر من سبع سنوات قدم لنا تونس والمغرب دعما دائما وثابتا وإيجابيا.

عدم الاعتراف بالخير هي ميزة الشعوب الضعيفة.

الشعب الجزائري قوي جدا من أجل رد الخير، ويؤكد تضامنه المغربي.

لنبق موضوعيين وواقعيين، بالتأكيد نحن أقوياء من أجل المحافظة على سيادتنا الوطنية، ووحدة ترابنا، ولكن هناك قضايا في انتظارنا وهي ليست أقل شأنًا.

عدم وجود مؤسسات، الدولة الجزائرية غير موجودة، يجب أن نكونها.
الجزائر ليس لها دستور، ولا قوانين، إنها تعيش في المؤقت، حان الوقت لوضع حد لذلك.
إن الانقلاب العسكري لـ 19 جوان 1965 يجب أن يمنح شعبنا سيادته الكاملة.

الانقلابيون نددوا بالحكم الفردي وذلك من خلال تصريحهم التالي: "السلطة الفردية مازلت تمارس إلى يومنا هذا، إن كل المؤسسات الوطنية، والجهوية للحزب والدولة تحت رحمة رجل واحد، يعمل حسب هواه، ويلغي حسب طريقة غير نظيفة، ارتجالي، الهيئات القيادية تفرض التوجه والرجال حسب مزاجه، و نزواته."
للأسف، هذا الانقلاب لم يصحح شيئا، عبادة الشخص دائما مازالت سائدة.
السلطة الفردية تمارس بدون رقابة، وتتصرف في مصير شعبنا، وتفرض على أبنائنا نظاما تربويا من اختيار تلك السلطة.

يخضعنا إلى إيديولوجية هي عدوة للقيم الأخلاقية والروحية للإسلام، هذا الإسلام الذي ضحى من أجله مليون ونصف مليون شهيد.

هو وحده الذي يقرر الحرب أو السلم، والشعب لم يستشر في ذلك أبدا، وحتى المسؤولين الذين معه بما فيهم أعضاء مجلس الثورة.

نظام كهذا في عصرنا الحالي، هو خارج التاريخ.

إن الحل لمشاكلنا الداخلية والخارجية يجب أن يمر على السيادة الشعبية.

الأمر لا يتعلق بفرض ميثاق وطني، كما يخطط له رئيس مجلس الثورة، لكي يؤسس سلطته. طريق واحد يبقى مفتوحا لتكوين هذا الميثاق:

حوار عمومي على المستوى الوطني لتأسيس جمعية وطنية تأسيسية، ذات سيادة، وذلك بدون الإساءة إلى الاختيار الاشتراكي للوطن، وفي إطار هذه الجمعية التي سيختار الشعب ممثلها لكل حرية، يمكنها ترجمة التطلعات الشرعية للأمة.

كل ميثاق يتم إصداره في الغرف الصغيرة للسلطة هو ملغى، وغير شرعي.

أيها الجزائريون، أيتها الجزائريات،

نظام الاحتلال الذي ناضلنا ضده أهاننا وحرماننا من ممارسة السيادة الوطنية، ووجهنا إلى مشاكل التغذية و الاقتصاد.

منذ استقلالنا، نظام السلطة الفردية قادنا تدريجيا إلى نفس وضعية الرعايا بدون حرية ولا كرامة. هذا الخضوع هو شتم لطبيعة الإنسان، والجزائري بصفة خاصة وهي مساس بشخصيته. لهذا السبب، رجال مناضلون، ولهم إرادة حسنة التقوا من أجل التنديد بهذه الوضعية، ووضع حد للإهانة التي نتعرض لها.

وإنهم يدعون الشعب الجزائري للنضال من أجل:

5. العمل من أجل انتخاب شعبي حر لجمعية وطنية تأسيسية ذات سيادة.
6. وضع حد للنظام الشمولي الحالي، والمطالبة بوضع حدود شرعية ضد كل التجاوزات من هذا النوع.
7. تأسيس حرية التعبير، والمعتقد للذات حارب الشعب الجزائري كثيرا من أجلهما.
8. العمل من أجل مغرب عربي موحد وإسلامي أخوي.

الجزائر مارس 1976

الموقعون:

فرحات عباس: رئيس سابق للحكومة المؤقتة

الشيخ محمد خير الدين: عضو سابق في المجلس الوطني للثورة الجزائرية

بن يوسف بن خدة: رئيس سابق للحكومة المؤقتة

حسين لحول: أمين عام سابق لحزب الشعب الجزائري، والحركة من أجل الانتصار

للحريات الديمقراطية، وممثل سابق لجهة التحرير الوطني في الخارج

(ترجمة صاحب البحث)

ببليوغرافيا البحث

أولاً: المصادر الأساسية:

(أ) الكتب الفرنسية:

- 1) Abbas (Ferhat), Le jeune algérien, édition, Garnier, paris, 1981
- 2) Abbas (Ferhat), guerre et révolution d'Algérie, La nuit coloniale, édition, Julliard, Paris, 1962
- 3) Abbas (Ferhat), autopsie d'une guerre l'aurore, édition, Garnier, France.1980
- 4) Abbas (Ferhat), L'indépendance confisquée, édition, Garnier, France, 1984
- 5) Abbas (Ferhat), Rapport du 2^{me} Congrès National de l' UDMA Tlemcen les 16.17. et 18 Septembre 1949, Le régime colonial est la négation de la justice et de la civilisation, édition, libération, Alger, 1949
- 6) Abbas (Ferhat), Regards sur le présent et l' avenir de l' Algérie, rapport présenté par Ferhat Abbas au 1^{er} congrès de l' « U.D.M.A » édition, libération, Alger, 1948
- 7) Abbas (Ferhat),(brochure)Pourquoi créons-nous l'union populaire Algérienne ? Alger, 1938
- 8) Anonyme, du Manifeste à la république Algérienne, édition, libération, Alger, 1948

ثانياً: المصادر الثانوية

(أ) الكتب العربية:

- (1) ابن خدة (بن يوسف)، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب لحسن زغدار، و محل العين جبائلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
- (2) ابن نبي (مالك)، مذكرات شاهد القرن، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1984
- (3) الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983

- 4) توفيق المدني (أحمد)، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956
- 5) كافي (علي)، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999
- 6) مهساس (أحمد)، الحركة الثورية في الجزائر، من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود مسعود، ومحمد عباس، دار القصة، الجزائر، 2003
- 7) نايت بلقاسم (مولود قاسم)، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرة أول نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1984
- 8) نزار (حالد)، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الخبر، دار النشر الشهاب، باتنة، 1999

ب) الكتب الفرنسية:

- 1) Ali Haroun, L'été de la discorde Algérie 1962, édition, Casbah, Alger, 2000
- 2) Benhabiles (Chérif), l'Algérie Française vu par un indigène, imprimerie orientale, Fontana frères, Alger, 1914
- 3) Benkhedda (Benyoucef), L'Algérie à l'indépendance – la crise de 1962, édition, Dahleb, Alger, 1997
- 4) Benkhedda Benyoucef, les origines du 1^{er} novembre 1954, édition, Dahleb, Alger, 1989
- 5) Depont (Octave), L'Algérie du centenaire, édition, Cadoret, France, 1928
- 6) Guenaneche (Mohamed), Le mouvement d'indépendance en Algérie entre les deux guerres(1919-1939) traduit de l'arabe par sid Ahmed Bouali, édition, E.N.L et O.P.U, Alger, 1990
- 7) Gustave (Mercier), Le centenaire de l'Algérie, t, 2, édition, P et G Soubiron, Alger, 1931
- 8) Harbi (Mohamed), le F.L.N, mirage et réalité, édition, Jeune Afrique, Paris, 1980
- 9) Jean (Lacouture), cinq hommes et la France, édition, Seuil, Paris, 1961

- 10) Malek (Rédha), L'Algérie à Evian, histoire des négociations secrètes 1956, 1962, édition, A.N.E.P, Alger, 2001
- 11) Naron (Amar), Ferhat Abbas, où les chemins de la souveraineté, édition, Donoel, France, 1961
- 12) Soustelle (Jacques), Aimée et souffrante Algérie, édition, Plon, Paris, 1956
- 13) Viollette (Maurice), l'Algérie vivra-t-elle ? édition, libraire Félix Alcan, Paris, 1931

ثالثا: المراجع:

أ) الكتب العربية:

- 1) أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978
- 2) أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983
- 3) أبو القاسم (سعد الله)، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج 3، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986
- 4) بوعزيز (يحيى)، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987
- 5) جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ط 3، دار الحدائثة وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1980
- 6) جوليان (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير، (القوميّات الإسلامية، والسيادة الفرنسية)، ترجمة المنجلي سليم، وآخرون، طبعة، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1976
- 7) الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986
- 8) الدقاق (عمر)، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشروق العربي، بيروت، بدون تاريخ
- 9) شارل روبيير (أجيرون)، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982

- (10) صاري (الجلالي) ، قداش (محموظ)، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987
- (11) عباد (صالح)، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1999
- (12) عبد القادر (حميد)، فرحات عباس، رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001
- (13) العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط 2، دار النفائس، ، بيروت، 1986
- (14) كواندت (وليم. ب)، الثورة والقيادة السياسية في الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق، 1981
- (15) لونيسي (رابح)، فرحات عباس المعترف بالحق، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ
- (16) لونيسي (رابح)، الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين، دار المعرفة، الجزائر، 1999
- (17) الميثاق الوطني 1976
- (18) نوشي (أندرى) وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح، ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984
- (19) هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995

ب) الكتب الفرنسية:

- 1) Ageron (Charles -Robert), politiques coloniales au Maghreb, édition, p. u.f. Paris, 1972
- 2) Alleg (Henri), la guerre d'Algérie, T 1, 2 et 3 , édition, Messidor, temps actuels France, 1981
- 3) Berque (Jacques), Le Maghreb entre deux guerres, édition, Seuil, Paris, 1962
- 4) Bourdieu (Pierre), sociologie de l' Algérie, édition, p, u, f, Paris, 1980
- 5) callot (Claude) – Jean Robert Henry, le mouvement national Algérien textes 1912-1954 édition, l' harmattan, Paris, 1978
- 6) Eveno (Patrick) et Jean Planchais, la guerre d'Algérie, édition, Laphomic, Alger, 1990
- 7) Francis et Colette Jeanson, L'Algérie hors la loi, édition, E.N.A.G, Alger, 1993

- 8) Goldzeiguer (Annie Rey), aux origines de la guerre d'Algérie 1940-1945, édition, Gasbah, Alger, 2003
- 9) Harbi (Mohammed), Une vie debout, Mémoire politique, T 1 : 1954 - 1962, édition, Casbah, Alger, 2001
- 10) Horne (Alistaire), histoire de la guerre d'Algérie, édition, Albin Michel, Paris, 1980
- 11) merad (Ali), les Réformistes musulmans en Algérie de 1925 à 1940, édition, mouton et co la haye, Paris, 1967
- 12) Meynier (Gilbert), histoire intérieure du F.L.N 1954-1962, édition, Gasbah, Alger, 2003
- 13) Mimouni (Abdelkader), Le Manifeste Algérien dans la presse Française, 2eme édition, Mimouni Alger, 1991
- 14) Noushi (André), La naissance du nationalisme Algérien, 1914-1954, édition, de minuit, Paris, 1962
- 15) Pervillé (Guy), les étudiants algériens de l'université française 1880 -1962 édition casbah, Alger, 1997
- 16) Sarrasin (Paul Emile), La crise Algérienne, édition, du Cerf, Paris, 1949
- 17) Stora (Benjamin), Zakya Daoud, Ferhat Abbas une autre Algérie, édition, Casbah, 1995
- 18) Vatin (Jean Claude), l'Algérie politique histoire et société, édition, Armand Colin et Fondation nationale de la science politique, Paris, 1974

رابعاً: المعاجم

- 1) Dictionnaire, Langue, Encyclopédie, Noms propres, édition, spadem-adagp, Paris, 1980

خامساً: محفوظات مصلحة الوثائق في ولاية قسنطينة

- 1) Abbas (Ferhat), archives privées saisies en mai 1945, I. R, boîte N° 13, A.W.C
- 2) Lettre de Abbas (Ferhat), à M^r: le président de la, F.E.M, de Constantine, (documents inédits du mouvement national)N° 12, novembre 1981, A.W.C

- 3) Lettre de Abbas (Ferhat) à monsieur le Dr Tamzali Président de la section Kabyle des Délégations Financière le 09 décembre 1943,(document inédits du mouvement national)N° 12, novembre 1981 A.W.C.
- 4) Lettre de Abbas (Ferhat), à Monsieur le Président des délégations Financières, le 15 décembre 1943(document inédits du mouvement national) , N° 12, novembre 1981, A.W.C.

ساحسا: الدوريات:

أ) الدوريات العربية

- 1) مجلة الثقافة، عدد 14 سبتمبر، أكتوبر 1984، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984
- 2) مجلة الشهاب، أفريل 1936
- 3) مجلة الشهاب، جويلية 1936
- 4) مجلة الشهاب، أكتوبر 1936
- 5) جريدة النجاح، عدد 1948، 17 جانفي 1937

ب) الدوريات الفرنسية

- 1) L'entente franco - musulmane, N° 18 du 09 janvier 1936
- 2) L'entente franco - musulmane, N° 20 du 20 janvier 1936
- 3) L'entente franco - musulmane, N° 23 du 20 février 1936
- 4) L'entente franco - musulmane, N° 24 du 27 février 1936
- 5) L'entente franco - musulmane, N° 30 du 11 Juin 1936
- 6) L'entente franco - musulmane, N° 31 du 29 Avril 1937
- 7) L'entente Franco - musulmane, N° 32 du 15 Mai 1937
- 8) L'entente franco - musulmane, N° 33 du 12 août 1937
- 9) L'entente franco - musulmane, N° 35 du 26 août 1937
- 10) L'entente franco - musulmane, N° 36 du 02 septembre 193

- 11) L'entente franco - musulmane, N° 38 du 16 Septembre 1937
- 12) L'entente franco - musulmane, N° 39 du 23 septembre 1937
- 13) L'entente franco - musulmane, N° 40 du 7 octobre 1937
- 14) L'entente franco - musulmane, N° 127 du 4 septembre 1939
- 15) La république Algérienne, N ° 464 du 12 novembre 1954
- 16) La défense, N° 88 du 03 Janvier 1936
- 17) El Moudjahid, du 29 mai 1958
- 18) Revue d'histoire Maghrébine, Tunis, N°4 du juillet 1975
- 19) Revue d'histoire Maghrébine, Tunis, N° 95-96 Mai 1999
- 20) Revue Française d'histoire d'outre mer, T L XXXI, France, N° 303, 1994
- 21) Procès – Verbaux des Délibérations du Conseil Général de Département de Constantine, Session D'avril 1947, T 2, édition, Imp. P Braham, Constantine, 1947

سابعا: الرسائل الجامعية:

(أ) بالعربية

- 1) بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1945-1931 (دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996

(ب) بالفرنسية:

- 1) Ageron (Charles Robert), les Algériens musulmans et la France : 1871 – 1919, T2, édition, p.u.f. Paris 1968
- 2) Kaddache (Mahfoud), Histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, T 1, et T 2, 2^{eme} édition, S.N.E.D. Alger, 1981
- 3) Jacques Bouveresse, Les délégations financières Algériennes 1898 -1945, T 2, édition, université de Nancy II, France, 1979 (Thèse non éditée)

ثامنا: الأقراس المضغوطة:

- 1) Cédérom, Encyclopédie ENCARTA.2003
- 2) Cédérom, La guerre d ' Algérie (V2.0 Française)

ثامنا: مواقع الإنترنت:

- 1) www.menustory.com
- 2) www.pieds-noirs.org
- 3) www.herodote.net

فهارس المذكرة

أ). فهرس الأسماء والأعلام

- ١ -

الإبراهيمي (البشير): 100، 102، 113، 173، 182، 183، 191، 199، 222، 240، 252، 268
الإبراهيمي (طالب): 102، 127، 235
أبريال (حاكم عام): 147، 148، 149
أتاتورك (كمال): 49، 52، 61، 154
أجيرون (شارل روبير): 3، 6، 8، 20، 156
إسماعيل (عمر): 126
الأشرف (مصطفى): 239، 260
أناتول (فرانس): 46، 61
المهداوي (حسين): 266
أوالحاج (محمد): 264
أورايم: 166
أوزغان (عمار): 140، 169، 196، 266
أوصديق (عمر): 242، 246
أوعمران (عمار): 133، 227، 230، 236، 237، 238، 239، 261
أوكتاف (دوبون): 69، 83، 194
أونوغان: 235
آيت (أحمد حسين): 234، 239، 242، 246، 248، 257، 260، 270، 277

- ٢ -

ابن الأعرش: 28
ابن الموهوب (المولود): 5
ابن باديس: 87
ابن باديس (عبد الحميد): 25، 102، 106، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 115، 117، 122، 126، 127، 128، 129،
ابن بلة (أحمد): 59، 60، 231، 233، 234، 236، 238، 239، 240، 242، 247، 248، 253، 257، 258، 259، 260، 261
ابن بوالعيد (مصطفى): 231، 238
ابن تومي عمار: 266، 268
ابن جديده (الشاذلي): 274، 279
ابن جلول (محمد الصالح): 58، 83، 100، 106، 109، 113، 115، 122، 125، 131، 136، 137، 140، 142، 143، 148، 6
ابن حبيلس (الشريف): 6، 9، 78، 80
ابن حميدة (عبد الرحمن): 266
ابن حدة (بن يوسف): 167، 194، 220، 237، 238، 242، 246، 248، 249، 250، 253، 254، 258، 259، 260، 262، 3
ابن خلاف (أحسن): 102
ابن خلاف (عبد الرحمان): 101، 165
ابن خلاف (فاطمة الزهراء): 99، 100
ابن خلدون: 44، 47
ابن خليل (دكتور): 200، 201، 207، 210
ابن رحال (محمد): 7، 67، 102
ابن زكري: 149، 165
ابن سالم (عبد الرحمان): 274
ابن سالم (محمد): 201
ابن سالم (حميد): 200
ابن شنوف (موسى): 7
ابن صالح: 235
ابن صالح (أحمد): 48
ابن الضاوي (عائلة): 29، 32، 99، 228

ابن طوبال (لخصر): 237, 238, 239, 240, 242, 243, 245, 246, 247, 248, 261, 263

ابن عيود: 101

ابن عبيد: 235

ابن عزوز: 3

ابن عطا الله (عيسى): 238

ابن علي (الشريف): 165

ابن علي (محمد): 207

ابن عمار (حكيمي): 246

ابن عمار (خليفة): 159

ابن عودة: 237

ابن قادة: 200

ابن قانة: 165, 181

ابن قشاط: 235

ابن لو نيسي (علاوة): 102

ابن مهدي (العربي): 236, 237, 238, 239, 240

ابن نبي (مالك): 111

ابن يحيى (محمد الصديق): 232, 238, 246

ابن يحيى (محمد): 279

باشتارزي (حاج حسان): 180

بالهادي (قاضي): 220

براجم (العربي): 261

برانكا: 99

برنان (أوغستين): 152

برون (وزير): 66

بريان (جنرال): 203

بريچنيف: 270

بريفيه (غي): 82

بلحاج (الشريف السعيد): 231

بلزاك: 46

بلغول (احمد): 130, 131

بلقاسم (الشريف): 273, 275

بلقاسم (كريم): 227, 230, 231, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 245, 246, 248, 253, 257, 260, 262, 263

بلوخ (بيار): 179

بلوم (ليون): 123

ابن قداش: 201

بوالصوف: 101

بوالصوف (عبد الحفيظ): 235, 238, 239, 240, 242, 243, 245, 246, 247, 248, 263

ابن الشريف (أحمد): 274

بومنيذر (صالح): 261, 274

بوتفليقة (عبد العزيز): 247, 248, 266, 274, 275

بوجنان (احمد): 274

بوحجار (بن حداو): 274

بوخردنة (عبد الرحمان): 149

بوخرطة (ادريس): 247

بودربة (دكتور): 259

بوردي (بيار حاكم عام): 85

بوردير (إميل): 149

بورديلا (عقيد): 199

بورقيبة (الحبيب): 203, 247, 253

بوزيدا (محامي): 260

بوسيف (بن شيخة): 149

بوصفصاف (عبد الكريم): 169

بوضيف (محمد): 238, 242, 246, 247, 248, 257, 258, 260, 262, 265, 269, 277

بوطاران (قادة): 201

بوعبيد (عبد الرحيم): 48 بوعاملي (عائلة): 2

بوعمامة: 1، 2، 3، 17
 بوغرة: 237
 بوفريس (جاك): 102
 بوفور (دوق): 41
 بوقادوم (مسعود): 206، 230
 بوقلي (عمر): 235
 بوكفوس (عائلة): 28، 35
 بوكفوس (محمد): 39
 بولخروف (الطيب): 252
 بولخفاف: 191
 بلهوشات (عبد الله): 274
 بوميديو (جورج): 252، 253
 بومدين (هوارى): 59، 60، 244، 246، 247، 248، 254، 255، 259، 261، 262، 263، 265، 266، 267، 269، 270، 4
 بومعزة (البشير): 266، 274، 275
 بومنجل (احمد): 159، 161، 164، 167، 168، 191، 200، 201، 204، 222، 235، 246، 252، 260، 266
 بونافوس (ماكس): 150
 بيثان (ماريشال): 59، 149، 150، 151، 153، 155، 156، 162، 164، 167، 204
 بيجو: 171
 بيرتراند (لويس): 68
 بيرك (أوغستين): 150، 166، 168، 180
 بيرك (جاك): 120، 150
 بيرلبيه (لويس): 189، 201
 بيريتون (حاكم عام): 166، 172، 175
 بيطاط (رايح): 238، 242، 246، 248، 266
 بيليسي (حاكم عام): 73
 بينو (كريستيان): 204
 بياض (عائلة): 29

- ج -

جزيل (ستيفان): 90
 جفال (محمد): 131
 جمال عبد الناصر: 240، 257
 جمام (محمد الهادي): 163، 191، 235
 جوان (ماريشال): 219،
 جوريس (جان): 76، 104
 جوكس (لويس): 252
 جول (فيري): 7
 جوليان (شارل أندري): 38، 45، 88، 162، 165،
 168، 170، 171
 جونار: 70
 جي (طالب): 102
 جيرو (جنرال): 160، 162، 166
 جيلالي (الحاج): 215

- ح -

خالد (الأمير): 7، 9، 49، 50، 51، 58، 78، 83، 101،
 102، 108، 112، 130، 131
 خان (لين): 242
 خبزي (محمد): 266

- د، ذ، -

التبسي (العربي): 102، 127، 163، 191، 233
 التونسي (احمد): 235
 تامزالي (خليل): 180
 تامزالي (دكتور): 113، 159، 163، 165، 166،
 179، 180، 181
 تركي (عباس): 122، 191
 تمام (عبد المالك): 238
 توير (جنرال): 199
 توفيق المدين (احمد): 95، 104، 126، 234، 238،
 242، 266
 الثعالي (الطيب): 238
 ثورسي (جنرال): 66
 ثوريز (موريس): 169

- ط -

حاج (السعيد): 201، 235
 حاج (عبد القادر): 131
 حاج (عمار): 102
 حاج (محمد): 262

حاج مختار (السعيد): 7
الحجاج بن يوسف: 171
الحداد (الشيخ): 29
حري (محمد): 239
حساني (موسى): 266
الحسن الثاني: 253
حسين (داي): 72
حكيمي (محمود): 260، 261
حمو حاج (محمد): 266
حميمي (رائد): 260، 261
خطيب (يوسف): 274
خليل (سيدي): 22
خميسي (محمد): 266
خيار: 180
خياري (عبد القادر): 215
خير الدين (الشيخ): 28، 41، 115، 163، 191، 228،
276
خيزر (محمد): 206، 234، 235، 257، 262، 238،
239، 242، 246، 248، 260، 264

- ر -

راندون (حاكم عام): 74
رضا (مالك): 260
رماديه (بول): 207
روزفلت: 159، 169، 190
رويح (حسين): 237
رينيه (فضيل): 180، 181
رينيه (مارسيل): 108، 109
الزيري (الطاهر): 260، 274
زروق: 165
زناقي (أكلي): 56
زيار: 191
زيغود (يوسف): 231، 237، 238

- س -

دارلان: 160، 161، 162
دباغين (لمين): 163، 167، 168، 173، 195، 206،
202، 234، 238، 239، 242
دحلب (سعد): 237، 238، 248، 252
درايا (أحمد): 274
درايفوس: 46
دردور (جمال): 191، 206، 220
دريان (عقيد): 49
دلاديه (وزير): 120، 123، 142
دن (على الشريف): 166
دندن: 102
دهيليس (سليمان): 237، 238
دوفال (جنرال): 194، 199
دوكتون (قينييه): 10
دوميرغ (رئيس الجمهورية): 86
دي فيجي (دانيار): 31، 34
دي كاستين (روبير): 246
دي لوس (برونو): 252
دي لوكا (رئيس بلدية): 99
الديب (فتحي): 243، 244
ديدرو: 45
ديدوش (مراد): 231
ديفو (جنرال): 74
ديفو (ستانسلاس): 149
دي غول (شارل): 163، 166، 174، 176، 180،
182، 183، 185، 189، 192، 199، 208، 229،
243، 244، 245، 246، 250، 251، 252، 254

-س-

ساحلي (محمد الشريف): 80

سارو (ألبير): 123

سانت ارنو (جنرال): 29، 171، 194

السايج (عبد القادر): 165، 166، 177، 178، 179،
180، 181، 182

سييلمان (فيكتور): 58، 102

ستوتزيل (مارسيل): 100، 196، 259

سراوي: 101

اسطنبولي (مصطفى): 242

سطورا (بنيامين): 35، 46، 100، 130، 148، 154،
173، 195

سعد الله (أبو القاسم): 5، 112، 115، 165، 167، 191

سعدان (دكتور): 101، 149، 161، 163، 188، 191،
195، 196، 200، 201، 204، 207، 210

سعيد (محمدي): 238

سوران (بول): 149

سوستيل (جاك): 228، 231، 232

سوفي (صالح): 274

سيرفان: 107

سيرفي: 78

سيريني (آلان): 227

سيسبان (الشريف): 147، 149، 165

سيليني (حاج محمد): 162

-ش-

شاتو (بريان): 45، 52، 61، 151

شاتون: 120

شاتيل (حاكم عام): 157، 158، 160

شاتينيو (إيف): 185، 192، 195، 204، 205،
210

شاردوني (رائد): 66

شحراوي: 165

شرشالي: 195، 228

المشريف (محمود): 239، 242

شكيب (ارسلان): 131

شنتير (علي): 280

شنتوف (عدة): 180

شوقالييه (جاك): 223، 228

شيكيكين: 102

شين (عائلة): 29

شيهاني (البشير): 231

-ص-

صاب (علي): 102

صاطور (قدور): 108، 191، 200، 201

صغير: 102

-ط-

طالب (عبد السلام): 180

طالب (محمد): 195

طاهران: 102، 115

-خ-

خابريال (أبو): 121، 122، 189

خراب: 180

خرسى (احمد): 163، 180، 191

خوتيه (مؤرخ): 44، 45، 152، 168

خوزلان (إيلي): 106

خيليس: 204

-ف-

فارس (عبد الرحمان): 265

فرانس (منديس): 222، 226، 228

فرنسوا (جنرال): 149

فرنسيس (احمد): 100، 165، 200، 201، 204،

222، 227، 228، 232، 233، 234، 235،

238، 242، 246، 266

فريس (نقيب): 189

فور (ادغار): 228، 203، 233

-ع-

العقي (الشيخ): 109، 113، 122، 126، 127، 181

العمودي (بلين): 102، 111

عائشة: 61

عباس (السعيد): 28، 29، 64

عباس (حميد): 28، 35، 41، 99

عباس (عائلة): 32

عباس (عبد الخليم): 100، 233، 259

عباس (علاوة): 231، 232

عباس (عمار): 28، 29، 31، 99، 192

عباس (محمد الصالح): 28، 99، 100، 132

عباس (أحمد): 28، 99، 132

عباسة (أ): 180

عبان (رمضان): 230، 231، 232، 236، 237، 238،

239، 240، 241

عبد الحميد الثاني (سلطان): 2

عبد الغني (محمد بن أحمد): 274

فور (غراتيان): 207
فولتير: 45
فيوليت (موريس): 78، 83، 85، 89، 95، 108،
117، 120، 131، 132، 185

-ق-

قاسي: 237
قاسيني: 181
قاضي (عبد القادر): 163، 165، 181
القائمة (عمار): 227، 230
قايد (حمود): 102
قايد أحمد (الرائد سليمان): 246، 247، 248، 255،
261، 274، 275، 277، 278
قدانث (مخفوظ): 54، 116، 141، 159
قنانش (محمد): 112
قواهرية (الزين): 101
قورس (جورج): 235
قومين (بيار): 235
قونون: 160، 161، 180

-ل-

لاباسي (عقيد): 74
لابور (موريس): 173
لارشي (جنرال): 3
لافون: 197
لاكوتير (جون): 48، 53، 151، 152، 163، 234،
251
لاكوست (روبير): 239
لامورسيير (جنرال): 86
لبجاوي (محمد): 238
لحكار (مصطفى): 244
لحول (حسين): 220، 276
لخضري: 101، 115، 163، 166، 180
لعروسي خليفة: 266
لعموري (عقيد): 244
لعواشي (محمد الصالح): 238
لعوامري: 100
لغور (عباس): 231
لوبرون (ألبير - رئيس الجمهورية): 139، 243
لوبو (حاكم عام): 144
لوتو (حاكم عام): 7، 8، 66، 71
لور (جنرال): 155

عبد القادر (الأمير): 73، 74، 81، 86
عبد الكريم (الأمير): 222
عبد الوهاب (دكتور): 113
عبدون: 195

عبيد (السعيد): 274
عجول عجول: 231
عربان (إسماعيل): 74
العربي (الطيب): 274
عروج: 28، 41
عزالدين (رائد): 247، 268
عسلة: 163
عقون (باي): 201، 204
عمارة (الرشيد): 232، 233
عميرة (علاوة): 244
عميروش (عقيد): 237، 241، 244
عواشيرية (رائد): 244
عيسات (أيدي): 238

-ك-

كاتب (ياسين): 196
كاترو: 172، 176، 177، 179، 180، 185
كاسترو (فيدال): 267، 271
كافي (علي): 237
كامو (ألبير): 196
كحول (مفتي): 122
كريميو: 146
كولو (كلود): 165
كيزوي: 11
كينيدي (جون): 247
كيوان (عبد الرحمان): 220، 235

-م-

ماتون (عقيد): 246
مارثان (جنرال): 193
مارسييه (جي): 44، 45، 168
مارسييه (وليام): 152
ماركس (كارل): 164، 276
ماروجيه: 158
ماسو (جنرال): 197، 239
ماسينيسا: 42، 113

لوستراد (كاربونيل): 188
لوفير: 11
لوكونونو: 219
لونيس: 233
لويير: 5
لويس (الخامس عش): 45
ليبين: 23
لينين: 276
ليو بول (سانغور): 48
ليون (بلوم): 117، 118

- ن -

نابليون (الثالث): 72، 73، 74
نارون (عمار): 165
ناصر (بوزيام): 255
نجيب (جنرال): 220
نزار (خالد): 254، 261
نقاش (محمد الصغير): 266
نواورة (عقيد): 244

نيجلان (ادموند مارسيل): 210، 214، 215، 216

- ه -

هتلر (أودولف): 133، 142، 196
هنري (جون رويير): 165
هوشي منه: 203
هيجو (فيكتور): 46، 227

- و -

ولسن: 9، 21، 112، 120
وليم ب. كواندت: 15
ويقان (جنرال): 148

- ي -

يحيوي (محمد الصالح): 274، 275
يزيد (احمد): 234، 238، 242، 246، 248
يسعد (عائلة): 28
يعلاوي: 235
يوغرطة: 42

ماكماهون (حاكم عام): 72، 74
مالرمي (أندري): 149
محداد: 200، 201، 207، 210
محساس (علي): 274
محمد ع: 44، 96، 128، 129
محمد الخامس: 220، 253
محمد (السعيد): 237، 246، 248، 266، 274
محمد (أولد الحاج): 274
محيوز (حسان): 241، 261
ميدغري (احمد): 266، 274
مرّاد (علي): 6

مرباح (مولاي): 220

مزغنة (احمد): 195، 206، 220

مزهودي: 237، 238

مسعدي (عائلة): 29

مصالي الحاج: 111، 112، 116، 117، 127، 129، 130،
131، 132، 133، 134، 135، 138، 139، 140،
150، 164، 168، 173، 174، 182، 188، 189،
191، 195، 198، 203، 204، 205، 206، 211،
214، 217، 218، 220، 225، 228

مصطفاي (شوقي): 159

مصطفاي (الهادي): 201، 207، 210، 212، 235

مصطفاي (حاج): 194

مصمودي (محمد): 247

معزة (صالح): 228

معزة (عائلة): 29، 99

معزة (عاشوراء): 28، 31، 36

معزة (عمرو): 127

معزة (محمد): 194

معلم (حدو): 102

معيّزة (أحمد): 98، 194

مقراني (الحاج): 7، 15، 17، 29

مقراني (قايد): 38

مكي (الشيخ): 222

ملاح (علي): 237، 238

ممشاوي: 173

منجان (جنرال): 65
منجلي (علي): 246، 247، 248، 255، 259، 274

مننيه (جيلبير): 113
مهداوي (حسين): 265
مهدي (آيت): 67
مهري (عبد الحميد): 235، 238، 239، 242، 246
مهساس (احمد): 206، 231
مورفي (روبير): 158، 159، 160، 162، 163، 166،
168

موريس (روجي): 246
مورينو: 87، 123، 146

موسوليني: 133

موسى (دكتور): 102

موسى (النبي): 116

مولاي (مصطفى): 103

مولاي (عبد القادر): 274

مولي (غي): 235، 239

مونتنيك : 171

ميثران (فرانسوا): 223

ميسيبي: 65

الميلي (مبارك): 102، 127

ميليران (رئيس الجمهورية): 50

ميموني (عبد القادر): 191

(ب). فهرس أسماء البلدان، والمدن، والأماكن

-ب-

باريس: 7، 28، 35، 45، 54، 62، 67، 74، 99،
102، 109، 112، 120، 122، 124، 125، 127،
130، 138، 142، 151، 156، 183، 198، 203،
208، 211، 212، 230، 233، 234، 243

ابن ياحيس: 194

الباور (جبال): 28، 194

باتنة: 173

باراغواي: 236

باكستان: 243

بجاية: 107، 189، 191، 237، 260، 279

البحر المتوسط: 39

برازافيل: 189، 203

برج بوعرييج: 86، 260

البرواقية: 188

بروسيا: 29، 34

بروكسيل: 98، 130، 138

بريطانيا: 73، 166

بريكة: 8

بسكرة: 101، 107، 189، 201

بلجيكا: 98، 235

بلغراد: 235

البليدة: 262

بني عباس: 177

بو غار: 188

بو حمدون (دوار): 32، 127، 145، 228

بوزريعة: 204

بوعفرون: 28، 30، 31، 39، 64

بوفاريك: 86

بولونيا: 143

بوليفيا: 236

بويرة: 86، 262

البيرو: 236

بيروت: 235

-أ-

أفريقيا (شمال): 53، 55، 90، 120، 130، 131، 158،
171، 173، 174، 176، 190، 211، 220، 236،
الإتحاد السوفياتي: 145، 166
أحجار الميس: 28، 30، 31

الأخضر (جامع): 126

أدرار: 268، 279

الأرجنتين: 236

الأردن: 243

الأسكندرية: 236

آسيا: 227

الأصنام: 121

أغريون (وادي): 14

الأغواط: 11، 201

أفريقيا: 189، 227

الألزاس: 29، 31، 34، 54، 76

ألمانيا: 2، 7، 54، 70، 76، 143، 146، 148، 158،
159، 182، 193، 240

إليزي: 243

أم البواقي: 67

أمريكا: 159

أمريكا اللاتينية: 235

الأمير عبد القادر (بلدية): 27، 31، 34، 127، 132،

228، 194

أميزور (وادي): 237

الأندلس: 52

أوجانة: 28، 30

الأوراس: 8، 231، 236، 244

أوروبا: 2، 36، 37، 85، 144، 207، 227، 240

أوروغواي: 236

أوقيانوسية: 252

إيطاليا: 31، 152، 194

إيفري: 237

أيفيان: 248، 253، 254

إيكس: 247

تلمسان: 3، 112، 130، 138، 212، 258،
260، 261، 262، 263

تابلبلا: 177

تاسوست: 194

تاكيتوت: 194

تبسة: 215

تركيا: 8

تل (أطلس): 39

تونس: 25، 131، 140، 164، 174، 177،
185، 194، 213، 220، 222، 226، 239،
244، 245، 249، 255، 258، 259، 261

تيارت: 201

تيزي وزو: 121، 260، 265

حمام بوحجر: 131

خنشلة: 67، 260

خراطة: 194، 261

الخروب: 101

خروبة: 86

الرباط: 249

رقان: 254

روس: 253

روسيا: 247

روفيغو: 194

روما: 53

جاكارتا: 252

الجزائر: 1 إلى 3، 5، 7 إلى 12، 14 إلى 17، 20 إلى 23، 25 إلى

27، 31، 37، 41 إلى 51، 53 إلى 74، 76 إلى 99، 101 إلى

113، 115 إلى 118، 120 إلى 123، 125، 128، 130 إلى

132، 136، 138 إلى 144، 146، 147، 150 إلى 161،

163، 165 إلى 167، 169 إلى 178، 180 إلى 191، 194

إلى 197، 199 إلى 202، 204 إلى 214، 216 إلى 219،

221 إلى 223، 226 إلى 234، 236، 237، 240، 241،

243 إلى 265، 267 إلى 269، 271، 272، 274 إلى 279

جن جن (وادي): 34

حنيف: 131، 241

حولي (فيلا): 262

جيجل: 27، 28، 29، 30، 31، 34، 41، 42، 68، 98

99، 101، 123، 127، 140، 146، 149، 215، 228،

260

دمشق: 102، 235

الدار البيضاء: 149، 150، 251

داغن: 237

دنيا زاد (سنيما): 217

الزيتونة (جامعة): 131

الساقية الحمراء و وادي الذهب: 257، 276

سان دو نيس: 233

سان فرانسيسكو: 190

إسبانيا: 28، 31، 152

رونالد (دي بوسي): 54

ستراسبورغ: 31، 34، 132، 194، 228
سطيف: 11، 86، 98، 99، 100، 101، 104، 105،
106، 107، 138، 142، 144، 145، 146، 147،
148، 159، 163، 167، 168، 173، 178، 179،
184، 189، 190، 192، 193، 194، 195، 196،
197، 198، 199، 201، 206، 211، 216، 260،
265، 277

ريغو (فيلا): 260، 261، 262

-ش-

الشحنة: 27

سعيدة: 176، 201

الشفقة: 28

سقان (وادي): 31

الشيبي: 236

سكيكدة: 7، 42، 177

سنغفورة: 252

-ص-

السودان: 243

الصحراء: 69، 86، 177، 194، 218

سوربون (جامعة): 35

الصحراء الغربية: 277

سوريا: 176، 222

الصين: 129، 247

سوق أهرام: 101

-ط-

سويسرا: 233، 235

سيدي بلعباس: 89

الطاهير: 14، 27، 28، 30، 31، 33، 34، 38، 41،

سيدي فرج: 86

98، 99، 127، 132، 140، 145، 228

سيلان: 252

طرابلس: 235، 246، 258، 260، 262، 271

سيليق (طريق): 98

طنجة: 67

طونكان: 207

-ع-

-ع-

غار ديماو: 261

العالية (مقبرة): 280

غالوند (حديقة): 232

العراق: 171، 243

غرناطة: 45، 52، 61

العربية السعودية: 243

غليزان: 201

عرفات (جبل): 128

عناية: 7، 42، 64، 68، 194

العناصر: 116

العنصر: 14

عين البيضاء: 101

عين توتة: 8، 67

عين صالح: 168

-ف-

فج أم زالة: 15، 29، 31، 34، 98

فرنسا: 1 إلى 4، 8، 11، 20، 29، 34، 36، 37، 41، 43، 46 إلى 49، 51 إلى 53، 55 إلى 59، 62، 63، 65، 67، 69، 70 إلى 73، 76 إلى 80، 82 إلى 89، 92 إلى 96، 98، 101 إلى 103، 108، 109، 111، 113، 115، 116 إلى 118، 123، 125، 127، 129، 130، 131، 133، 134، 136، 139، 142 إلى 146، 148، 150، 151، 154، 156 إلى 163، 169 إلى 171، 174، 176، 177، 179، 181 إلى 183، 185، 188، 189 إلى 191، 195، 196، 200 إلى 204، 207 إلى 209، 213 إلى 215، 218 إلى 220، 222، 226 إلى 229، 231، 233 إلى 235، 243 إلى 247، 250 إلى 259، 262، 271
 فريسناس (سجن): 243
 فلسطين: 212، 222، 275

- ك -

الكاف: 259

- ل -

لافيجري: 185
 لامبيز (سجن): 173

لاهاي: 251

لبنان: 222

لندن: 166، 234

لوبرانس (شارع): 130

اللورين: 29، 31، 34، 54، 76
 لوسارن: 252
 لوغران: 253
 ليبيا: 222، 243

- ق -

القارة الأمريكية: 72

قائمة: 101، 194، 196، 215، 262

القاهرة: 133، 166، 203، 222، 223، 233، 234، 235، 236، 241، 244، 252، 257، 279

قاو: 86

القبّة: 32، 232، 278، 279، 280

القدس: 45

القرويين (جامعة): 131،

قسنطينة: 3، 5، 7، 10، 21، 25، 42، 68، 86، 87، 100، 104، 106، 107، 108، 112، 113، 115، 122، 123، 126، 137، 140، 146، 147، 149، 150، 155، 165، 175، 178، 179، 180، 184، 188، 191، 192، 195، 196، 199، 200، 201، 205، 206، 207، 208، 215، 216، 219، 232، 260،

261، 268

قصر البخاري: 173

قصر الشلالة: 188

القل: 67

القلية: 189

- ه -

الهضاب العليا: 29

هند: 251

الهند الصينية: 245

- و -

نانسي: 49

ندرومة: 67

نيودهي: 79

- ز -

ماجيستيك (سينما): 112

مالطا: 43، 84، 152

ماليزيا: 252

مدغشقر: 207

المدينة: 103، 262

المرسى الكبير: 252

مستغنام: 107، 112

المشرق العربي: 5، 73

مصر: 25، 243

المغرب: 3، 4، 44، 47، 52، 59، 118، 130، 131،

140، 174، 176، 185، 213، 222، 226، 236،

239، 251، 253، 277، 279

المكسيك: 207

مولان: 246، 247، 250، 254

ميشلى: 201

ميلا: 101

ميونيخ: 143

-<

->

اليمن: 243

وادي زناق: 215

اليونان: 227

واشنطن: 234

الولايات المتحدة الأمريكية: 112، 145، 159، 160، 161،

166، 190، 247، 251

وهران: 4، 7، 76، 122، 140، 175، 179، 181، 189،

201، 204، 206، 207، 238، 264، 268

محتوى البحث

| | |
|-----|---|
| أ | مقدمة البحث..... |
| 1 | الفصل الأول: بيئة فرحات عباس..... |
| 2 | المبحث الأول: البيئة السياسية..... |
| 10 | المبحث الثاني: البيئة الاقتصادية..... |
| 15 | المبحث الثالث: البيئة الاجتماعية..... |
| 22 | المبحث الرابع: البيئة الثقافية..... |
| 27 | الفصل الثاني: الحياة والآثار..... |
| 28 | المبحث الأول: المولد و النشأة..... |
| 34 | المبحث الثاني: تكوينه الاجتماعي..... |
| 39 | المبحث الثالث: تكوينه الثقافي..... |
| 48 | المبحث الرابع: تكوينه السياسي..... |
| 58 | المبحث الخامس: أعماله الفكرية..... |
| 61 | الفصل الثالث: آراؤه السياسية في الربع الأول من القرن العشرين..... |
| 64 | المبحث الأول: عودته من الخدمة العسكرية..... |
| 72 | المبحث الثاني: رأيه في التجنس..... |
| 85 | المبحث الثالث: موقفه من الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر..... |
| 92 | الفصل الرابع: موقفه السياسية خلال الثلاثينات..... |
| 92 | المبحث الأول: آراؤه السياسية خلال الثلاثينات..... |
| 98 | المبحث الثاني: الوظائف السياسية..... |
| 106 | المبحث الثالث: دوره في المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول..... |
| 117 | المبحث الرابع: موقفه من رفض مشروع بلوم - فيوليت..... |
| 126 | المبحث الخامس: موقفه من العلماء وحزب الشعب الجزائري..... |
| 136 | المبحث السادس: تأسيسه لحزب " إتحاد الشعب الجزائري "..... |
| 142 | المبحث السابع: فرحات عباس الحرب الكونية الثانية..... |
| 145 | الفصل الخامس: موقفه خلال الأربعينات..... |

| | |
|--|-----|
| المبحث الأول: عودته من الحرب الكونية الثانية..... | 145 |
| المبحث الثاني: بيان الشعب الجزائري..... | 157 |
| المبحث الثالث: إنشاء حركة أحباب البيان والحرية..... | 179 |
| المبحث الرابع: فرحات عباس وحوادث 8 ماي 1945..... | 187 |
| المبحث الخامس: تأسيسه لحزب " الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري "..... | 199 |
| الفصل السادس: مواقفه خلال الخمسينات..... | 214 |
| المبحث الأول: دخوله في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية..... | 214 |
| المبحث الثاني: موقفه من اندلاع ثورة نوفمبر 1954..... | 222 |
| المبحث الثالث: انضمامه إلى الثورة..... | 230 |
| المبحث الرابع: موقفه من اتفاقية إيفيان..... | 250 |
| الفصل السابع: فرحات عباس في ظل الاستقلال الوطني..... | 256 |
| المبحث الأول: موقفه من صراع صائفة 1962..... | 257 |
| المبحث الثاني: فرحات عباس الرئيس الأول للمجلس الوطني التأسيسي..... | 264 |
| المبحث الثالث: موقفه من النظام الاشتراكي..... | 269 |
| المبحث الرابع: موقفه من الميثاق الوطني 1976..... | 274 |
| المبحث الخامس: وفاته..... | 279 |
| خاتمة البحث..... | 281 |
| ملحق الوثائق..... | 285 |
| بيليوغرافيا البحث..... | 307 |
| أولا المصادر الأساسية..... | 307 |
| أ) الكتب الفرنسية..... | 307 |
| ثانيا: المصادر الثانوية..... | 307 |
| أ) الكتب العربية..... | 307 |
| ب) الكتب الفرنسية..... | 308 |
| ثالثا: المراجع..... | 309 |
| أ) الكتب العربية..... | 309 |

- 310.....(ب) الكتب الفرنسية.
- 311.....رابعاً: المعاجم.
- 311.....خامساً: محفوظات مصلحة الوثائق في ولاية قسنطينة.
- 312.....سادساً: الدوريات.
- 312.....(أ) الدوريات العربية.
- 312.....(ب) الدوريات الفرنسية.
- 313.....سابعاً: الرسائل الجامعية.
- 313.....(أ) بالعربية.
- 313.....(ب) بالفرنسية.
- 314.....ثامناً: الأقراص المضغوطة.
- 314.....تاسعاً: مواقع الإنترنت.
- 315.....فهارس المذكرة.
- 315.....(أ) فهارس الأسماء والأعلام.
- 323.....(ب) فهارس أسماء البلدان، والمدن، والأماكن.